نَفَحَاتُ الأبرَار

في شَرْحِ زيارةِ عَاشُورَاء

تصنيف

سماحة المرجع الديني آية الله الحجَّة المحقق الفقيه

الشيخ محمد جميل حمُّود العاملي دام ظله

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث

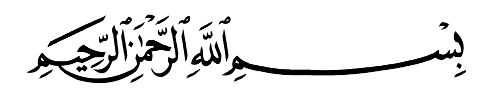
لبنان - بيروت

بالتعاون مع

مؤسسة قمر بني هاشم عليه السلام

للتسجيلات الإسلامية والطباعة والنشر

ماليزيا - كوالالمبور



الحمد لله رب العالمين

اللهم صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ وعجِّلْ فرَجَهم والعَنْ أعداءهم

﴿ فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أساسَ الظُّلْمِ ﴾
﴿ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ ﴾

ثمّة أمران مهمّان تَعَرَّضَتْ لهما الفقرة الشريفة :

الأمر الأول: لعن الظالمين لأهل البيت عليهم السلام.

الأمر الثاني: تخصيص اللعن على مَن أسّس الظلمَ والجورَ على أهل البيت عليهم السلام.

أمّا الأمر الأوّل:

فقد دلّ على جواز لعن الظالمين لأهل البيت عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام من أهل البيت قطعاً ؛ وذلك لأمرين :

الأوّل: إنّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله هم ابنته وابن عمّه إمام المتقين عليّ بن أبي طالب وأولادهما الطاهرين عليهم السلام ؛ لأنّ أهل بيت الرّجل هم مَن انتسبوا إليه بقرابةٍ نَسَبِيّةٍ لا بقرابةٍ سببية وما شاكل ذلك.

الثاني: إنّ أهل البيت عليهم السلام هم مَن نَزَلَتْ في حقّهم آية التطهير ، وقد دَلَّت الآية الشريفة على عصمة أهل البيت عليهم السلام من القذارات المعنوية كالشكّ والجهل والنسيان والخطأ والغفلة والسهو والدناءة والسفه وغيرها من الصفات النفسيَّة القبيحة عقلاً ونقلاً وعرفاً ، وكذلك طهارتهم من القذارات المادية كالبول والغائط والرِّيح ورائحة الفم والرِّجلَين والإبطين والتمطي والتثاؤب وما شاكل ذلك.

فكلّ ذلك منفيٌّ عنهمعليهم السلام، وقد دَلَّت الأخبار التي فاقت التواتر بعشرات المرّات أنّ أهل البيتعليهم السلام هم مَن كانوا تحت الكساء عندما نَزَلَت الآية الشريفة، والإمام الحسينعليه السلام هو أحد هؤلاء الخمسة المطَهَّرين صلوات الله عليهم أجمعين، وبعصمة الخمسة تثبت عصمة مَن نصّ عليهم رسولُ اللهصلى الله عليه وآله ومن بعده الإمام عليّعليه السلام والصِّدّيقة الطاهرة فاطمة وولداها الإمامان الحسن والحسينعليهم السلام، هؤلاء المنصوص عليهم هم:

١- الإمام عليّ بن الحسينعليهما السلام.

٢- الإمام محمّد الباقرعليه السلام.

٣- الإمام جعفر الصادقعليه السلام.

٤- الإمام موسى الكاظمعليه السلام.

٥- الإمام عليّ الرّضاعليه السلام.

٦- الإمام محمّد الجوادعليه السلام.

٧- الإمام عليّ الهاديعليه السلام.

٨- الإمام الحسن العسكريعليه السلام.

٩- الإمام المهديّ إبن الإمام الحسن العسكريعليهما السلام.

إنْ قيل: كيف تثبت عصمة هؤلاء مع أنهم لم يكونوا تحت الكساء؟

قلنا: ذكرنا آنفاً أنّ النبيصلى الله عليه وآله ومَن كان معه تحت الكساء، نصّوا على عصمة مَن يأتي بعدهم، وحيث إنّ مَن ثُبُتَت عصمته بآية التطهير لا يُحتَمَلُ في حقّه الكذب، فمن المستحيل - إذاً - أنْ ينصّوا كذباً - وحاشاهم من ذلكعليهم السلام - على إمامة مَن لم يكن موجوداً فعليّاً تحت الكساء؛ لأنّ اللهعزّ وجلّ يستحيل في حقّه أنْ ينوِّه بالعصمة المطلَقة لأهل البيت الخمسةعليهم السلام، في حين يُحتَمَل في حقّهم الكذب عليهعزّ وجلّ، لذا يستحيل بالضرورة حصول الكذب من أصحاب الكساء الخمسة؛ لاستحالة انفكاك صدقهم عن تطهير الله تعالى لهم من كلّ كذب ولو كان محتَمَلاً.

بالإضافة إلى ذلك: إن إثبات شيءٍ لشيءٍ لا ينفي ماعداه، فإثبات الطهارة

والعصمة لأهل الكساء صلوات الله عليهم لا ينفي عصمة من عداهم بدليلٍ آخر منفصل نظير عصمة الثلاثة الباقين من أولاد أمير المؤمنين إمام المتقين سيدنا الإمام الأعظم علي بن أبي طالب عليهما السلام كمولاتنا الحوراء زينب وأمّ كلثوم ومحسن عليهم السلام وكذلك عصمة ولي الله العبد الصالح أبي الفضل العباس وعليّ الأكبر وعبد الله الرضيع والقاسم عليهم السلام.. فضلاً عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى وهم المتسلسلون من صلب إمامنا المعظم سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام... فهؤلاء الأعاظم صلوات الله عليهم أجمعين قد دلت الأدلة المنفصلة على عصمتهم وعلو منزلتهم بما لا يدع مجالاً للشك والريبة، فتأمّل فإنّ الأمر في غاية الدِّقّة.

وبالجملة؛ فالأمر الأوّل دَلَّ على لعن الظالمين لأهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص الظالمين للإمام الحسين عليه السلام، وقد قامت الأدلّة القطعيّة الأربعة على لعن الظالمين لهم.

دليل العقل:

إنَّ العقل السليم دلّ على استحقاق لعن الظالم لأهل البيت عليهم السلام، من حيث إدراكه الحكم بتقبيح المسيء إلى المحسن أو مدح المسيء إلى المستضعف المظلوم، وحيث إنّ أهل البيت عليهم السلام لم يصدر منهم إلاّ الإحسان إلى النّاس، لذا وَجَبَ تعظيمهم، وتحقيرُ كلّ مَن أساء إليهم بجميع أنحاء الإساءة، إذ تارةً تكون الإساءة بهجر أقوالهم والتشبه بأفعالهم، وأخرى تكون بعدم الاعتقاد بإمامتهم وولايتهم وطاعتهم، وثالثة تكون ببغض شيعتهم ومواليهم، ورابعة تكون بسبّهم وشمتهم والتنقيص من شأنهم، وخامسة تكون بتشريدهم وملاحقتهم، وسادسة تكون بقتلهم، وقتل المنتسبين إليهم في كلّ عصرٍ وزمان إلى يومنا هذا...!.

كلّ ذلك من أنحاء الإساءة إلى أهل البيت عليهم السلام، وهو مرفوض عقلاً، ويذمّه العقلاء من كلّ دِينٍ ومِلّة.

دليل الإجماع:

أجمعت الأمّة الإسلاميّة على لعن كلِّ ظالم، بل على لعن الظالمين للإمام الحسين

عليه السلام سوى بعض الشذاذ من العامّة كالغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين)[1] حيث أفتى بحرمة لعن يزيد بن معاوية باعتبار أنّه لم يثبت بدليل حتميٍّ أنّ يزيداً قتل الإمامَ الحسين عليه السلام ، فراجِعْ كلامَه.

فخروج شواذ من علماء العامّة عن المجمَع عليه بين المسلمين، لا يقدح بشرعيّة اللعن، ما دامت الأدلّة الأخرى تؤيّده وتدعمه.

دليل القرآن الكريم:

لقد دَلَّت الآيات الشريفة على لعن الظالم لنفسه والظالم لغيره، كما سوف يأتي في البحث القادم إنْ شاء الله، وحيث إنّ من الثابت تاريخياً أنّ يزيداً "لعنه الله تعالى" قتل الإمامَ الحسين عليه السلام من غير جُرمٍ اقترفه، أو شريعةٍ بدَّلَها، أو مالٍ أخذه... إلخ، لذا استحقّ هؤلاء الظالمون لأهل البيت عليهم السلام بوجهٍ عام - وللإمام الحسين عليه السلام بوجه خاص - اللعن عليهم والبرائة منهم ومن أشياعهم والتابعين لهم.

دليل السنة المباركة:

فقد جاء في مئات الأحاديث والأخبار وجوب البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام، ووجوب أو استحباب[2] لعنهم سرّاً وعلانيةً - بشرط الأمن من الضرر - وقد لعن اللهُ تعالى وأنبياؤه قتلةَ الإمام الحسين عليه السلام، وها نحن نذكر بعضاً منها حسبما جاء في (كامل الزيارات) :

① حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن محمد بن سنان، عن أبي سعيد القماط، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد: إن العليَّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيا هيئة،**

(١) راجع (إحياء علوم الدين) ج٣ ص١٢٥-١٢٦.

(٢) تارةً يكون اللعن مستحباً، وأخرى يكون واجباً كما هو في رواية جبلة المكية الوارد فيها وجوب اللعن على قتلة مولانا الإمام الأعظم سيّد الشهداء عليه السلام، ولا سيّما إذا كان اللعن بمعنى البراءة، فيجب حينئذٍ اللعن.

وقال لي: يا محمد أتحب الحسين عليه السلام، فقلت: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمد - ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام - بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، لعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه، أما أنّه سيِّد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة » وذكر الحديث[1].

② وحدثني أبو الحسين محمد بن عبد الله بن علي الناقد، قال: حدثني أبو هارون العبسي، عن أبي الأشهب جعفر بن حنان، عن خالد الربعي، قال: حدثني من سمع كعباً يقول: أول من لعن قاتل الحسين بن علي عليهما السلام إبراهيم خليل الرحمن، لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثم لعنه موسى بن عمران وأمر أمته بذلك، ثم لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك، ثم لعنه عيسى وأكثر.. إلى أن قال: يا بني إسرائيل العنوا قاتله وإن أدركتم أيامه فلا تجلسوا عنه، فإن الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر، وكأني انظر إلى بقعته، وما من نبي إلا وقد زار كربلاء ووقف عليها، وقال: إنَّك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القمر الأزهر[2].

③ حدثني الحسين بن علي الزعفراني بالري، قال: حدثنا محمد بن عمر النصيبي، عن هشام بن سعد، قال: أخبرني المشيخة أن الملك الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بقتل الحسين بن علي عليهما السلام كان ملك البحار، وذلك أن ملكاً من ملائكة الفردوس نزل على البحر فنشر أجنحته عليها، ثم صاح صيحة وقال: يا أهل البحار البسوا أثواب الحزن فإن فرخ رسول الله صلى الله عليه وآله مذبوح، ثم حمل من تربته في أجنحته إلى السماوات، فلم يبق ملك فيها إلا شمها وصار عنده لها أثر ولعن قتلته وأشياعهم وأتباعهم[3].

④ حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن

---

(١) راجع (كامل الزيارات) باب٢١ ح١٦٦.

(٢) راجع (كامل الزيارات) باب٢١ ح١٦٧.

(٣) راجع (كامل الزيارات) باب٢١ ح١٦٨.

سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبه أيّ شيء تقول، قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم. فقالت: يا أبه وأين هذا الموضع الذي تصف، قال: موضع يقال له كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيهم وهم المخلدون في النار. قالت: يا أبه فيقتل، قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، وتأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وأهل كل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، بهم ينزل الغيث** » وذكر الحديث بطوله[1].

⑤ حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الله بن علي الناقد، قال: حدثني عبد الرحمن الأسلمي، عن عبد الله بن الحسن، عن عروة بن الزبير، قال: سمعت أبا ذر، وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له الناس: يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله تعالى، فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي عليهما السلام

(١) راجع (كامل الزيارات) باب٢٢ ح١٧٠.

قتلاً – أو قال: ذبحاً – والله لا يكون في الاسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإن الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً، ويبعث قائماً من ذريته فينتقم من الناس، وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتى تزهق أنفسكم. وما من سماء يمر به روح الحسين عليه السلام إلا فزع له سبعون الف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمر وترعد وتبرق إلا لعنت قاتله، وما من يوم إلا وتعرض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله فيلتقيان[1].

فهذه الأدلّة الأربعة دلَّتْ على استحباب اللعن على مَن ظَلَمَ الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه.

شبهتان والإجابة عليهما:

الشبهة الأولى:

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يلعن أحداً، فكيف يجوز لنا أنْ نلعن الآخرين؟

والجواب:

أولا: إنّها شبهة في مقابل الضرورة التي دلّت على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن جماعةً من المنافقين والكافرين، فقد ورد أنّه لعن أبا جهل وأبا لهب وبني أميّة وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد، كما ورد أنّه صلى الله عليه وآله لعن مَن تخلّف عن جيش أسامة، ولعن مَن تخلّف عن ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والمشاركين في قتله وقتل ابنته الصدّيقة الكبرى سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وابنيها الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وأولادهما جميعاً عليهم السلام.

وعليه؛ فكيف يمكن دعوى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يلعن أحداً؟! إنها دعوى وتخرُّص بلا دليل وبرهان، بل تشكيك في مفهوم اللعن.

(١) راجع (كامل الزيارات) باب٢٣ ح١٩٠.

ثانيا: إنّ الله تعالى لعن الظالمين في عدّة آياتٍ[1]، وإذا ما لعن الله عزّ وجلّ الظالمين، فعلى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أنْ يلعن مَنْ لعنه الله تعالى، وقد ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وآله لعن الظالمين والمنافقين، فثبُت المطلوب.

الشبهة الثانية:

إنّ أئمتنا الطاهرين عليهم السلام ليس من عادتهم لعن الآخرين، فلِمَ نلعن الآخرين؟

الجواب:

ثمّة عمومات وإطلاقات في الآيات والأخبار تدلّ على لعن الظالمين والكافرين، ويكفي ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء صنمي قريش، مضافاً إلى ما ورد في أخبارنا المقدَّسة من أنّ أئمتنا الطاهرين عليهم السلام لعنوا أربعة من الرجال وأربعة من النساء: أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية، وعائشة وحفصة وهند وأمّ الحكم أخت معاوية.

فقد جاء في كتاب (الصلاة من البحار) نقلاً عن (الكافي) و (التهذيب) بأسناده عن الحسين بن سوير وأبي سلمة السرّاج قالا: (سمعنا أبا عبد الله عليه السلام وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء: التيميّ والعدوي وفعلان ويسميهم وفلانة وفلانة وهنداً وأم الحكم أخت معاوية).

ونقل المجلسي رحمه الله عن ابن طاووس في (مهج الدعوات) بأسناده عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي عن أبيه قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن أبي يحيى المدني، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: « **إن من حقنا على أوليائنا وأشياعنا، أن لا ينصرف الرجل منهم من صلاته حتى يدعو بهذا الدعاء، وهو:**

(١) ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ، ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ، ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ سُورَةُالنِّسَاءِ، راجع مادّة لعنه ولعنهم ولعنوا في المعجم المفهرس للقرآن.

اللهم إني أسألك بحقك العظيم أن تصلي على محمد وآله الطاهرين، صلاة تامةً دائمة، وأن تدخل على محمد وآل محمد، ومحبيهم وأوليائهم، حيث كانوا في سهل أو جبل، أو بر أو بحر، من بركة دعائي ما تقر به عيونهم، احفظ يا مولاي الغائبين منهم، وارددهم إلى أهاليهم سالمين، ونفس عن المهمومين، وفرج عن المكروبين، واكس العارين، واشبع الجائعين، وأرو الظامئين، واقض دين الغارمين، وزوج العازبين، واشف مرضى المسلمين، وادخل على الأموات ما تقر به عيونهم، وانصر المظلومين من أولياء آل محمد عليهم السلام، وأطف نائرة المخالفين، اللهم وضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللذين كفَّرا نعمتك، وخوَّنا رسولك، واتهما نبيك وبايناه وحلا عقده في وصيه، ونبذا عهده في خليفته من بعده، وادعيا مقامه، وغيَّرا أحكامه، وبدلا سنته، وقلَّبا دينه، وصغرا قدر حججك، وبدءا بظلمهم، وطرَّقا طريق الغدر عليهم، والخلاف عن أمرهم، والقتل لهم، وارهاج الحروب عليهم، ومنعا خليفتك من سدٍّ الثلم، وتقويم العوج، وتثقيف الأود، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الاسلام، وإقامة حدود القرآن اللهم العنهما وابنتيهما، وكل من مال ميلهم، وحذا حذوهم، وسلك طريقتهم، وتصدَّر ببدعتهم، لعناً لا يخطر على بال، ويستعيذ منه أهل النار، العن اللهم من دان بقولهم، واتبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشك في كفرهم، من الأولين والآخرين، ثم ادع بما شئت ».

وفي (التهذيب) بإسناده عن جابر عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **إذا انحرفت عن صلاة مكتوبة فلا تنحرف غلا بغنصراف لعن بني أمية** ».

وفي (علل الشرائع) بإسناده إلى الحسين بن احمد بن ادريس رحمه الله قال: حدثنا أبي، عن محمد ابن الحسين بن أبى الخطاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد عن ارطاة بن حبيب عن فضيل الرسان عن جبلة المكية قالت: سمعت ميثم التمار قدس سره يقول: والله لتقتل هذه الامة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره،

أعلم ذلك بعهدٍ عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين(عليه السلام) ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كلُّ شئ حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر والطير في السماء، ويبكى عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ومؤمنوا الإنس والجن وجميع ملائكة السماوات والارضين ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دما ورماداً، ثم قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين(عليه السلام) كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس. قالت جبلة: فقلت له يا ميثم فكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي قتل فيه الحسين(عليه السلام) يوم بركة ؟ فبكى ميثم(رضي الله عنه) ثم قال: يزعمون لحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم وإنما تاب الله(عز وجل) على آدم في ذي الحجة ويزعمون انه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود وانما قبل الله(عز وجل) توبته في ذي الحجة، ويزعمون انه اليوم الذي أخرج الله (عز وجل) فيه يونس من بطن الحوت وإنما أخرج الله(عز وجل) يونس من بطن الحوت في ذي الحجة، ويزعمون انه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودى وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون انه اليوم الذي فلق الله(عز وجل) فيه البحر لبنى اسرائيل وانما كان ذلك في ربيع الاول ثم قال ميثم: يا جبلة، أعلمي أن الحسين بن علي(عليهما السلام) سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة، يا جبلة إذا نظرت السماء حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أن سيد الشهداء الحسين قد قتل. قالت جبلة فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة فصحت حينئذ وبكيت وقلت: قد والله قتل سيدنا الحسين(عليه السلام)[1].

فيظهر من الخبر الشريف وجوب لعن مَنْ ظَلَمَ الإمام الحسين(عليه السلام)، ألا فالعنوا يزيداً وعبيدَ الله بن زياد وشمراً وعمر بن سعد، عليهم لعنة الله والملائكة أجمعين.

وقبل أنْ ندخل في الأمر الثاني، لا بدّ من البحث في مفهوم اللعن واللوازم المترتبة عليه، لذا نقسّم البحث إلى نقاط:

(١) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٢٦٦ ح٣.

النقطة الأولى: في معنى اللعن

اللعن في اللغة: الطرد والإبعاد من الرحمة الإلهية والخير، واللعنة: إسم، والجمع: لِعانٌ ولعناتٌ، والرّجلُ لعينٌ وملعونٌ، والمرأة لعينٌ أيضاً أي مطرودان من الرّحمة، ورجلٌ لُعَنَةٌ: يلعنُ الناسَ كثيراً، ورجلٌ لُعْنَةٌ - بالتّسكين - يلعنه الناس.

قال الزمخشري في (أساس البلاغة): « **لَعَنَهُ أهْلُه: طردوه وأبعدوه فهو لعين أي طريد، وقد لعن اللهُ إبليسَ: طرده من الجَنَّة وأبعده من جوار ملائكته، ولعنةُ الكلبَ والذئبَ: طردهما. وقولك على طريق الدّعاء: لعنهُ اللهُ بمعنى: طرده اللهُ وأبعده من رحمته، والمراد من الطرد والإبعاد هنا: نزول العقوبة به والعذاب وحرمانه الرحمة، وهو لازم المعنى. وليس معنى غضب الله الإنفعال الجسمي، إذ المتعقَّل من غضب الله سبحانه فعل أثر الغضب، لا حصول الغضب الحقيقي الذي هو من توابع الأجسام، فإنّ ذلك محال عليه تعالى** ».

وقد أشارت آياتُ القرآنِ الكريم إلى ما ذَكَرْنا، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ...﴿٤٧﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، فاللعن هنا بمعنى المسخ، كما مَسَخَ اليهودَ الذين انتهكوا حقَّ الله يوم السبت، أي نطردهم من الرحمة بالمسخ.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴿٦٠﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ؛ أي شجرة بني أميّة المطرودة من رحمة الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴿١٣﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ سُورَةُ صٓ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ آلِ عِمْرَانَ.

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ.

﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾ سُورَةُ هُودٍ.

﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦٠ ﴾ سُورَةُ هُودٍ.

﴿ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢ ﴾ القَصَصِ.

﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ٥٧ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ٦٤ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ٢٣ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

وفي الحديث عن مولانا الإمام الصادقعليه السلام قال: قال رسولصلى الله عليه وآله: « **ملعون كلُّ جسد لا يُزكّى ولو في كلّ أربعين يوماً مرّة، ثمّ قال لأصحابه: أتدرون ما عنيتُ؟** » قالوا: لا يا رسول الله، قالصلى الله عليه وآله: « **الرجل يُخدش الخدشة، ويُنكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضة، ويُشاكُ الشوكة، وما أشبه ذلك** »[1].

فقولهعليه السلام: « **ملعون** » أي مطرود مُبعَد عن رحمة اللهعزّ وجلّ.

والمباهلة هي الملاعنة وتعني طلب نزول العذاب على الكاذب من الرجلين المتخاصمين، والمباهلة بين الزوجين إنما هي في إزالة حدٍّ أو ولدٍ بلفظ مخصوص.

وفي الحديث: « **لَعْنُ المؤمن كقتله** »، ووجهه أنّ القاتل يقطعه عن منافع الدنيا، وهذا يقطعه عن منافع الآخرة[2].

(١) راجع (مجمع البحرين) ج٦ ص٣٠٩.

(٢) راجع (مجمع البحرين) ج٦ ص٣١٠.

النقطة الثانية: المفهوم العبادي للّعن

اللعن عبادةٌ يترتّب الثواب عليها تماماً كما يترتب على العبادات الأخرى كالصّلاة والصوم والحجّ والزكاة، وذلك لأمورٍ ثلاثة :

الأوّل: لكون اللعن مما أمر الله تعالى به حسبما رأينا في الآيات الكثيرة الدالة على ذلك.

الثاني: لكونه براءة من الظالمين والكافرين، ودعاءاً عليهم لاستحقاقهم العذاب الأليم.

الثالث: لكونه - أي اللعن - واقعاً لوجه الله تعالى، فإذا لَعَنَ المؤمنُ آخرَ، وكان اللعن متصفاً بالشروط المتقدِّمة، استحقَّ الثواب والمديح عند الله تعالى وعند حججه عليهم السلام.

وبالجملة: فقد تكرر في الآيات الشريفة ذكر اللعن على وجه أفاد أنه مِن أحبّ العبادات إليه، وناهيكَ به شرفاً أنّ الله تعالى جعله وسيلةً إلى إثبات دعوى النبوّة وحجّةً على الجاحدين لها في المباهلة لنصارى نجران حيث قال عزّ وجلّ : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، ولذلك انقطع النصارى عن المحاججة والملاعنة ولجأوا إلى الصلح وبذلوا الجزية، ولم يجدوا إلى ترداد القول سبيلاً.

وكذا اللعان بين الزوجين مُسقِط للحدّ عنهما، ومُوجِب لنفي الولد بحيث لا يُنسب إلى الملاعِن أبداً، وربما أوجب الحدَّ على المرأة إذا نكلت من غير شهود ولا بيّنة، وهذا يدلّ على جلالة قدر اللعن وعلوّ منْزلته بحيث يترتب عليه مثل هذه الأحكام، كيف لا !! وقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: « **لعن الله الكاذب ولو كان مازحاً** »(١).

وقال صلى الله عليه وآله في جواب أبي سفيان حين هجاه بألف بيت: « **اللهمّ إني لا أحسن**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٧٢ ص٢٣٢.

الشعر ولا ينبغي لي، اللهمّ العنه بكلّ حرف ألف لعنة »[1].

وقد لعن أميرُ المؤمنينعليه السلام جماعةً، وروي أنه كان يقنُتُ في الصّلاة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأبي الأعور السلمي، فقد روى نصر بن مزاحم في كتاب (صفين)[2]، وعنه في (شرح النهج)[3]أنّ الإمام عليّاً كان بعد الحكومة إذا صلّى الغداة والمغرب وفرغ من الصّلاة وسلّم قال: « **اللهمّ العَنْ معاويةَ وعَمْراً وأبا موسى وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمان بن خالد والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة** »، فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا صلّى لعن عليّاً - أمير المؤمنينعليه السلام - وحسناً وحسيناً وابن عباس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر.

وكذا مولاتنا سيّدة النساءعليها السلام كانت تلعن أبا بكر وعمر في كلّ صلاة تصلِّيها حسبما جاء في الأخبار الصحيحة[4]حيث قالتعليها السلام لأبي بكر: « **والله لأدعونّ اللهَ عليكَ في كلّ صلاة أصلِّيها** »، والدعاء عليه يستلزم اللعن والبراءة منه ومن أفعاله الشريرة.

وروى المخالفون أيضاً أنّ عائشة لَعَنَتْ عثمان ولعنها، وخرجت غضبى عليه إلى مكّة[5].

وروى أصحابنا أنّ أمير المؤمنين عليّعليه السلام كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش أي أبا بكر وعمر[6].

وروى الشيخ في (التهذيب) عن أبي سلمة السراج قال: إنّ الإمام الصادقعليه السلام

---

(١) راجع (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٥، و(مختصر تاريخ دمشق) ج٧ ص١٠٨، (بحار الأنوار) ج٧٢ ص٢٣٢.

(٢) راجع كتاب (صفّين) ص٣٠٢.

(٣) راجع (شرح النّهج) ج٢ ص٢٦٠.

(٤) راجع ابن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة) ص٣١.

(٥) راجع (النهاية في غريب الحديث والأثر) ج٥ ص٨٠ مادة نعثل.

(٦) راجع (البلد الأمين) ٥٥١، و (بحار الأنوار) ج٨٥ ص٢٦٠.

كان يلعن في دبر كلّ صلاة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء: التيمي والعدوي وفعلان - أي عثمان - ومعاوية، ويسمِّيهم وفلانة وفلانة وهند وأمّ الحكم أخت معاوية[1].

فمَن نظر في كتب الحديث والأدعية وجد الكثير من الأخبار الدالة على لعن أئمتنا عليهم السلام لأولئكَ الكَفَرَة الفَجَرَة والتصريح بأسمائهم، مما يعطينا عِلْماً أنّ ذلك من شُعَبِ الدِّين وشعائِرِهِ بحيث لا يختلجه شكّ أو ريب.

شبهة وحلّها:

ذكر المحقق الكركي أعلى الله مقامه شبهةً عن بعض الحشوية ثمّ أجاب عليها، فقال: « **وأمّا ما يقوله بعضُ الحشوية: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: « لا تكونوا لعانين »**[2]، **وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام نهى عن لعن أهل الشام »**[3]. قال المحقق الكركي: « **فالمراد - إن صحّ ذلك - أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى أن يكون السبّ خُلقاً لهم بسبب المبالغة فيه والإفراط في ارتكابه بحيث يلعنون كلّ واحد، كما يدلّ عليه قوله صلى الله عليه وآله « لعانين »، لا أنّه نهى عن المستحقّين كما يزعمه هؤلاء المفترون. ولو أراد ذلك لقال: (لا تكونوا لاعنين)، فإنّ بينهما فرقاً يعلمه مَن أحاط بدقائق لسان العرب.**

وأمّا نهي أمير المؤمنين عليه السلام عن لعن أهل الشام، فإنّه كان يرجو إسلامهم ورجوعهم إليه، كما هو شأن الرئيس المُشفق على الرعيّة، ولذلك قال عليه السلام: « ولكن قولوا اللّهمّ أصلح ذات بيننا » وهذا قريب من قوله تعالى في قصّة فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ طه »[4].

والجواب:

دعواه رحمه الله موافقة للحشوية على سبيل الجملة الشرطيّة بأنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام

---

(١) راجع (التهذيب) ج٢ ص٣٠١ ح١٣١٣، ومثله في (الكافي) ج٣ ص٣٤٢ ح١٠.

(٢) راجع (مستدرك الصحيحين) ج١ ص٤٧.

(٣) راجع (نهج البلاغة) ص٣٢٣ خطبة رقم٢٠٦.

(٤) راجع (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ص٢٣.

نهى عن لعن أهل الشام غير سديدة، إذ لم نجد في الخطبة السادسة بعد المئتين أنه عليه السلام نهى عن اللعن، بل الموجود أنه نهى عن السبّ، وشتان ما بين اللعن والسب من الفوارق، قال عليه السلام لمّا سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حرب صفين: « **إني أكره لكم أنْ تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالَهم، وذكرتم حالَهم، كان أصوبَ في القول، وأبلغ في العُذر، وقلتم مكان سبِّكم إياهم: اللهمّ احقنْ دماءَنا ودماءَهم، وأصلح ذاتَ بينِنا وبينهم، واهدِهِم من ضلالتهم، حتى يعرف الحقَّ من جَهلَه، ويرعوي عن الغيّ والعدوان مَن لهج به** ».

إذن الإمام عليه السلام لم ينهَ عن اللعن وإنما نهى عن السبِّ، فالمراد - إنْ صحّ ذلك - أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى أنْ يكون اللعن أو السبُّ خُلُقاً لأصحابهما بسبب المبالغة فيه والإفراط في ارتكابه بحيث يلعنون كلَّ أحد حتى لو لم يكن مستحقاً للعن أو السبِّ، وهو ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وآله « **لعانين** » لا أنه نهى عن لعن المستحقين كما يزعمه هؤلاء المفترون على حدّ تعبير المحقِّق الكركي رحمه الله، ولو أراد ذلك لقال: (لا تكونوا لاعنين) فإنّ بينهما فرقاً يعلمه مَن أحاط بدقائق لسان العرب[1]. وأمّا نهي أمير المؤمنين عليه السلام عن اللعن - بحسب دعوى المحقِّق الكركي رحمه الله - فإنّه عليه السلام كان يرجو إسلامهم ورجوعهم إليه، كما هو شأن الرئيس المُشفق على الرعيّة، ولذلك قال: « **ولكن قولوا اللّهمّ أصلح ذات بيننا** »، وهذا قريب من قوله تعالى في قصّة فرعون ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ طه.

النقطة الثالثة: مُستَحِقُّ اللَّعْنِ

هذه النقطة تعالج موضوع اللعن أي مَنْ يستحقّ اللعن من العباد. وبما تقدَّم آنفاً من أنّ اللعن من الله تعالى هو الطرد والإبعاد من الرحمة وإنزال العقوبة بالمكلَّف الذي انحرف بالعقيدة والفعل، فكلُّ فعلٍ أو قولٍ اقتضى نزول العقوبة بالمكلَّف من فسق أو كفر فهو مقتضى لجواز اللعن، فالفاسق هو المنحرف بالفعل والعمل،

---

(١) راجع (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ص٢٣.

والكافر هو المنحرف بالعقيدة، وكلا المنحرفين ظالم لنفسه، والظالم لنفسه ملعون، فالفاسق والكافر ملعونان، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟... ۝٨ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، حيث رتب اللعن على الكذب وهو إنما يقتضي الفسق، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، حيث رتب الغضبَ على صدقة في كونها زنت، والزنا ليس بكفر وإنما فسْقٌ.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨ ﴾ البَقَرَةِ. ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ... ۝١٧ ﴾ المَائِدَةِ. ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ... ۝٧٣ ﴾ المَائِدَةِ. ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ ﴾ مَرْيَم. ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ﴾ التَّوْبَةِ. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ... ۝٨٠ ﴾ التَّوْبَةِ. ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ﴾ هُودٍ. ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ... ۝٣٢ ﴾ فَاطِرٍ.

فهو ظالم لنفسه، والظالم لنفسه من مصاديق الظالمين الذين جازت اللعنةُ عليهم، إذاً فالظالم لنفسه ملعون، وإذا جاز لعن الفاسق وهو أدنى درجةً من الكافر، ثبت اللعنُ على الكافر بطريق أولَى.

وبالجملة: لا ريب أنّ الكبائر مسوِّغة ومجوِّزة للعن لما تلوناه، ولأنّ الكبيرة مقتضية لاستحقاق الذم والعقاب في الدنيا والآخرة، وهو معنى اللعن؛ وأمّا الصغائر فإنها تقع مكفّرة لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ ﴾ سُورَةُ النَّجْمِ، فاللمم هو صغائر الذنوب، فلهذا لا ينقص إيمان فاعلها ولا تُردّ شهادته ولا تسقط عدالته، نعم لو أصرّ عليها ألحقت بالكبائر وصار اللعن بسببها سائغاً.

النقطة الرابعة: هل اللعن واجبٌ أم مستحب؟

بعد أنْ توضّح سابقاً أنّ مرتكب الكبيرة والكافر مستحقان للعن، هنا ينبغي أنْ

نبحث بمتعلق هذا الاستحقاق، هل هو الوجوب أم الاستحباب؟

وقبل الإجابة على السؤال، لا بدّ من توضيح مفهوم الموالاة والمعاداة بالمنظار القرآني، وعلى ضوء ذلك يتمّ معرفة متعلق اللعن.

فأقول: لا ريب - بحكم الضرورة الدينيّة - أنّ الله تعالى ذكره أوجب موالاة أولياء الله ومودّتهم، كما أوجب معاداة أعدائه والبراءة منهم وإبعادهم ولو كانوا أقرب الناس وألصقهم نسباً قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ...﴿٢٢﴾ ﴾ سُورَةُ المُجَادلَةِ.

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

معنى الآيات أنّ من الممتنع المَحال أنْ تجد قوماً مؤمنين يوالون المخالِفين للهﻷ، والفرض أنه لا يجوز أنْ يتصف المؤمن بموالاة المخالِفين.

فالآيات ناطقة بوجوب معاداة أعداء الله ﻷ، بل دالّة على أنّ ذلك من الإيمان، وأنّ المنكر له والجاحد لتشريعه، لا يمكن أنْ يكون مؤمناً، من هنا قال الشاعر:

تودُّ عدوي ثُمّ تزعَمُ أنني ... صديقُكَ إن الرأيَ عنكَ لعازبُ

فمودة العدوّ خروج عن ولاية الوليّ؛، فكما يحرم الخروج عن موالاة الله وأوليائه يحرم الدخول في موالاة أعداء الله وأعداء أوليائه...

ويزيد ذلك بياناً: إنّ الشارع المقدَّس أراد من المشركين نبذ عبادة الأصنام ونبذ الإعتقاد بألوهيّة غير اللهﻷ، وكذا أراد من اليهودي والنصراني إذا أسلما أنْ يتلفّظا بكلمتي الشهادتين بأنْ يبرأ من كلّ دِين يخالف دين الإسلام، فعُلِمَ من ذلك أنّ التبرّي من أعداء الله جزءُ الإيمان، وأنّ الله تعالى سائل عنه يوم القيامة لا محالة.

والتبرّي يحصل بكلّ ما دلّ على المعاداة والمجانبة والقطيعة، فتارةً تحصل المجانبة

بالقلب وهي القدر المتيَقَّن، وأخرى تحصل بهجر العدوّ بالفعل، وثالثةً تحصل بالقول والتلفُّظ، والجمع أكمل، والبراءة اللفظيّة تحصل بقول: أبرأ إلى الله تعالى من كلّ عدوّ لله ولرسوله ولأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وتارةً تحصل بلفظ اللعن، فاللعن وإنْ كان مما يدلّ على المجانبة والبراءة التزاماً وليس صريحاً ومطابقةً، نظير ما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: « **فأمّا السبّ فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرؤوا منِّي فإني على الفطرة وسبقتُ إلى الإيمان والهجرة** »[1].

فالمراد من البراءة هنا البراءة باللسان بواسطة اللعن، ولا يراد باللعن في الخبر البراءة القلبيّة لأنّ الخصم غير مطّلع على قلب مَنْ أكرهه على البراءة من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - ثبتنا الله وإياكم على ولايته وإمامته وهدايته -.

والخلاصة:

البراءة على قسمين: براءة قلبيّة وهذه واجبة، وبراءة لفظيّة وهي مستحبّة لكونها مؤكّدة للبراءة القلبيّة.

فإذا اقتصر المكلَّف على اللعن قاصداً به البراءة أجزأه، وفي هذه الحالة يكون واجباً وجزءاً للإيمان ومثاباً عليه؛ لأنّ البراءة من أعداء الله تعالى واجبة، وإنْ أتى باللفظ - أي اللعن - مع البراءة القلبيّة كان مستحبّاً مؤكَّداً؛ لأنّ الله تعالى قد كَرَّرَ ذكره في كتابه الكريم كما تقَدَّم سابقاً.

سؤال: هل يجب بالتفصيل معرفة مَن تجب البراءة منهم أم تكفي البراءة إجمالاً بحيث يبرأ المكلَّف من كلّ عدوٍّ لله تعالى وإنْ كان لا يعرف أعيانهم؟

والجواب: إن توقف شيءٌ من أصول الدين على معرفة صنف العدوّ - كمَن ادّعى النبوّة إما استقلالاً أو منضماً إلى نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله - فيجب على كلّ مكلّف البراءة منه باعتبار هذه الدعوى الباطلة واعتقاد كفره لكونه مستلزماً لعدم تصديق

(١) راجع (نهج البلاغة) ج٢ ص٥٧.

عموم نبوّة نبيناصلى الله عليه وآله.

إذن تجب معرفة صنف العدوّ ولا تجب معرفة عين مَن ادّعى النبوّة.

وهكذا مَن ادّعى الإمامة أو أشرك مع الإمامعليه السلام إمامة إنسان آخر غير معصوم فتجب البراءة منه لكونه كافراً حسبما جاء في أخبار كثيرة، روى قسماً منها المحدث الكلينيرحمه الله في (أصول الكافي) هي الآتي:

(١) محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبان عن الفضيل، عن الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر** »[١].

(٢) محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن طلحة بن زيد عن الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركا بالله** »[٢].

بل ورد في الصحيح عنهم صلوات الله عليهم أنه لا يجوز لأحدٍ أنْ يسحب ألقابهمعليهم السلام إلى نفسه، منها صريح في منطوقه ومنها بالملازمة من حيثية دعوى الإمامة، ونكتفي هنا بذكر خبر واحدٍ صريح منطوقاً بحرمة ادّعاء ألقابهم الشريفة من باب طويل ذكره العلاّمة المجلسي في هذا الصدد، والأخبار الأخرى دالة على المطلوب بالملازمة القطعية، وهي الآتي:

(١) تفسير الإمام العسكري: قولهعزّ وجلّ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، قال الامام: « **قال اللهعزّ وجلّ:** ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ **في عبادتهم للأصنام واتخاذهم الأنداد من دون محمد وعليعليهما السلام** ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ ﴾ **يصوّت بما لا يسمع** ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ ﴾ **لا يفهم ما يراد منه، فيغيث المستغيث ويعين من استعانه** ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ ﴾ **عن الهدى في اتباعهم الأنداد من دون الله**

(١) راجع (الكافي) ج١ ص٣٧٢ باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ح٢.

(٢) راجع (الكافي) ج١ ص٣٧٢ باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ح٦.

والأضداد لأولياء الله الذين سموهم بأسماء خيار خلائق الله ولقبوهم بألقاب أفاضل الأئمة الذين نصبهم الله لإقامة دين الله ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أمر الله عز وجل. قال علي بن الحسين عليهما السلام: هذا في عُبَّاد الأصنام وفي النُصَّاب لأهل بيت محمد نبي الله صلى الله عليه وآله وعتاة مردتهم سوف يصيرونهم إلى الهاوية، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فان من تعوذ بالله منه أعاذه الله ونعوذ من همزاته ونفخاته ونفثاته. أتدرون ما هي؟ أما همزاته فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت، قالوا: يا رسول الله وكيف نبغضكم بعد ما عرفنا محلكم من الله ومنزلتكم؟ قال صلى الله عليه وآله: بأن تبغضوا أولياءنا وتحبوا أعداءنا فاستعيذوا بالله من محبة أعدائنا وعداوة أوليائنا فتعاذوا من بغضنا وعداوتنا فإنه من أحب أعداءنا فقد عادانا ونحن منه براء والله عز وجل منه بريئ »[1].

وبالجملة: إنّ التصديق بإمامة الأئمّة عليهم السلام إنما يحصل إذا عَلِمَ المكلَّفُ أنّ كلّ مَن أدُّعِيَت له الإمامة لغير أهل البيت عليهم السلام ظالم مفترٍ معتدٍ، وأنّ تلك الدعوى باطلة، فدعوى إمامة غيرهم تقتضي أنْ تكون إمامتهم عليهم السلام ناقصة في حين أنّ الله تعالى أكمل الدِّين بإمامتهم وولايتهم، فلا يجوز أنْ يكون لغيرهم نصيبٌ في إمامتهم لا على نحو المساواة[2]، ولا على نحو الأفضليّة، فكلاهما باطل؛ لأنّ مساواة إمامة غيرهم لهم عليهم السلام يستلزم مساواتهم في جميع الصفات كالعصمة والطهارة والعلم الربوبي الحضوري والإحاطة المطلَقة وغيرهما من الصفات المعتَبَرة في الإمام المعصوم عليه السلام، كما أنّ الأفضليّة كفر بإجماع الأمّة، إذ لو كان غيرهم مساوٍ لهم أو أفضل منهم لكان أشار تعالى إليه في كتابه الكريم، مع أنّه ليس ثمّة آية أو رواية تدلّ على ذلك، فثبت عدم مساواة أو أفضليّة أحد عليهم بالإتفاق.

(٢) حمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن يزيد شعر (هو يزيد بن إسحاق)

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج ٢٧ ص٥٩ أبواب ولايتهم وحبّهم وبغضهم ح٢٠.

(٢) فلا أحد يساوي الإمام عليه السلام في الولاية التشريعيّة كما يتصوّر أتباع ولاية الفقيه المطلقة والعامّة، ولا يساويه في الولاية التكوينيّة أيضاً بل ليس له من الولاية التكوينيّة حظٌّ فكيف يكون مساوياً للمعصوم؟!!

عن هارون بن حمزة عن عبد الاعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المتوثب على هذا الامر، المدعي له، ما الحجة عليه؟ قال: « **يسأل عن الحلال والحرام** »، قال: ثم أقبل عليَّ فقال: « **ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الأمر أن يكون أولى الناس بمن كان قبله ويكون عنده السلاح ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان: إلى من أوصى فلان؟ فيقولون: إلى فلان بن فلان** ».

③ وعن الصدوق رحمه الله في كتابه (معاني الأخبار) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي رضي الله عنه قال، حدثنا أبو العباس أحمد ين يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا أبو محمد بكر بن عبد الله بن حبيب، قال: حدثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة [بعدهم] صلوات الله عليهم فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي، وأوليائي، وحججي على خلقي وأئمة بريتي ماخلقت خلقا هو أحب إلي منهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادَّعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقر بولايتهم ولم يدع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جواري، وشفعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي فأيكم يحملها بأثقالها ويدعيها لنفسه دون خيرتي؟ فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمني محلها من عظمة ربها، فلما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة قال لهما:** ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ... ٣٥ ﴾ - **يعني**

شجرة الحنطة - ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ فنظرا إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة، فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جل جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جل جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبهم إليك، وما أشرفهم لديك! فقال الله جل جلاله: لولاهم ماخلقتكما، هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سري، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنيا منزلتهم عندي ومحلهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني فتكونا من الظالمين! قالا: ربنا ومن الظالمون؟ قال: المدعون لمنزلتهم بغير حق، قالا: ربنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم في جنتك، فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال والعذاب وقال عز وجل: مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم في أسفل درك منها كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وكلما نضجت جلودهم بدلوا سواها ليذوقوا العذاب يا آدم ويا حواء لا تنظرا إلى أنواري وحججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري وأحل بكما هواني، فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور وحملهما على تمنى منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلاه شعيراً فأصل الحنطة كلها مما لم يأكلاه وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكلاه، فلما أكلا من الشجرة طار الحلي والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو مبين؟ فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا

وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال: اهبطا من جواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش، فلما أراد الله عز وجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنكما إنما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عز وجل إلى أرضه فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما، فقالا، اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام إلا تبت علينا ورحمتنا فتاب الله عليهما إنه هو التواب الرحيم فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أممهم فيأبون حملها ويشفقون من ادّعائها وحملها الانسان الذي قد عرف، فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ ».

(٤) الكليني رحمه الله في (الكافي الشريف) بإسناده عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي سلام، عن سورة ابن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام قال « **قلت له: قول الله عز وجل:** ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ...﴿٦٠﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ؟ **قال: من قال: إني إمام وليس بامام قال: قلت: وإن كان علوياً؟ قال: وإن كان علوياً، قلت وإن كان من ولد علي بن أبي طالب عليهما السلام؟ قال: وإن كان** ».

(٥) وبإسناده أيضاً عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبان عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر** ».

(٦) وبإسناده عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن الحسين بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

جعلت فداك ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ... ﴿٦٠﴾ ﴾؟ قال: « **كل من زعم أنه إمام وليس بإمام** »، قلت: وإن كان فاطمياً علوياً؟ قال « **وإن كان فاطمياً علوياً** ».

⑦ وبإسناده أيضاً عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن داود الحمار، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماما من الله، ومن زعم أن لهما في الاسلام نصيباً** ».

وبالجملة؛ فإنّ اللعن على كلِّ ظالمٍ جائزٌ بالأدلّة المتقدِّمة، واللعن بكلا قسميه - إنزال العقاب والبراءة من مستحق العقاب - مطلوب شرعاً، وينقسم إلى واجب ومستحب، فيلحقه الوجوب إذا حملناه على البراءة، ويلحقه الاستحباب إذا كان مع البراءة القلبيّة، فيكون اللعن باللفظ مؤكداً للبراءة القلبيّة من مستحقّ العقاب، فتأمَّلْ.

هذا تمام الأمر الأوّل وهو إفادة جواز لعن الظالم لأهل البيت عليهم السلام.

الأمر الثاني: تخصيص اللعن على مَن أسّس أساس الظلم على أهل البيت عليهم السلام:

فقد أشارت الفقرة الشريفة في زيارة عاشوراء إلى تخصيص اللعن بمن أسّس أساس الظلم على أهل البيت عليهم السلام، وأوّل مَن أسّس الظلم هما صنما قريش وجبتيها وطاغوتيها وأتباعهما ممن بدّلوا الدِّين وغيّروا سنَّتَهُ الشريفة، فجعلوا هذا المقام لأعداء ذريته رغبةً عن مرضاة الله وبغضاً بأهل البيت عليهم السلام، لذا استحقوا اللعن الدائم من الله ورسوله وعباده الصالحين وملائكته المقرَّبين.

فأبو بكر وعمر هما أساس الفساد والظلم، وكلُّ ظلمٍ بعدهما إنما هو بسببهما، وقد جاء في الفقرة الأخيرة من الزيارة تأكيدُ لعن الطواغيت الأربعة مع يزيد والشمر وعمر بن سعد؛ من هنا وردت الأخبار الكثيرة بورود اللعن من أئمتنا عليهم السلام على هؤلاء؛ وقد أشرنا إلى قسمٍ منها لا سيّما ما جاء عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام أنه كان يلعن في دُبُرِ كلِّ صلاة مكتوبةٍ أربعةً من الرِّجال وأربعاً من النساء: أبو بكر وعمر

وعثمان ومعاوية، وعائشة وحفصة وهند وأمّ الحَكَم أخت معاوية.

ويكفي ما ورد بالمتواتر من أنّ أمير المؤمنينعليه السلام كان يلعنهما في صلاته حتى عُرِفَ دعاؤه عليهما بدعاء صنَمَي قريش، مضافاً إلى عموم الآيات الدالة على جواز لعن كلّ ظالم، وبما أنهما أساسُ الظلم، فيتأكّد لعنهما والبراءة منهما بإجماع الإمامية بخلاف المخالفين فإنهم متفقون على عدم جواز لعن الصحابة[1] بدعوى أنّ كلَّ الصحابة عدولٌ، والعادل لا يجوز الطعن عليه ولا التعرض له بلعنٍ وسبٍّ، بل لا يجوز ذلك حتى لو حصل الاطّلاع على شيء من زلاّتهم؛ لأنّ ذلك مغفورٌ لهم بسبب صحبتهم للنبيّصلى الله عليه وآله، ثمّ منعوا من النظر فيما جرى بينهم وصدر منهم، وأوجبوا تأويل ما حصل الإطلاع عليه من ذلك مما يخالف الشرع وينفّر العقول، وهذا من عجيب الأباطيل.

وبالجملة: فقد ادّعى المخالفون عدالة كلِّ الصحابة لأنّ الله تعالى أخبر عن طهارتهم وعدالتهم بنصّ القرآن كقوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ... ﴿١٠٠﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الفَتْحِ.

فالآية الثانية دليلٌ قاطعٌ على أنّ كلّ الذين بايعوه تحت الشجرة عدول يحرم القدح فيهم؛ لأنّ الله رضي عنهم.

وأجاب الشيعة - سدّدَهُم المولىعزّ وجلّ - عن ذلك:

لا ننكر أنّ في الصحابة جماعة مؤمنين، أثنى الله تعالى عليهم كما في الآيتين المتقدِّمَتَين، فالآيتان لا تدلاّن على عدالة عموم الصحابة، بل تدلاّن على عدالة بعض الصحابة؛ وذلك لوجود ﴿ مِنَ ﴾ التبعيضيّة، فالآية الأولى تشير إلى أنّهعزّ وجلّ

(١) راجع كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج١ ص١٣٦.

رضي عن بعض المؤمنين الأولين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والذين آووا النبي ﷺ ومَن كان معه، والذين سوف يتبعونهم بإحسانٍ، رضوا عنه تعالى وسَلَّموا أمورَهم إليه، فلا اعتراض على حكمه كما اعترض بعض الصحابة كعمر في بعض المواقع.

فالآية بصدد بيان فضيلة جماعة ممّن آمَنَ وعَملَ صالحاً، فقد رضي الله عنهم ورضوا عنه في كلّ شيء، وهذا لا يكون إلاّ لَمن طَهُرَت سيرته واستوَتْ سريرته مع علانيته، وهؤلاء قلّة كانوا مع النبي ﷺ، وليس مدلول الآية أنّ الله تعالى راضٍ عن كلّ مَن صَدَقَ أنه مهاجر أو أنصاري أو تابعي، بحيث لا يسخط عليه أبداً سوآء أحسن بعد ذلك أو أساء، بل الظاهر من الآية أنّ المراد من الرِّضا هو الرِّضا الذي لا سخط بعده؛ بحيث لا يخالفونه بأمرٍ، وهذا لا ينطبق على كلّ الصحابة، بل هو خاصٌّ ببعضهم، إذ من المعلوم تاريخياً أنّ بعض الصحابة آذى رسولَ الله ﷺ ولعنه الرسولُ ﷺ وتبرّأ منه، فدعوى أنّ الرِّضا في الآية عامٌّ يشمل كلَّ الصحابة يناهض سيرةَ بعض الصحابة النكراء مع رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، بل ويناهض سيرة الصحابة بعضهم مع بعض، فالآية الأولى ليست دليلاً على مدَّعَى العامّة العمياء.

وأمّا الآية الثانية (آية بيعة الأصحاب تحت الشجرة) فليست دليلاً أيضاً على المطلوب للوجوه الآتية:

الوجه الأوّل:

إنّ الله تعالى ذكرُهُ يذكر في نفس السورة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ سُورَةُ الفَتْحِ.

هنا أشار الباري عزّ وجلّ إلى أنّ الذين بايعوه تحت الشجرة لم يكونوا جميعَهم أوفياء على المبايعة، بل إنّ بعضهم أو أكثرهم سوف ينكث العهدَ.

فقد أورد البخاري في باب غزوة الحديبية من كتاب (المغازي) عن أحمد بن إشكاب عن المسيب عن أبيه قال: (لقيتُ البراء بن عازب، فقلت له: طوبى لك

صحبت النبيّ ﷺ وبايعته تحت الشجرة! فقال: يا بن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده).

نعم، لقد أحدثوا أموراً كثيرة عجيبة بعد رحيل النبيّ ﷺ فقد ظلموا ابن عمه وابنته الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول عليها السلام وعصروها بين الحائط والباب، فأسقطوا جنينها، وضربوها وغصبوا حقّها وكذّبوها ومنعوها من الإرث والخمس، وبدّلوا أحكام الإسلام إلى آخر ما فعله القوم من منكرات وقبائح، هذا مضافاً إلى أن النبيّ ﷺ نفسه أخبر عن لسان الغيب أنّهم سيحدثون أموراً قبيحة بعده فقال ﷺ:

« **وأنه يُجاء برجالٍ من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربِّ أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ... ﴿١١٧﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، **فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم** ».

وفي رواية أخرى: « **ليردنّ عليّ ناسٌ من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي! فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك** ».

وفي رواية المغيرة قال: سمعتُ أبا وائل عن عبد اللّه عن النبيّ ﷺ قال: (أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنّ رجالٌ منكم ثم ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي! فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)(1).

فإذا كان الارتداد قد حلَّ في الصحابة بعد رحيل النبي ﷺ فكيف يكونون كلّهم على الإيمان والعدالة؟

الوجه الثاني:

كيف يُحكَم بالعدالة على كلّ مَن حضر البيعةَ تحت الشجرة، في حين أنّ فيهم بعض المنافقين أمثال عبد الله بن أبي وأوس بن خولى وأضرابهم؟!.

---

(١) راجع (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج١ ص١٤٣-١٤٤ بحث: مفهوم الصحبة عند الشيعة الإمامية.

الوجه الثالث:

لقد أخبر القرآنُ الشريف أنّ في صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة من المنافقين الذين ذمَّهم اللهُ تعالى في آياتٍ كثيرة نظير قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

وفيهم من رمى بالإفك والخيانة الزوجية بعضَ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله - كماريّة عندنا - وعائشة عند العامّة، وفيهم مَن أخبر عزّ وجلّ عنهم بقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ الجُمُعَةِ.

وفيهم مَن قَصَدَ اغتيال النبي صلى الله عليه وآله في عقبة هرش عند رجوعه من غزوة تبوك ومن حجّة الوداع.

الوجه الرّابع:

إنّ التشرُّفَ بصحبة النبي صلى الله عليه وآله ليس أكثر امتيازاً من التشرُّف بالزواج من النبيّ، فإنّ مصاحبتهنّ من أعلى درجات الصحبة، ومع هذا كلّه فقد هَدَّدَهُنَّ اللهُ عزّ وجلّ بالعقاب بعد الانحراف، فصحبتهنّ لرسول الله لا تعطيهنّ براءةً من النّار، ولا تستلزم الصحبةُ العصمةَ وعدمَ الانحراف، قال الله تعالى مخاطباً لهنّ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

وقال تعالى في اثنتين منهنّ وهما عائشة وحفصة: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ سُورَةُ التَّحْرِيمِ... إلى أنْ قال عزّ وجلّ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ

وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ التَّحْرِيمِ. وقد أكّدَتْ ذلك المصادر العاميّة والشّيعيّة(١).

الوجه الخامس:

إنّ في الصحابة مَن يبغض أميرَ المؤمنين عليّاًعليه السلام، وقد أظهروا هذا البغض في مواضع متعدِّدة، وقد قال النبيّصلى الله عليه وآله بالمتواتر وسمعه عامّة الصحابة أنّه: « **لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق** »، فمَن أبغضه ليس مؤمناً، فكيف يكون حينئذٍ عادلاً لا يجوز القدح به ولا الغمز في سلوكه واعتقاده؟! مع أنّ هؤلاء المبغِضين ممَّن بايعَ النبيّصلى الله عليه وآله تحت الشجرة التي ادَّعَى المخالفون أنّها تعصم كلَّ مَن كان تحتها؟!

الوجه السّادس:

إنّ الآيات التي تناولت المهاجرين والأنصار بالمدح والثّناء ما داموا على أخلاقهم وثباتهم، أمّا إذا كانت الخاتمة سيِّئةً، فهل يمكن أنْ نحكم عليهم بالصحّة وأنهم أناسٌ مثاليُّون بحجّة أنّ القرآن مدحهم في أوّل الدعوة، مع أنّ المقياس للحكم على أيّ شخص هو دراسة جميع أحواله خصوصاً الأخيرة التي هي مناط المدح والذم والثواب والعقاب.

بعد هذا كلّه فهل يصحّ أنْ يُقال: إنّ كلَّ الصّحابة عدولٌ، يُحَرَّمُ الطعنُ ببعضهم أو لعنه لخروجه عن مبادئ الإسلام مع أنّ الله سبحانه وتعالى لَعَنَ الظالمين بقوله: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، وقالعزّ وجلّ أيضاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ.

ونحن نسأل العامَّةَ المدافعين عن عامّة الصحابة حتى السفاكين منهم: أليس في الصحابة مَن نقض عهد الله تعالى، وأفسدَ في الأرض وأهلَكَ الحرثَ والنسلَ؟ فمَن

(١) راجع (صحيح مسلم) ج١٠ ص٧٠-٧٧ باب الإيلاء واعتزال النساء.

قال: لا، فقد كذَّبَ التاريخَ، ومَن أقرَّ بذلك فقد وافقنا على ما نقول، والحمد لله ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ سورة الشعراء: ٢٢٧.

دعوى وردّ:

إدَّعى العامة أنّه لا يجوز التعرُّض إلى أحدٍ من الصّحابة بلَعْنٍ وغيره وإنْ حصل الإطّلاع على زلاّتهم.

وفيها: إنّ بطلان هذه الدعوى من الواضحات في الشريعة المقدَّسة، وذلك لأنَّ الشرف والتقدم وعلوّ المرتبة لأيٍّ كان إنما هو بالتزام أحكام الدِّين وامتثال أوامره، ولا ريب في أنّ كلَّ مَن وُجِدَ فيه ما يقتضي الطعن وجب الإنكار عليه إنْ كان موجوداً، وعلى متابعيه والمعتقدين فيه والمائلين إليه مطلقاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عموماً، وليس لأحدٍ خصوصيّة ولا محاباة من الشارع في ذلك.

ولأنّه لا يجوز في عصمة النبي صلى الله عليه وآله أنْ ينهى الغرباء عن المنكر لكنّه لا ينهى أصدقاءه وأصحابه بل يحابيهم على المنكر، وهذا أمرٌ تتنفّر منه الطباع، ولا يجوز لأيّ نبيٍّ - فضلاً عن رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله - إنكاره والتلبّس به.

دعوى ثانية مردودة:

تفيد هذه الدعوى عدم جواز النظر أو البحث فيما جرى بينهم وصدر عنهم، ويجب تأويل ما يدلّ على مخالفة الشرع الأقدس لاسيّما وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: « **أصحابي كالنجوم بأيّهم إقتديتم إهتديتم** ».

هذه الدعوى افتراءٌ وجهل، فإنّ الله تعالى قد أمر بالنظر في أحوال الأمم السالفة وعواقبهم، فكيف ينهى عن النظر في أحوال هذه الأمّة مع الضرورة الشديدة إلى النظر فيها؛ لأنّ قبول رواية مَنْ روى عنهم شيئاً موقوف على العلم بأحواله وسيرته وعدالته بدون النظر فيما كان عليه ممتنع، وهل كان للصحابة خصوصية بزعم هؤلاء السفهاء تقتضي أن تكون معصية أحدهم لا تستحقّ عقاباً ولا إنكاراً ووجوب التأويل له، حتى أنّ النبي صلى الله عليه وآله لو اطَّلَعَ عليه لم يعاقبه بحسب ذنبه، وانّ الله تعالى

يجعله في عداد المؤمنين الأتقياء ولا يطالبه بذنب ولا يعاقبه بمعصية!! سبحانكَ هذا بهتان عظيم.

وكيف رجم النبيّ ﷺ ماعزاً مع أنّه صحابي، وجلد أصحاب الإفك وفيهم مسطح بن أثاثة وهو من أهل بدر وغيرهم - كلّ ذلك على فرض صحّة حصوله - ولم يحابِ أحداً في دِين الله لكونه صحابياً، بل لم يراقب القرابة والنسب، فقتل بني عمه ولم ينظر إلى قرابتهم.

وأمّا تمسّكهم بحديث «**أصحابي كالنجوم...**» فباطلٌ من وجوه:

الأوّل: كيف يجوز أنْ ينسب النبيُّ المعصوم ﷺ - وهو مخبرٌ عن الله تعالى العدل الحكيم - الهدى إلى جماعة من أصحابه على رغم ما صدر منهم من الزلاّت والهفوات مع بعضهم بعضاً، مضافاً إلى أنهم غير معصومين بالاتفاق؟! وهل دعوى الهداية لأصحابه - على فرض حصولها - إلاّ إغراءاً بالقبيح وأمراً بالجهل؟ حاشا أنْ يصدر هذا من رسول الله ﷺ الذي طَهَّرَهُ اللهُ سبحانه من الجهل والنسيان والإغراء.

الثاني: إنّ النبيّ ﷺ قال في عدّة أحاديث: «**إنّه سيكون بعده أمور منكرة من فتن مظلمة كقطع الليل**»[1]، «**وأمراء ضُلاّل لا يستنّون بسُنَّتِهِ ويستأثرون بالفيء**»[2]، «**وأنّ جماعة من أصحابه يرتدّون على أعقابهم ويؤمَر بهم يوم القيامة ذات الشمال**»[3].

وهل تكون هذه الأشياء من الصحابة بعده (هدىً) يُقتدى بهما فيها، أمّ ضلالات يجب اجتنابها؟!

وعُذر هؤلاء السفهاء الفجرة أنهم لمّا اختلقوا أمثال هذه الأحاديث أعمى اللهُ

---

(١) راجع (الفتن) لابن حماد ج١ ص٥٢-٧٧، و(مستدرك الصحيحين) ج٤ ص٤٣٧، و(المصنف) لعبد الرزاق ج١١ ص٣٥٦ح٢٠٧٣٣.

(٢) راجع (صحيح مسلم) ج٣ ص١٤٧٦ ح٥٢، و(السنن الكبرى) ج٨ ص١٥٧.

(٣) راجع (صحيح البخاري) ج٦ ص٦٩-٧٠، وج٨ ص١٥٠، و(صحيح مسلم) ج٤ ص٢١٩٤ ح٥٨، (الفتن) ج١ ص٨٧ ح٢٠٠.

قلوبَهم عن مثل هذه اللوازم عليها، ليعلم المتدبِّر المنصف أنّ ذلك منهم زورٌ واختلاق.

الأدلة على جواز لعن بعض الصحابة الظالمين:

نستدلّ على ذلك بالآيات والأخبار، فمن الأخبار من مصادرنا ما يفوق التواتر بمرات، ومن مصادر المخالفين يوجد الكثير من الأخبار الدالة على لعن الصحابة المنحرفين، ولو لم يكن لا لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من تخلف عن جيش أسامة لكفى به دليلاً برأسه من دون حاجة إلى ما يدعمه من الأخبار الأخرى مع أننا سنذكر شطراً وافراً من تلكم الأخبار في الصفحات القادمة من هذا السفر الجليل، بالإضافة إلى أخبار تبرؤ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه الظالمين يوم القيامة كما في أخبار الحوض التي استعرض البخاري قسماً وافراً منها في كتابه (صحيح البخاري)، وأما آيات الكتاب الكريم الكاشفة عن لعن الظالمين من دون إستثناء لأحد من الناس على الإطلاق، فكل ظالم يستحق اللعن، ومنهم بعض صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، من هذه الآيات:

(١) قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ.

وبما أنّ ﴿ الظالمين ﴾ جمعٌ محَلَّى بالألف واللام وهو يفيد العموم، وحيث إنّ بعض الصحابة ظلموا أميرَ المؤمنين وزوجته الطاهرة عليهما السلام، فيدخلون في عموم الظالمين الذين تجوز اللعنة عليهم.

إنْ قيل: ما المراد من الظلم وقد نطق القرآن الكريم بأنّ آدم ظالمٌ بأكله من الشجرة؟

قلنا: الظلم والجور والعدوان ألفاظ متقاربة، وضدّ الظلم: الإنصاف، وضدّ الجور: العدل، وأصل الظلم: الإنتقاص أو نقصان الحقّ، وقيل أصله: وضع الشيء في غير موضعه، وكلاهما مطرد – أي عام –.

والمراد به هنا في آية لعن الظالمين هو: وضع ما أمر الله تعالى به في غير موضعه

بحيث يستحقّ به لحوق الذمّ والعقاب، وأمّا إطلاق الظلم على الأكل من الشجرة فمجاز؛ لأنّ الدليل العقلي دَلَّ على عصمة الأنبياء، فامتنع وقوع الخطأ منهم، فنهي آدمعليه السلام عن الأكل من الشجرة للتنزيه، فلا يبعد إطلاق الظلم عليه لتلك المخالفة، أو لأنّه بخس نفسه ثوابَ المندوب، وقريب من ذلك فاعل الصغيرة منا، فإنه يقلّ ثوابه أو لا يثاب على الصغيرة، ويُعاقَب عليها إذا أصرّ عليها فتصبح كبيرة.

(٢) قوله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأَعْرَافِ.

(٣) قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

والآيات في هذا المضمار كثيرة جداً تدل بوضوح على جواز لعن كلّ ظالم وكافر، فالمناط في إجراء اللعن هو الظلم، لأن تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعليّة، ولا ريب في أن المغتصبين لحقوق أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام تشملهم اللعنة الأبدية بسبب ما جنوه على سادة الورى وتغييرهم أحكام الله تعالى وعملهم بخلاف كتاب الله تعالى وسنّة نبيه وآله الميامينعليهم السلام.

وإذا عرفت ذلك فالإستدلال به على جواز لعن هؤلاء بأمور ستّة :

الأمر الأول: إنّ كلاًّ من الأول والثاني والثالث ظلموا أميرَ المؤمنين عليّاًعليه السلام، وكلُّ ظالمٍ ملعون، فهؤلاء ملعونون.

فعندنا صغرى وكبرى ونتيجة، وهو ما يُعَبَّر عنه بالشكل الأوّل من الأشكال المنطقية الأربعة.

بيان الصغرى: نوضّحُ الصّغرى بوجهين:

الوجه الأوّل: إنّ هؤلاء الملاعين نازعوه الخلافةَ وتقدَّموا عليه واستقلّوا بالأمر من دونهعليه السلام، وذلك حقُّه دونهم بالدلائل العقليّة والنقليّة.

فمن الدلائل العقليّة:

إنّ الإمام يجب أنْ يكون معصوماً بأدلّةٍ ثلاثة:

الدليل الأوّل: لأنه حافظ للشرع بعد النبيصلى الله عليه وآله عن الزيادة والنقصان، والإمامعليه السلام

رادٌّ للظّالم ومنتصرٌ للمظلوم بما يمتلك من قدرات خارقة تردُّ الظالم عن ظلمه، ويعوِّض للمظلوم ما فاته من مصالح، ومنقذٌ للمعروف ومزيلٌ للمنكَر، ومحامٍ عن الإسلام، إلى غير ذلك من الأمور الدينية.

فلو لم يكن الإمام عليه السلام معصوماً لجاز عليه تغييرُ الشرع بحسب مقاصده، ولأمكَنَ في حقّه من الظلم والجور والميل عن سنن الشرع ما لا يجوزُ على كلّ واحدٍ من الرعيّة، بل أبلغ لأنّ العظمة والمقدرة تُظهِران الشرّ والفساد الكامنين في الطباع، فلو لم يكن ثمّة لطفٌ إلهيٌّ يكفُّه عمّا لا يجوزُ ارتكابُه لإتسع الفتقُ به وعظُمَت البليّةُ برئاسته، ولانتشر فساده وجوره في البلاد على وجه يُنسى في جنبه ظُلمَ آحاد الرعية وتعدّيهم، ومَنْ خفي عليه ذلك تصوّراً، فليشاهد عياناً في علوج بني أميّة وبني العباس وغيرهم، والمنازع مكابر.

والدليل الثاني: لأنّ الإمامة لطفٌ للعاصين، والإسلام لطفٌ للكافرين، ومع عدم عصمة الإمام وجواز الخطأ عليه يكون مغرياً للمكلَّفين بالقبيح ومنفِّراً من الإسلام، فينتفي اللطف بل يلزم ضدّه فيمتنع نَصْبُهُ وهذا خُلْفٌ.

مضافاً إلى أنّ المعصية الصادرة منه - على فرض عدم عصمته - تُسقط محلّه من القلوب، فلا تنتفعُ النفوسُ بأمره ونهيه ووعظه وإرشاده.

إنْ قيل: لا يلزم من جواز المعصية وقوعُها.

قلنا: غير المعصوم لا ينفكُّ عن المعصية وإنْ تفاوتَ الناسُ في ذلك، على أنّ مجرَّد تجويز ذلك عليه مُفَوّتٌ للغرض من نصبه.

ولا ريب في أنّه ليس أحدٌ ممن ادُّعِيَتْ له الإمامة بمعصوم غير الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ لأنّه مُطَهَّرٌ من الرِّجس بنصّ آية التطهير، وقد قرنه النبيّ صلى الله عليه وآله بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: « **عليٌّ مع الحق، والحقُّ مع عليّ** »، ودعا صلى الله عليه وآله له عليه السلام بأنْ يُدير الحقَّ معه كيفما دار، فتعيَّن كونه الإمام دون غيره.

الدليل الثالث: من الدلائل العقليّة على إمامته واختصاصه بها عليه السلام دون بقيّة

الأصحاب، أنّه(عليه السلام) أفضلهم لأنه أعلم وأزهد وأورع وأكثر اجتهاداً، بل لا يُعرَف لأحدٍ من هؤلاء موقفٌ ولا مشهد.

هذا الدليل اعتمده مشهور الإمامية مستدِلِّين به على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام)، وهو ضعيف؛ إذ من الخطأ أنْ يُقال عن الإمام عليّ(عليه السلام) أنّه كان أورعهم وأتقاهم وأنبلهم وأسخاهم، بل لا يمكن قياسه(عليه السلام) على الأنبياء والمرسَلين(عليهم السلام)، فكيف يُقاس(عليه السلام) بهؤلاء الصعاليك؟! فكما لا يمكن قياس القمر بالأرض، والمعادن النفيسة بالرديئة، فإنّكَ لا تستطيع أنْ تقرن اسمَ أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) باسماء العظماء كالأنبياء(عليهم السلام)؛ لأنّ اسمه مشتقّ من العلوّ، وقد سمّاه به ربُّ العزّة، فكيف يقرن بأسماء هي أدون من اسمه، والإسم يدل على المسمى والوصف يدل على الموصوف، ولأنّ مزايا الإمام عليّ(عليه السلام) قد تجاوَزَتْ الحدود المألوفة، ولأنّ شخصيته بَلَغَتْ القمَّةَ من الأمجاد والمُثُل العليا في دنيا الملائكة والبشرية.

وحين يستعرض المرءُ المبادئ والمَلَكَات والمزايا فلا يصحّ أنْ يأتي بعليٍّ أمير المؤمنين(عليه السلام) مَثَلاً؛ وذلك لأنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) أمّةٌ مستَقِلَّةٌ ليس لها بين الأفراد من شبيه، وأنه قد سما بما جاء به من موازين، وما أعرب به من مزايا، وما عبّر به عن صفات الإنسان الكامل العديم النظير، حتى صارت كلمة (عليّ) وحدها تكفي لترسم أمام العين كلَّ الصور السّامِيَة من معاني الإنسانية.

لقد تَحَدَّتْ مزايا الإمام الأعظم أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) عوامل الزَّمَنِ بقوّةٍ لم يُعْرَف لها نظيرٌ في تاريخ العظماء حتى أصبحت شخصيته(عليه السلام) كالشمس التي إذا ما حجبها الضباب أو السحاب أو الغبار أو حالَ القمرُ بينها وبين الأرض مرةً فلن تستطيع أنْ يحجبها مرات، ولن يقوى على تغيير جوهرها، ونفوذ عملها وأثرها في الأرض وفي الطبيعة.

ومن دلائل النقل:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ

هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

ففي تفسير الثعلبي قال: قال السدِّي وعتبة بن أبي الحكم وغالب بن عبد الله: إنما عنى بقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، لأنّه مَرَّ به سائلٌ وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه.

وقد روي بأسانيد متعددة نزولها في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وكيفيّة نزولها، ودعاء النبي صلى الله عليه وآله، وأخرجه رزين في الجمع بين الصحاح الستة، ورواه إبن المغازلي الفقيه في مناقبه بطرق متعددة وغير هؤلاء أيضاً، حتى قال بعضٌ من أولي الحديث: إنّ نزول الآية في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام موضع إجماع، ويؤيده ويحققه أنه لم يُسمَع من أحدٍ من المحدّثين والمؤرِّخين والمفسِّرين أنّ أحداً من لدن النبي آدم عليه السلام إلى يومنا هذا تَصَدَّقَ بخاتمه في الرُّكوع ونزل في حقّه قرآنٌ يُتلى غيرُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

نعم قد قال بعض سفهاء العامّة من مفسِّري كلام الله، والمحرِّفِين الكلِمَ عن مواضعه، المتوغلين في العناد والتعصب على أهل البيت عليهم السلام(1): إنّ الآية عامّة في كلّ مؤمنٍ أقام الصّلاة وآتى الزكاة، وحَمَلَ قوله ﴿ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ بمعنى وهم متخشِّعون في صلاتهم، وجعل هذا هو الظاهر بالنسبة إلى القول بنزولها في الإمام عليّ عليه السلام؟! وأيّد ذلك بأنّ حَمْلَ الجمع على الواحد خلاف الظاهر.

فلينظُرْ المنصفُ إلى هؤلاء الفجرة الكفرة كيف يصنعون بكلام الله ودينه، وكيف يدافعون الحقَّ بصدورهم، ويخبطون في كلام الله عمداً ولا يخافون قولَ الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الصَّفِّ.

فإننا إذا تركنا النقلَ والأخبارَ وكلامَ المفسِّرين والمحدِّثين جانباً، ونظرنا إلى الآية

(1) راجع منهم إبن تيمية في (منهاج السنة) ج1 ص156.

بخصوصها، كيف يجوز حمل الراكع على المتخشِّع وهو من المجازات البعيدة عند أهل الشرع، حتى أنّ ناذراً لو نذر ركوعاً هل كان يبرأ بالتخشُّع؟ وهل يفهم منه مجتهدٌ أو فهيم ذلك المعنى ليثبت لهذا الجاهل المتعصِّب ما افتراه؟!

وكيف استبعد حمل الجمع على الواحد مع أنه يمتنع في الآية حمله على ما زاد باعتبار السياق المراد به ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، إذ كيف يكون المؤمنون في الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هم نفس المؤمنين، فإنه محالٌ، إذ إنّ معنى الآية - بحسب تفسير ابن تيميّة - هو هكذا: يا أيها المؤمنون، وليكم المؤمنون، أي يصير المخاطَب نفسَ المقصود في الآية، وهو تحصيل حاصل.

مضافاً إلى أنه كيف يكون كلُّ المؤمنين أولياء لكلّ المؤمنين وهم راكعون فإنّ ذلك محال، فلا بدّ أنْ يكون المقصود بالجمع في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ هو بعض الذين آمنوا وهم الذين تصدَّقوا بالخاتم في الصَّلاة، وقد نقل الرواة والمفسِّرون إرادته بخصوصه، ووقوع مثله في كتاب الله تعالى في مواضع لا تُحصَى كثرةً مثل قوله ﷻ: ﴿ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ...﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ... ﴿٣﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ... ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ. ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً...﴿١٢٠﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ. ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ... إلى غير ذلك مما هو كثير.

فـ﴿ نِسَآءَنَا ﴾ جمع ويُراد منه خصوص السيِّدة المطَهَّرَة فاطمة عليها السلام، و﴿ أَنفُسَنَا ﴾ جمعٌ يُراد منه خصوص أمير المؤمنين عليه السلام؛ حيث جعله النبيُّ صلى الله عليه وآله بمثابة نفسه الشريفة، وكذا يُراد من قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ ﴾ وهو جمعٌ يُراد منه المفرَد وهو الله تعالى، وكذا إبراهيم مفرَد جعله الله أمّةً كبيرةً.

ثمّ كيف يصير معنى الآية على زعم هؤلاء الجهلة المغفَّلين؟ فإنّ أكثر المؤمنين إذا كانوا يُقيمون الصلاةَ ويؤتون الزكاة، فالمخاطب مَنْ عدا هؤلاء ممن لا يُقيم الصّلاة

ولا يؤتي الزكاة من الفاسقين والكافرين، وكيف نجمع بين ما ذكرنا وبين قوله الآخر: ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾!؟.

ولو أنّ أحداً من النّاس فَسَّرَ كلامَ الله تعالى بمثل هذا التفسير من غير أنْ يعارضه نقلٌ أو حديث لم يرضوا منه بدون التكفير وإخراجه من الدِّين، وهكذا يصنعون في كلام الله عداوةً لأمير المؤمنين عليه السلام وعصبيةً لرؤساء الكافرين، فلعنة الله عليهم أجمعين.

إذا تقرَّرَ ذلكَ في قلوب المؤمنين عَلِمَ بالضرورة أنّ الآية نصٌّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّ الولاية الثابتة للحقّ على الخلق التي يمكن مشاركة الرسول فيها إنما هي أولوية التصرُّف في أمورهم والسلطنة عليهم، وذلك بعينه ثابت لأمير المؤمنين عليه السلام بمنطوق الآية ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ مع ما فيها من المؤكِّدات الدالة على تمام الاعتناء بشأن مَن أنزِلَتْ فيه، مثل ﴿ إِنَّمَا ﴾ الدالة على الحصر وتأسيس الولاية من الله تعالى عليهم ولهم، وعطف ولاية أمير المؤمنين عليه السلام على ولايته تعالى، فإنّ كون الولاية عليهم لله ولرسوله كان إذ ذاك معلوماً عندهم بالضرورة والبداهة، فلم يكن محتاجاً إلى ذكره لإعلامهم به، بل لإعلامهم أنّ ولاية الذين آمَنوا المقيمين الصلاة والمؤتين الزكاة مثل تلك الولاية ونظيرها، وكذا قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أعاد كلاًّ بلفظه تعظيماً دون أنْ يقول: (ومَن يتولّهم...) إلى غير ذلك من العبارات، والتصدير بأداة العموم، ووضع الظاهر موضع المضمر، وجعلهم حزبَ الله، وقوله: ﴿ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ إشارة إلى أنّ الله تعالى لم يُردْ للناس أنْ يكون غيرُ الذين آمَنوا المقيمين الصّلاة والمؤتين الزكاة وهم راكعون أولياء على الناس، بل أولياؤهم هم أناسٌ معَيَّنون ذوو أوصاف معَيَّنَة، وأيُّ عاقلٍ يخفى عليه قولهم: إنّ الإحتجاج بهذه الآية على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ضعيف! وأيُّ عاقلٍ يصدق ما يروونه من طرق بعض محَدِّثيهم: إنّ

النبيّ صلى الله عليه وآله قال: « **لو كنتُ متَّخِذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً** »، وفي حديثٍ آخر أنّه قال: « **صاحبكم خليل الله** »؛ دليلٌ – حسبما يتوهَّمُون – على إمامة أبي بكر.

ولا يستحيون من الله ورسوله أنْ يكذبوا عليهما بمثل هذه الأحاديث التي إذا نظر إليها العاقل المنصِف قطع بأنها مكذوبة، فإنّا لا نسمع في كلام أحدٍ من متعصبيهم ومشيِّدِي ضلالاتهم حكاية شيء من الفضائل الخَلْقيّة والخُلُقيّة عن أبي بكر، ولا وجدنا له مساهمة في موقفٍ أو مشهد، ولا نسب إليه أحد ذلك..!!!

نعم، وجدنا بعضَ الوقحين من العامّة يقول: إنّ أبا بكر أنفق على رسول الله صلى الله عليه وآله مالَهُ، وفي مقابل هذا يوجد رأيٌ آخر لبعض محَدِّثيهم يردُّ القولَ المتقدِّم بأنه مكذوب، وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أراد الهجرةَ اشترى من أبي بكر بعيراً ودفع إليه الثمن فأخذه أبو بكر، ثمّ قال صاحب هذا الرأي: فمَن لم ينفع النبيّ صلى الله عليه وآله بماله في مثل هذا اليوم، متى يكون نفعه له بعد انتشار الأمر وكثرة الغنائم وظهور المسلمين؟!

وعلى تقدير الصحة والتسليم، فهل يكون هذا صالحاً لأن يتخذه الله خليلاً بسببه، مع أنه قد عبد الأصنام وعَفَّرَ وجهَهُ لها من دون الله؟! وهل يليق بخليل الله أنْ يعبد الأصنامَ من دون خليله؟! ولو لم يكن في أبي بكر شيء من العيوب التي تمنع من إمامته إلاّ هذه الصفة لكانت كافية، فإنّ مَن كانت هذه حالته كيف يليقُ بحكمة الحكيم أنْ يجعله حاكماً على مثل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي لم يُشرِكْ بالله طرفة عين أبداً، وإماماً له يُرشده إلى طريق الهدى ويدلّه على مواقع الشرع ويُعَلِّمَهُ ما خفي من الدِّين.

ولكنّ مَن جَوَّزَ على إلهه أنْ يفعل الكفر ويعاقِب عليه ويوجب الرضا به لا يمتنع عنده أنْ يتخذ خليلاً كافراً ويؤمِّرَهُ على أعظم مخلوقاته!!

ومن الدلائل النقليّة أيضاً قوله عزّ وجلّ في آية المباهلة: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ...﴿٦١﴾ ﴾ وقد اتفق علماء الإسلام على أنّ المراد بقوله: ﴿ أَنفُسَنَا ﴾ أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إنْ قيل: ليس مراد الآية أهل البيت، بل المراد من ﴿ أَنفُسَنَا ﴾ نفس النبيّ ﷺ دون الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، و﴿ أَبْنَآءَنَا ﴾ يُراد به أبناء المسلِمِين، و﴿ نِسَآءَنَا ﴾ هو نساء المسلِمِين.

قلنا: إتفَقَت الأخبار التاريخية والتفسيريّة أنّ النبيّ ﷺ إنما أتى بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسيّدة نساء العالمين فاطمة البتول عليها السلام وولديهما الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، فكان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام نفسه ﷺ، وسيّدة النساء هي فاطمة البتول عليها السلام، والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام يمثّلان الأبناء مطلَقاً.

ومَن كان نفسَ النبيّ ﷺ وَجَبَ أنْ يَثبُتَ له كلُّ ما يثبت للنبيّ ﷺ؛ وإلاّ ما دَلَّ دليلٌ على خروجه وهو النبوّة لقوله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وقوله ﷺ: « **إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي** ».

ومن الدلائل النقلية: حديث يوم الغدير، والقصّة فيه مشهورة، وقد رواه أحمد بن حنبل في مسنده بطرق متعدِّدَة[1]، وقد نقلها بعض الإمامية نحواً من خمسة عشر طريقاً.

قال أحمد بن حنبل: حَدَّثنا عفّان قال: حدَثنا حمادُ بن سلمة، قال: حدثنا زيدُ بن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة الجامعة، وكسح لرسول الله ﷺ بين شجرتين فصلّى الظهرَ وأخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليهما السلام فقال ﷺ: « **ألستم تعلَمُونَ أني أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، **قال** ﷺ: **ألستم تعلَمُونَ أني أولى بكلّ مؤمنٍ من نفسه؟** قالوا: بلى، **فأخذ** ﷺ **بيد عليّ** عليه السلام **فقال** ﷺ **لهم: مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه** »، قال: فلقيه عمر فقال: هنئياً يا بن أبي طالب، أصبحتَ مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

والحاصل: أنّه قد اشتُهِرَ هذا الحديث على ألسنة نَقَلَةِ الأخبار حتى صار اشهر من

(١) راجع (مسند أحمد) ج١ ص٨٤ و٨٨ و١١٨ و١١٩ و١٥٢، ج٤ ص٣٦٨، ج٥ ص٤١٩.

الصباح، والمتعصِّبون من علماء المخالِفِين ذوي العناد طعنوا فيه تارةً بطعن بعض المحدثين فيه، وتارةً بأنّ المولى له معانٍ منها: الحليف والمعتق وابن العمّ والجار والناصر والأوْلى بالتصرُّف وغير ذلك... وفي بعض المعاني لا يدلّ على الاختصاص بالإمامة.

وهذا عجيب!! فإنّه لا يشترط في البديهي أنْ يتطابق الناس على الاعتراف به، فقد أنكر قومٌ البديهيات، ولا يعتبر في التواتر اتفاق المخبرين على صحته، فإنّ اليهود يطعنون على أشياء من متواترات شرعنا، وذلك غير قادحٍ.

وأمّا تعدُّد معاني المولى[1]، فإنها غير قادحة في المراد؛ لأنّ مَن تأمّل أوّلَ الحديث وآخرَهُ وكيفيّة ما جرى، عَلِمَ قطعاً امتناع أنْ يُراد بالمولى غير الأولى بالتصرف؛ لأنّ خروج النبيّ صلى الله عليه وآله في وقت الظهر، وجمع الناس ليعلمهم أنّ عليّاً عليه السلام أميرَ المؤمنين ناصرُهم أو جارهم لا معنى له، خصوصاً وقد بدأ بقوله: « **ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟** » استفهاماً تقديرياً للتنبيه على أنْ يوَلّي أمرَهم لمن يختاره، وإعلاماً لهم أنّ هذا من جملة الأمور التي هو أولى بها التزاماً لهم بالطاعة، وهذا من أكبر الدلائل وآكدها على أنّ المراد من قوله: « **مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه** » مَن كنتُ أولى به فعليٌّ أولى به، وفَهِمَ الجماعة كلُّهم هذا المعنى، فقال له عمر: " أصبحتَ مولى كلّ مؤمن ومؤمنة "، ولم يمنعه من الطاعة له الانقياد إليه إلاّ البغض وحبّ الدنيا والميل إلى الزعامة والرئاسة، فأخلد إلى الأرض واتّبَعَ هواه.

ومن الدلائل النقليّة أيضاً:

حديث المنزِلَة وهو قولُ النبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: « **أنتَ منِّي بمَنْزِلَةِ هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي** »[2].

---

(١) راجع (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ص٥٦ – ٥٧.

(٢) راجع (صحيح مسلم) ج٤ ص١٨٧ح٢٤٠٤، (سنن الترمذي) ج٥ ص٦٤٠ ح٣٧٣٠ و٣٧٣١، (مسند أحمد) ج١ ص١٧٩ و ج٣ ص٣٢ وج٦ ص٣٦٩، (المعجم الكبير) ج١ ص١٠٨ وج٢ ص٢٧٥، (حلية الأولياء)ج٤ ص٣٤٥ وج٧ ص١٩٥، (كنز العمّال) ج٥ ح١٤٢٤٢ ⟸

ففي مسند أحمد، من عدّة طرق، وفي صحيح البخاري ومسلم من عدة طرق: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا خرج إلى تبوك، استخلَف عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة، وعلى أهله، فقال الإمام عليّ عليه السلام: « **ما كنتُ أوثر أنْ تخرج في وجه إلاّ وأنا معكَ** »، فقال: « **أمَا ترضى أنْ تكون منِّي بمنْزِلَة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي؟** » وتوضيح الإستدلال هو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أثبتَ للإمام عليّ عليه السلام جميع مراتب هارون من موسى، واستثنى النبوّة ويبقى الباقي على عمومه، ومن جملة المنازل أنّه كان خليفة لموسى عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي ﴾ فكان خليفةً في حياته فيكون خليفةً بعد وفاته لو عاش، لكنه لم يعش، والإمام عليّ عليه السلام عاش، فتكون خلافته ثابتة.

قال الفضل بن روزبهان الأشعري حفظه الله: هذا - حديث المنزلة - من روايات الصحاح، وهذا لا يدلّ على النص كما ذكره العلماء، ووجه الاستدلال به أنّه نفى النبوّةَ من عليّ وأثبت له كلّ شيء، ومن جملته الخلافة. ثمّ أجاب الفضل عن هذا: « **بأنّ هارون لم يكن خليفة بعد موسى، لأنه مات قبل موسى على نبينا وآله وعليه السَّلام، بل المراد استخلافه بالمدينة حين ذهابه إلى تبوك كما استخلف موسى هارون عند ذهابه إلى الطور لقوله تعالى: ﴿ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي ﴾، وأيضاً يثبت به لأمير المؤمنين فضيلة الأخوة والموازرة لرسول الله في تبليغ الرسالة وغيرهما من الفضائل وهي مثبتة يقيناً لا شكَّ فيه** ».

يورد عليه:

لا ريب أنّ الاستثناء دليل العموم، فيثبت لعليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام جميع منازل هارون الثابتة له في الآية سوى النبوّة، ومن منازل هارون الإمامة لأنّ المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ هو الأعمّ من النبوّة التي هي التبليغ عن الله تعالى ومن الإمامة التي هي الرياسة العامة فإنهما أمران مختلفان، ولذا جعل الله سبحانه إبراهيم نبياً وإماماً بجعلَين مستقلَّين وكان كثير من الأنبياء غير أئمة كمن

وج١١ ص٥٩٩ ح٣٢٨٨١، (مجمع الزوائد) ج٩ ص١٠٩... إلخ.

كانوا في زمن إبراهيم وموسى فإنهم أتباع لهما وخاضعون لسلطانهما، ويشهد للحاظ الإمامة وإرادتها من الأمر في الآية الأخبار المتعلقة بالآيات الأخرى المصرِّحة بأنّ النبيﷺ دعا فقال: « **اللهمّ إني أسألكَ بما سألكَ أخي موسى وأنْ تشرح لي صدري وأنْ تيسِّرَ لي أمري وتحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعلْ لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به أزري وأشركه في أمري** » فإنّ المراد هنا بالإشراك في أمره هو الإشراك بالإمامة لا الإشراك بالنبوّة كما هو ظاهر ولا المعاونة على تنفيذ ما بعض فيه لأنه قد دعا له أولاً بأنْ يكون وزيراً له.

وبالجملة: معنى الآية الكريمة أشركه في أمانتي الشاملة لجهتي النبوّة والإمامة، ولذا نقول إنّ خلافة هارون لموسىعليهما السلام لّما ذهب إلى الطور ليست كخلافة سائر الناس ممن لا حكم ولا رياسة له ذاتاً بل هي خلافة شريك لشريك أقوى ولذا لا يتصرف بحضوره، فكان أمير المؤمنين عليّعليه السلام بحكم الحديث الدال على أنّ له جميع منازل هارون التي منها شركته لموسى في أمره سوى النبوّة، فيكون عليٌّعليه السلام إماماً مع النبي ﷺ في حياته، فلا بدّ أنْ تستمر إمامته إلى ما بعد وفاته لا سيّما أنّ النظر في الحديث إلى ما بعد النبيّﷺ أيضاً ولذا قال: « **إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي؟** »، ولو تنزلنا عن ذلك فلا إشكال بأنّ من منازل هارون أنْ يكون خليفة لموسى لو بقي بعده لأنّ الشريك أولى الناس بخلافة شريكه فكذا يكون الإمام عليّعليه السلام مع أنّ الآية الكريمة قاضية بفضل هارون على سائر قوم موسى فكذا أمير المؤمنين عليٌّعليه السلام بالنسبة إلى المسلمين، فيكونعليه السلام إمامهم.

وقد علم على جميع الوجوه أنه لا ينافي الاستدلال بالحديث على المدَّعى موت هارون قبل موسىعليهما السلام كما علم بطلان أنْ يكون المراد مجرَّد استخلاف أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة خاصة فإنّ خصوص المورد لا يخصِّص العموم الوارد، ولا سيّما أنّ الاستخلاف بالمدينة ليس مختصاً بأمير المؤمنينعليه السلام لاستخلاف النبيّﷺ غيره بها في باقي الغزوات، ومقتضى الحديث أنّ الاستخلاف منْزِلة خاصة به كمنْزِلة هارون من موسىعليهما السلام التي لم يستثنِ منها إلاّ النبوّةَ، فلا بدّ أنْ يكون المراد بالحديث إثبات تلك

المنْزِلَة العامّة له إلى ما بعد النبي صلى الله عليه وآله.

واستدلّ الفضل بن روزبهان على إرادة الاستخلاف بالمدينة خاصة حين ذهاب النبي صلى الله عليه وآله إلى تبوك بقوله تعالى: ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ وهي خطأ ظاهر لأنّ مجرَّد وقوع الاستخلاف الخاص من موسى عليه السلام لا يدلّ على اختصاص خلافة هارون في ذاك المورد دون غيره، فكذا استخلاف النبي صلى الله عليه وآله لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام بل العبرة بعموم الحديث مع اقتضاء شركة هارون لموسى عليهما السلام في أمره ثبوت الخلافة العامّة له فكذا الإمام عليّ عليه السلام؛ ويدلّ على عدم إرادة ذلك الاستخلاف الخاص بخصوصه ورود الحديث في موارد لا دخل لها به (فمنها) ما رواه في (كنز العمال) عن أم سليم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لها: « **يا أم سليم إنّ علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى** ».

(ومنها) ما رواه في (الكنْز) أيضاً عن ابن عبّاس أنّ عمر قال: (كفوا عن ذكر عليّ بن أبي طالب فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: في عليّ ثلاث خصال لأنْ يكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس: كنت وأبو بكر وأبو عبيدة ونفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله والنبي متكئ على عليّ حتى ضرب على منكبه ثمّ قال: « **أنتَ يا عليّ أوّل المؤمنين إيماناً وأوّلهم إسلاماً** » ثم قال: « **أنتَ مِنِّي بمنْزِلة هارون من موسى، وكذب مَن زعم أنّه يحبني ويبغضكَ** »).

(ومنها) ما في (الكنْز) أيضاً عن زيد بن أبي أوفى في قصة المؤاخاة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: « **والذي بعثني بالحقّ ما أخرتكَ إلاّ لنفسي وأنتَ مِنِّي بمنْزِلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيَّ بعدي** »؛ الحديث.

(ومنها) ما رواه النسائي في (الخصائص) بالنسبة إلى ما يتعلق ببنت حمزة حيث اختصم بتربيتها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وجعفر وزيد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **يا عليّ أنتَ مِنِّي بمنْزِلة هارون من موسى** »؛ الحديث. إلى غيرها من الموارد الكثيرة.

ويشهد أيضاً لعموم المنْزلة ما ورد من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سمّى الحسنين بالحسنين اقتفاء بهارون في تسمية ولديه بشبر وشبير كما في (مسند أحمد) بموارد عديدة فلذلك

ونحوه شاهد بأنّ الإمام علياًعليه السلام شبيه بهارون بجميع المزايا وأنّ له خصائصه كلّها وأظهرها الإمامة بل يستفاد من حديث التسمية إمامة الحسنين أيضاً كولدي هارون عليه السلام.

وبالجملة: لقد تضمّن حديث المنْزلة النص على أمير المؤمنين عليّعليه السلام بالخلافة، مع دلالته القطعية على أفضليته - وبإقرار الخصم بذلك - ولم يشركه في أحد سواه، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسىعليهما السلام إلاّ ما خصّه العرف من الأخوة النسبيَّة، واستثناه هو من النبوّة، فقد جعل النبي لهصلى الله عليه وآله كافة منازل هارون من موسىعليهما السلام إلاّ المستثنى منها لفظاً وعقلاً.

وقد علم كلّ مَن تأمّلَ معاني القرآن، وتصفح الروايات والأخبار أنّ هارون كان أخا موسىعليه السلام لأبيه وأمّه، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه، وأنّ الله سبحانه شدّ به أزره، وأنه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته، وأنّه كان أحبّ قومه إليه وأفضلهم لديه.

قال اللهعزّ وجلّ حاكياً عن موسىعليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ سُورَةُ طه. فأجاب الله سبحانه مسألتَهُ وأعطاه سؤله في ذلك وبلّغه أمنيته حيث يقول: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ سُورَةُ طه.

وقال تعالى حاكياً عن موسىعليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، فلمّا جعل رسولُ اللهصلى الله عليه وآله علياًعليه السلام منه بمنْزِلة هارون من موسىعليهما السلام، أوجب له لذلك جميع ما عددناه، إلاّ ما خَصَّه العرف من الأخوة، واستثناه هو من النبوّة لفظاً، وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد فيها من الخلق أمير المؤمنينعليه السلام ولا ساواه في معناها ولا قاربه فيها على حال.

ولو علم اللهعزّ وجلّ أنّ لنبيّهصلى الله عليه وآله في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب والأنصار لما أذن له في

تخلف أمير المؤمنين عليه السلام عنه حسب ما قدَّمْناه، بل عَلِمَ أنّ المصلحة في استخلافه، وأنّ إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال، فدبّر الخلق والدِّين بما قضاه في ذلك وأمضاه على ما بيّناه وشرحناه[1].

ومن الدلائل النقلية: قوله صلى الله عليه وآله: « **لا يبلِّغ عني إلاّ أنا أو رجلٌ منِّي** »[2].

والمراد بالتبليغ: أوامر الدِّين وأحكامه لا شيء آخر، إذ ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله شيءٌ غيرَ الدِّين وأحكامه، فكلّ همّه صلى الله عليه وآله هو تبليغ الأحكام لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

فوظيفة الرسول صلى الله عليه وآله التبليغيّة لا يقومُ بها إلاّ مَن كان بمثابة نفسه الشريفة، وأمير المؤمنين عليه السلام نفسُ النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله من حيث العصمة والفضائل والدرجات بنصّ آية المباهلة ﴿ أَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾، وما ورد بالمستفيض عنه صلى الله عليه وآله: « **لتنتهيَنَّ يا بني وليعة أو لأبعَثَنَّ عليكم رجلاً نفسه كنفسي...** ».

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على أنّ الإمامة حقٌّ خاصٌّ لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام دون بقيّة الناس.

إستدلال المشهور على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام

استدل المشهور على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة من حيثية كونه صلوات الله عليه أفضل الصحابة وأعلمهم واكثرهم جهاداً ولكنّه استدلال ضعيفٌ وليس مانعاً وجامعاً بالنسبة لشخصيةٍ كريمة عزيزة عند الله تعالى بما تمتاز عن غيرها في الكثير من الملكات والفضائل النفسية والخارجية التي لا يمكن أن تتصف به أية شخصية صحابية مهما أُوتيت من الفضائل والكمالات ما دامت لم تصل إلى درجة العصمة

(١) راجع كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج١ ص٧٧٣.

(٢) راجع (سنن الترمذي) ج٥ ص٦٣٦ ح٣٧١٩، و(الدر المنثور) ج٣ ص٢١٠، و(فتح الباري) ج٨ ص٣٢١.

المطلوبة في الإمام الخليفة، كيف لا! وهو ممن لا يقاس به أحد من الناس من الأولين والآخرين فكيف يقاس بالصحابة فيدعى بأن الصحابة علماء وفضلاء إلا أنه أعلمهم وأفضلهم وهل تُقاس الثريا بالتراب..؟! كلا ورب الأرباب!.

بالإضافة إلى أن هذا الإستدلال ينظر إلى الخلافة نظرة إنتخاب وتعيين من قبل الناس ولا يأخذ بنظر الإعتبار إلى أن تعيين الخليفة إنما هو بيد الله تعالى العالم بأحوال الخليفة والمؤهل لإستحقاق الخلافة الربانية.

ولو فرضنا صحة ما ذهب إليه المشهور من أفضليّة الإمام أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) على الصحابة لكونه أورعهم وأعلمهم وأكثرهم جهاداً، ولكنه أسبق منهم إسلاماً، فهو أفضل منهم في كلّ ذلك، فتقديم أحدهم عليه يعتبر من باب تقديم المفضول على الفاضل وهو قبيح، ولكنهم نكسوا هذه القاعدة وقدموا الأدنى وأخروا الأعلى.

فإنْ قيل: لا يلزم من كثرة جهاده أفضليّته، لجواز كون رأي أبي بكر وعمر في الحرب أنفع للإسلام، ونمنع تقدُّم إسلامه لكونه صبياً، أمّا أبو بكر فكان رجلاً وقد أسلم بإسلامه كثيرٌ من الأعيان كعمر وعثمان وطلحة وغيرهم.

قلنا: قد علم الناس قاطبةً أنّ أعظم الحروب نكايةً في المشركين وإعلاءً لكلمة الإسلام غزوة بدر، وكان أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) قطب رحاها، حتى إنّ قتلاه بها موازية لما قتلة بقيّة المسلمين مع الملائكة، وما سُمِعَ في هذا اليوم لأبي بكر وعمر رأيٌ ولا خبر، ولا وُجِدَ لهما عينٌ ولا أثر!! وفي يوم الأحزاب قال النبيّ(صلى الله عليه وآله): « **ضربة عليّ لعمرو بن عبد ود تعدل عمل أمتي إلى يوم القيامة** »[1]، وفي بعض الأخبار: « **تعدل عمل الثقلين** »[2].

فهل يطيب قلب مسلمٍ أنْ يقول: إنّ رأي أبي بكر وعمر أفضل من مقاومة الإمام عليّ(عليه السلام) للأقران الذين أخافوا المسلمين حتى لم يستطيعوا أنْ ينطقوا وفيهم أبو بكر وعمر؟ وفي باقي المواقف الأمر ظاهرٌ لا سيّما يوم فرُّوا من الزحف وولوا الدبر!

(١) راجع (ينابيع المودة) ص٩٥.

(٢) راجع (المواقف للايجي) ص٦١٧، وأخرجه ابن أبي الحديد ج١٩ ص٦١.

وأمّا تقدُّم إسلام الإمام عليّ عليه السلام فأمرٌ معلوم من الرواة ونقلة الحديث.

ودعوى المخالفين: إنّ الإمام علياً عليه السلام أوّل صبي أسلم، فيه من الإشعار باستصغار قدره عليه السلام ما هو كافٍ في ثبوت الكفر والخزي لقائله، وكيف لم يستصغره النبيُّ حتى استوزره في أوّل أمره، عندما دعا قريشاً إلى الإسلام وطلب الموازرة، فلم يوازره إلاّ الإمام عليّ عليه السلام، فقال له صلى الله عليه وآله: « **أنتَ وليي في الدنيا والآخرة** ».

وهل ينقص إيمانُ الإمام عليّ عليه السلام لكونه صبياً يومذاك؟ والله تعالى يقول عن النبي يحيى عليه السلام: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، وقال عزّ وجلّ حاكياً عن النبي عيسى عليه السلام وهو في المهد: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، والإمام عليّ عليه السلام ليس دونَهم رتبةً لقول النبي صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: « **أنتَ منِّي بمنْزِلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيَّ بعدي** »؛ ولأنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف من ولده يُصلّي النبيُّ عيسى عليه السلام خلفه كما رواه أبو داوود وغيره من المحدثين، ولا نلتفت إلى إنكار معاندٍ، فيكون عليه السلام أفضل من النبي عيسى عليه السلام، ولا ريب أنّ الإمام علياً عليه السلام أفضل من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ ولو بالأفضليّة الرتبية على أقلّ تقدير.

وكيف يكون إتيانه الحكم ليحيى عليه السلام والكتاب لعيسى عليه السلام في طفولتهما معتبراً، ولا يكون إسلام الإمام عليّ عليه السلام الذي جعله الرسولُ وزيراً له في نبوّته معتبراً؟ وهل هذا إلاّ قول جاهل جريء ومملوء بالعناد؟!!

وأمّا انتفاع الإسلام بإسلام أبي بكر فلم ينقله أحدٌ من المحدثين والمؤرخين إلاّ ما اخترعه أهل التعصب والعناد من المبتدعين، ويدلّ على بطلانه أنّ ولده عبد الرّحمان وأباه (أبو قحافة) لم يُسلما حين أسلم بمكة، حتى إنّ عبد الرّحمان هذا جاء في بدر مع المشركين محارباً للمسلمين وأبوه من جملتهم، فمن لم يكن له استعداد أنْ يتبعه أبوه وولده مع أنّ علاقة الأبوة شعبة من السلطنة، كيف يُعقَل أنْ يتبعه غيرهم من ذوي الأقدار وأهل الاعتبار؟! لكنّ المخالفين تركوا الإنصاف جانباً، وأعرضوا عن الإذعان إلى حقِّ أهل البيت عليهم السلام ورأوا تشييد الأباطيل وتأويل الدلائل حقاً واجباً.

الوجه الثاني : من وجه الصّغرى المنطقيّة:

تقدَّمَ في الوجه الأوّل في بيان الصغرى الدالة على أنّ كلاًّ من أبي بكر وعمر وعثمان ظلموا الإمامَ عليّاًعليه السلام، وقد وضحناه آنفاً بأنّ كلّ ظالم يستحقّ اللعن ولا يجوز أنْ يكون إماماً.

وهنا نريد أنْ نثبت حرمة توليهم الخلافة بعد النبيصلى الله عليه وآله وسلم فنقول:

إنّه على تقدير عدم ثبوت كون الإمامة حقاً لهعليه السلام لم تكن الإمامة حقاً لأحدٍ منهم بالنص من الله تعالى ولا من رسوله لأنهم جميعاً متفقون على أنّ النبيّصلى الله عليه وآله وسلم لم يوصِ إلى أحدٍ وأنه مات من غير وصيّة، فالمقتضي لإمامتهم بزعم أهل البدعة إنما هو رأي الأمّة واتفاقهم عليه، ومعلوم أنّ أمير المؤمنينعليه السلام لم يكن حاضراً في وقت عقد البيعة يوم السقيفة، ولا حصل منه موافقة على هذا الرأي، وعليه فلا تنعقد إمامتهم بمقتضى ما قَرَّروه، ولم يثبت لهم حق على أحدٍ من الأمّة مع أنّ سيدة النساء فاطمةعليها السلام لم ترضَ بذلك، وكذا الإمامين الحسن والحسينعليهما السلام والعباس وأولاده وأسامة بن زيد والزبير وغيرهم، وكان طلبُ القوم الإمام علياً إلى البيعة ظلماً، لما لم يثبت لهم ولم يستحقوه شرعاً ولا عقلاً، فضلاً عن إلزامهم لهعليه السلام والتشديد عليه، والتهديد له بتحريق الدار وجمع الحطب عند الباب كما رواه المحدثون والمؤرخون مثل الواقدي وابن قتيبة وغيرهما.

واعتذر بعض أهل البدع عن ذلك بأنّه لم يتخلف عن البيعة لأبي بكر إلاّ رعايةً لحقّ السيِّدة الصدِّيقة الكبرى فاطمةعليها السلام؛ لأنَّها لم تكن راضيةً، وأمّا هو فقد كان راضياً.

والجواب: إنّه اعتذار جاهلٍ متحيّرٍ، فإنه على تقدير تسليم أنه لم يظهر منه عدم الرضا، فلم يظهر منه أيضاً ما يدلّ عليه قطعاً بغير خلاف بين أهل النقل، والإمامة إنما تنعقد على رأيهم بالتصريح بالرضا لا بعدم ظهور خلافه، فدعوى أنّه كان راضياً ليس عليها دليل.

ثم إنهم قد رووا في كتب ضلالتهم ما يخالف هذا الرأي الذي افتروه، وهو أنهعليه السلام

لمّا بايع قال لهم: « **باركَ الله فيما ساءَني وسرّكم** »، فهل هذا بيعة ورضاً بما فعلوه مع مساءته به؟!!

وعلى تقدير كونه راضياً فكيف جاز له أنْ يترك حقاً واجباً عليه بمراعاة الخلق؟ وهل يجوز أنْ ينسب ذلك إلى مَن قال في حقه رسولُ الله صلى الله عليه وآله: « **عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع عليّ** »، وقال: « **إنه ثاني الثقلين اللذين لم يفترقا حتى يردا عَلَّيَّ الحوض** »، وحكم بأنّ « **مَن تمسَّك: بهما لن يضلَّ أبداً** »، وقد أذهب الله عنه الرجس وطهَّرَه تطهيراً؟!!

بل نقول: إنّ عدم رضا سيدة النساء فاطمة عليها السلام ببيعة أبي بكر إمّا أنْ يكون بحق أو باطلٍ، فإنْ كان الأوّل كان أبو بكر ظالماً ملعوناً، وإنْ كان الثاني وجب على أمير المؤمنين عليه السلام وعلى مَن كان من كُبراء الصحابة أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر – حاشاها عن ذلك – وبعدم فعلهم يكونون مُخِلِّين بالواجب، وما كان يجوز لأحدٍ أنْ يتبعها، لكنّ إجماعهم على الإخلال بالواجب مقطوع ببطلانه، فدلّ على أنها كانت محقّة وأنّ أبا بكر وأتباعه كانوا ظالمين.

ولا شبهة أنّ مَن يجترئ على بضعة النبوّة التي نزهها الله تعالى في كتابه من الرجس، وجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله – بأمرٍ من الله تعالى – من العترة الطاهرة الذين هم أحد الثقلين، كاذبٌ وملعون، وعليه فكيف ينسب أبو بكر إليها مخالفة الواجب والإصرار على الباطل إلى أنْ توفاها الله تعالى، فما هذا إلاّ جرأة على الله تعالى ووقاحة على نبيه الكريم مما يقتضي عدم إيمانه فلاحَظَّ له من اليقين ولا سهمَ له في الإسلام.

إنْ قيل: إنّ قول النساء غير معتبر في الإمامة.

قلنا: قد زعمتم أنها عليها السلام مجتهدة، ولا ريب أنّ قول المجتهد معتبرٌ لانعقاد الإجماع عند المخالفين على ذلك، ولهذا لا ينعقد الإجماع على قولهم في أدنى مسألة شرعيّة إلاّ باتفاق أهل الحل والعقد كلهم من الرجال والنساء، وقد قال عليه السلام – حسبما

يروون - : (مَن اجتهد فأصاب فله أجران وإنّ مَن اجتهد فأخطأ له أجر واحد)[1]، وكلمة (مَنْ) الموصولة دالة على العموم، فيعمّ النساء.

وقد زعموا أيضاً أنهﷺ قال: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[2]، ولا ريب أنّ النساء من الأمّة.

وقد قلتم إنّ عائشة مجتهدة مأجورة، وما قاتلت الإمامَ علياًعليه السلام إلاّ باجتهادها فلِمَ كان اجتهاد هذه في حرب مَنْ قال له رسول اللهﷺ: « **حربك حربي** »[3] معتبراً ولم تكن مؤاخَذة، واجتهاد سيدة النساء فاطمةعليها السلام في تخلفها عن بيعة هذا الملعون وطعنها عليه غير معتبر ولا قادحٍ في انعقاد ذلك الإجماع مع جلالة قدرها وعلوّ شأنها كما نبهنا عليه آنفاً ؟ إنْ هذا إلاّ إفكٌ مبين.

مضافاً إلى ذلك: كيف يُقبل قول عائشة في أقوالها، ولا يُقبَل قول سيدة نساء العالمين فاطمةعليها السلام؟!!

الأمر الثاني: من الأمور الستة الدالة على جواز لعن المغتصبين للخلافة.

فمن الأمور الدالة على ظلمهم وبالتالي جواز لعنهم: أنهم ظلموا بقيّة الجماعة الذين تخلّفوا عن بيعتهم، مثل أسامة بن زيد بن حارثة، وقصته المشهورة، فإنهم لمّا دَعَوْهُ إلى البيعة قال لأبي بكر وعمر: قد كنتُ بالأمس أميراً عليكما، فمَن أمَرَكُما عَلَيَّ اليوم؟ يشير بذلك إلى أنّ النبيّﷺ في مرض موته جهّز أسامة في جيش وأمّره عليه، وأمرهما بالخروج معه، فظُلْمِهما لأسامة وأمثاله من أشنع الظلم بعد ظلامة أهل البيتعليهم السلام، وفيه من الجرأة على مخالفة رسول اللهﷺ ما هو ظاهر، وكذا القول في الزبير وكسر عمر لسيف الزبير بالحجر. وهكذا القول في العباس وابنه عبد الله

---

(١) راجع (صحيح البخاري) ج٩ ص١٣٢، (صحيح مسلم) ج٣ ص١٣٤٢ح١٧١٦، (سنن الترمذي) ج٣ ص٦١٥ح١٣٢٦، (سنن إين داوود) ج٣ ص٢٩٩ح٣٢٧٤، (كنز العمال) ج٦ ص٧ ح١٤٥٩٧، وفيها جميعاً هكذا: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد).

(٢) راجع (مسند أحمد) ج٥ ص١٤٥، (سنن إبن ماجة) ج٢ ص١٣٠٣ح٣٩٥٠.

(٣) راجع (مناقب الإمام عليعليه السلام) لإبن المغازلي ج٥٠ ص٧٣، (ميزان الاعتدال) ج١ ص٣٥٠.

وغيرهما ممن تخلّف عن البيعة، فما كان لهؤلاء الظالمين أنْ يطلبوا أحداً من هؤلاء إلى مجلسهم، ولا أنْ يطالبوه بالبيعة، لأنها إنْ كانت شرعيّة فثبوتها يتوقف على موافقتهم، وإنْ كانت غير شرعية لم يجز دعوتهم لأمرٍ لم يثبت شرعاً، بل يكون ذلك حكماً بالجاهلية الأولى وظلماً في الدين.

ومَن تأمّل هذا الأمر حقّ التأمل - متحلياً بالإنصاف - وجدهم انتهزوا فرصة موت النبي صلى الله عليه وآله فحكموا بالجاهلية وتستروا بكلمة الشرع ظاهراً حيث لا تصل إليه أفهام العامّة، حذراً من تفرُّق الأمر عليهم بحيث لا يخالجه شكٌّ ولا افتراء.

الأمر الثالث: إنهم ظلموا حقّ الرسول صلى الله عليه وآله حيث جلسوا في منصبه ومقامه، وسمّوا أنفسهم خلفاء عنه، وتأمّروا على المؤمنين نيابةً عنه بزعمهم، وادّعوا الرئاسة العامّة على جميع الخلق في أمور الدِّين والدّنيا، وذلك في الحقيقة هو منصب النبوّة ما خلا الوحي[1].

وهذا من الأوليات، فإنّ كلَّ مَن تصوّر معنى النبوة والإمامة لم يجد بينهما فرقاً إلاّ مجيء الملك بالوحي ومخاطبته عن الله تعالى، وما سوى ذلك من جميع الأمور الكليات والجزئيات فهما مشتركان فيهما، لكن هي للنبوة أصالة وللإمامة نيابة.

ولا شبهة في أنّ هذه الأمور حقّ للنبي صلى الله عليه وآله بالأصالة، فما لم يفوضها إلى شخصٍ ويخصّه بها كان المدّعي لها متغلّباً ظالماً مأثوماً غاصباً عاصياً، والله سبحانه لم يُثبت الولاية ولم يجوِّز التصرُّفَ في مال طفلٍ لمن هو أتقى الناس وأعلمهم بتفويض وليه ووصيّه، فكيف يعقل أنْ يكون أحدٌ مستحقاً ما كان استحقه النبي صلى الله عليه وآله من منصب الدين بغير تفويض منه أو إذْن أو وصيّة؟ مع أنّ الله تعالى قد حَرَّمَ الدخول إلى بيته[2] ونهى عنه مؤكِّداً بغير إذْنِه، وهو مَبنيٌّ على التسامح خصوصاً بين العرب، فكيف يجوز تولي منصبه بغير إذنه؟ بل كيف يقول قائلٌ بوجوب الانقياد إلى شخص بادّعاء ذلك المنصب؟ أوليس هذا من أعظم مراتب الظلم؟!!

---

(١) راجع (نفحات اللاهوت) ص٦٦.

(٢) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ...﴿٥٣﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

دعوى وردّ:

إدّعى سفهاء هذه الأمّة – أهل البدعة المغيِّرين لسُنَّة النبيﷺ – بأنّ الناس لا بدّ لهم من رئيسٍ يتولى مصالح دنياهم ويُقيم نظام معاشهم، وليس ذلك من منصب النبوة في شيء، ولا يلزم من نهي الله تعالى عن دخول بيت النبيﷺ بغير إذْنِهِ، النهي عن أنْ يتولّى أحدٌ مصالح العامّة باعتبار دنياهم ونظام معاشهم.

والجواب: إنّ هذه الدعوى ظاهرة البطلان بل مكابرة للبديهة، فإنّ أكثر الأمور الشرعية متعلقة بأمور الدنيا ونظام المعاش، فإنّ نصب القضاة وعزلهم في الحكومات المتعاقبة من أمور الدنيا التي لا تعلُّقَ للشرع بها. ولهذا لا يجب الترافع إلى القاضي إلاّ إذا نصّبه الإمامعليه السلام، ولا يسقط الوجوب إلاّ بعزله إياه، وكذا القول في ولاة الأطفال والمجانين والتصرف في أموال الغائبين، واستيفاء الحدود من قتلٍ أو ضربٍ وكذا التعزيرات[1].

والحاصل: أنّ النبيّﷺ إنما بُعِثَ لقيام نظام الخلق في المعاش والمعاد، فالمتعلق بالمعاد من شرعه هو العبادة، وبقيّة أقسام الشرع الثلاثة متعلقة بالمعاش، والإمام يقيم ذلك النظام الذي بُعِثَ النبيُّﷺ لأجله بعد موته، فما لم يكن بإذنه يكون ظلماً وتغلباً.

وأمّا الآية المستدل بها على حرمة دخول بيت النبيّﷺ بغير إذنه، فهي وإنْ لم تدلّ بمنطوقها على حرمة تولي أحد مصالح العامّة، لكنها تدلّ على ذلك بمفهوم المخالفة أو بطريق الأولوية، (فإنّ البيت المتعارف يَحْرُمُ دخوله إلاّ بإذن من صاحبه)، فالبيت الحقيقي الذي هو الشرع المطَهَّر الذي عناه النبيﷺ بقوله: « **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها** » أولى وأحرى بأنْ يكون حراماً، ومخالفته تعتبر ظلماً وعدواناً.

---

(١) الظاهر أنّ الكركي في هذا المورد يقول بجواز إقامة الحدود في عصر الغيبة، وهذا هو رأي المشهور.. ولكنّه في موردٍ آخرَ من كتابه (نفحات اللاهوت) ص٦٦ نفى أن يكون لغير النبي والأئمّة نيابة عنهم على المؤمنين. ، فما نسبه إليه أحدهم في كتابه (سلطة الفقهاء) غير صحيح.

ومن عجيب جهالة العامة أنهم يشترطون في القاضي - الذي حقيقة منصبه ولاية خاصة - العلم والعدل، ويجوزون أنْ يكون إمام المسلمين وخليفة رسول ربّ العالمين جاهلاً فاسقاً؟!! ويجعلون هذا العدل رعيةً لهذا الفاسق ومحكوماً عليه بحكمه؟!!

الأمر الرابع: إنهم ظلموا أنفسَهم باستيلائهم على ما لا يجوز لهم، وتصرفهم فيما ليس لهم بحقّ، وحكمهم على كبراء الأمّة الذين هم أعظم قدراً من أنْ يكون هؤلاء أئمّة عليهم، وقد ذَمَّ اللهُ تعالى ظالمي أنفسهم في عدة مواضع من الكتاب العزيز وسمّاهم ظَلَمةً.

وهذا من أقبح الظلم؛ لأنّ الإنسان حقيق بأنْ يزكي نفسه ويرشحها للمقامات العالية بالإجتهاد في الطاعات، فإذا ارتكب ما لا يجوز له ارتكابه وفعل ما يستحقّ به العقاب، فقد ضيّع ما يجب عليه من حقها، وورطها في المهالك، فكان ظالماً لها من جملة الظالمين.

الأمر الخامس: ظلمهم جميع الأمّة، فإنهم بغصبِ هذا المنصب الشريف من أهله، وجلوسهم فيه مع عدم الأهلية له، بغير نصٍّ من الله ولا من رسوله، وعدم علمهم بدقائق الشرع وخفياته، بل بكثير من ظواهره، وضعوا الأشياء في غير مواضعها، وترفعوا على الناس بادّعاء الإمرة عليهم والإمامة لهم، وذلوا قوماً وعزلوا آخرين، وقدّموا فريقاً وأخّروا آخر، وكلّ ذلك بغير استحقاقٍ منهم، ولا علم بوجوه ما يعملون، حتى ظهر من بدعتهم وضلالتهم ما لا يخفى على صاحب البصيرة، فقد ذكرنا بعضاً منها في كتابنا (أبهى المداد) فراجعْ.

إعتذار عليل:

والإعتذار بأنّ بقيّة الصحابة كانوا موافقين لهم، ومسددين لأقوالهم ومساعدين لهم على استخراج الأحكام من الوقائع، حتى لو كان أحدٌ منهم له علمٌ بحكمٍ وحديثٍ عن النبي صلى الله عليه وآله رواه، ولو كان له اجتهاد أبداه، ويحيلون النظر فيه ويأخذون

منه الصواب، فلا يكون ظلماً لاتفاق آراء الصحابة عليه، بل يكون ذلك إجماعاً.

هذا الإعتذار معلوم البطلان لمن له أدنى إطلاع على حقيقة الحال، بل إنما كانوا يحكمون بآرائهم استغلالاً من غير الثقات إلى حكم الكتاب والسنّة، وسيرتهم تشهد بجهلهم وعنادهم للشرع.

وناهيك عن كلّ ذلك فإنّ عبد الله بن عباس كان يقول بحلية المتعة، وبمسح الرجلين في الوضوء وببطلان العول، وكان يكتم ذلك خوفاً من الفظ الغليظ عمر بن الخطاب، ولم يظهر القول به إلاّ بعد موته، ولمّا أظهره قيل له: فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر؟ فقال: هِبْتُهُ، وكان مهاباً عنّاداً في الدِّين ومغيّراً للأحكام ومستبداً بالرأي ومتغطرساً عن قبول الحق!!

الأمر السادس: إنهم ظلموا منصب الإمامة العظمى والشريعة المطَهَّرة الكبرى بادِّعائهم الأهليّة لها والحكم بها، ومَن تَتَبَّعَ أحكامهم الباطلة وتغييراتهم الفاسدة ومخالفتهم أحكام الرسولﷺ في الأقوال والأفعال وجد أمراً عظيماً، وكفاهم ظلماً في ذلك أنهم إذ عدلوا بالأمر عن أهله واستقلوا به من دونهم، تشوقت إليه نفوس أرذل المنافقين، واجترأت عليه زنادقة بني أمية الملحِدين مثل معاوية ويزيد وبني مروان، لا سيّما وقد مهدوا لمعاوية وبني أميّة بالتمكين بعد التأسيس، وولوهم الولايات وعقدوا لهم الألوية والرايات، وبالغوا في إبعاد أهل البيتعليهم السلام وخواصهم عنها.

ولو كان أبو بكر وعمر وعثمان من الصالحين لَمَا كانوا مهّدوا لمعاوية الذي كان عدوّاً لرسول اللهﷺ ومحرِّضاً على عداوة النبيّﷺ ومبالِغاً في تنقصه والتحريض على حربه وتخريب الأحزاب عليهﷺ، فهل كان يخفى على هؤلاء حقد معاوية على رسول اللهﷺ وأهل بيتهعليهم السلام؟! أوليست يد الغاصب يد ضمان لجميع ما يترتب عليها إلى يوم القيامة، وظلامات أهل البيتعليهم السلام من أفعال هؤلاء – أبعدهم الله تعالى – ونسبة ما جرى عليهم من الظلم والجور وغصب الحقوق معلوم شائع؟!

وصدق القاضي ابن قريعة[1] من جملة أبيات له :

وأريتكم أنّ الحسين أصيب في يوم السقيفة

تَمَّتْ الوجوه الستة الدالة على جواز لعن المغتصبين لحقّ أهل البيت عليهم السلام.

النقطة الخامسة: دليل القرآن على جواز لعن المغتصبين للخلافة

ذكرنا سابقاً الآيات الدالة على جواز لعن الظالمين بشكل مجمل، ولكننا هنا سنذكر الآيات الدالة على لعن المغتصبين بشكل خاص، من هذه الآيات :

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

هذه الآية من الأدلة القطعية على جواز لعن أبي بكر وعمر والإستدلال بها من وجوه أربعة :

الوجه الأوّل: إنّ أبا بكر وعمر ومن شايعهما وتابعهما آذوا سيدة النساء فاطمة عليها السلام، وكلّ مَن آذاها فهو ملعون. فالوجه المذكور مركَّب من صغرى وكبرى ونتيجة.

أمّا الصّغرى فيدلّ على صحّتها أمران :

الأمر الأول: ما نقله الرواة متواتراً من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قُبِضَ ثم تصدّى - زوراً - أبو بكر للخلافة، وكان عمر ظهيره ووزيره وعثمان في جمعٍ شايعوه، جاءت مولاتنا فاطمة عليها السلام تطلب إرثها من النبي صلى الله عليه وآله، فامتنعوا من إعطائها، وادّعوا أنْ لا إرثَ لها، فقالتْ عليها السلام: « **يا بن أبي قحافة: أَتَرِثُ أباكَ ولا أَرِثُ أبي؟** » فادّعى في ذلك حديثاً تفَرَّدَ بروايته من بين جميع المسلمين - مع قلة رواياته وعدم فقهه وعلمه، ولم يكن سمع منه قبل ذلك الوقت وإنما ادّعاه عند طلبها عليها السلام وضرورته إلى ردِّ قولها وهو الغريم؛ لأنّ الصدقة تحلُّ عليه - فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)[2].

---

(١) توفي ابن قريعة عام ٣٦٧هـ، أوساط الأدباء والشّعراء.

(٢) راجع (البداية والنهاية) لإبن كثير ج٢ ص١٥٤، (مسند أحمد) ج٢ ص٤٦٣ بلفظ آخر هكذا: ما تركتُ بعد مؤنة عاملي ونفقة نسائي صدقة، (شرح النهج) ج١٦ ص٢١٤ بلفظ آخر هكذا: ⟸

ونصّ القرآن الكريم مخالف لهذا الحديث الملَفَّق، فإنّ قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ... ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ، وكذا قوله تعالى حكايةً عن زكرياعليه السلام: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَۖ...﴿٦﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، فهذان يُبطلان ما رواه أبو بكر، ويدلان على أنه اختلق ذلك وافتراه، إذ قد أخبر اللهُ تعالى عن توارث الأنبياءعليهم السلام، من هنا كانت مجابهة سيدة الطهر فاطمة لأبي بكر بقولهاعليها السلام: «**يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئتَ شيئاً فرياً، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول:** ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ... ﴿١٦﴾ ﴾ **وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال رب:** ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾، **وقال:** ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ... ﴿٧٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ، **وقال:** ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ... ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، **وقال:** ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ... **ثم قالت** عليها السلام: **وزعمتم أنْ لا حظوة لي!! ولا إرثَ من أبي، أفخصّكم اللهُ بآيةٍ أخرج أبي منها؟! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولستُ أنا وأبي من أهل ملةٍ واحدةٍ، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟** » وهكذا مَضَتْ مولاتنا فاطمةعليها السلام تفنّد لأبي بكر مقالته المشؤومة بنداً بنداً وهو ساكت لا يمكنه الجواب على سليلة الطهر والكرامة.

لقد أبطلتْ سيدتنا الزهراءعليها السلام دعوى أبي بكر لعنه الله التي هي عكس قانون الوراثة والتوارث بين الأنبياء والعقلاء، أما كان داوود وابنُه سليمان من الأنبياء؟!

لقد أشارتْ سيدتنا فاطمةعليها السلام على أبي بكر أنّ معنى قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ... ﴿١٦﴾ ﴾ هو إرث المال، وهكذا فهم أبو بكر وجميع المسلمين آنذاك وهم يستمعون إلى خطبة الصدِّيقة الشريفة فاطمةعليها السلام، ومعنى ذلك أنّ سليمان ورث أموال

(إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضّة... ولكنا نورث الإيمان والحكمة والعلم السنة).

أبيه داوود، ولم يفهموا غير هذا، من هنا اعترف أبو بكر للسيدة فاطمة عليها السلام بفدك، فكتب لها كتاباً لكنّ عمر لعنه الله أخذه منها و تفل فيه ومَزَّقَهُ ثمّ أقنع أبا بكر بذلك.

إنّ كلمة (إرث) عندما تطلَق يتبادر منها معناها الحقيقي، إلاّ إذا جاءت قرينة صارفة عن معناها الحقيقي إلى آخر مجازي.

فحينما طلب زكريا من الله عز وجل أنْ يرزقه غلاماً يرثه بالمال حرصاً من أنْ يرثه الفساق من أقاربه، وليس المراد من الإرث وراثة العلم؛ لأنّ الله تعالى قادر على أنْ يهب العلم ليحيى من دون إستعانة بزكريا أو بآل يعقوب ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ...﴿٦﴾ ﴾ فزكريا لم يطلب من الله أنْ يرزقه ولداً يرث من آل يعقوب لأنّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم علماء أو أنبياء، بل أراد إرث المال.

فإنْ قيل: الذي ورثه سليمان من داود هو النبوة والعلم لا غيرهما، وكذا الإرث من زكريا عليه السلام بمعنى أنّ زكريا أراد إرث النبوة.

قلنا: ما تقدّم ظاهر البطلان، فإن حمل الإرث على النبوة والعلم مُبطل لمعناه، إذ النبوة والعلم ليسا بالإرث، وإنما هما من الله تعالى أصالةً، فصرف الإرث إليهما مع عدم صدق الإرث عليهما باطل، وفي قول زكريا عليه السلام زيادة، فإنّ الإرث من آل يعقوب لا يكون مقصوراً على النبوّة والعِلْم، إذ لم يكن آل يعقوب كلّهم أنبياء وعلماء.

وبعبارة أخرى: إنّ النبوّة لا تورَّث، فمَن كان قادراً على إيهاب النبوة لزكريا، قادر على إيهابها ليحيى من دون تعلُّم أو تعليم.

فإنْ قيل: إنّ إطلاق الإرث على النبوّة والعلم مجاز جائز كما في قوله صلى الله عليه وآله: « **العلماء ورثة الأنبياء** »[1]، و﴿ مِنْ ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ...﴿٦﴾ ﴾ يجوز أنْ تكون للتبعيض لا للتعدية.

قلنا: شرط العدول إلى المجاز وجود القرينة الصارفة عن الحقيقة، وهي منتفية ها

(١) راجع (الكافي) ج١ ص٣٢ ح٢، (بصائر الدرجات) ج١ ص١٠ ح١.

هنا، والشائع كون ﴿ مِنْ ﴾ في مثل هذا التركيب للتعدية، تقول: (ورثتُ من أبي كذا) (وهذا ميراثي من أبي) فحملها على التبعيض عدول عن الراجح إلى المرجوح.

فإنْ قيل لنا: القرينة الصارفة هي رواية أبي بكر.

قلنا: بعد تسليم أنّ أبا بكر ممن تُقبَل روايته ولم يُطعَن فيه بكفرٍ ولا فسقٍ ولا خصومةٍ، فلا يصحّ في هذا المقام قبول روايته، ولا يجوز في حكمة الله تعالى أنْ يريد في كلامه معنىً مجازياً يكونُ قرينةَ ينفرد بها أبو بكر بحيث لا يسمعها غيره ولا يطّلع عليها سواه، وهل هذا إلاّ إغراءً للمكلَّفين بالجهل، وذلك ممتنع على الحكيمﷻ، ومما يدلّ على بطلان هذا الحديث عموم قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ... ﴿١١﴾ ﴾ وغيرها من الآيات التي تعرضت لبيانها مولاتُنا السيِّدة الزهراءعليها السلام، فإنها بعمومها تتناول النبيّﷺ والسيِّدة فاطمةعليها السلام، والتخصيص يحتاج إلى دليل، وحديث ابن أبي قحافة لا ينهض مُخصِّصاً لكتاب الله تعالى.

قد يقال: إن زكريا أراد إرث النبوة بمعنى أن يرثه بالنبوة.

قلنا: إن النبوة لا تورّث، فمن كان قادراً على إيهاب النبوة على زكريا قادر على إيهابها من دون تعلّم أو تعليم.

ودعوى أن سليمان ورث داود بالعلم لا بالمال، وكذا يحيى ورث زكريا بالعلم لا المال مردودة بما يلي:

أولاً: إن لفظ الإرث والميراث يستعمل شرعاً وعرفاً ولغةً في المال، **فإذا قلنا:** إن زيداً ورث عمرواً، فالظاهر منه أنه ورثه بالمال، لا أنه وارثه في العلم أو المعرفة، إلاّ إذا كانت هناك قرينة كما قلنا آنفاً تدل على إرث العلم والمعرفة كقوله تعالى:

﴿ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

فالكتاب قرينة على أن الإرث هو المعرفة هنا لا المال، وكذا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ...﴿٣٢﴾ ﴾ سُورَةُ طه.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا... ﴿١٣٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ. ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ.

ثانياً: إنّ الوراثة لسليمان عليه السلام ويحيى من داود وزكريا هي إرث المال لا العلم لأن سليمان كان نبياً في حياة أبيه داود حسبما قصّ علينا القرآن الكريم في قصة الزرع الذي نفشت فيه غنم القوم ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ... ﴿٧٩﴾ ﴾ الأَنبيَاءِ.

إذا كانت هناك قرينة كما قلنا آنفاً تدل على إرث العلم والمعرفة كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

فالكتاب قرينة على أن الإرث هو المعرفة هنا لا المال، وكذا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... ﴿٣٢﴾ ﴾ سُورَةُ طه.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا... ﴿١٣٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ. ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ.

ثالثاً: إنّ الوراثة لسليمان عليه السلام ويحيى من داود وزكريا هي إرث المال لا العلم لأن سليمان كان نبياً في حياة أبيه داود حسبما قصّ علينا القرآن الكريم في قصة الزرع الذي نفشت فيه غنم القوم ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ... ﴿٧٩﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ.

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ سُورَةُ ص، إن النبيَّ سليمان عليه السلام ورث من أبيه داود عليه السلام ألف فرس حينما أصابها النبيُّ داود عليه السلام من العمالقة، وهي الجياد استعرضها سليمان عليه السلام مسروراً بها.

فسليمان عليه السلام ورث أباه داود عليه السلام تلك الخيول والأفراس وغيرها من الأموال التي تركها داود عليه السلام، فثبت بهذا أن سليمان عليه السلام ورث أباه بالمال لا بالعلم.

ودعوى الآلوسي في تفسيره بأن (الأنبياء لا يورّثون لحديث رواه أبو بكر محتجاً به في مسألة فدك والعوالي بمحضر الصحابة وهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم)

مردودة عليه وذلك:

① لأن الخبر الذي رواه أبو بكر هو خبر واحد ولا حجية في أخبار الآحاد لا سيّما الصادر منه لكونه غير مأمون على الدين والدنيا.

② أن الخبر مشكوك الصدور يصادم العمومات القرآنية القطعية الصدور، فيكف يقدَّم المشكوك على المقطوع؟!

③ أن الآلوسي يكذّب الإمام عليّاً عليه السلام والسيِّدة الزهراء عليها السلام وأكثر الصحابة المخلصين أمثال سلمان وجابر وأم سلمى وأسماء بنت عميس وغيرهم ممن وقفوا مع أمير المؤمنين عليه السلام، أوَليس هؤلاء من الصحابة الذين لا تأخذهم في اللّه لومة لائم؟!!

إذن وراثة سليمان لداود عليهما السلام مالية، وكذلك وراثة يحيى لزكريا عليهما السلام فكانت مالية أيضاً لا علمية لأن علوم الأنبياء عليهم السلام لدنية إفاضية لا اكتسابية تحصيلية كما تشير إلى ذلك النصوص القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾ البَقَرَةِ، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ... ۝٨٧﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ... ۝٥﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، ﴿وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا... ۝١٧٥﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا... ۝٧٤﴾ سُورَةُ الأَنبِيَاءِ.

هذا مضافاً إلى أنه لا معنى لدعاء زكريا عليه السلام لكي يهبه ولداً يرثه بالعلم، وقد أفاض اللّه عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام الحكم صبياً، بمعنى أن زكريا لم يطلب ولداً ليورّثه العلم والنبوة لأنهما مما لا يورثان بل يفاضان من اللّه تعالى على صاحبهما، فلا يمكن حينئذٍ لزكريا عليه السلام أن يهب النبوة أو العلم لابنه يحيى، مع التأكيد على أن قول

زكريا عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ.

فقد طلب زكريا عليه السلام وارثاً لأجل خوفه من أن يرثه الموالي الفسقة من بين إسرائيل، ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم، لأنه عليه السلام كان أعلم بالله عز وجل من أن يخاف أن يبعث الله نبياً ليس أهلاً للنبوة، وأن يورّث علمه وحكمته من ليس لهما بأهل، لأنه إنما بُعث لإذاعة العلم ونشره في الناس، فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته؟!!

إشكال وحل:

كيف تقولون إن زكريا عليه السلام طلب ولداً ليرثه بالمال، أليس في هذا إضافة البخل إليه؟

قلنا: معاذ الله أن يطرق إلى ساحته بخلٌ، وإنما طلب الولد ليرثه حرصاً منه أنْ يظفر الفسّاق وأهل الفساد بماله فيصرفوه فيما لا ينبغي، وطلبه هذا في غاية الحكمة، فإن تقوية الفسّاق وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة في الدين.

توّضَح بما تقدَّم أنّ قانون الوراثة عام يشمل الأنبياء وغيرهم، ولم يرد بدليل معتبر تخصيصه، فيبقى العام سارٍ بعمومه من دون تقييد أو تخصيص.

هذا بالإضافة على أن آيات الإرث عامة، ولو كان هناك ما يوجب التخصيص بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لكان على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يعلمه ويخبر ابنته بذلك، مع أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخبرها ولا غيرها من الناس بهذا الحكم الخاص، وهل من المعقول أن يخفي رسول الله هذا الحكم عن ابنته الزهراء عليها السلام مع شدة اتصالها به وكثرة تعلُّقها به وتعلّقه بها، وشدة الحاجة إلى بيان الحكم لها لئلا تطالب بالإرث بعد وفاة أبيها؟

وكيف يُطلع أبو بكر ابنته عائشة على ذاك الحديث الذي سمعه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أو أنها سمعت النبيَّ يقول لأبيها (نحن معاشر الأنبياء لا نورّث)، ولم يُطلع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم

ابنته الصدّيقة الزهراء عليها السلام هذا الحديث مع علمه بما سيجري عليها من الاضطهاد والتكذيب وغير ذلك؟!!

وزبدة المخض:

يرد على أبي بكر ما يلي:

أولاً: إنّ العمومات القرآنية كقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ.. ٦ ﴾، ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ... ١٦ ﴾، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ... ١١ ﴾.

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ... ٧٥ ﴾ وغيرها من الآيات تكذّب الحديث المزعوم الذي اختلقه أبو بكر بلفظين، **الأول** قوله: (إنّا معشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة).

والثاني قوله: (إنّا معشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً لكنّما نورّث الإيمان والحكمة والعلم والسنة). ثم ادّعى أنه سمع من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنما هي طُعمة اطعمناها اللّه، فإذا متُّ كانت بين المسلمين).

وفي خبر آخر عنه: أن اللّه أطعم نبيّه طعمة ثم قبضه، وجعله للذي يقوم بعده، فوليت أنا بعده، على أن أرده على المسلمين.

هذه العمومات يدخل فيها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كغيره من المسلمين الذين يورّثون أبناءهم، لا سيّما أنه قدوة لغيره في توريث أولادهم، وقد ورّث رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم نساءه الحجرات اللاتي كن يسكنّ فيها، وقد تبرعت عائشة بسهمها وسهم غيرها من دون إذنهن لكي يدفن فيه أبو بكر وعمر بن الخطّاب، فمن عجائب الدهر أن تدفع مولاتنا الصدّيقة فاطمة عليها السلام من دعواها وتمنع من فدك بقولها وقيام البيّنة على ذلك وتترك حجر أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أيديهن من غير بيّنة ولا شهادة.

ودعوى (أن الأنبياء فقراء لا يملكون شيئاً) مردودة: لما ثُبت من سيرة بعضهم كداود وسليمان وزكريا عليهم السلام، هذا مضافاً إلى أن الوراثة تكون حتى بالأشياء الحقيرة الثمن كالعمامة والثوب والعصا والخاتم وما شابههم، فلا مجال للقول إن هذه الأشياء يرثها من الآباء الأنبياء الأجانب عنهم دون الأولاد.

ثانياً: لقد اعترف بعض علماء العامة أن أبا بكر اغتصب من الصدّيقة الطاهرة عليها السلام أرض فدك، ومنعها من حقها من الخمس وسهمها من خيبر، مع وجود إجماعٍ على أن فدكاً لم يوجف عليها بخيل أو ركاب، فهي ملك خاص لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله، وقد نص على ذلك علماؤهم لا سيّما الطبري منهم، فإذا كانت ملكاً خاصاً لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وقد كانت كذلك فكيف جاز لأبي بكر شرعاً وعقلاً وعرفاً أن يجعلها من صدقات النبيّ صلى الله عليه وآله؟!

ثالثاً: إنّ الخبر المزعوم (إنّا معاشر الأنبياء لا نورِّث) خبر واحد، لم يُعرف أحدٌ من الصحابة موافقة أبي بكر على نقله، وقد تفرّد أبو بكر بنقله، وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل حسبما جاء عن عمر بن الخطاب ردّاً على الصدّيقة الزهراء عليها السلام عندما جاءتهما بالشهود فكيف يعارض هذا الخبر الكتابَ الكريم المقطوع الصدور؟! فالحديث غريب، لأن المشهور أنه لم يروه إلا أبو بكر وحده، بل قام الإجماع على عدم صحته، والخارج عن الإجماع شاذ لا يعبأ به.

وبعبارة أوضح: لو دار الأمر بين محتمل الصدور عدا عن كونه مقطوع عدم الصدور وبين مقطوع الصدور، يقدّم الثاني بلا تردد، وما فعله العامة هو أنهم قدّموا الاحتمال على القطع، حفظاً لماء وجه أبي بكر وتلميعاً لصورته.

وزبدة المقال: إن آية الإرث والرواية المزعومة متعاكستان، وكل ما عارض الكتابَ فهو زخرفٌ، وساقطٌ عن الاعتبار وغيرُ حجَّةٍ، ولو سلّمنا صدور الحديث المزعوم من النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله فلِمَ بيّنه لغير ورثته وأخفاه عمّن يرثه؟ ولو كان الحديث صحيحاً عند عترة النبيّ صلى الله عليه وآله التي يدور الحق معها حيثما دارت لم يمسك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيف رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وبغلته وعمامته، وقد احتج عليه السلام بهذه الأمور على القوم مشيراً عليهم أنه أحق بابن عمه من غيره.

فلو كان الحديث معروفاً عند هؤلاء الأعاظم لم يجز لهم كتمانه.

وعلى فرض صحة الحديث فلِمَ لم يصادر أبو بكر الأشياء الخاصة برسول اللَّه صلى الله عليه وآله كعمامته ودابته وحذائه وسيفه تطبيقاً للحديث المزعوم (لا نورّث ما تركناه فهو

صدقة) فهذه الأشياء مما تركها رسول اللّهﷺ فكان على الخليفة أن يصادرها لتوزع على الفقراء والمساكين، هذا بالإضافة إلى حجرات النبيّﷺ، كان الواجب على أبي بكر أن يصادرها ويوزّعها على الفقراء ويحرم أن يطلب الإذن من عائشة لتسمح له بأن يدفن في حجرتها!!

قد يقال: إن رسول اللّهﷺ دفع دابته وحذاءه ولوازمه الخاصة إلى الإمام أمير المؤمنين عليّعليه السلام من جهة أنْ ترث زوجته الصدّيقة الكبرى الزهراء البتولعليها السلام من أبيها، فأهدتهم السيِّدة الزهراءعليها السلام للإمام أمير المؤمنينعليه السلام لكون هذه الأشياء من مختصات الرجال.

قلنا: هذا صحيح ثبوتاً لولا النصوص الدالة على أن الإمام أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام ورث النبيَّ محمداًﷺ بهذه الأشياء لكونه الخليفة الحق بعد رحيل النبيّﷺ أبي الزهراء صلوات الله عليهما حسبما جاء في النصوص الكثيرة من أن الإمامعليه السلام يرثُ الرسولَﷺ في متعلقاته الخاصة والصحائف السماوية، فقد جاء في (أصول الكافي) في صحيحة الحلبي عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال: « **ترك رسول اللّهﷺ في المتاع سيفاً ودرعاً وعنزة ورحلاً وبغلته الشهباء فَوَرثَ ذلك كله عليّ بن أبي طالبعليهما السلام** ».

رابعاً: إن خلفاء بني أمية وبني العبّاس فهموا من فدك أنها مُلْك للصدِّيقة الكبرى الزهراءعليها السلام روحي فداها، لذا كان السابق يُرجعها إلى ورثة الصدّيقة فاطمةعليها السلام من أولادها، ثم إذا جاء اللاحق استردها منهم.

روى أبو بكر الجوهري عن محمّد بن زكريا عن ابن عائشة قال: (... لمّا ولّي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفّان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن عليّعليهما السلام فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، فلمّا وليَّ عمر بن عبد العزيز الخلافة، كانت أول ظلامة ردّها، دعا الحسن بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين

عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وقيل: بل دعا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام فردّها عليه، وكانت بيد أولاد فاطمة عليها السلام مدة ولاية عمر بن عبد العزيز، فلمّا وليَّ يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها، حتى انتقلت الخلافة منهم، فلمّا ولّي أبو العبّاس السّفاح ردّها على عبداللَّه بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر لمّا حدث من بني الحسن ما حدث، ثم ردّها المهدي ابنه على ولد فاطمة عليها السلام، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى وليَّ المأمون، فردّها على الفاطميين.

قال أبو بكر الجوهري: حدّثني محمّد بن زكريا قال: حدّثني مهدي بن سابق، قال: جلس المأمون للمظالم، فأول رقعة وقعت في يده نظر فيها وبكى، وقال للذي على رأسه: (نادِ أين وكيل فاطمة؟ فقام شيخ عليه دُرّاعة وعمامة وخفّ ثغري، فتقدم فجعل يناظره في فدك والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجّل لهم بها، فكتب السجلَّ وقُرِىء عليه فأنفذه، فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التي أولها:

أصبح وجهُ الزمان قد ضحكا　　　بردِّ مأمونِ هاشمٍ فدكا

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام المتوكل، فأقطعها عبد اللَّه بن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول اللَّه صلى الله عليه وآله بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحُجّاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل...).

خامساً: إن أبا بكر طلب من الصدّيقة الزهراء عليها السلام البيّنة فجاءته بها وقد ردّها، مع أن البيّنة إنما تُراد ليغلب في الظن صدق المدِّعي، ألا ترى إنّ العدالة معتبرة في الشهادات لكونها مؤثرة في غلبة الظن، ولهذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة، لأن علمه أقوى من الشهادة، ولهذا كان الإقرار أقوى من البيّنة من حيث كان أبلغ في تأثير غلبة الظن، وإذا قدَّم الإقرار على الشهادة لقوة الظن عنده فأولى أن يقدّم العلم على الجميع، وإذا لم يحتج مع الإقرار إلى شهادة لسقوط حكم

الضعيف مع القوي، فلا يحتاج أيضاً مع العلم إلى ما يؤثر الظن من البيّنات والشهادات.

ويدل على صحة ذلك ما شهده خزيمة بن ثابت على بيع جرى بين رسول اللّهﷺ وأعرابي، مع أن خزيمة لم يكن حاضراً حال البيع، ولكنه شهد على صدق النبيّ ﷺ من حيث كونه نبياً مرسلاً ومعصوماً مسدداً، فجعل النبيُّﷺ شهادته بمثابة شهادتين، فسمي خزيمة بذي الشهادتين، وهذه قصة مشهورة مشابهة لقضية مولاتنا الزهراءعليها السلام، فإذا كانت شهادة خزيمة بمثابة شهادتين بسبب يقين النبيّ الأعظمﷺ بصدق خزيمة وطهارته عن الكذب، وبسبب علم خزيمة بأن النبيَّ الأعظمﷺ لا يقول إلاّ حقاً لمكان عصمته وطهارته ولم يدفعه عن الشهادة من حيث لم يحضر ابتياعه للسبب الذي أشرنا إليه وهو صدق خزيمة بنظر النبي الأكرمﷺ، كذا شهادة مولاتنا الصدّيقة الكبرى الزهراءعليها السلام عليها بطريق أولى، حيث كان يجب على مَنْ علم أن السيِّدة فاطمةعليها السلام لا تقول إلاّ حقاً، ألاّ يستظهر عليها بطلب شهادة أو بيّنة، ولكن يظهر من أبي بكر بأنه لم يكن معتقداً بصدقها فبادر إلى تكذيبها عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

سادساً: كيف يجوز أن يكون الخبر المزعوم صحيحاً وأزواج النبيِّﷺ لا يعلمن ذلك، حتى وكّلوا عثمان بن عفان في المطالبة بحقوقهنّ، ولا يعرف العبّاس حسبما جاء في بعض النصوص حتى تنازع مع أمير المؤمنينعليه السلام في الميراث، وكل ذلك يدل على بطلان الخبر.

ومن كان له شيطان يعتريه كما صرّح هو بذلك ورواه عامة المؤرّخين فإن استقام أعانوه وإن زاغ قوّموه، كيف يؤمن عليه من تلفيق الأحاديث على رسول اللّهﷺ القائل بما معناه: « **كثر عليّ الكذّابون، ألا فمن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار** ».

وفي الختام أقول: إن مولاتنا الصدّيقة الطاهرة فاطمةعليها السلام بنت رسول اللّهﷺ لم تسلم من بعض صحابة أبيها، فلاقت منهم الظلم والاستبداد، وما يؤسفنا أن اتباع

السلف نمّقوا لهؤلاء الصحابة أفعالهم، بحجة أنّ الصحابة لا يخطئون، وكأنَّ الصحبةَ ملازمةٌ للعصمة، فسبحان الذي وهب العقول، ولكنّ أصحابها لا يعقلون!!

فعلى الأتباع سلوك طريق الحق المتمثّل بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « **أنت مني وأنا منك** »، ولا يكون كمن يجمع بين الأضداد، فيصدق عليهم قول الشاعر:

أهـوى عليـاً أمـيرَ المـؤمنين ولا	أرضى بشتم أبي بكر ولا عُمرا
ولا أقـولُ وإن لم يُعطيـا فـدكاً	بنـت الـنبي ولا ميراثهـا: كفـرا
اللّـه يعلـم مـاذا يحضُـران بـه	يومَ القيامة من عذر إذا اعتذرا[1]

مضافاً إلى كلّ ذلك، فإنّ ما يدلّ أيضاً على بطلان هذا الحديث المزعوم أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان باب مدينة العلم، وعنه أخذ الناسُ التفسيرَ والفرائضَ التي هي نصف العلم، وكذا أخذوا عن تلميذه عبد الله بن عباس، وقد قال عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: « **أقضاكم عليٌّ** »[2].

ونُقِلَ أنّ الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي - وهو من علماء العامّة - روى حديثاً عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ، قال: هم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلاّ كرامةً لأمير المؤمنين عليه السلام.

ونُقِلَ عن سفيان الثوري رواه عن السدي، وقد ورد من طرق متعددة: « **إنّه مع**

---

(١) راجع للمزيد من التفصيل والفائدة كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج١ ص٢٩٨ - ٣٠٩، الطّعن العاشر من مطاعن عمر.

(٢) راجع (كشف الخفاء) ج١ ص١٨٤، (فتح الباري) ج١٠ ص٥٩٠، (الرياض النضرة)ج٢ ص١٩٨، (الطبقات) ابن سعد ج٢ ص٣٣٨.

الحقّ والحقّ معه »[1]، وفي لفظٍ آخر: « **عليٌّ مع القرآن** »[2].

فكيف يعقل صحة حديث أبي بكر المزعوم الذي ادّعوا أنّه مخَصّص لآيات الإرث العامّة، وقرينةً على إرادة المجاز في مواريث الأنبياء؟ في حين أنّ أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام لم يطلع عليه، وهل يصحّ في حكمة الله أنْ يكون الإمام عليّعليه السلام يدور الحقّ معه حيثما دار ثمّ لا يطّلع على هذا الحديث من رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهل يصحّ أنْ يهتدي إليه أبو بكر ولا يهتدي إليه سيد الموحدين ووصي رسول ربّ العالمين؟!!

وكيف يجوّز مسلمٌ لنفسه أنْ يتصوّر بأنّ النبيَّ الأعظمصلى الله عليه وآله مات ولا يُعرِّف ابنته سيدةَ نساء العالمين فاطمة الزهراءعليها السلام أنّه لا حَقَّ لها في إرثه، ولم يُعْلِمْ أميرَ المؤمنين عليه السلام بذلك حتى لا تطلب الإرث ولا تتصرف في شيء ظفرت به من مال النبيصلى الله عليه وآله ولا يوافقها أميرُ المؤمنين عليّعليه السلام كلّ ما تريده من ذلك؟!!! ومن كانت بضعة من أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله لا يخفى عليها مسألة مهمة في الميراث فضلاً عن أنها سيدة نساء العالمين التي يُفرض أن تكون عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة..! فدعوى أنها لم تكن عارفة بقضايا الميراث لا يقولها إلا كلّ زنديق ناصبيّ حقود على من كانت بالنسبة لأبيها كالأم بالنسبة إلى ولدها وكانت المهجة لكبده وثمرة فؤاده وروحه التي بين جنبيه..!.

وهل يصحّ القول بوجوب الوصية على آحاد الناس في أدنى حق من الحقوق، وإذا تركها يكون ملوماً مؤآخَذاً، ويُقال: إنّ النبيّ ترك ما هو حقٌّ لأرباب الصدقة وليس لورثته منه شيء، وقد قرأ عليهم آيات الإرث في كتاب الله وظاهرها العموم، ولم يوصِ إليهم بما يدلّهم على موضع هذا الحق وعلى طريق صرفه، بل تركهم على عمى وضلالة حتى ادّعوا الإرث باطلاً واستمرّوا عليه وخَلَفَهُم المسلمون على تخطئة أبي بكر فيما رواه وكانوا مخطئين في ذلك؟!! وأيّ مسلم يقرُّ بكلمة الشهادة

---

(١) راجع (مجمع الزوائد) ج٧ ص٢٣٥٦، (كنز العمال) ج١١ ص٦٢١ح٣٣٠١٨، (المعجم الوسيط) للطبراني ج٥ ص٤٥٥ ح٤٨٧٧، (المستدرك على الصحيحين) ج٣ ص١٢٤.

(٢) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٦٠٣ح٣٢٩١٢.

ويدين بنبوّة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله تسكن نفسه إلى تجويز هذا الأمر؟

وأين قوله صلى الله عليه وآله: « **إني تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي** »(1).

فالكتاب والعترة يخالفان ابنَ أبي قحافة؛ فأيُّ الفريقَيْن أحقُّ بالصدق؟ وكيف يكون إذهاب الرجس والتطهير من الأدناس مع تجويز ذلك؟ نعوذ بالله من الإلحاد في الدِّين والعدول عن سنن الهدى المستبين.

ومما يدلّ على بطلان الحديث المزعوم أيضاً: أنّ أبا بكر عمل بخلاف ما روى! فقد رُوي أنّ أبا بكر حكم لأمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب في بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه وعمامته، ولو كانت صدقةً لَمَا حَلَّتْ لهما، ولوجب أنْ ينْزَعَها منه ويصرفها في مصرفها!!! كما روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين أنّه بعد مَنْع أبي بكر مولاتنا فاطمة عليها السلام إرثها، ودفع عمر صدقة النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة إلى الإمام عليّ عليه السلام ثم قال عمر للإمام عليّ عليه السلام: (وأما خيبر وفدك هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى مَن يتولى الأمر).

فلو كان الحديث المزعوم الذي رواه أبو بكر حقاً له لم يجز لعمر بن الخطّاب أنْ يدفع لأمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، بل ولا أنْ يُخَلّي بينهما، بل كان يجب انتزاعه وصرفه في مصرفه، وأيُّ فَرْقٍ بين خيبر وصدقة المدينة؟ فقد كان يجب دفع الجميع أو منع الجميع.

وعلى هذا فيلزم أنْ يكون أهل البيت عليهم السلام آكلين ذلك بالباطل - وحاشاهم - فيُفْرَض على بقيّة الصحابة أنْ ينهوهم عن أكل الباطل، وبما أنّ أهل البيت عليهم السلام لم يأكلوا حراماً لنَزَاهتهم وقداستهم، ثبت أنّ المعارضين لهم هم الآكلون بالباطل لاعتراض أهل البيت عليهم السلام له ولصاحبه عمر، فإنّ مَن دارَ الحقُّ معه حيثما دار يكون اعتراضه بمثابة اعتراض جميع الأمّة، بل اعتراضه عليه السلام هو اعتراضُ الله لأولئكَ

(1) راجع (الطبقات) ج٢ ص١٩٤، (مسند أحمد) ج٣ ص١٧، (كنز العمال) ج١ ص١٨٥ ح٩٤٣.

الظالمين المارقين.

بهذا يتضح أنّ أبا بكر وعمر قد اقترفا إثماً عظيماً وكفراً مبيناً عندما اعتديا على سيّد الوصيين وزوجته سيدة نساء العالمين عليها السلام، مضافاً لتغييرهما أحكام الله تعالى، فكلّ ذلك من أعظم أنواع الظلم والأذى، إذ قد تضمّن مع أخذ المال، تخطئة أهل البيت عليهم السلام في دعواهم، والتكذيب لقولهم صلوات الله عليهم، وهو كفر صريح لعن الله تعالى ظالميهم بعدد نسمات الهواء وقطر السماء وحبات الرمال وعدد النجوم وتسبيح المسبحين وأنفاس الخلائق أجمعين.

طلب أبي بكر البيّنة من سيدة النساء عليها السلام:

لمّا تظاهرا - أي أبو بكر وعمر - على سيدة النساء عليها السلام في منع الإرث جميعاً طلبت أرضَ فدك التي نحلها رسولُ الله صلى الله عليه وآله لإبنته سيدة النساء فاطمة البتول عليها السلام فطالبها أبو بكر وعمر - لعنهما الله - بالبينة على مدَّعاها، ولم يعترفا بعصمتها عليها السلام بمقتضى آيات الكتاب والسُّنَّة الدالَّيْن على استحالة صدور الكذب منها، فأَتَتْ بالإمام أمير المؤمنين عليّ وولديها الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام وأمّ أيمن شهوداً، فلم يقبلا بهم، وطَعَنَ في شهادة الإمام أمير المؤمنين عليّ والحسنين عليهم السلام بأنهم يجرون إلى أنفسهم، وهو من عظيم الافتراء على أهل بيت النبوة والرسالة والولاية، وذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: إنّ شهادة الزوج ليس فيها جرّ إلى نفسه وكذا شهادة الولد، إذ لا ملازَمَة بين شهادة الزوج والولد وبين الجرّ إلى النفس، وإلاّ فإنّ ذلك يسري أيضاً على أبي بكر حيث كان يجرُّ عمر إليه لأنه صاحبه، وكذا عائشة تجرُّ إلى أبيها حينما تفردت برواية حديث: (إنّا معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه، فهو صدقة).

الأمر الثاني: إنّ مولاتنا الطاهرة فاطمة البتول عليها السلام معصومةٌ، فقولها يفيد اليقين لكونها معصومةً بنصّ الكتاب الكريم، فلا يجوز مطالبتها بالبيّنة على دعواها؛ فكيف مع شهادة الإمام عليّ والإمامين الحسنين عليهم السلام وهم صلوات الله عليهم معصومون بنصِّ الكتاب والسُّنَّةِ الشريفة أيضاً.

إنْ قيل: إنّ طلب أبي بكر البيِّنة من السيِّدة الطاهرة الزهراءعليها السلام لاحتمال عدم موافقتها للواقع.

وبمعنى آخر: إنّ أبا بكر إتّهمها بالتزوير والتلفيق والتكذيب، فَطَلَبُ البيِّنةِ لصَرْفِ احتمال عدم موافقة الواقع.

قلنا: لا يجوز لأبي بكر ولا غيره أنْ يتهموا سيِّدة النساء الزهراء البتول سلام الله عليها بمخالفة الواقع أو الكذب، كيف..؟! وقد طَهَّرَها عزّ وجلّ بمحكم آياته كآية التطهير وسورة الدهر، وأشار رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى طهارتها بألفاظٍ متعدِّدة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **فاطمة بضعة منِّي، مَن آذاها فقد آذاني..** »، « **فاطمة ثمرة فؤادي ومهجة كبدي** »، و« **فاطمة يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها** »..[1].

إلى غير ذلك من التصاريح الواضحة الدالة على عصمتها وقداستها وطهارتها وكيف يجوز عقلاً وشرعاً أنْ تتطرّق التهمة إلى سيدة النساءعليها السلام بإجماع المسلمين، أو تتطرق التهمة أيضاً إلى سيد الموحِّدِين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليهما السلام الذي هو باب مدينة العلم، ولا يفارقُ الكتابَ طرفة عينٍ أبداً، ويدور الحقُّ معهعليه السلام كيفما دار!!!

إنْ قيل: لا ريب أنّ الصدِّيقة الطاهرةعليها السلام وأميرَ المؤمنينعليه السلام عالمان بالقطع واليقين بأنّ أبا بكر سيكذّبهما بدعواهما لحقّهما، فلِمَ أقدَماعليهما السلام على ما أقدَمَا عليه؟ مضافاً لذلك لِمَ شهد الإمامُ عليّ وولداه الإمامان الحسنانعليهم السلام على الشهادة وهو يعلم أنّ شهادتهم غير مقبولة شرعاً، ويعلم أنها ستُردُّ عليه؟!

قلنا: إنّ إقدامهما على دعواهما لإثبات حقهما ظاهراً وواقعاً، وإلاّ فإنّ سكوتهما سيكون مبرِّراً لأبي بكر وعمر في اغتصابهما لحقّ أهل البيتعليهم السلام، وليكون الاحتجاج على المغتصبين آكد للحجة عليهما وعلى المسلمين الساكتين والمداهنين على الحق.

(١) وحديث الثقلين: « **إني تارك فيكم الثقلين...** »، والسيِّدة فاطمةعليها السلام من أهل البيتعليهم السلام.

إعتذار أقبح من ذَنْب!!!

إعتذر المخالفون المبتدعون عن طلب أبي بكر البيِّنة من الصديِّقة الطاهرةعليها السلام؛ لأنّ السنَّة المطهرة دَلَّتْ بعمومها على اعتبار البيّنة من كل مُدَّعٍ في ثبوت دعواه، فتستوي في ذلك السيِّدة فاطمةعليها السلام وغيرها، وكذ يعتبر في بيّنتها ما يعتبر في غيرها من البينات.

ويكفي في دفع هذا التصور الآثم أنّ أبا بكر وكلَّ المسلمين يعلمون صدقَ أمير المؤمنين عليّعليه السلام والسيِّدة الزهراءعليها السلام وولديهماعليهما السلام، كيف لا!! وقد ذكر القرآن طهارتهم في آياتٍ تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، فكيف يتجاهل أبو بكر كلّ ذلك ويتهم مَن دار الحق معه حيثما دار؟!!!!

مضافاً إلى أنّ من الضروريات أو البديهيات في دِين النبيصلى الله عليه وآله أنّ للحاكم أنْ يحكم بعلمه، فإنّ العلم أقوى من شهادة العدلين التي إنما تفيد الظن، ولا ريب أنّ قول المعصومعليه السلام بنصّ القرآن والسنة المطهرة المتواترة مقطوعٌ بصدقه وأحقيته عند مَن صَدَّقَ بالكتاب والسنة وأقرّ بنبوّة الصادع بها وبعصمته، وحيث إنّ تلك الزمرة الغاصبة لا تعتقد بعصمة النبيصلى الله عليه وآله فكيف تعتقد بعصمة إبنته السيِّدة المعظمة فاطمة عليها السلام وابن عمه أمير المؤمنين عليّعليه السلام؟!! مَن قال عن النبيصلى الله عليه وآله أنه يهجر وأنه ساحر كيف لا يتهم أميرَ المؤمنينعليه السلام بالكذب ومخالفة الواقع؟!!

وبالجملة: فلا يجوز لأيّ مسلم أنْ يردَّ قولَ الإمام عليّعليه السلام ولا يتردَّد في قبوله، كما لا يجوز أنْ يتوقّف في قبول قول النبيصلى الله عليه وآله وتصديق دعواه، وأيّ بيّنة أقوى من كتاب الله وسُنّة رسولهصلى الله عليه وآله؟ والعجب العجاب الذي تتبعه الحسرات والزفرات أنهما صدّقا الأزواج في ادّعاء الحجرة لهنّ بغير بيِّنَة ولم يصدِّقا سيّدة النساء أرواحنا فداها التي كان النبيّصلى الله عليه وآله يقبِّل يدَها ويقوم من مجلسه احتراماً وتعظيماً لشخصها الكريم ونزل فيها قرآنٌ يمجِّدها ويرفع من شأنها، ومع كلّ ذلك تُكَذَّب وتُتَّهَمعليها السلام بالكذب والتلفيق؟!!وامحمّداه...واعلياه...!.

دعوى مخالِفة للقرآن الكريم

إدّعى المخالفون على صحّة قبول دعوى نساء النبيصلى الله عليه وآله بملكية الحجرة دون السيِّدة

الزهراء عليها السلام بسبب إمكان العلم بصدقهنَّ.

نقول: أين الإنصاف عند هؤلاء حيث يجوِّزون العِلْمَ بصدق الأزواج في دعواهُنَّ وينفونه عمّن شهد اللهُ بطهارتهم والرسول بعصمتهم ونطق القرآن بعلوّ منْزِلَتهم!!! ولكن لا حيلةَ فيمن يتكلّم بهواه ويتيه في بيداء ضلالته وعماه.

قال المحقق الكركي - أعلى الله مقامه -: « **واعلم أنّ ما وقع من أبي بكر وعمر في ردّ دعوى فاطمة عليها السلام وشهادة عليّ والحسن والحسين عليهم السلام دَلَّ على كفرهما، وأنهما لم ينظرا إلى شهادة الله ورسوله بصدقهم وعلمهم وتنْزِيههم عن النقائص والجهل بشيء من علوم الشرع** ».

فإنْ قيل: يحتمل أنْ لا يكونا سمعا ما ورد في حقّهم من الله ورسوله فلا يكون الرّدُّ كفراً.

قلنا: هذا الاحتمال بديهيّ البطلان، وصريح العقل قاضٍ بنفيه، وكيف يبلغ أهلَ عصرنا مِثلُ هذا الأمر الظاهر الجلي الذي قد اتفق جميع المسلمين على مضمونه واشتركوا في نقل مدلوله، فإنّه ما من مَحدِّثٍ ولا مُفَسِّرٍ ولا مؤرِّخٍ إلاّ وقد روى ما يوافق ذلك، وإنْ اختلفوا في خصوصيات بعضِ الأخبار، أو طعن بعضِ أهل العناد في بعضها، فإنّ القدر المشترك يكون متواتراً مقطوعاً به، ومع ذلك يخفى على أبي بكر وعمر بحيث لم يسمعاه ولم يعلماه؟ وكيف اختصّ أبو بكر بسماع ما لم يسمعه غيرُه من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يورّث، وخفي عليه ما سمعه جميع الصحابة وتناقله جميع أهل الأعصار؟! وكيف تفطن إلى أنّ للحاكم أنْ يحكم بعلمه فصدّق الأزواج في دعواهُنّ، وغفل عن حقّ آل النبي وعترته عليهم السلام، وخاصته وشهود نبوته؟![1].

ولو احتُمِلَ في حقّ أبي بكر وعمر الجهل أو الغفلة ولم يكن على وجه العناد والعصبيّة لكان بعضُ خلصاء أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار ونحوهم نبهوهما عن غفلتهما وجهالتهما وينقلون إليهما ما سمعوه من النبي

---

(١) راجع (نفحات اللاهوت) ص٨١.

صلى الله عليه وآله في حقّ أهل البيت عليهم السلام، ولا يرتاب أحدٌ في تعنت الرجلين في قبول دعوى السيِّدة الزهراء عليها السلام واستقصائهما في الشهادة استقصاء مدافعة عن قبولها، وما أبدياه من الحيل في ذلك، والتفرُّد بنقل الحديث المقتضي لردّ دعوى الإرث.

ويزيد ذلك إيضاحاً أنّ ما ادّعته السيِّدة فاطمة عليها السلام بالإرث والنِّحلة لم يكن تحت يد أبي بكر ولا في تصرُّفه، ولا أنه استلم أمراً من رسول الله صلى الله عليه وآله بوصيّةٍ خاصةٍ أنْ يصرف ذلك المال المدَّعى به في الصدقات، وإنما كان ذلك الحال خارجاً عن تصرفه، فكان من الواجب عليه - على تقدير صحّة ما رواه - وعدم علمه بعصمتها وعصمة شهودها، وعدم إطلاعه على حقيقة دعواها أن يعرّفها ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله، فإنْ قَبِلَتْ وإلاّ ترك منازعتها ومماكستها، إذ لانقصان في دِينه لمن خلّى بين مجتهدٍ ومسألة فرعيّة يعمل فيها باجتهاده مستنداً إلى دلائل مستقاة من ظاهر الكتاب، وقد وافقه الصحابة على ذلك الاجتهاد فإنّه لا يجب على إمام المسلمين بزعمهم أنْ يحمل الخلق جميعاً على اجتهاده ويمنع غيره من العمل بما اجتهد فيه. وكيف لا يساوي سيدة النساء عليها السلام في دعواها ولا يؤوِّل لها اجتهادها، بخالد بن الوليد الذي اجتهد فأخطأ بحسب ما جاء عن أبي بكر مدافعاً عن جرائم خالد.

ولو أمكن التأويل لأبي بكر وعمر فيما صنعاه بأهل البيت حذراً من لزوم كفرهما بردّ صريحِ الكتاب وقول النبيّ صلى الله عليه وآله بعدم العلم وجواز الغفلة، لأمكَنَ التأويل لقاتل الإمام الحسين عليه السلام، ولقاتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، بل مَنْ تكلّم بكلمة الكفر لا يُحْكَم بكفره؛ لإمكان غفلته عمّا هو خلاف الدِّين!! ولكان منكر وجوب الصلاة إذا ادّعى عدم الإطّلاع على وجوبها تُقبل دعواه ولو كان ممن نشأ بين المسلمين!!! ولكان ذلك عذراً لكلّ مَن فعل ما يوجب حدّاً وتعزيراً وهو ضروري البطلان.

عَوْدٌ على بدء:

لمّا رأتْ سيدتنا الطاهرة الزكية عليها السلام فعلهما وشدّة عنادهما في التظاهر عليها، غضبَتْ عليهما وحلفت أنْ لا تكلّمهما، فلم يحفلا بها ولم يُكْلَمْ قلباهما لألمها، بل

أعرضا عنها بقلوبٍ هي أقسى من الحديد وأصلبّ من الصمّ الجلاميد.

فبُعداً لتلك القلوب وبئساً لتلك الوجوه، وقبحاً لتلك الأفعال، فعليهم من الله لعنات لا انحصار لعددها ولا انقضاء لأمدها.

ولقد نقل الثقة الجليل عليّ بن عيسى الإربلي[1] خطبة للصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام وقال: إنّ الخطبة أوردها الموالف والمخالف، وأنّه نقلها من كتاب (السقيفة) عن عمر بن شبه تأليف أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وقد تضمَّنَتْ هذه الخطبة الإيماء إلى كفرهما وكفر أتباعهما، والإشارة إلى تظاهرهما عليها عليها السلام وعلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كما هو معلوم... وها نحن نؤرخها للتاريخ ليشهد مدى الظلم الذي ألحقاه بها صلوات الله عليها، قال عمر بن شبه: إن [سيدة النساء] فاطمة عليها السلام لما بلغها إجماع أبي بكر على منعها - فدكاً - لاثت خمارها وأقبلت في لميمة من حدفتها ونساء قومها، تجر أدراعها تطأ في ذيولها، ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر، وقد حشد المهاجرين والأنصار، فضرب بينهم بريطه بيضاد - وقيل قبطية - فأنت أنت أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم.

ثم قالت عليها السلام: « **ابتدئ بحمد من هو أولى بالحمد، والطول والمجد، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن أولاها جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن المجازاة مزيدها، وتفاوت عن الادراك أبدها واستتب الشكر بفضائلها واسحذى الخلق بإنزالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وأمر بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها وأبان في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام الإحاطة به أبدع الأشياء لا من شئ كان**

---

(١) راجع (كشف الغمّة) ج٢ ص١٠٦.

قبله، وأنشأها بلا احتذاء مثله وسماها بغير فائدة زادته إلا إظهارا لقدرته، وتعبدا لبريته وإعزازا لأهل دعوته، ثم جعل الثواب لأهل طاعته ووضع العذاب على أهل معصيته، زيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته، وأشهد أن أبي محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن يجتباه، واصطفاه قبل أن يبتعثه، وسماه قبل أن يستجيبه إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهايل مضمونة وبنهايا العدم مقرونة علما منه بمايل الأمور وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة منه بمواقع المقدور، وابتعثه إتماما لعلمه وعزيمته على إمضاء حكمه، وإنفاذ المقادير حقه فرأىﷺ الأمم فرقا في أديانها، وعابدة لأوثانها، عكفا على نيرانها منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبيﷺ ظلمها، وفرج عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار عممها، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار رغبة محمدﷺ عن تعب هذه الدار، موضوعا عنه أعباء الأوزار، محفوفا بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، وجوار الملك الجبار، فصلى الله عليه، أمينه على الوحي وخيرته من الخلق، ورضيه‌عليه السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم قالتعليها السلام: **وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة كتاب الله ووحيه، أمناء الله على أنفسكم وبلغاءه إلى الأمم حولكم. لله فيكم عهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم كتاب الله بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره. وبرهان فينا متجلية ظواهره، مديما للبرية استماعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، ومؤديا إلى النجاة أشياعه فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومواعظه المكرورة، ومحارمه المحذورة، وأحكامه الكافية، وبيناته الجالية، وجمله الكافية، وشرائعه المكتوبة، ورخصه الموهوبة، ففرض الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم من الكبر، والزكاة تزييدا لكم في الرزق، والصيام تبيينا إمامتنا، والحج تسنية للدين والعدل تنسكا للقلوب وطاعنا نظاما للملة، وإمامتنا لما للفرقة، والجهاد عن الإسلام، والصبر مؤنة للاستجاب، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والبر بالوالدين وقاية من السخطة، وصلة**

الأرحام منسأة للعمر ومنماة للعدد، والقصاص حقنا للدماء والوفاء بالنذور تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييرا للبخسة، واجتناب قذف المحصنات حجابا من اللعنة، والاجتناب عن شرب الخمور تنزيها من الرجس، ومجانبة السرقة إيجابا للعفة، والتنزه عن أكل أموال الأيتام والاستيثار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناسا للرعية، والتبري من الشرك إخلاصا للربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به فإنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت عليها السلام: **أنا فاطمة بنت محمد أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا إلي بأسماع واعية وقلوب راعية،** ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، **فإن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم وآخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ الرسالة صادعا بالرسالة ناكبا عن سنن مدرجة المشركين، ضاربا لثجهم آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. يجز الأصنام، وينكت الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محصنه، ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين، وفهتم بكلمة الاخلاص مع النفر البيض الخماص (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها مقذفة الشارب ولهزة الطامع، دقبة العجلان، وموطأة الأقدام، تشربون الطراق وتقتاتون القد، أذلة خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بنبيه صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن منى بهم الرجال وذؤبان العرب كلما حشوا نارا للحرب أطفأها الله، ونجم قرن الضلالة ونفر فاغر من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا دؤبا في ذات الله، وأنتم في رفهينة ورفغينة وادعون آمنون تتوكفون الأخبار وتنكصون عن النزال، فلما**

اختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه وأتم عليه ما وعده، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الإسلام فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فينق الكفر، يخطر في عرصاتكم، فأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، واستنهضكم فوجدكم خفافا، واحمشكم فوجدكم غضابا، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل فوسمتم غير إبلكم، وأوردتموها شربا ليس لكم، والرسول لما يقبر بدار، أزعمتم خوف الفتنة ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، **فهيهات منم وكيف بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله جل وعز بين أظهركم قائمة فرائضه واضحة دلائله، نيرة شرايعه، زواجره واضحة، وأوامره لايحة، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. **هذا ثم لم تبرحوا رثيا – وقال بعضهم: هذا ولم يرشوا أختها الأريث – أن تسكن نفرتها وميلس قيادها، ثم أخذتم توردن وقدتها، تتهيجون جمرتها، تشربون حسوا في ارتغاء وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل جزى المدى – ووخز السنان في الحشاء ثم أنتم أولاء تزعمون أن لا أرث لي، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، يقول الله جل ثناؤه:** ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ... ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ، **اختص من خبر يحيى وزكريا إذ قال** ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، **وقال تبارك وتعالى:** ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ... ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، **فزعمتم أن لاحظ لي ولا إرث لي من أبيه. أفحكم الله بآية أخرج أبي منها، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي ﷺ؟** ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ. **أيها معاشر المسلمة أو أبتز ارثيه، أألله أن ترث أباك ولا أرث أبيه،** ﴿ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، **فدونكها مرحولة**

محظومة مزمومة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون وما توعدون، ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ.

ثم التفتت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله متمثلة بقول هند ابنة أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة	**لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب**
إنا فقدناك فقد الأرض وإبلها	**واختل قومك لما غبت وانقلبوا**
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم	**لما قضيت وحالت دونك الترب**

وزاد في بعض الروايات هنا:

ضاقت علي بلادي بعد ما رحبت	**وسيم سبطاك خسفا فيه لي نصب**
فليت قبلك كان الموت صادفنا	**قوم تمنوا فأعطوا كلما طلبوا**
تجهمتنا رجال واستخف بنا	**مذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب**

قال: فما رأيت باكية وباك منه يومئذ، ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت:

يا معشر البقية، ويا عماد الملة، وحصنة الإسلام، ما هذه الفترة في حقي والسنة عن ظلماتي؟ أما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم عجلان ذا أهالة، أتزعمون مات رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب جليل استوسع وهنه، واستهتر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض له، واتأبت لخيرة لله، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال وأضيع الحريم، وارملت الحرمة، فتلك نازلة أعلن بها في كتاب الله في قبلتكم - أفنيتكم - ممساكم ومصبحكم هتافا هتافا، ولقبله ما حلت بأنبياء الله ورسله، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

أيهاً بني قبلة أهضم تراث أبيه، وأنتم بمرأى وبمسمع، تكبسكم الدعوة، ويشملكم الخبرة وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم الأولى نخبة

الله التي انتخبت، وخيرته التي اختارت لنا أهل البيت، فباديتم العرب وبادهتم الأمور، وكافحتم إليهم، لا نبرح وتبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى دارت لكم بنا رحى الإسلام، ودر حلب البلاد، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهدت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام عن قوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم. وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ سُورَةُ التَّوۡبَةِ.

ألا وقد أرى والله قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة فمحجتم الذي أوعيتم ولفظتم الذي سوغتم، فـ﴿ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ ﴾ سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ.

ألا وقد قلت الذي قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين، ولكنه فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثة الصدر، ومعذرة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر، ناقبة الخف باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بـ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ ﴾ سُورَةُ الهُمَزَةِ، **فبعين الله ما تفعلون،** ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، **وأنا بنت نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعلموا إنا عاملون وانتظروا إنَّا منتظرون** ». إنتهى كلامها صلوات الله عليها ولعن الله من ظلمها وغصب حقها وكذّبها.

فلمّا حضرَتْهاعليها السلام الوفاةُ أوصتْ أميرَ المؤمنينعليه السلام أنْ لا يُعْلِمْهُمَا بموتها، وأنْ يدفنها ليلاً، كي لا يعلَمَا بها فيحضرا دفنها، ولَقِيت اللهَ شاكيةً عليهما، متظلمة من قبيح فعلهما.

الخلاصة: فقد ثبت بما تقدّم وتقرّر أنهما آذيا السيِّدة المعظمة فاطمةعليها السلام، وكذا كلّ مَن شايعهما، فهذا أحد الأمرين في بيان الصغرى المنطقية المتقدمة.

الأمر الثاني: في بيان الصغرى الدالة على أذيتهما للسيدة الزهراء عليها السلام:

فقد روى نقلة الأخبار ومدوِّنو التاريخ أنّ عمر لمّا بايع صاحبه وتخلَّفَ أميرُ المؤمنين عليّ عليه السلام، جاء عمر إلى بيت مولاتنا فاطمة عليها السلام لإجبار الإمام عليّ عليه السلام على البيعة، وتكلّم بكلماتٍ غليظةٍ، وأمر بالحطب ليحرق دارها على مَنْ فيه، وقد كان فيه أمير المؤمنين وزوجته وابناه عليهم السلام، وممن انحاز إليهم الزبير وجماعة من بني هاشم، وممن نقل ذلك إبن قتيبة في (الإمامة والسياسة) والطبري والواقدي وابن جبير وابن عبد ربه في العقد الفريد.

وفي بعض المصادر: إنّ أبا بكر قال لعمر عند تخلُّف الإمام عليّ عليه السلام والعبّاس: إنْ أَبَيَا فقاتلهما!! فجاء عمر وبيده قَبَسٌ يريد تحريق البيت عليهم، فلقيته مولاتنا فاطمة عليها السلام فقالتْ له: « **يا ابن الخطاب: أجئتَ لتُحْرِقَ ديارنا؟** » قال: نعم[1].

وقد روي أنّ أبا بكر قال في مرضه: (ليتني تركتُ بيتَ فاطمة لم أكشفه)[2]؛ وهذا اعترافٌ صريحٌ منه بظُلمه لها عليها السلام.

ولا شبهة أنّ في ذلك من الإيذاء لها والاستهانة بقدرها والاستخفاف بشأنها، ما إذا عرضه العاقل على نفسه وتأمل فيه بحقيقة الإنصاف، وَجَدَهُ فِعْلَ من لا يعتقدُ حقَّها، ولا يرى للنبوّة حقاً، ولا للدِّين حرمة، ولا ينقاد إلى أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يبالي بإيذائه، ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى لهما بالأمر، ونصّ عليهما بالإمامة، لَمَا جاز لهما عقوبة المتنع من البيعة بالتحريق وإنْ كان من أدنى القوم وأصاغرهم، فكيف وهما إنما يدَّعيان الخلافة برأي الصحابة واتفاق الجماعة؟! وكلّهم سمعوا مكرراً قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴿٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ. وقوله صلى الله عليه وآله: « **إنّ كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض** »، وقوله صلى الله عليه وآله مكرراً: « **أذكركم الله في أهل بيتي** »، وقوله صلى الله عليه وآله: « **أنظُرُوا كيف**

(١) راجع أورد هذه العبارة بعينها ابنُ عبد ربه في (العقد الفريد) ج٥ ص١٣.

(٢) راجع (تاريخ الطبري) ج٢ ص٦١٩.

تخلفوني فيهما »[1].

تمّ بيان الأمرين من الصغرى المنطقية.

وأمّا الكبرى المنطقية: وهي أنّ كلّ مَن آذاها فهو ملعون.

فقد اتفق المسلمون على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: « **فاطمة بضعة منّي مَن أغضبها فقد أغضبني** »[2]، وروي أنّه صلى الله عليه وآله قال: « **يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاكِ** »[3]، فيكون إيذاؤها إيذاءاً له، وكلُّ مَن آذاه فهو ملعون بصريح قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ؛ وهو المطلوب.

الوجه الثاني: من وجوه الاستدلال بالآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

مفاده: إنّ المغتصبين للخلافة تظاهروا على إيذاء أمير المؤمنين وسيدة النساء عليهما السلام، وكلّ مَن آذاهما فقد آذى النبيّ صلى الله عليه وآله.

يتألف هذا الوجه أيضاً من صغرى وكبرى.

فالصغرى ظاهرة مما تقدَّم، فإنّ طلبهم له عليه السلام إلى البيعة الفاجرة التي قال عمر عنها: كانت بيعة أبي بكر فتنة (أو: فلتة) وقى اللهُ المسلمين شرَّها، فمَن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

وكذا تكلّمهم في حقّه عليه السلام بالكلام الغليظ، وتهديدهم إياه بالمحاربة وتحريق الدار وجمع الحطب عنده والإتيان بالقبس لأجل ذلك كما رواه نقلة الأخبار ورواة السِّيَر والآثار كالواقدي وابن عبد ربه وغيرهما من أبلغ أنواع الأذى، ولا يعتدُّ بإنكار

---

(١) راجع (كنز العمال) ج١ ص١٨٦ح٩٤٤، ورواه ابن حجر في (الصّواعق المحرقة) باب فضائل الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) راجع (صحيح البخاري) ج٥ ص٢٦، (كنز العمال) ج١٢ ص١٠٨ رقم٣٤٢٢٢ و١١٢ ح٣٤٢٤٤.

(٣) راجع (مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٥٤، (كنز العمال) ج١٢ ص١١١ ح٣٤٢٣٧.

المعاندين فإنهم يجحدون البديهيات، وجحودهم لها لا يُغَيِّر من جوهر الحقيقة أبداً.

وعلى تقدير عدم ثبوت ذلك، فإجباره عليه السلام إلى بيعةٍ امتنع منها ولم يجب عليه شرعاً الانقياد إليها، كافٍ في إيذاءه وإغضابه.

وأما بيان الكبرى: إنّ الله تعالى قد جعل أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

فالإمام عليّ عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله حسبما أفدنا سابقاً، فيكون إيذاءُ أحدهما إيذاءً للآخر.

ومما يدلّ على أنّ إيذاء الإمام عليّ عليه السلام هو إيذاء لرسول الله ما قاله صلى الله عليه وآله: « **أنتَ منِّي بمنْزِلَة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيَّ بعدي** »، والاستثناء يدلّ على ثبوت جميع تلك المنْزلة إلاّ ما استثناه الخبر، ولا يخفى على عاقلٍ أنّ إيذاءَ هارون كان إيذاءً لموسى عليه السلام.

ومما يدلّ أيضاً على ذلك قوله صلى الله عليه وآله: « **حربكَ حربي** »؛ فإنه كما يدلّ على أنّ حربه عليه السلام حرب النبي صلى الله عليه وآله صريحاً، يدلّ على أنّ إيذاءه عليه السلام إيذاءٌ للنبي صلى الله عليه وآله، وقد وقع كلا الأمران من أبي بكر وعمر في حقّه عليه السلام، لأنّ مَن قَصَدَ الحربَ فهو محاربٌ لا محالة، ومعلوم أنّ الإمام عليّاً عليه السلام لو حاربهم لحاربوه، فإنّ الحرب ليس أمراً زائداً على ما فعله عمر من إرادة تحريق البيت وكسر سيف الزبير بالحجر لتخلُّفِهِ عن البيعة مع الإمام عليّ عليه السلام.

وقد روى ثقة الإسلام الطبرسي بسند معنعن عن أبي القاسم الحسكاني عن عباد بن يعقوب قال: حدثنا أرطأة بن حبيب قال: حَدَّثَني أبو خالد الواسطي وهو آخذ بشعره قال: حدّثني زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وهو آخذ بشعره قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بشعره فقال: « **مَن آذى شعرةً منكَ فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى**

الله فعليه لعنة الله »[1].

وروى في (المشكاة) أنّ النبيّ ﷺ قال لعليٍّ أمير المؤمنين والسيِّدة فاطمة والإمامين الحسنين عليهم السلام : « **أنا حربٌ لمن حاربهم وسِلْمٌ لِمَن سالمهم** » رواه الترمذي.

الوجه الثالث: من وجوه الإستدلال بالآية :

إنّ الغاصبين آذوا كثيراً بعض الصحابة ، وإيذاء كلّ واحد من الصحابة بزعمهم إيذاء للنبي ﷺ ، وإيذاء النبي ﷺ موجب لاستحقاق اللعن.

أمّا الصغرى فظاهرة ، فإنّ طلب أسامة وأمثاله إلى بيعةٍ لم تجب ولم تثبت شرعاً ليكون رعيةً لهم ، ومحكوماً بحكمهم ، من أعظم أنواع الأذى ، وقد قال لهم أسامة : (قد كنتُ بالأمس أميراً عليكما ، فمَن أمَّرَكُما عَلَيَّ اليوم؟).

وكسر عمر سيفَ الزبير بضربه بالحجر لتخلُّفِهِ عن البيعة ، وأجبر العباسَ على البيعة ، وكذا أجبر الإمام عليّاً عليه السلام على البيعة ، وإجباره أذيَّة له ، وأذيته أذية لرسول الله ﷺ. وأيضاً ثبت أنّ عُمَرَاً قال للإمام عليّ عليه السلام : (إنّ فيكَ دعابة) معيِّباً عليه فيها ، فقد نسب إلى الأمير عليه السلام الدعابة ، في حين أجمع نَقَلَةُ الأخبار والآثار أنّه لم يكن بعد رسول الله ﷺ أزهد ولا أتقى ولا أخشع ولا أخوف من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.

ولو سَلَّمْنا بوجود دعابة في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ؛ إلاّ أنها لم تكن لتخرجه من الحق ، تماماً كما كان رسول الله ﷺ يمزح مع أصحابه ولا يقول إلاّ حقّاً.

كما وعاب عمر على كلِّ واحدٍ من أهل الشورى بعيبٍ، وأيُّ إيذاءٍ أشدّ من التنقيص والتّعييب لا سيّما أنّ أهل الشورى من الصحابة ، فهل يحقّ لعمر ما لا يحقّ لغيره من الصحابة؟!

وقد أورد عليّ بن عيسى في كتاب (كشف الغمّة) من الموفقيات[2] للزبير بن بكار

---

(١) راجع (نفحات اللاهوت) ص٨٦.

(٢) (الموفقيات) كتاب صنَّفَهُ الزبير بن بكار الموفق لأبي أحمد طلحة بن الناصر أخ المعتمد، وانحراف الزّبير بن بكّار الموفّق معلومٌ.

الزبيري – وهو من المشهورين بالانحراف عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام – عن بعض رجاله عن ابن عباس قال: (إني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة، إذ قال لي: يا بن عبّاس، ما أظنّ صاحبَكَ إلاّ مظلوماً!!، فقلتُ في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلتُ: يا أمير المؤمنين فارددْ ظلامته؟ فانتزع يده من يدي ومضى وهو يُهَمْهِم ساعةً، ثم وقف فلحقتُه، فقال: يا بن عبّاس ما أظنهم منعهم منه إلاّ استصغروه، فقلتُ في نفسي: هذه والله شرٌّ من الأُولى!! فقلتُ: والله ما استصغره الله حين أمره أنْ يأخذ سورة براءة من صاحبك، قال: فأعرَضَ عَنِّي.

ولو كان عمر يؤمن بالله ويخاف منه لَمَا تجرّأ، وقال: (إنهم استصغروه)، وهل الذين استصغروه هم خارج لعبة الشورى أو السقيفة أم غيرهم من مشركي الجزيرة العربية؟ كلّ الأدلّة القطعيّة تشير إلى أنّ الذين استصغروه هم أهل السقيفة وبالذات عمر بن الخطاب وأبي بكر.

وقد وقع من عثمان بن عفان إيذاءٌ لبعض الصحابة أمثال أبي ذر الغفارب وعمّار وعبد الله بن مسعود ما يُغني عن التسطير.

وأمّا الكبرى، فقد رووا بزعمهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: « **الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي** »، إلى أنْ قال صلى الله عليه وآله: « **مَن آذاهم فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله** »[1]، فيجب أنْ يكون هذا الفعل منهم مُوجِباً لاستحقاق اللعن وهو المطلوب، مع أنّ في حديث الزبير زيادةٌ وهي اعتراف عمر بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام مظلومٌ في العدول بالأمر عنه، وذلك إقرارٌ على نفسه بالظلم.

الوجه الرابع: ومن وجوه الاستدلال بالآية:

فقد روى الحميدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ...٥٣ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، قال السدّي: لمّا توفي أبو سلمة وحصين بن حذافة وتزوّج النبيّ صلى الله عليه وآله امرأتيهما أمّ سلمة وحفصة، قال طلحة وعثمان: أينكح محمّدُ نساءَنا إذا

(١) راجع (مسند أحمد) ج٥ ص٥٤.

متنا ولا ننكح نساءَه إذا مات؟! والله لو قد مات لقد أجلنا على نسائه بالسهام! وكان طلحة يريد عائشة وعثمان يريد أمّ سلمة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ... ﴿٥٣﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وأنزل: ﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وأنزل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وهذا صريح في أنّ عثمان مقصودٌ باللعن في هذه الآية، فهذا ما ينكرونه من اللعن الذي نطق به كتابُ الله تعالى.

وقد روى السدّي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، إنّ الآية نَزلَتْ في عثمان بن عفان، قال: لمّا فتح رسولُ اللهﷺ بني النضير فغنم أموالهم، قال عثمان للإمام عليّعليه السلام: إئتِ رسولَ الله فَسَلْهُ أرضَ كذا وكذا، فإنْ أعطاكها فأنا شريكك فيها، وآتيه أنا فأسأله إياها فإنْ أعطانيها فأنتَ شريكي فيها، فسأله عثمان أوّلاً فأعطاه إياها، فقال له الإمام عليّعليه السلام: أشركني، فأبى عثمان!! فقالعليه السلام: بيني وبينكَ رسول اللهﷺ فأبى أنْ يخاصمه إلى النبيّﷺ، فقيل له: لِمَ لا تنطلق معه إلى النبيﷺ؟ فقال: هو ابن عمّه، فأخاف أنْ يقضي له!! فنَزلَ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، فلمّا بلغ عثمان ما أنزل الله فيه أتى النبيّﷺ فأقرّ لعليّ أمير المؤمنينعليه السلام بالحق.

وروى السدي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ... ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، إنّه لمّا أُصيب النبيّﷺ في أُحُد، قال عثمان: لألحقنّ بالشام فإنّ لي به صديقاً من اليهود ولآخذنّ منه أماناً، فإني أخاف أنْ يدلّ علينا اليهود، وقال طلحة: لأخرجنّ إلى الشام، فإنّ

لي به صديقاً من النصارى فلآخذنّ منه أماناً، فإني أخاف أنْ يدلّ علينا النصارى. فأراد أحدهما أنْ يتهوَّد والآخر أنْ يتنصّر، فأقبل طلحة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وعنده الإمام عليّ عليه السلام: فاستأذنه طلحةُ في المسير إلى الشام، وقال: إنّ لي بها مالاً آخذه، ثم انصرف، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: « **على مثلها من حالٍ تخذلنا وتخرج وتَدَعُنا؟** » فأكثَرَ على النبي صلى الله عليه وآله من الاستئذان، فغضب الإمام عليّ عليه السلام وقال: « **إئذَنْ لابن الحضرمية، والله ما عزّ من نصر ولا ذلّ من خذل** »، فكَفَّ طلحةُ عن الاستئذان عند ذلك، فأنزل الله تعالى فيها: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَـٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ... ﴿٥٣﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، أي يحلف لكم طلحة أنه مؤمن معكم، حبط عمله مما دخل فيه من أمر الإسلام حتى نافق فيه.

ومَن تأمَّلَ هذه الوقائع والآيات المترتبة عليها، وتدبَّرَها وأجال فكرَهُ في معانيها، ظهر له أنّ عثمان وطلحة كانا ممن نافقوا في الإسلام، ولا رَأَيا للرسول صلى الله عليه وآله حرمة.

وأمّا استحقاق اللعن فهو ظاهر منها، وفي بعضها لعنٌ صريح، وهذا الوجه وإنْ كان ظاهره الاختصاص بعثمان بالنسبة إلى صاحبيه لكن ما فيه من الإشعار بنفاقه يومئ إلى نفاق صاحبيه وقرينيه، فإنّ القرين على القرين شاهد، وتشاكل الأفعال يقتضي أنْ يكون الجميع من وادٍ واحدٍ.

الآية الثانية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَـٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

تدلّ الآية على أنّ إظهار الحقّ في علوم الدِّين واجب، وكتمانه مع الحاجة إلى إظهاره من أعظم الكائر، فإنّ فاعله يلعنه الله ويلعنه اللاعنون من عباده المتقين.

وهذا الحكم عامّ ولا يضرّ خصوص السبب - على القول بأنها نزلت في اليهود والنصارى الذين كتموا أمرَ رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله ونبوّته وهم يجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل - لأنّ خصوص السبب لا يُخصص العموم المستفاد من ظاهر اللفظ.

وحيث إنّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا يعلمون أحقية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالخلافة، وما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام عليّ عليه السلام وزوجته سيدة النساء

عليها، وما نزل في حقهما من الآيات، ثمّ إنكارهم لتلك الحقوق، يتضح أنهم المصداق الأكبر للآية المبارَكة فيثبت المطلوب. وأيضاً حيث إنهم كانوا يعلمون أنّ أهل البيت عليهم السلام مطَهَّرون عن الدَّنَس والرِّجس وقد كتم أعداؤهم ذلك عصياناً وجحوداً، وكلّ مَن كَتَمَ ما أنزل الله من البيّنات في أهل البيت عليهم السلام فهو ملعونٌ بنصّ الآية المبارَكة، إذاً أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وأشياعهم وأتباعهم وأنصارهم ملعونون مثلهم لكتمانهم الحقّ، فثُبتَ المطلوب.

الآية الثالثة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

نزلَت الآيةُ الشريفة في النبيّ وأهل بيته عليهم السلام باتفاق المفسِّرين خاصةً وعامّةً، وهو المعروف بحديث الكساء، فقد رواه أحمد بن حنبل في مسنده بأسانيد متعددة، وكذا الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل).

فهذه الأخبار التي هي فوق التواتر بمرّات تفيد القطع في الدلالة على أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليّ وسيدة النساء فاطمة والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام، دَعْ عنكَ ما رواه الشيعة فيما لا يبلغ الحصر والعدُّ نهايتَه، فأيُّ رواية في السنة المطَهَّرة أثبت من هذه الرواية التي قد اتفق على نقلها رواة العامة ولا سيَّما الخاصة من أهل الحقّ الذين هم خاصة أهل البيت عليهم السلام وخالصتهم، فإنْ تطرق إليها منع الصحة، لم يبقَ في السنة شيء إلاّ وتطرّق إليه ذلك المنع!!

وقول بعض أهل النصب والعناد: إنّ هذه الآية نزلت في النساء لا في الإمام عليّ وسيدة النساء فاطمة وولديهم الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام نظراً إلى ما قبلها وما بعدها، قولُ مَن ركب مطية العناد، وانحرف عن جادة السداد، فإنّ عود الضمير المذكر إلى النساء في لغة العرب باطلٌ، وأيُّ بُعد في أنْ يكون ذلك على طريق الإلتفات إلى النبي وأهل بيته عليهم السلام، على أنّ المعنى: إنّ هذا التأديب للنساء من توابع إذهاب الرجس والدنس عن أهل البيت عليهم السلام فكيف يجوز أنْ يشكّ شاك في ذلك بعد تواتر الأخبار به؟

وقول بعضهم أيضاً: إنّ الآية تدلّ على أنّ النساء من أهل البيت عليهم السلام، وقول قائل منهم: إنّ الرواية لا تدلّ على الحصر في المذكورين فيجوز إرادة النساء، خطأ، فإنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **اللهمّ هؤلاء أهل بيتي** » صريحٌ في الدلالة على الاختصاص بمَن ذكرناه، وإلاّ فكيف يجوز أنْ يحمل « **هؤلاء أهل بيتي** » على نسائه دون أهل بيته سيدة النساء وزوجها وولديهما عليهم السلام؟!! وحديث أم سلمى حاسمٌ لمادة النِّزاع، ومما يشهد لصحّة هذه الرواية واختصاص الآية بِمَن ذكرنا من حيث المعنى، ما أطبق على روايته المخالفون والمؤالفون.

فمّا رواه زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى (خماً) بين مكّة والمدينة، فحَمَدَ اللهَ وأثنى عليه ووَعَظَ وذَكَّرَ، ثم قال: « **أمّا بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يوشك أنْ يأتيني رسولُ ربي فأُجيب، فإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** »، فحثّ على كتاب الله ورَغَّبَ فيه ثم قال: « **وأهل بيتي، واذكّركم الله في أهل بيتي** ».

قال في (المشكاة): رواه مسلم[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فمسعته يقول: « **يا أيها الناس، إني تركتُ فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي** ». رواه الترمذي[2].

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما** ». رواه الترمذي[3].

هذه الأخبار دالّة على أنّ العِترة هم أهل البيت عليهم السلام، ولا ريبَ أنّ العِترة هم:

---

(١) راجع (صحيح مسلم) ج٥ ص١٨٧٣ ح٢٤٠٨.

(٢) راجع (سنن الترمذي) ج ٥ ص٢٦٢ ح٣٧٨٦.

(٣) راجع (سنن الترمذي) ج ٥ ص٢٦٣ ح٣٧٨٨.

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وفاطمة الزهراء سيدة النساء عليها السلام، والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

وفي اختصاصهم بالدعاء إلى المباهلة ما يُشعِر بأنهم هم المقصودون والمعْنِيُّون، وغيرهم محذوف عن درجة الاعتبار، بل كأنه لا غيرَ هناك، وكذا ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله للإمام عليّ وأهل بيته عليهم السلام: « **أنا سِلْمٌ لِمَن سالَمَهُم، وحَرْبٌ لِمَن حارَبَهُم** »، وأمثاله كثير.

إذا تقرَّر هذا أقول: قد دَلَّتْ هذه الآية وما في معناها من الأخبار على عصمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنها دَلَّتْ على إذهاب الرِّجس الذي هو الذنوب التي يتدنس بها عِرض المقترف لها كما يتدنس بدنه بالأرجاس، والتطهير ملازمة التقوى التي يصير العِرض بها نقيّاً كما ينقى البدن من الأرجاس بتطهيره، مع ما فيها من المؤكِّدات مثل ﴿ إِنَّمَا ﴾ الدالة على الحصر، والأخبار عن إرادة الله إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم بأبلغ الوجوه، ومراد الله لا محالة واقع، ثمّ التأكيد بذكر التطهير بعد إذهاب الرجس الذي لا ينفكّ عنهم أبداً. وأمّا الأخبار فقد دَلَّتْ على الأمر التمسُّك بالكتاب والعترة، وأنّ مَن تمسَّكَ بهما لن يضلّ أبداً، فأفاد أنّ التمسّك بالكتاب دون العترة يكون معه الضلالة لا محالة.

ووجه ذلك: إنّ فَهْمَ معاني آيات الكتاب على ما هي عليه والتنبيه لما يحتاج إليه منها وقت الحاجة لا يتفق دائماً ولا يحصل لكلّ أحد، فلا بدّ من الرجوع إلى عالم بذلك لا يغيب عنه شيء منه عند الحاجة إليه وهم العترة بنصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ويلزم منه أنهم لا يفارقون الكتاب بطريق أولى وإلاّ لامتنع الحثّ على التمسّك بهم، إذ قد تخفى مخالفتهم له ومفارقتهم، بل خفاؤها أكثر بالنسبة إلى أكثر الناس، فيكون ذلك إغراءاً للمكلَّفين بالقبيح وحثّاً لهم على التمسُّك بالباطل، وقد صَرَّحَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في قوله: « **ولن يفترقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض** »؛ أي لن تفارق العترةُ الكتابَ بقولٍ أو فعلٍ يخالفه، ولن يفارق الكتابُ العترةَ بأنْ يوجد فيه شيء لا يقولون به ولا يعملون بموجبه، وذلك مستمرّ بعد مفارقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين الورود

عليه والملاقاة له، ولا نعني بالعصمة إلاّ ذلك.

وكذا قوله صلى الله عليه وآله: « **أنا سِلْمٌ لِمَن سالمهم، وحربٌ لِمَن حاربهم** »، وقوله صلى الله عليه وآله للصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام: « **يؤذيني ما يؤذيها** »، وقوله صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: « **مَن آذى شعرةً منك فقد آذاني** »، وقوله صلى الله عليه وآله: « **حربكَ حربي** ».. وغير ذلك مما هو كثير دالٌّ على العصمة، وإلاّ لكان إغراءاً للمكلَّفين بالجهل ولأهل بيته بالظلم، فإنّ مَن يجوز عليه الخطأ والظلم كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وآله أنْ يجعل مطلَق إيذائه إيذاءاً له؟ فقد يكون إيذاءاً له بحقٍّ، وقد تكون محاربته حقّاً. فلا يجوز في حكمة النبيّ صلى الله عليه وآله أنْ يطلق مثل هذا القول إلاّ وقد علم أنّ الله تعالى لطفَ بهم لطفاً لا يقارفون معه ذنْباً ولا يرتكبون قبيحاً.

وبالجملة؛ فإنّ وجه الاستدلال بآية التطهير يكون على الوجه التالي: إنّ كلاًّ من أبي بكر وعمر وعثمان ومَن تابعهم كتموا ما أنزل الله تعالى من البيّنات في كتابه العزيز في شأن أهل البيت عليهم السلام، إذ لو أظهروا ما أنزل الله في حقّهم مما يدلّ على عصمتهم المقتضية صدق السيِّدة الزهراء عليها السلام في دعواها، وشهادة الإمام عليّ وولديه عليهم السلام للسيدة الزهراء عليها السلام، وكذا صدق الإمام عليّ عليه السلام في ادّعاء الإمامة، وغير ذلك من فضلهم وعلوّ قدرهم وحقوقهم التي ميّزهم الله بها على مَن سواهم، لتسارع الناسُ إلى طاعتهم والانقياد إليهم، وبذل حقوقهم والدفاع عنهم، بل لم يقتصروا على الكتمان، وإنما فعلوا الضدّ، وسنُّوا للناس سنن الظلم، ونهجوا لهم سبيل الغيّ، ولم يتحرجوا من مخالفة الله والرسول، ولم ينتفعوا بقوارع الزواجر وأكيد المواعظ، وكلّ مَن كان كذلك فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من الملائكة والإنس والجنّ أجمعين.

الآية الرابعة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ.

وجه الاستدلال بالآية هو: إنّ أبا بكر وعمر وعثمان قد فرّوا من الزحف في أماكن

شتّى، من هذه الأماكن معركة أُحُد وحنين وخيبر باتفاق المؤرِّخين ونَقَلة أخبار الوقائع والغزوات، لا يختلف على ذلك إثنان.

فأمّا يوم أُحُد، فهو اليوم الذي أصعد فيه أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وآله على الجبل منهزمين، لمفارقة الرماة رأس عقبة المهراس هناك، فجاء خالد بن الوليد بِمَن معه فقتل مَن بقي من الرماة، وجاء مِن ظهر النبيّ صلى الله عليه وآله، والمسلمون أكثرهم مشغولون بالغنيمة، فحملوا حملة رجل واحدٍ ضرباً بالسيوف وطعناً بالرِّماح ورمياً بالنبال ورضخاً بالحجارة، وفيمن انهزم أبو بكر وعمر وعثمان بالإتفاق.

وقد روى أنّ عثمان لم يعد إلى المدينة إلاّ بعد ثلاثة أيام، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: « **لقد ذهبتَ فيها عريضاً** »، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثابتٌ يجاهد ويُجالد حتى عجبتْ منه الملائكة، وسمع الناسُ النداءَ في السّماء:

لا فتى إلاّ عليّ ولا سيفَ إلاّ ذو الفقار

وتراجع المشركون لثبات أمير المؤمنين عليه السلام بوجههم.

وأما يوم حنين، فهو اليوم الذي قال فيه أبو بكر: لن نُغلب اليوم من قلّة، حيث كان مجموع جيش النبيّ صلى الله عليه وآله حوالي ألفين، فلمّا قال أبو بكر تلك المقالة، شقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله سبحانه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

بعض المغفلين من العامّة، نسبوا هذا القول: (لن نُغلب من قلّة) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويرده أنّه إعجاب بالنفس يستلزم جهل النبيّ صلى الله عليه وآله وغروره، وهو صلى الله عليه وآله منَزَّه عن كلّ ذلك؛ لأنّ الله تعالى هو الناصر وليس كثرة أصحابه وأعوانه.

وأمّا يوم خيبر، فهو اليوم الذي نُكِّسَ فيه رأسا الرجلين، وقصّته أشهر من المَثَل!!

فقد روى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾ سُورَةُ الفَتْحِ، أنّ ذلك في فتح خيبر، بإسناده عن بريدة الأسلمي قال: حاصر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل خيبر حتى أصابتنا

مخمصة شديدة، وإنّ الرسول صلى الله عليه وآله أعطى اللواء عمر بن الخطاب، ونهض مَن نهض معه من الناس، وتلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يجبِّنُه أصحابه وهو يجبِّنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ نهض فقاتل ثمّ رجع، فأخذه عمر فقاتل ثمّ رجع، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: « **أَمَا والله لأعطيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه يأخذه عنوةً** »، وليس ثمّة عليّ عليه السلام، فلمّا كان الغد، تطاول لها رجالٌ من قريش، ورجا كلُّ واحدٍ منهم أنْ يكون صاحب ذلك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله ابن الأكوع إلى الإمام عليّ عليه السلام فدعاه، فجاء على بعيرٍ له حتى أناخ قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أرمد قد عَصَّبَ عينيه بشقّة برد قطري، قال سلمة: فجئتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله: « **ما لكَ؟** » قال عليه السلام: « **رمدتُ** »، فقال صلى الله عليه وآله: « **أُدنُ منِّي** »، فدنا منه فَتَفَلَ في عينيه، فما شَكَا وجعهما بعدُ حتى مضى لسبيله. ثمّ أعطاه الراية، فنهض بالراية وعليه حلّة أرجوان حمراء قد أخرج كميها، فأتى مدينة خيبر، فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر مصفّر وحَجَر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمتْ خيبرُ أني مرحَبٌ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرّبُ

أطعن أحياناً وحيناً اضرب ... إذ الحروب أقبلت تلتهب

كان حماي كالحمى لا يقرب

فَبَرَزَ الإمامُ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام فقال:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة ... كليثِ غاباتٍ شديدةِ القَسْوَرة[1]

أكيلكم بالسف كيلَ السندرة[2]

فاختلفا على ضربتين، فبدره الإمام عليّ عليه السلام بضربة فَقَدَّ الحجر والمغفر وفلق

(١) القسورة: الأسد.

(٢) السندرة: القتل الذريع.

رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، وأخذ المدينة وكان الفتح على يديه[1].

وفي هذه القصّة من الفضيحة لهذين الملعونين، وعلوّ القدرة والشأن لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ما هو ظاهر لذوي العقول والألباب.

وفي قول النبيّ صلى الله عليه وآله - كما في بعض الأخبار -: « **لأعطينّ الراية بطلاً كراراً غير فرّار** »، من التعريض بالرجلين ما هو كافٍ شافٍ.

وأمّا وجه الاستدلال بذلك فظاهرٌ أيضاً، فإنّ الفرار من الزحف - مع ما فيه من العار والخزي - كبيرة موبقة يفسق فاعلها ويستحقّ اللعن والغضب من الله؛ لأنّ الغضب قريب من معنى اللعن بل آكد منه..

إنْ قيل: على هذا يجوز لعن جميع الصحابة لفرارهم يوم أُحُد وحنين.

قلنا: كلّ مَن لم تثبت عندنا توبته من هذه المعصية فهو فاعل كبيرة يجوز لعنه كائناً مَن كان.

فإنْ قيل لنا: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ... ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الفَتْحِ، والراضي عن الله سبحانه لا يكون إلاّ بعد قبول توبة التائب.

قلنا له:

أوّلاً: هذه الآيات نَزَلَتْ قبل فتح خيبر اتفاقاً، وقد قال المفسِّرون أن قوله: ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الفَتْحِ، يراد به فتح خيبر، وفرار الرجلين كان في هذا الفتح بعد نزول الآية، فللرجلين مزية على باقي الأصحاب في استشعار الفرار، وكأنه كان خُلُقٌ لهما، وفضيحتهما به أشنع؛ لأنّ نقص التوبة بالكبيرة التي تاب المكلَّف منها من أوّل دليل على أنها توبة كاذبة وأنّ زاجر الدين ضعيف جدّاً، ولو لم يكن إلاّ تجرّؤهما على أمير المؤمنين عليه السلام وتقدّمهما عليه ودعوتهما له إلى البيعة الفاجرة لكفى بذلك خزياً لهما.

---

(١) راجع (المغازي) للواقدي ج٢ ص٦٥٣، (تاريخ الطبري) ج٣ ص١٠، (الكامل في التاريخ) ج٢ ص٢١٩، (البداية والنهاية) ج٤ ص١٨٦، (السيرة النبوية) ج٣ ص٣٥٧.

ثانياً: إنّ الآية إنما دَلَّتْ على الرضا عن المؤمنين، ونحن نقول بموجبها، فإنّا نمنع أنْ يكون أبو بكر وعمر من المؤمنين لتكون الآية متناولة لهما، ويؤيده أنّ جملة ما نُقِلَ عنهما من الأقوال والأفعال دالّ على نفاقهما في الإسلام. وأمّا عثمان فلم يكن حاضراً وقت هذه البيعة، لأنّه كان قد ذهب إلى مكة رسولاً، وعلى تقدير حضوره فهو أبعد من صاحبيه وأظهر منهما نفاقاً؛ لأنّه لم يكن له من الخداع والتدليس والنزق ما كان لهما، ولهذا غلبته نفسه الدنيَّة وشدّة نهمه حتى فعل ما فعل، وقتله الصحابة كما يُقتل الكلب العقور.

فإنْ قلت: الآية دالّة على أنّ المبايعين كانوا مؤمنين لقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ... ﴿١٨﴾ ﴾.

قلت: لا دلالة فيها؛ لأنّ الضمير يعود إلى المؤمنين، فيختصون بالرضى دون كلّ مبايع، مع أنّ بيعة أبي بكر وعمر لم تكن صادقة بدليل فرارهما يوم خيبر بعد هذه البيعة بقليل، فلم تزدهما البيعة إلاّ تعدد المعصية وتزايد الفضيحة، وهذا بحمد الله واضح السبيل لايح الدليل.

الآية الخامسة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

وجه الإستدلال بهذه الآيات يتمّ من خلال ما صدر من الطواغيت الثلاثة من أحكام تخالف أحكام الله تعالى التي أنزلها الله تعالى على رسوله محمّد صلى الله عليه وآله مما يقتضي ذلك عدم إيمانهم بالله وبرسوله، لذا أرادوا ابتكار شريعةٍ من عند أنفسهم تناهض شريعة الله النازلة على رسوله محمّد صلى الله عليه وآله.

والآيات الثلاث تفيد بأنّ مَن لم يحكم بما أنزل الله فهو متلبس بثلاثة صفات: الظلم، الفسق، والكفر.

كلّ هذا إذا لم يحكم بما أنزل الله، فكيف بِمَن غَيَّرَ وبَدَّلَ بأحكام الله تعالى فيتأكد

كفره وجحوده لله تعالى.

وحتى يعرف القارئ صدق ما ادّعيناه بحقّ هؤلاء الملاعين، لا بدّ من البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: نبذة من الأحكام التي صدرت من أبي بكر لعنه الله:

أقول: لقد تقَدَّمَ في البحوث السابقة نبذة من بعض مخالفة هذا الظالم الكافر، كادّعائه الإمامة والخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بهتاناً وزوراً، وصريح الكتاب الكريم ناطق بأنها حقّ خاص بالإمام أمير المؤمنين عليّ وأولاده من بعده عليهم السلام، وكذا تقدّم معنا منعه مولاتنا فاطمة عليها السلام إرثها، في حين أنّ كتاب الله تعالى ناطق بأنّ لها الإرث، والحديث الذي زعم أنّه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن ولا يجوز الاعتماد عليه لبطلانه من الأساس لمخالفته لصريح القرآن، فلا يجوز تخصيص عموم الكتاب به، وكذا منعه إياها فدكاً بعد ادعائها لها بالنحلة والهدية من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد شهد لها الإمام عليّ وولداه عليهم السلام وأمّ أيمن، وقد شهد الله تعالى بعصمتهم وطهارتهم، وقد أنكر أبو بكر كلَّ ذلك جحوداً واستكباراً، كلّ ذلك قد تقدَّم معنا سابقاً. وأمّا ما لم نذكره سابقاً فجملة من الأحكام المزورة، منها:

١- إنّه قطع يسار السارق، مع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بقطع اليمنى[1].

٢- أحرق فجاءةَ بالنار وهو يقول: أنا مسلم[2]. وقد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن التعذيب بالنار بقوله صلى الله عليه وآله: « **لا يُعَذِّب بالنار إلاّ ربُّها** »[3].

٣- لم يورِّث الجدّة لمّا سألته عن الكلالة فقال لها: أقول فيها برأيي، فإنْ أصبت فمن الله وإنْ أخطأت فمن الشيطان!!

يرد عليه: إنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ... ﴿٣٦﴾ ﴾ الإِسْرَاءِ. ولمّا سألت جدة عن إرثها! قال لها: لا أجد لكِ شيئاً في كتاب الله ولا سُنّة

---

(١) راجع (السنن الكبرى) البيهقي ج٨ ص٢٧٣.

(٢) راجع (تاريخ الطبري) ج٣ ص٢٣٤، (الكامل) ج٢ ص١٤٦.

(٣) راجع (صحيح البخاري) ج٤ ص٧٥، (مسند أحمد) ج٣ ص٤٩٤.

نبيّه[1].

وهو كذب صريح ؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ... ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ، غاية ما في الباب أنّه لم يكن مقدَّراً - أي واضحاً - في كتاب الله، أما السنة فقد كان شائعاً بين الصحابة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أعطاها السدس، ولهذا أخبره المغيرة ومحمّد بن سلمة.

وجهلُه بذلك لا يجوّز له أنْ يقول: لا أجد لكِ شيئاً في الكتاب والسُّنّة.

وقد نُقِلَ عن جهله بالأحكام وتلوّثه فيها شيء كثير، وما كان يحلُّ له أنْ يتعرّض إليها وهو جاهل.

وأجاب عن جهله بعضُ أهل العناد بالآتي:

أمّا ما ورد عنه بأنه قطع يسار السارق، فيحتمل أنْ يكون من غلط الجلاّد، واُضيف إلى أبي بكر لأنّ أصل القطع كان بأمره، أو أنه كان في المرّة الثالثة كما هو رأي أكثر أهل الفقه.

وجوابه:

إنّ المتبادر عن النقل خلاف الأمرين، على أنه لو كان شيءٌ مما ذكر لنُقل كما نُقل غيره، ولا أثر لمجرد الاحتمال العقلي في نحو ذلك لتطرقه على كلّ نقل، فإنّ فتح باب التأويلات يُفضي إلى عدم إمكان التمسُّك بشيء من ظاهر النقل.

وأمّا عن الإحراق بالنّار فقد أجاب المدافعون عن أبي بكر بأنّ المجتهد يعمل بمقتضى ظنّه، وقول الفجاءة: (أنا مسلم) فلم يثبت، ولعله ثبت عنده أنه كان زنديقاً وهو غير مقبول التوبة.

وجوابه:

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نهى شايعاً عن التعذيب بالنار وقال: « **لا يعَذِّب بالنار إلاّ ربُّ النار** »، فهل يسوغ للمجتهد - بعد تسليم اجتهاد أبي بكر - أنْ يجتهد بخلاف

(١) راجع (السنن الكبرى) ج٦ ص٢٤٣، (مسند أحمد بن حنبل) ج٤ ص٢٢٤.

صريح قول النبيّ صلى الله عليه وآله؟ ويكفي في ثبوت قوله (أنا مسلم) النقل الوارد بذلك، واحتمال ثبوت زندقته عنده خلاف ظاهر النقل، وفتح هذا الباب يقتضي سقوط الشرعيات كلّها إذ يمكن في كلّ نقلٍ مثل هذا القول.

وأمّا دعواهم في الكلالة والجدة، فبأنّ للمجتهد أنْ يبحث عن مدارك الأحكام ويسأل مَن أحاط بها، ولهذا رجع الإمام عليّ عليه السلام - بحسب هذه الدّعوى - في حُكم المذي إلى قول المقداد، وفي أمهات الأولاد إلى قول عمر.

يرد على هذه الشّبهة:

إنّه ليس للمجتهد أنْ يقول في الدِّين بمحض الراي من غير أنْ يستند إلى دليلٍ أصلاً من عموم أو ظاهر أو نحوها، وكذا قوله: لا أجد لكِ شيئاً في كتاب الله ولا سُنَّة نبيه صلى الله عليه وآله، ولم يكن هذا القول منه سؤالاً ولا تفحَّصاً عن الأحكام، بل جزماً بالقول بمحض الرأي من غير علم ولا حجّة وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ... ٣٦ ﴾ ومسارعةً إلى حرمان الجَدَّة من غير روية ولا فكر، وقد كان يجب عليه أنْ يقول: لك إرثٌ في كتاب الله لا أعلم قدْره طبقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ فحيث لم يُخبر بذلك ثبت اجتراؤه على مخالفة كتاب الله.

ولو فرضنا أنّ أبا بكر لم يكن عالماً بأنّ في الكتاب ما يدلّ على إرثها في الجملة، فمن أين عَلِمَ أنه ليس في السُّنّة ذلك، فإنها لم تكن محفوظة منقولة في شيء واحد يرجع إليه عند الحاجة، بل كانت متناقلة محفوظة في صدور الصحابة، فكان يجب عليه سؤالهم والرّجوع إليهم دون أنْ يجترئ على الجواب بغير علمٍ حكماً بغير ما أنزل الله واجتراءً على مخالفة كتاب الله.

وبالجملة: فمَن تأمّل أجوبة أبي بكر عرف قدر فقهه في الدِّين وتحقق لديه أنّه كان في غاية الجهل، بعيداً عن معرفة استنباط الأحكام عن مداركها، يقول في الدين بالافتراء من غير خوفٍ ولا حياء...

وأمّا رجوع أمير المؤمنين عليه السلام إلى المقداد، فمن أكاذيب النصّاب؛ لأنّ الذي نقله المحدثون العامّة: أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان رجلاً مذاءً، فاستحى أنْ يسأل رسول الله

صلى الله عليه وآله لمكان السيِّدة فاطمةعليها السلام، فأمر المقداد أنْ يسأل النبيصلى الله عليه وآله، فأي رجوع – حينئذٍ- في هذا إلى المقداد؟

وأما رجوعه إلى عمر، فمتى كان عمر من الفقهاء؟ أليس هو الذي شكّ في موت النبيصلى الله عليه وآله وقال: (كلّ الناس أفقه منكَ يا عمر حتى المخدرات)، وشعاره: (لولا عليّ لهلك عمرُ)، حتى يرجع إليه الإمام عليّعليه السلام الذي هو نفس الرّسولصلى الله عليه وآله، ولا يفارق الكتاب في شيء، وقد قال النبيّصلى الله عليه وآله: « **أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها** »، والله تعالى يقول: ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ... ﴿١٨٩﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ؛ ولكنّ العامّة ضرٌّ جيلٍ على وجه الأرض، وأقلّهم حياءاً من الله ورسولهصلى الله عليه وآله، بل مَنْ خالف عمر أو غيره كأبي بكر وعثمان حتى ولو كان المخالف عليّاً أمير المؤمنينعليه السلام يعتبر – عندهم – كافراً بمقتضى تلك الدلائل.

٤- ومن مخالفات أبي بكر أنّه برّأ خالد بن الوليد لّما قتل مالك بن نويرة وهو مسلم طمعاً في زوجته الفائقة الجمال، فقد زنى بها خالدُ في نفس الليلة التي قَتَلَ فيها مالكاً، وأنكر عليه عمر وقال لخالد[1]: (إن ولّيتُها لأقيّدنّك به) وهذا – أي فعل أبي بكر – من أفحش المخالفة لكتاب الله.

وأجاب النواصب: بعدم تسليم وجوب الحدّ والقصاص على خالد لأنه **قد قيل:** إنما قتله لتحقق الردّة منه، وتزويجه بامرأته في دار الحرب من مسائل الاجتهاد.

وقيل: إنه لم يقتله بل قتله بعض أصحابه – أصحاب خالد كضرار بن الأزور خطأً لظنّه أنّ مالك ارتدّ، ولعلّ زوجته كانت مطَلَّقة منه وقد انقضت عدتها! وإنكار عمر لا يدلّ على قدح لاستناده إلى غلبة ظنه كما ينكر بعض المجتهدين على بعض.

والجواب: إنّ الذي نقله المحدثون خلاف ذلك، ولا يسقط القصاص عن القاتل باحتمال تحققه مِنْ ردة المقتول، ولا سيّما وقد رووا أنه لم يقتله إلاّ طمعاً في امرأته ولم يذكروا سبباً غير ذلك من ردّة ولا غيرها، وكذا القول بأنّ القاتل بعض

(١) راجع (تاريخ الطّبري) ج٣ ص٢٤١.

أصحابه، وكيف يتوعده عمر والقاتل غيره؟!

وأمّا احتمال كون زوجته مطَلَّقَة فمن جملة تحمّلات أهل العناد، وكيف يقبل هذا النقل مثل هذا الاحتمال، وكلّ ذلك مدافعة للحق بالصدر.

وأمّا إنكار عمر على أبي بكر فمعلوم أنه لم يكن من باب الظنّ والاجتهاد، وكذا قوله لخالد: (لأُقيّدنّكَ به)، وهل يكون القصاص من القاتل مسألة اجتهادية؟ ولكنّ أهل العناد والنصب اتخذوا الاجتهاد حصناً ومدخلاً إذا اُلزِموا بشيءٍ مما يقتضي كفر آلهتهم ولّوا إليه وهم يجمحون، وإلاّ فأيّ مجال للإجتهاد في مسألة وقع النص الجليّ عليها في كتاب الله وسُنّة رسولهﷺ؟! فإنْ كان مالكٌ مرتَدّاً لم يكن لعمر الإنكار قطعاً، وإذا أنكر كان جوابه: إنّه مرتد. ولو وجد أبو بكر سبيلاً إلى هذا العذر الذي اقترحه أهل النصب لَكَان أشدّ شيء مسارعته إليه!!

٥- ومن مخالفات أبي بكر أنه خالف رسول اللهﷺ في التخلُّف عن جيش اُسامة، فإنّهﷺ لمّا جَهَّزَ جيشَ أسامة في مرضه الذي قضى فيه نحبه قال: « **ملعون مَن تَخلَّفَ عن جيش أسامة** »، وكان فيه أبو بكر وعمر وعثمان، فحبس أبو بكر عمراً عن الخروج وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ... ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ.

أجاب النواصب عن ذلك: بأنّا لا نسلّم أنّ أبا بكر وعمر داخلان في جيش أسامة، بل غايته أنّ عمر كان داخلاً لا مطلقاً، بل بالنظر إلى عموم أمر الرسولﷺ، وكان ذلك لإصلاح أمر الدِّين، ولعلّه رأى مصلحة الدِّين في إقامة عمر في المدينة أكثر، وتخصيص العموم بالرأي جائز!!

والجواب: إنّ النقل الوارد بذلك تضمّن أنَّ النبيَّﷺ أمر أبا بكر بالخروج، ولم يزل يكرّر الأمرَ بالخروج ويقول: « **جهِّزوا جيشَ أسامة، لَعَنَ اللهُ المتخلِّف عن جيش أسامة** » على أنّ العموم الذي أقرَّ هذا الناصب بتناوله عمر متناول لأبي بكر، فما الذي اقتضى خروجه منه؟

ودعوى أنْ لعلّه رأى مصلحة في إقامة عمر في المدينة أكثر، فتخصيص العموم

بالرّأي باطلٌ ؛ لثلاثة أمور :

الأمر الأول: لأنّ أمره بالخروج لم يكن من جهة العموم بل تعييناً، فلا يجوز مخالفته في التخلُّف، بل يكون المتخلّف ملعوناً.

الأمر الثاني: لأنّ تخصيص العموم الثابت بقول النبي صلى الله عليه وآله بمحض الرأي باطل كما هو مقرَّر في الأصول، على أنه لا يمكن ادّعاء التخصيص للمصلحة في نحو هذا، وكيف يدرك أبو بكر من المصلحة ما لا يدركه النبيُّ صلى الله عليه وآله؟!!

والذي دَلَّتْ عليه القرائنُ حالاً ومآلاً - دلالة لا يخالجها الشك أنهما لم يتخلفا إلاّ لغلبة ظنهما بموت النبي صلى الله عليه وآله، وكانا قد أضمرا المخالفة للإمام عليّ عليه السلام وادّعاء الأمر من دونه عليه السلام. ولهذا لّما قال النبي صلى الله عليه وآله: « **إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً** »، قال عمر لعنه اللهُ: (إنّ الرّجل ليهجر!!) خوفاً من أنْ يكتب النبيُّ صلى الله عليه وآله شيئاً يفوت به ما أراداه من الكيد.

الأمر الثالث: لأنّ تخصيص العموم بمحض الرأي لو جاز لم يجز هنا ؛ لإمكان مراجعة النبيّ صلى الله عليه وآله والإطلاع على مقصوده من العموم، لأنّ العمل بالرأي إنما يجوز - عند مَن يقول به - إذا لم يمكن الإطّلاع على الحكم من الكتاب ولا السنّة، وهنا يمكن العلم به بقول النبي صلى الله عليه وآله وكيف يقول مسلم: إنه يجوز ترك العمل بأمر النبي صلى الله عليه وآله لمكلَّف بحضرته خصوصاً أو عموماً بمحض الرأي والقياس.

المبحث الثاني: نبذة من مخالَفات عمر بن الخطاب لعنه الله :

ما ثُبتَ لزميله أبي بكر من المخالَفات هي بعينها ثابتة لعمر بن الخطاب لعنهما الله، ويزيده بالأمور الآتية :

الأمر الأول: إستقلاله بدعوى الإمامة وهي خاصة بالإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام، فقد اغتصب الإمامة واعتدى على مولى الثقلين بالهجوم على داره وعلى سيدة النساء الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام، وغصبه لحقوقها من فدك والخمس، وتخريق كتابها وإسقاطه لجنينها، وتكسير أضلاعها، وضربها بالسياط، ومحاولته تحريق دارها على مَن فيه، وكلّ ذلك مخالِفٌ لصريح الكتاب الكريم.

الأمر الثاني: شدّة جهله بأحكام الدِّين والشرع المبين، وجرأته على القول في الدِّين بغير عِلْمٍ، وبسبب هذا الجهل الفاضح أفتى بغيرِ عِلْمٍ، فأمر برجم امرأة مجنونة وأُخرى حامل، فقال له أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: « **إنّ القلم مرفوع عن المجنون، والحامل لا سبيل على حملها** »، فقال حينئذٍ عمرُ نفاقاً: (لولا عليٌّ لَهَلَكَ عمر).

وهذا يدلّ على شدّة جهله بأحكام الشّرع، بحيث يخفى عليه مثل هذه الأحكام التي هي من ضروريات الدِّين التي يعلمها آحاد طلاب الفِقه...

ومما يدلّ أيضاً على جرأة عمر على الله تعالى، وعدم مبالاته بمخالفة الشرع والحكم بغير ما أنزل اللهُ تبارك شأنه، حيث لم يتوقف ولم يسأل أهلَ الذِّكر ولم يراجِع حَفَظَةَ الدِّين.

تبرير مشؤوم...!!

لقد بَرَّرَ المخالفون جهلَ عمر وتعنّته ضدّ أحكام الدِّين بأنه: لم يكن يعلم بالحمل والجنون، وقول عمر: (لولا عليّ لهلك عمر) يُقصَد به ما كان يلحقه من المشقة بعد العلم بحالتهما، لعدم المبالغة في البحث عنهما.

وبطلانه ظاهرٌ؛ لأنّ المرويّ أنّه أمر برجم المجنون والحامل، ولو كان كما زعم هؤلاء المخالفون، لم يجز أنْ يقال عنه ذلك، بل يُقال: أمر برجم امرأةٍ فأخبره الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنها مجنونة، وأخرى بأنها حامل.

مضافاً إلى ذلك؛ إنّ قول الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام له: « **القلم مرفوع عن المجنون، وإنْ كان لك سبيل على المرأة فلا سبيل لكَ على حملها** » صريحٌ بأنه كان عالماً بالجنون والحمل، لكنه كان جاهلاً بالحكم.

وأيضاً فإنّ قوله: (لولا عليّ لهلك عمر) دالٌّ على ذلك؛ لأنه لو كان جاهلاً بالجنون والحمل لم يكن عليه جناحٌ، والهلاك إنما يُستعمَل غالباً في ارتكاب المحرَّم نحو قوله: هلكتُ لإفطاري في شهر رمضان...

الأمر الثالث: إنّه نهى عن المغالاة في مهور النساء، قال عمر: (مَن غالى في مهر

ابنته جعلتُه في بيت المال، فقامتْ إليه امرأةٌ فقالت له: كيف تمنعنا ما أحلّه اللهُ لنا في محكم كتابه حيث قال: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، فقال حينئذٍ عمر: (كلُّ الناس أفقه من عمر، حتى المخدرات في البيوت).

أجاب أهلُ النصب بأنه: لم ينهَ عمرُ عن ذلك على معنى تحريم ما أحلّه اللهُ في الكتاب، بل على معنى أنه وإنْ كان جائزاً شرعاً فتَرْكُهُ أَوْلى نظراً إلى المعاش، وقوله: (كلُّ الناس أفقه من عمر) إنما كان على طريق التواضع وكسر النفس...

كلامهم هذا ظاهر البطلان؛ لأنّ النهي والمنع إنما يكون للتحريم، ولهذا قالت له المرأة: كيف تمنعنا ما أحلّه اللهُ لنا؟ ولو كان كما زعم أهلُ النصب لكان مقابلة المنع بالحلّ خطأ؛ لأنه على ذلك التقدير حلال أيضاً... ثمّ كيف يسوغ له أنْ يجعل المهر في بيت المال على أيِّ تقديرٍ كان؟ بل على تقدير اعتقاده بكون المهر الزائد حلالاً لبيت المال، فإنّ ذلك أفحش؛ لأنّ المرأة مالكة للمال، وانتزاع الملكِ من مالكه ووضعه في بيت المال معلوم التحريم في الكتاب والسنّة، ولكنه جرى على عادته في تغيير الشرع المطَهَّر ومصادرة أموال الآخرين نظير ما فعله بفدك وخيبر وخمس أهل البيت عليهم السلام...!!.

وأما قوله: (كلّ الناس أفقه من عمر) على طريق التواضع، فباطل أيضاً؛ لأنه على تقدير افترائهم تكون المرأة مخطئة وهو المصيب... فكيف يجوز أنْ يتواضع ويكسر نفسه لإمرأة اعتَرَضَتْ عليه في حُكْمٍ شرعيٍّ اعتراضاً باطلاً؟!! وهل هذا إلاّ إغراء لها ولِمَن سمع ذلك بتصويب ما قالته من الباطل؟!.

على أنّ مَن عَرَفَ عمر بخشونة طبعه ووعورة خُلُقِهِ حتى أنّ ابن عبّاس خاف أنْ يُظهر له الخلاف له في مسائل شرعيّة عرف أنه لم يقل تلك المقالة (كلّ الناس أفقه من عمر) إلاّ لأنّ الفضيحة قد لحقته، ولزمه الجهل بقول المرأة فلم يقدر أنْ يخالفها أمام الناس، فعدل بهذا الأسلوب من القول... ولعمري أنّ مَن كان جهله بكتاب الله وسُنّة نبيّه إلى هذا الحدّ، فدعوى الإجتهاد له من أعظم السَّفَه!!.

الأمر الرابع: إنّ عمراً مَنَعَ المتعتين حيث قال على المنبر: (أيها الناس ثلاث كُنَّ على عهد رسول الله‌ﷺ وأنا أنهى عنهنّ وأُحَرِّمُهُنَّ وأعاقِب عليهنَّ وهي: متعة النساء ومتعة الحجّ وحيّ على خير العمل)[1].

وهذا من أمتن الدلائل على كفره؛ لأنّ مَن ينادي على رؤوس المسلمين بأنه يحرّم ما أحلّه رسولُ الله‌ﷺ، ويردّ قوله ويُغيّر ويبدّل شريعةَ النبي‌ﷺ ويعاقبُ على العمل برسالة النبي‌ﷺ وأحكامه يكون كافراً، وكفى بهذا دليلاً على أنه ما كان يعتقد الشرع ولا يرى للنبوّة حرمةً..

دفاع العامّة عن عمر بن الخطاب!!

أجاب المخالفون عن ذلك بأنه: نهى عنهنّ بسبب ظهور المحرّم عنده بعد اعتقاد الجواز، والمجتهد تابع لما أوجبه ظنّه...!!.

وهذا ظاهر البطلان؛ لأنّ الردَّ على الرسول الأكرم‌ﷺ وتحريم ما أحلّه بالوحي من الله تعالى هو الكفر بعينه، وهل يجوز الاجتهاد في مقابل حكم الله وحكم رسوله؟! وهل يُعذَر المرءُ باجتهادٍ يؤدّي إلى الكفر والإلحاد؟! وكيف يكون ذلك بالاجتهاد وقد قال: (ثلاث كنّ على عهد رسول الله‌ﷺ وأنا أنهى عنهنّ وأُحرِّمهنّ)، مضيفاً التحريم والنهي إلى نفسه بعد تصريحه بأنها كانت على عهد رسول الله‌ﷺ غير متحرّج من ذلك ولا مبالٍ به؟!!

فإنّ مقالته المتقدِّمة صريحة بأنّ ما حرّمهنّ كُنَّ على عهد رسول الله‌ﷺ، فكيف يجوز تبديل ما كان على عهده‌ﷺ بسُنّة جاهليّة عُمَرِيَّة في مقابل سُنّة رسول الله‌ﷺ التي هي وحيٌ من الله تعالى لرسوله‌ﷺ؟!! ثمّ أيّ مجال للإجتهاد في مسألة قد تواتر النقل من المؤالف والمخالف بأنها كانت على عهد رسول الله‌ﷺ وبقيت مستمرة إلى عهد أبي بكر وزمان إمارة عمر؟ وهل يثبت جواز نسخ الشرع وتغييره بعد النبيّ‌ﷺ بقول عمر الذي لا يعرف آحادَ مسائل الشرع؟!

(١) راجع (السنن الكبرى) ج٧ ص٢٠٦، (الدر المنثور) ج٢ ص٤٨٦، (المبسوط) للسرخيس ج٥ ص١٥٢.

فأمّا متعة الحجّ التي حَرَّمَها عمر بن الخطّاب، فلقد كانت حلالاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنصوصاً عليها في الكتاب الكريم صريحاً، قال تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ...﴿١٩٦﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

وأما متعة النساء فقد روى المفسرون عن ابن عباس والسدّي وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين أنّ قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

يُراد به زواج المتعة حسبما ذكر ذلك مفسرو العامة[1] أمثال القرطبي والسيوطي والثعلبي وابن كثير...إلخ.

ونُقِلَ عن جماعة من الصحابة منهم أُبَيّ بن كعب وابن عباس وعبد الله بن مسعود إنهم قرأوا: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجَلٍ مُسَمَّى فآتوهنّ أجورهنّ)[2].

ونقل الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً، فقال: هذا على قراءة أُبيّ، فرأيتُ في المصحف: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجَلٍ مُسَمَّى)[3].

وبإسناده عن أبي نضرة قال: سألتُ ابن عبّاس عن المتعة، فقال: أمَا تقرأ سورة النساء؟ فقلتُ: بلى، قال: فما استمتعتم به منهنّ إلى أجَلْ مُسَمَّى، قلتُ: لا أقرأها هكذا..؟!! قال ابن عباس: واللهِ هكذا أنزلها الله عز وجل- ثلاث مرات.

وبإسناده عن شعبة عن الحَكَم بن عُيَيْنة قال: سألتُه عن هذه الآية: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ أمنسوخة هي؟ قال: لا، قال الحكم: قال عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام: « **لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيّ** »[4].

(١) راجع (تفسير القرطبي) ج٥ ص٨٦، (الدر المنثور) ج٢ ص٤٨٧، (تفسير ابن كثير) ج٢ ص٢٤٤.

(٢) راجع (تفسير ابن كثير) ج٢ ص٢٤٤، (التبيان) ج٣ ص١٦٥.

(٣) راجع (الكشف والتبيان) ص١٤٤.

(٤) راجع (الكشف والتبيان) ص١٤٥.

دفاع العامّة...!!

قالوا: إنّ الآية يراد بها نكاح المتعة، ولو سُلِّمَ إرادتها فهي منسوخة، وأنّ ابن عبّاس رجع عن القول بها..!.

يرد على هذا: إنّ هذا تأويل لبدعة عمر ليس إلاّ، وكيف تكون الآية منسوخةً بدعوى باطلة تُعارضها أخبار كثيرة من طرقهم، فقد روى مسلم في صحيحه في حديث حسن الحلواني قال: حدَّثَنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريح عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله الأنصاري معتمراً، فجئناه في منْزِله وسأله القومُ عن أشياء ثم ذكروا المتعةَ، فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول اللهﷺ وأبي بكر وعمر[1].

وروى نحو ذلك أيضاً بطرق متعددة، وكذا البخاري[2] حيث قال: إنّ عمر هو الذي أبطلها.

وفي الجمع بين الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال: تمتّعنا مع رسول اللهﷺ، فلمّا قام عمر قال: إنّ الله كان يحلّ لرسولهﷺ ما يشاء بما يشاء، إنّ القرآن قد نزل منازله، وأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله تعالى، وبتّوا نكاح النساء، فلن أُوتي برجل نكح امرأة إلى أَجَلٍ إلاّ رجمته بالحجارة.

قوله: (إلاّ رجمتُهُ بالحجارة) دلالة واضحة على أنّ عمر كان يعتقد أنّ المتمتّع زانٍ يجب رجمه بالحجارة، وقد سار على نهجه المخالفون معتقدين ذلك إلى يومنا هذا...!!.

وكذا قوله لعنه الله: (إنّ الله كان يحلّ لرسولهﷺ ما يشاء) دليلٌ على أنه لم يكن واقفاً على الحدود التي أتى بها الرسولﷺ من الحلال والحرام، فدلَّ هذا على أنّه حَرَّمَ المتعةَ اشتهاءاً في نفسه الخبيثة.. ولو كان عند عمر إيمانٌ كبقية الناس واطّلاعٌ على أوامر الله تعالى لكان توقف عن إقامة الحدّ على كلّ مَن تزوّج بامرأةٍ متعةً من

(١) راجع (صحيح مسلم) ج٢ ص١٠٢٣ح١٥.

(٢) راجع (صحيح البخاري) ج٧ ص١٦.

باب قول النبي صلى الله عليه وآله: « **إدرؤوا الحدود بالشبهات** » فلو لم تكن المتعة حلالاً، لا تخلو أنْ تكون شبهةً، فكيف يجوز لمسلم يؤمن بالله - بحسب دعوى عمر - أنْ يتفوّه بمثل هذا القول إلاّ أنْ يكون ناهجاً لشرع آخر من عند نفسه.

ولا عجب، فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله بهتاناً وزوراً أنه قال لعمر: (لو لم أُبعَث، لبُعِثْتَ يا عمر)[1]. (وإنّ الله بعث جبرائيل ليسأله هل هو راضٍ عن الله كرضى الله عنه)[2]. (إنّ الله تعالى جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرّق الله به بين الحقّ والباطل)[3]. (الحقّ بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان)[4]. (إنّ الله وضع الحقَّ على لسان عمر يقولُ به)[5]. (إنّ الشيطان لم يلقَ عمر منذُ أسلم إلاّ خرّ لوجهه)[6]. (إنّ الشيطان ليفرّنَّ منكَ يا عمر)[7]. (إنّ الله تعالى باهى ملائكته بالناس يوم عرفة عامةً، وباهي بعمر بن الخطاب خاصة، وما في السماء مَلَكٌ إلاّ وهو يوقّر عمر، وما في الأرض شيطان إلاّ وهو يفرّ من عمر)[8]. (إيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلاّ سلك فجّاً غير فجّك)[9]. (بينا أنا نائم إذ أُتيت بقدح لبنٍ فشربتُ منه حتى لأرى الريَّ يجري في أظفاري ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أوّلته يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: العلم)[10]. (بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة، فإذا أنا بامرأةٍ تتوضأ إلى جانب

---

(١) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٥٨١ ح٣٢٧٦١.

(٢) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٥٧٩ ح٣٢٧٤٧.

(٣) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٢٦٢ ح٣٢٧١١.

(٤) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧١٢.

(٥) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧١٥.

(٦) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧١٦.

(٧) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧١٧.

(٨) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٢٢.

(٩) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٢٣.

(١٠) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٢٦.

قصر فقلتُ: لِمَنهذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرتك فوليتُ مدبراً)[1]. (عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان)[2]. (قال لي جيرائيل: ليبكِ الإسلام على موت عمر)[3]. (ما طلعت الشمس على رجلٍ خيرٌ من عمر)[4]. (أتاني جبرائيل فقال: إقرأ عمر السّلام وقل له: إنّ رضاه حكمٌ وإنّ غضبه عز)[5]. (أول من يصافحه الحق عمر، وأوّل من يُسلّم عليه وأول مَن يأخذ بيده فيدخله الجَنّة)[6]. (لا تنسنا يا أخي من دعائك)[7]. (ويحك إذا مات عمر! فإن استطعت أنْ تموت فمت)[8]. (لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب)[9]. (إنّ الله غيور يحبُّ الغيور إنّ عمر غيور)[10]. (أتاني جبرائيل فقال: أقرِئ عمر السّلام وأعلمه أنّ غضبه عزّ ورضاه عدل)[11]. (إنّ الله جعل السكينة على لسان عمر وقلبه يقول بها)[12]. (أصاب الله بك يا ابن الخطاب)[13]. (سيكون بعدي أشياء فأحبُّها إليَّ أنْ تلزم ما أحدث عمر)[14].

---

(١) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٢٨.

(٢) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٣٢.

(٣) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٣٣.

(٤) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٣٦.

(٥) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٣٧.

(٦) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٣٨.

(٧) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٣٩.

(٨) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٤١.

(٩) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٤٢.

(١٠) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٤٣.

(١١) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٤٤.

(١٢) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٥٠.

(١٣) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٥١.

(١٤) راجع (كتر العمال) ج١١ ح٣٢٧٥٣.

❖ **ملاحظة مهمة:**

أنظر أخي القارئ إلى الكذب والتلفيق على رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث جعل الحديث بدع عمر بن الخطّاب من شريعته المقدَّسة التي يحرم نقضها..!!.

(الشيطان يفرق من عمر بن الخطاب)[1]. (الشيطان يفرّ من حسِّ عمر)[2].

(اللهم أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب)[3]. (اللهم اسدُد الدين بأحبّ الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام)[4]. (اللهم أخْرِجْ ما في صدر عمر من غلٍّ وداءٍ وأبدِلْهُ إيماناً – ثلاثاً –)[5].

والروايات المختلفة في فضله كثيرة فليراجع من أرادها إلى المصادر المعتبرة عند العامّة[6]. أما فضائل أبي بكر وعثمان فقد غصّ فيها كتاب (كنْز العمّال) منها:

(أبو بكر وعمر خير الأولين وخير الآخرين وخير أهل السماوات وخير الأرضين إلاّ النبيين والمرسلين)[7]. (اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر فإنهما حبل الله الممدود، ومَن تمسّك بهما فقد تمسَّكَ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها)[8]. (ما من نبيّ إلاّ وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبرائيل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر)[9]. (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلاّ النبيين والمرسلين)[10].

---

(١) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٦١.

(٢) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٦٢.

(٣) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٦٥.

(٤) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٦٧.

(٥) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٧٤.

(٦) راجع (كنز العمال) ج٥ ص٢٦٢ باب فضل عمر بن الخطاب.

(٧) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٢٥٦ ح٣٢٦٤٢.

(٨) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٦٤٣.

(٩) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٦٤٤.

(١٠) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٦٤٩.

(اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، اهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود)[1]. (أشدّ أمتي حياء عثمان بن عفان)[2]. (ما زوجت عثمان أمّ كلثوم إلاّ بوحي من السّماء)[3]. (عثمان حي تستحي منه الملائكة)[4]. (لو كان عندي ثالثة لزوجتها إياه)[5]. (لو أنّ لي أربعين إبنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهنّ واحدة)[6].

والخلاصة: لقد رووا أحاديث يخجل القلم عن ذكرها، حيث تنسب لهؤلاء الظالمين ما لم تنسبه إلى نبيّ مرسَل أو مَلَك مقرَّب، كلّ ذلك لتبرير شرورهم وتلبيسها بثوب الدِّين والشريعة، وهكذا يفعل المنافقون في كلّ زمان، يسخرون من الناس ويتلاعبون بعواطفهم ومعتقداتهم ليتحكَّموا بمقدرات الأمّة وينتهبوا ثرواتها!.

إنّ ما افتراه رواة العامة على رسول الله صلى الله عليه وآله من روايات المديح بهؤلاء الظالمين كافٍ في سفه أتباعهم ومروقهم من الدين بهذا الاعتقاد.

عَودٌ على بدء: إنّ المتعة أحلّها الله تعالى في كتابه الكريم وأمر بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وفعلها الصحابة، فقد ورد في الجمع بين الصحيحين عن جابر قال: (كنا نتمتع بالقبصة من التمر والدقيق أياماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر حتى نهى عمر بن الخطاب لأجل عمر بن حريث لمّا استمتع)[7].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عمران بن الحصين قال: (نزلت متعة النساء في كتاب الله وعلمناها وفعلناها مع النبي صلى الله عليه وآله ولم ينْزل قرآن بحرمتها ولم ينهَ عنها

---

(١) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٦٥٤.

(٢) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٧٨٩.

(٣) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٨٠٩.

(٤) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٨٠٢.

(٥) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٨٢٤.

(٦) راجع (كنز العمال) ج١١ ح٣٢٨٢٨.

(٧) راجع (صحيح مسلم) ج٢ ص١٠٢٣ح١٦.

حتى مات[1].

وفي صحيح الترمذي قال: (سُئل ابن عمر عن متعة النساء فقال: هي حلال، وكان السائل من أهل الشام، فقال له: إنّ إباكَ قد نهى عنها!! فقال ابن عمر: إنْ كان أبي قد نهى عنها فقد وضعها رسولُ اللهصلى الله عليه وآله، أفنترك السُنَّة ونتبع قول أبي)[2].

وروى البيهقي عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: (رخص رسول الله صلى الله عليه وآله في متعة النساء عام أوطاس ثم نهى عنها بعد)[3].

وعن أبي نضرة قال: كنتُ عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ، فقال: (إبن عبّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول اللهصلى الله عليه وآله ثم نهانا عنهما فلم نعد لهما[4].

والحاصل: إنّ عمر حرّم متعة النساء التي قام الدليل القطعي على حليتها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ودعوى أنها نسخت مردودة لما ورد في مصادر الفريقين بالمتواتر أنّ عمر نهى عنها وأوعد بالعقاب لفاعلها، عدا عن الأخبار الأخرى الدالة على إباحتها، فكيف يصحّ النسخ بعد ذلك؟! فإنكار عمر لهذه المسألة شاهدٌ واضحٌ على كفره وكفر متابعيه على ذلك.

الأمر الخامس: إنّه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز له، فأعطى عائشة وحفصة في كلّ سنة عشرة آلاف درهم، وحرّم على أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام خمسهم الذي افترضه الله تعالى لهم؛ وقد دافع أتباعه عنه في هذه المسألة كنظائرها من المسائل، بأنّه إنما فعل ذلك لمصلحة ارتآها طبقاً لاجتهاده، مع أنّه لم يثبت تحريم إعطاء النساء من بيت المال، ولعلّه إنما منع أهلَ البيتعليهم السلام من الخمس لأنه اطلع في اجتهاده على معارض اقتضاه، وعارض به نصّ الكتاب، والمخالفة في مثل هذه

(١) راجع (مسند أحمد) ج٣ ص٣٨٠.

(٢) راجع (مسند أحمد) ج٢ ص٩٥.

(٣) راجع (السّنن الكبرى) ج٧ ص٣٣٢ ح١٤١٦١.

(٤) راجع (السّنن الكبرى) ج٧ ص٣٣٥ ح١٤١٦٩.

الأمور الظنية لا يوجب القدح.

وجوابنا عن دفاعهم: لم يناقش أحد في جواز أصل إعطاء النساء من بيت المال، ولكن الجدال أنْ يُعطين أكثر من اللازم والواجب، بل لا بدّ من الإقتصار على الضرورة، والزائد عنها حرامٌ شرعاً.

مضافاً إلى أنّ العطاء من بيت المال لا لسبب يقتضيه كجهادٍ أو نحوه حرام قطعاً؛ لأنّ ذلك مال المسلمين، يجب صرفه في موارده المعتبرة التي حددها النبيّ ﷺ على وجه الخصوص.. وخمسُ أهل البيت عليهم السلام الذي اغتصبه عمر منهم، توزيعه منصوص عليه من كتاب الله، فلا يقبل الإحتمال والتأويل، فأيّ مجال للإجتهاد والظن في مقابله؟!.

وما يدعو للعجب العجاب أنَّ اجتهاد عمر غالباً ما يكون مخالفاً لصريح الكتاب، فحيث كان الحكم المنصوص عليه متعلقاً بحقوق أهل البيت عليهم السلام وقع اجتهاده وظنه على تضييع تلك الحقوق، وتهيأتْ عنده المعارضات لها، ثم حصل له من الظن والاجتهاد ما يقتضي صرف تلك الحقوق إلى غيرهم ممن هم على سيرة الشيخين الكافرين، ولا يكون عليه في ذلك حرج ولا جناح لأنّه تابع للظن، ولا يبعد أنْ يكون اجتهاده في هذه الأمور ظنّاً منه أنه نبيّ بعد خاتم النبيين رسول الله محمّد ﷺ، لذا كان ينسخ شرع الرسول ﷺ فيحرِّم ما أحلَّ، ويضرب الحدَّ على نكاح المنقطع، ويحلّل ما حرَّمَ رسول الله ﷺ كالجماعة في صلاة التراويح، ويعمل الحيل الممكنة في عداوة أهل البيت عليهم السلام وتضييع حقوقهم، ويدقق النظر في إيذاء أمير المؤمنين عليه السلام ودفعه عن الإمامة كما حصل بعد رحيل النبي ﷺ، وفي الشورى، ولو كان متبعاً لشرع النبي ﷺ لما عاكسه في كلّ ما يقول؟!!!.

ودعوى العامّة بأنّ المخالفة في الأمور الظنية لا توجب القدح، ليست مسلّمة قطعاً؛ لأنّ المنصوص في الكتاب ليس ظنياً حتى يتطرق إليه الإجتهاد، لا سيّما وأنّ ما حَرَّمَه عمرُ، قد قامَت الأدلةُ من الكتاب والسنّة على حليته وجوازه، ولو أمكن تطرق الاحتمال على نحو هذا، لتطرق إلى نحو ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ الإخلاص.

وخلاصة القول: إنّ أهل النصب سلكوا مسلكاً أرادوا به تطبيق الشرع والدين والإمامة على أفعال هؤلاء الأصنام الأرجاس الأوثان وأقوالهم وما صدر عنهم، ولا يبالون بما يلزم في ارتكاب ذلك من مكابرة ومدافعة للحقّ وانحراف عن مقتضى بداهة العقل، ولم يراقبوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله في حقوق أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ولا في تحقيق الحقّ وإبطال الباطل.

إكتفينا بهذا المقدار من مخالفات عمر بن الخطاب، وهو كافٍ في التنبيه على ما سواه...

المبحث الثالث: نبذة من مخالفات عثمان بن عفان:

سنعدِّد في هذا المبحث مخازي عثمان ومخالفاته على وجه الإجمال، وأما التفاصيل فيراجع كتابنا: (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد).

وأهمّ مخازيه أمور:

الأمر الأول: إنّ عثمان ولّى أمر المسلمين مَن لا يصلح للولاية ولا يؤتمن عليه، كلّ ذلك رعايةً لقرابته وإعراضاً عن رعاية حرمة الدِّين، وقد كان عمر حذّره من ذلك خوفاً من اجتماع الصحابة على الإنكار عليه.

فممّن ولاّه:

١- الوليد بن عقبة الذي كان متظاهراً بشرب الخمر والفسوق، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨ ﴾ سُورَةُ السَّجْدَةِ، فالمؤمن هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والفاسق هو الوليد بن عقبة ومن عيّنه ونصّبه. كما نزل فيه قوله تعالى ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ... ۝٦ ﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ، وحين إمارته كان يصلّي وهو سكران حتى تكلّم في الصّلاة والتفت وقال: أزيدكم في الصّلاة؟ قالوا: لا، قد قضينا صلاتنا[1].

٢- وممن ولاّه أيضاً: سعيد بن العاص على الكوفة.

---

(١) راجع (السّنن الكبرى) ج٨ ص٣١٨، (مسند أحمد) ج١ ص١٤٤.

٣- وولى عبد الله بن أبي سرح على مصر، لكنّ أهل مصر أنكروا عليه أموراً فصرفه عنهم، وولى بدله محمّد بن أبي بكر، لكنّ عبد الله كاتب عثمان سرّاً بأنْ يُرجِعَهُ إلى الولاية وأمره بقتل محمّد بن أبي بكر... وكان هذا الكتاب سبباً لحصره وقتله[1].

٤- وولى معاوية الشام، وقد ظهرت من هذا أعمال فظيعة في شيعة أهل البيت عليهم السلام وكذا ما صدر من ابنه يزيد..!.

الأمر الثاني: إنّه ردّ الحكم بن أبي العاص عمّه إلى المدينة وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد طرده وأبعده عن المدينة إلى الطائف وقال: « **لا تساكنني في بلدٍ أبداً** »[2]، وامتنع أبو بكر وعمر من ردّه، فخالف عثمان حكمَ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبالِ الحكمُ بإيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فما فعله عثمان إيذاء للنبي صلى الله عليه وآله، ومودّة لِمَن آذى النبيّ صلى الله عليه وآله، فلا يكون مؤمناً بالله واليوم الآخر، فيكون عثمان - حينئذٍ — كافراً وهكذا نظيراه.

ويروى أنّ عثمان تشفع للحكم عند النبيّ صلى الله عليه وآله وكلَّمَه فيه فابى، ثمّ جاء إلى أبي بكر وعمر في زمان اغتصابهما وكلَّمَهما فيه فأغلظا عليه القول...!.

فبدلاً من أنْ يعادي عثمانُ الحكمَ لكونه آذى رسولَ الله صلى الله عليه وآله، وبدلاً من أنْ يتبرّأ منه ويلعنه، نراه فعل العكس، فقد أحبّ وقرّب عدوَّ الله وعدوَّ رسوله صلى الله عليه وآله...!.

الأمر الثالث: إيثاره أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي حقّ المسلمين وفيئهم، وحاول المخالفون تبرئته من ذلك مُدَّعِين بأنه إنما وزّع الأموال على أقربائه، لا من بيت المال وإنما من أمواله الخاصة.

والعجب من هؤلاء الفجرة كيف يجيبون بمثل هذا، والمنقول في كتبهم خلافه، فقد روى الواقدي: إنّ عثمان قال: (إنّ أبا بكر وعمر كانا يناولان من هذا المال ذوي أرحامهما وإني ناولت منه صلة رحمي).

---

(١) راجع (الدر المنثور) ج٧ ص٢٨٢، (الاستيعاب) ج٢ ص٣٧٥.

(٢) راجع (تاريخ اليعقوبي) ج٢ ص٢٨، (العقد الفريد) ج٢ ص٢٦١.

الأمر الرابع: إنّه أهان وضرب كبراء الصحابة، فضرب عبدَ الله بن مسعود حتى كسر له ضلعين من أضلاعه، وحرق مصحفه، وحرمه عطاء سنين، فمات من ذلك، وأوصى ابن مسعود عمّاراً بأنْ لا يصلّي عثمانُ عليه.

كما وضرب عماراً حتى حدث فيه فتقٌ[1]، وكان عمارٌ أحد المؤلبين على قتله وكان يقول: (قتلنا كافراً).

وروى البلاذري في الأنساب: إنّ المقداد وعماراً وطلحة والزبير وجماعة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه وأعلموه بأنهم مواثبوه إنْ لم يقلع عن منكراته، فجاء به عمّار وقرأ سطراً من الكتاب، فقال له عثمان: (أعَلَيَّ تقدم من بينهم؟) ثمّ أمر غلمانه فمدّوا يديه ورجليه، ثم ضربه عثمان على مذاكيره، فأصابه فتقٌ - وكان عمار شيخاً كبيراً - فغشي عليه.

شبهات دفاعاً عن عثمان بن عفّان..!!.

برَّرَ المخالفون ما فعله عثمان بتبريرات واهية منها:

الشبهة الأولى: إنّ عثمان ضرب ابن مسعود - إنْ صحّ - وذلك لأنّ عثمان أراد أنْ يجمع الناس على مصحف واحدٍ ليرفع الاختلاف بينهم في كتاب الله، فطلب من ابن مسعود مصحفه منه، فأبى ذلك ابنُ مسعود، وقد كان في مصحفه زيادة ونقصان، لذا لمّا رفض أدّبه عثمان، ونمنع أنه مات من ذلك، ومنه العطاء لأنه صرفه إلى مَن هو أولى منه، أو لأنه قد استغنى عنه.

الشبهة الثانية: إنّ عثمان ضرب عماراً للتأديب؛ لأنه دخل عليه وأساء إليه الأدب، وأغلظ عليه في القول بما لا يجوز التجري به على الأئمّة، وللإمام تأديب مثله وإنْ أفضى إلى هلاكه!!! ونحو هذا لازم للشيعة؛ لأنّ الإمام علياً عليه السلام قتل أكثر الصحابة في حروبه، وإذا جاز القتل لمفسدة جاز التأديب.

(١) راجع (الأنساب) للبلاذري ج٥ ص٤٩.

الشبهة الثالثة: إنّ عثمان ضرب أبا ذر لأنّه بلغه أنه كان في الشام إذا صلّى الجمعة وأخذ الناس في مناقب الشيخين يقول لهم: (أرأيتم ما أحدث الناس بعدهما؟ شيّدوا البنيان ولبسوا الناعم وركبوا الخيل وأكلوا الطيبات)، وكان يفسد بأقواله الأمور ويشوّش الأحوال، فاستدعاه من الشام، وكان إذا رأى عثمان قال: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ... ﴿٣٥﴾ ﴾ التَّوْبَةِ، فضربه عثمان تأديباً، وله أنْ يفعل مثلَ ذلك وإنْ أفضى إلى الهلاك، ثم قال له: إمّا أنْ تكفّ، أو تخرج إلى حيث تريد فخرج إلى الربذة غير منفيّ ومات بها!!.

الجواب على الشبهة الأولى:

كلّ هذه الشبهات تخرصات لا أساس لها سوى التخمين والظنّ، وإنّ الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً... ومع هذا نورد على الشبهة الأولى ما يلي:

① إنّ ضرب عثمان لعبد الله بن مسعود أشهر من الصباح ومن النار على المنار، فكيف يصحّ أنْ يُقال: إنْ صحّ ضربُه؟!

② إرادة عثمان جمع الناس على مصحفٍ واحدٍ وامتناع ابن مسعود من إحضار مصحفه على تقدير الصحة، لا يبيح ضربَ ابن مسعود، فإنّ غايته أنّ الزيادة و النقصان اللذين في المصحف لا يكونان متواترين، لكنّ هذا لا يستلزم أنْ يكونا باطلين عند مَن يقول بوجود زيادة ونقصان في المصحف، إذ ليس ثمّة إجماع حاصل على عدم وجود زيادة أو نقصان في المصحف، وعلى فرض اعتقاد ابن مسعود بوجود زيادة ونقصان فإنّ ذلك لا يوجب تأديبه وتعزيره؛ لأنه على هذا المبنى يجب تعزير عثمان أيضاً لاعتقاده بوجود زيادة أو نقصان في المصحف، فلِمَ يُعَزَّر ابنُ مسعود ولا يُعَزَّر عثمان، ما دام الإثنان معاً يعتقدان بوجود زيادة ونقصان في المصحف؟!!!.

مضافاً إلى أنّ الاعتقاد بوجود زيادة أو نقصان لا يخالف الشرعَ المبين، وعلى فرض أنّ ذلك يوجب مخالفة للشرع، فلا بدّ حينئذٍ من الرّجوع إلى القَيِّم على حفظ

الشرع وهو الإمام المنصوص عليه مِن قِبَلِ الشرع، لا الذي انتخبته الشورى أو السقيفة، وعلى فرض أنّ لعثمان صلاحية التقويم والطاعة، لكنّ طاعته ليست واجبة مطلَقاً، بل فيما وجب شرعاً، وهو منتفٍ هنا، على أنّه لو جاز تأديبه لم يجز كسر ضلعه وإهلاكه بالضرب؛ لأنّ التأذي معلوم لا يبلغ هذا المقدار قطعاً.

(٣) ودعوى إنّ ابنَ مسعود لم يمت بسبب الضرب مكابرة صريحة بعد ورود النقل به واشتهار الرواية بمضمونه... وعلى فرض جواز ضربه، فما هو المجوِّز لحرق مصحفه!! وهل يجوز حرق كتاب الله؟! اللهمّ إلاّ عند عثمان ومَن سبقه من زنادقة العرب... ويكفي في كفر عثمان إقدامه على إلقاء كتاب الله في النار، فإنّ مثل هذه الأفعال لا يفعلها إلاّ كافر ومعاند لدين رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله...!.

(٤) وأمّا منعه العطاء عن ابن مسعود، فقد نقل المحدثون ما يدلّ على أنّه من توابع انتقامه منه، على أنّه لو وُجِدَ مَن هو أولى من ابن مسعود - كما يزعمون ويتخرصون - لم يجز حرمانه، بل يجب أنْ يُعطَى كلٌّ على قدر استحقاقه... وكيف يجوز أنْ يُقال: إنّه كان مستغنياً عنه، وقد روي أنه قال له: أفلا آمر لك بعطائك؟ فقال له ابنُ مسعود: منعتنيه وأنا محتاج، وتُعطنيه وأنا مستغنٍ عنه؟ وهلاّ أجابه عثمان بما قال عنه هؤلاء الفجرة؟ بل كيف يجوز أنْ يأمر بما لا يحلّ ويجوز شرعاً؟!!!.

الجواب على الشبهة الثانية:

(١) لا يحقّ لعثمان أنْ يضرب عماراً للتأديب؛ لأنَّ عثمان نفسه يجب تأديبه وضربه لكونه ارتكب من الفظائع ما لم يرتكبه أحدٌ غيره، فمَن تظاهر بالمنكر وتصرَّفَ في بيت مال المسلمين وآثر به علوج بني أميّة، بل مَن يستحقّ أنْ يؤدّب صاحبَ المنكر هو مَن نهى عن المنكر وصدع بالحقّ... عنيتُ به أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام باعتباره إمام الأمة بنصّ الكتاب ونصّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فهو الجدير بإقامة الحدود والتعزيرات وليس عثمان ومن سبقه من طواغيت العرب.

وأيّ إساءة أدب وقعتْ من عمّار غير ما نُقِلَ عنه من اعتراضه على عثمان لما قال

عثمان: (لنأخذنّ من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام)، فقال عمّار: (أشهدُ اللهَ أن أنفي أوّل راغم).

② من المعلوم أنّ سبب اعتداء عثمان على عمّار هو اعتراض الصحابة عليه بكتابٍ أرسلوه مع عمّار، فكان الواجب على عثمان أنْ ينقاد إلى النصيحة ويخرج مما هو عليه من ظلامة المسلمين والتصرف في أموالهم، ويصغي إلى عمّار بقلبه ولا يتغطرس عن قبول الحقّ والإقلاع عمّا اقترفه من الكبائر... وهل كان لإمامة عثمان مزيّة تمنع من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإرشاده إلى ما هو الحقّ ليكون الآمر والناهي له مُسيئاً للأدب مستحقاً للضرب والإهانة؟!

وإنما يُضْرَب شرعاً مَن تعدّى الحدودَ الشرعية، وأساء الأدب في ملازمتها، ومجرّد إساءة الأدب مع عثمان لا يوجب توهينه وإذلاله وضربه مع الناس... وإنما يُضرَب مَن لا يلاحظ شريعة النبيﷺ ويتكبّر على تنفيذها وتطبيق أوامرها... على أنه لو جاز له ضربه تعزيراً لم يجزِ أنْ يضربه على مذاكيره إلى أنْ يُغشى عليه مع ما هو عليه من كِبَرِ السنّ وتقدُّم الإسلام وعلوّ القدر بين الصحابة وحبّ النبيّﷺ له، وقد روى العامة عن عمار أخباراً تدلّ على عميق محبّة النبيﷺ له نظير ما ورد عنهﷺ من أنه قال: « **عمّار جلدة ما بين العين والأنف** »[1]. وقالﷺ: « **ما لهم ولعمّار؟ يدعوهم إلى الجَنَّة ويدعونه إلى النار** »[2].

وقالﷺ: « **مَن عادى عماراً عاداه الله، ومَن أبغض عمّاراً أبغضه الله** »[3].

فلْينظر العاقل إلى ما يروونه في عمّار وإلى ما يجيبوننا به، ولا ريب أنهم أجهل مَن على وجه الأرض وأسفههم.

③ وقولهم: إنّ نحو هذا لازم على الشيعة في الإمام عليّعليه السلام فإنه قتل كبراء الصحابة... فإنه كلام فيه مكابرة وقياس مع الفارق.. إذ كيف يقاس هذا بحربِ الإمام

---

(١) راجع (كنز العمال) باب عمّار.

(٢) راجع (كنز العمال) باب عمّار.

(٣) راجع (كنز العمال) باب عمّار.

عليّ عليه السلام وقتله الناكثين والقاسطين والمارقين الذين أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأنه سيقاتلهم، وقال له: « **إنكَ تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنْزيله** »[1].

وقال صلى الله عليه وآله: « **حربكَ حربي، وأنا حرب لمن حاربكَ وسِلْم لمَن سالمَكَ** »[2].

كيف يُقاس الإمام عليّ عليه السلام بعثمان الذي تصرّف بأموال المسلمين أعداء الله ورسوله وعلوج بني أميّة، وضرب مَن أنكر عليه ذلك من كبراء الصحابة؟ فهل نزلت بعثمان آيات التطهير والتقديس ووجوب الإطاعة كما نزلت في الإمام عليّ عليه السلام؟!! وهل نقل لنا التاريخ أنّ الإمام علياً صلوات الله عليه تعدّى الحدود الشرعيّة بقولٍ أو فعلٍ أو ضيّع حقوق الله في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد مماته؟ وهل تغيرت سيرتُه من أوّل عمره إلى آخره، حتى يلزم علينا في فعله ما لزمهم في فعل عثمان؟ سوّد الله وجوههم ما أجرأهم على الله وأبعدهم عن الحق!!!.

الجواب على الشبهة الثالثة:

تتألف الشبهة من أمرين:

الأوّل: إنّ لعثمان الحقّ أنْ يضرب مَن أنكر عليه تأديباً.

الثاني: إنّ أبا ذر خرج من المدينة إلى الربذة باختياره لا بإكراهٍ من عثمان.

أمّا الأمر الأوّل: فباطل عقلاً ونقلاً؛ لأنهما لا يجيزان ضرب الناهي عن المنكر، وكون عثمان حاكماً على الأمّة - بالقهر والغلبة - لا يعطيه الصلاحية لأذيّة مَن أنكر عليه أفعاله الشنيعة... وكيف ساغ له أنْ يخرج أبا ذر إلى الشام ثم يردّه مهاناً على ناقةٍ عجفاء بلا غطاء ولا وطاء حتّى تسلّخ فخذاه؟!! وهل يكون تكلمه بين الناس بالإنكار عليه موجباً لهذا شرعاً؟ وهل يصحّ ضرب مَن قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: « **ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ومَن سَرَّه أنْ ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر** »[3].

---

(1) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٧٢٢ ح٣٣٥٣٤

(2) راجع (كنز العمال) ج١١ ص٧٢٢ ح٣٣٥٣٤

(3) راجع (الطبقات) ج٤ ص٧٢.

وأمّا الأمر الثاني: فأمر معلوم لا يخفى على أحد، ولكن أهل العناد لا يتركون عادة كفرهم، وقد رُوي أنّ عثمان قال يوماً: أيجوز للإمام أنْ يأخذ من بيت المال، فإذا أيسر قضى - أي أرجع المال إلى بيت المال -؟ قال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال له أبو ذر: يابن اليهوديَّيْن، أتُعَلِّمنا دينَنا؟ فقال عثمان: قد كثر أذاكَ لي وتولُّعكَ بأصحابي، إلحقْ بالشام، فأخرجه إليها.

وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاويةُ ثلاثمئة دينار فردّها عليه، وكان أبو ذر يقول: (والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سُنّة نبيه، والله إني لأرى حقاً يطغى، وباطلاً يُحيى، وصادقاً مكذَّباً وعشرةً بغير تُقى، وصالحاً مستأثراً عليه).

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إنّ أبا ذر أفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إنْ كان لك فيه حاجة.

فكتب معاوية إلى عثمان فيه، وكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد، فاحمِلْ جُندباً إليَّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجهه مع مَن سار به ليلاً ونهاراً، وحمّله على بعيرٍ ليس عليه قتب حتى قدم المدينة وقد سقط لحمُ فخذيه من الجهد! فبعث إليه عثمان فقال: إلحَقْ بأيّ أرض شئت، فقال أبو ذر: بمكة؟ قال: لا، قال: ببيت المقدس؟ قال: لا، قال: بأحد المصرين؟ قال: لا، ولكن مصيرك إلى الربذة، فلم يزل بها حتى مات[(١)].

وقد روى ابن سعد في (الطبقات) أخباراً مستفيضة تدلّ بوضوح على أنّ عثمان نفى أبا ذر إلى الربذة، منها الآتي[(٢)]:

قال: أخبرنا محمد بن الفضيل عن مطرف عن أبي الجهم عن خالد بن وهبان وكان بن خالة أبي ذر عن أبي ذر قال: قال النبيﷺ: « **يا أبا ذر كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالفئ؟** » قال: قلتُ: إذاً والذي بعثك بالحق

---

(١) راجع (الأنساب) ج٥ ص٥٢.

(٢) راجع (الطبقات) ج٤ ص١٧٠ح١٧١.

أضرب بسيفي حتى ألحق به. فقال: « **أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ اصْبِرْ حتى تلقاني** ».

قال: أخبرنا هُشيم قال: أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال: مررتُ بالرَّبَذَة فإذا أنا بأبي ذر، قال: فقلتُ: ما أنزلك منْزلك هذا؟ قال: كنتُ بالشام فاختلفتُ أنا ومعاوية في هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ... ﴿٣٤﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، وقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، قال: فقلتُ: نزلتْ فينا وفيهم. قال: فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب يشكوني إلى عثمان، قال فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتُ المدينة وكَثُرَ الناسُ عَلَيَّ كأنهم لم يروني قبل ذلك. قال: فذُكِرَ ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئتَ تنحّيتَ فكنتَ قريباً. فذاك أنزلني هذا المنزل ولو أمر عليَّ حبَشي لسمعتُ ولأطعتُ.

قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبي ذر: « **إذا بلغ النبأ سلعا فاخرج منها، ونحا بيده نحو الشام، ولا أرى أمراءك يَدَعونَكَ** ». قال: يا رسول الله أفلا أقاتل من يحول بيني وبين أمرك؟ قال: « **لا** »، قال: فما تأمرني؟ قال: « **اسْمَعْ وأطِعْ ولو لعبد حَبَشيّ** ».

قال: فلمّا كان ذلك خرج إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان فقدم عليه، ثم بعثوا أهله من بعده فوجدوا عنده كيساً أو شيئاً فظنوا أنه دراهم، فقالوا: ما شاء الله! فإذا هي فلوس. فلمّا قدم المدينة قال له عثمان: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح، قال: لا حاجة لي في دنياكم، ثم قال: ائْذَنْ لي حتى أخرج إلى الرَّبَذَة، فأذن له فخرج إلى الرَّبَذَة وقد أقيمت الصلاة وعليها عبد لعثمان حبشي فتأخر، فقال أبو ذر: تقدم فصل فقد أُمِرْتُ أن أسمعَ وأطيعَ ولو لعَبْدٍ حَبَشِيّ فأنت عبد حبشي.

قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا العوام بن حوشب قال: حدثني رجل من أصحاب الاجر عن شيخين من بني ثعلبة رجل وامرأته قالا: نزلنا الرَّبَذَة فمرَّ بنا شيخ أشعث أبيض الرأس واللحية فقالوا: هذا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله،

فاستأذناه أنْ نغسل رأسه فأذِنَ لنا واستأنس بنا، فبينا نحن كذلك إذ أتاه نفرٌ من أهل العراق، حسبته قال من أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا ذر فعل بك هذا الرجل وفعل فهل أنت ناصبٌ لنا رايةً؟ فَلْنُكْمِلْ برجال ما شئتَ. فقال: يا أهل الإسلام لا تعرضوا عليَّ ذاكم ولا تُذِلّوا السلطان فإنه مَن أذل السلطان فلا توبة له، والله لو أن عثمان صلبني على أطول خشبة أو أطول جبل لَسمعتُ وأطعتُ وصبرتُ واحتسبتُ ورُئيتُ أنّ ذاك خير لي، ولو سيرني ما بين الأفق إلى الأفق، أو قال ما بين المشرق والمغرب، لسمعتُ وأطعتُ وصبرتُ واحتسبتُ ورُئيتُ أنّ ذاك خير لي، ولو ردّني إلى منْزلي لسمعتُ وأطعتُ وصبرتُ واحتسبتُ ورئيتُ أن ذاك خير لي.

قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج عن عبد الله بن سيدان السلمي قال: تناجى أبو ذر وعثمان حتى ارتفعتْ أصواتُهما، ثم انصرف أبو ذر متبسماً، فقال له الناس: ما لك ولأمير المؤمنين؟ قال: سامعٌ مطيعٌ ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم استطعت أن أفعل لفعلت، وأمره عثمان أن يخرج إلى الرَّبَذَة.

قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا سفيان بن حسين عن الحكم بن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: كنتُ رِدْفَ رسول الله ﷺ وهو على حمار وعليه بردعة أو قطيفة قال أخبرنا عبد الله بن نمير قال: أخبرنا الأعمش عن عثمان بن عمير عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر** ».

وروى الواقدي أنّ أبا الأسود الدؤلي قال: كنتُ أحبُّ لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه، فنَزَلتُ الرَّبَذَة فقلتُ له: ألا تخبرني، خرجت من المدينة طائعاً أو أُخْرِجْتَ؟ فقال: كنتُ في ثغر من ثغور المسلمين أعني عنهم، فأُخرِجْتُ إلى المدينة، فقلتُ: أصحابي ودار هجرتي، فأُخرجتً منه إلى ما ترى!

ثمّ قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد، إذ مرّ بي رسول الله ﷺ فضربني برجله،

فقال: « **لا أراك نائماً في المسجد** »، فقلتُ: بأبي وأمي غلبتني عيني فنمتُ فيه، فقال: « **كيف تصنع إذا أخرجوكَ منه؟** » فقلتُ: إذاً ألحق بالشام، فقال: « **كيف تصنع إذا أخرجوك منها؟** » قلتُ: أرجع إلى المسجد، قال: « **فكيف تصنع إذا أخرجوكَ منه؟** » فقلتُ: آخذ سيفي وأضربُ به، فقالﷺ: « **ألا أدلّكَ على خيرٍ من ذلك؟ إنسَقْ معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع** »، فسمعتُ وأطعتُ وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقينّ الله وهو آثم في جنبي[1].

فهذه الأخبار ناطقة بأنه لم يخرج بنفسه وإنما أخرجه عثمان بن عفان، ولو أننا تركنا الأخبار المتقدّمة جانباً، لأمكننا أيضاً أنْ نحتجّ على تحريم ما ارتكبه عثمان في حقّ أبي ذر، لأنه يمتنع أنْ يكون أبو ذر ظالماً لعثمان فيما قاله فلا يكون كاذباً؛ لأنه قد شهد النبيُّ بصدقه ويمتنع كذبه، ولأنه لما سأل عثمان الحاضرين عن الحديث الذي رواه أبو ذر شهدوا له بأنّ النبيّﷺ شهد بكونه صادقاً في حقّ عثمان، فالمستحق للتعزير والضرب والإهانة عثمان بن عفان لا أبو ذر رضي الله عنه.

إشكال على حديث « ما أظلت الخضراء.. » !!.

قالوا: إنّ مراد النبيّﷺ « **ما أظلت الخضراء..** » المبالغة، وإلاّ لزم أنْ يكون أبو ذر أصدق من النبيّﷺ.

الجواب: لا يجوز حمل الحديث على المجاز إلاّ بقرينة تصرفه عن الحقيقة، والنبي وأهل بيته عليهم السلام خارجون عن ذلك بدليل عصمتهم، والتخصيص بمنفصل جائزٌ كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ، وقوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ... ۝٢٣ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ.

ومن البديهي أنّ بلقيس لم تصبح شريكاً لله تعالى في قدرتها على كلّ شيء حتى على قدرة الله والعياذ بالله تعالى فإنّ ذلك غير ممكن بل هو ممتنع عقلاً، فتخصيص الله تعالى عن قدرة بلقيس تخصيص عقليٌّ ونقليٌّ، وكذا في مسألة أبي ذر، فكونه

(١) راجع (مسند أحمد) ج٥ ص١٥٦.

أصدق لهجة، لاستلزم كونه أصدق من الرسول وأهل بيته الميامين عليهم السلام، فإنّ ذلك ممتنع لكونهم أفضل منه قطعاً، ولولاهم لَمَا وصل أبو ذر إلى أعلى المقامات المعنوية والرّوحية...

وبالجملة: يظهر مما تقدّم استحقاق عثمان للّعن، مضافاً إلى أنّ هجوم خيار الصحابة عليه وقتلهم له دليلٌ آخر على استحقاقه اللعن، حتى أنّ عائشة حرّضت على قتله لأنه فجر وكفر؛ فقد جاء عنها أنها قالت: (أقتُلُوا نعثلاً... قتل الله نعثلاً إنّه غَيَّرَ سنّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله). وفي تعبير إبن الأعثم: (فقد كفر)[1].

وبما تقدّم يتضح بطلان الحديث المزعوم: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)، وكذا الحديث الآخر: (أصحابي كالنجوم بأيٍّ اقتديتم اهتديتم)، فقد ضلّ عامة الصحابة إلاّ تلامذة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أمثال سلمان وأبي ذر وعمّار والمقداد وجابر الأنصاري ونظرائهم...

قال المحقق الكركي: « **كان يجب - عقلاً ونقلاً على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - أنْ ينصر عثمان لدفع المنكر لولا أنه كان يعتقد كفره واستحقاقه القتل، وعلى تقدير عدم قدرته على نصرته والدفع عنه إنما كان يجب أنْ يقول بلسانه ولو عند بعض الجماعة من أتباعه واصحابه مثل عمّار وغيره: إنّ هذا منكر لا يجوز ارتكابه... وكيف آوى قتلتَه كمحمّد بن أبي بكر ومالك الأشتر ونحوهما... بل جعلهم خاصته؟ حتى قد قال بعد موت الأشتر:** « **رحم اللهُ مالكاً لقد كان لي كما كنتُ لرسول الله فلقد كان ربيباً وكان إليَّ حبيباً** »[2].

وهل يجوز تولية الفاسق قاتل النفس المحرَّمة بغير حقٍّ، بل موادَّته والإغضاء عن ذنْبِه لولا ما ذكرناه؟ وكذا تركه ثلاثة أيام بغير غسلٍ ولا دفن، وكيف يحلّ لهم ذلك لو كان مسلماً في اعتقادهم؟ وكذا شهادة عمّار وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم بكفره »[3].

---

(١) راجع (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج٢ ص٢٤٣.

(٢) راجع (نهج البلاغة) ج٩٨ ص٦٨ والموجود في النّهج هكذا: « **لقد كان إليَّ حبيباً وكان لي ربيباً** ».

(٣) راجع (نفحات اللاهوت) ص١٣٨.

ما أشرنا إليه إنَّما هو نبذة يسيرة من مخازي عثمان ومساويه، فإنها أكثر من أنْ يُطمع في حصرها أو تعدادها...!!.

هذا تمام الكلام في الآيات الدالة على جواز لعنهم وتوابعها من المخالفات التي صدرت من هؤلاء المنافقين لعنهم الله تعالى، فتبقى الأخبار الدالة على جواز لعنهم من طرق الفريقين.

روايات من طرق العامّة تتضمن اللعن صريحاً أو تلميحاً..!.

ومما يشير إلى جواز لعنهم بل تأكيده ما رواه المؤرخون العامة بطرقٍ متعددة منها:

أولاً: ما صدر عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه أمر بتجهيز جيش أسامة بن زيد ولعن المتخلفين عنه، فقال صلى الله عليه وآله: « **جَهِّزُوا جيشَ أسامة، لَعَنَ اللهُ المتخلِّفَ عن جيش أسامة** ».

وقد تخلّف أبو بكر وعمر عن جيش أسامة، فيكونان ملعونين بقول النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله.

ثانياً: لقد صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: « **إتّقِ الضغائن التي في صدور مَن لا يظهرها إلاّ بعد موتي، أولئكَ يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** »، ثمّ بكى صلى الله عليه وآله فقيل له: « **ممّ بكاؤكَ يا رسول الله؟** » قال صلى الله عليه وآله: « **أخبرَني جبرائيل أنهم يظلمونه، ويمنعونه حقّه، ويقاتلونه ويقتلون ولده، ويظلمونهم بعده** »[1]. وروى هذا الخبر صاحب (كشف الغمة) عن أبي محمّد الغمام من رواة العامّة.

ولا ريب أنّ القوم لعنهم الله منعوه حقّه عليه السلام في زمان أبي بكر وعمر وعثمان، ومعاوية الذي قاتل الإمام عليّاً عليه السلام وشهر السيف بوجهه كما شهره أبو بكر وعمر.

ثالثاً: روى الحافظ أبو بكر محمّد بن موسى بن مردويه - من علماء العامّة - عن كتاب (المناقب) بإسناده إلى ابن عبّاس قال: خرجت أنا والنبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليّ

---

(١) راجع (كشف الغمّة) ج١ ص٣٩٨.

عليه السلام فرايتُ حديقةً فقلتُ: ما أحسن هذه يا رسول الله صلى الله عليه وآله!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **حديقتك في الجَنَّة أحسن منها** »، ثم مررنا بسبع حدائق، فقال النبي صلى الله عليه وآله: « **حدائقكَ في الجَنَّة أحسن منها** »، ثم ضرب بيده على رأسه ولحيته وبكى حتى علا بكاؤه، فقال الإمام عليّ عليه السلام: « **ما يبكيكَ؟** » قال صلى الله عليه وآله: « **ضغائن في صدورهم لا يبدونها لكَ حتى يفقدوني** »[1].

رابعاً: عن ابن المغازلي الشافعي في (المناقب) بإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام: « **إنّ الأمّة ستغدر بكَ بعدي** »[2].

خامساً: روى صاحب المناقب الخطيب الخوارزمي بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أصحر (يقال: أصحر إذا خرج إلى الصحراء) فتنفس الصعداء فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما لك تتنفس؟ قال: « **يا ابن مسعود نعيت إليَّ نفسي** »، قلت: استخلف يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: « **مَن؟** » قلت: أبا بكر فسكت ثم تنفس، فقلت: ما لي أراك تتنفس يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: « **نعيت إليَّ نفسي** »، قلت: استخلف يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: « **مَن؟** » قلت: عمر بن الخطاب فسكت ثم تنفس فقلت: ما لي أراك تتنفس يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال صلى الله عليه وآله: « **نعيت إليَّ نفسي** »، قلت: استخلف يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: « **مَن؟** » قلت: عليّ بن أبي طالب، قال صلى الله عليه وآله: « **أوَّه ولن تفعلوا إذا أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة** »[3].

سادساً: وفي (المناقب) الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **عليٌّ خير البشر مَن أبى فقد كفر** »[4].

---

(١) راجع (مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٣٩، (مجمع الزوائد) ج٩ ص١١٨، (مسند أبي يعلى) ج١ ص٤٢٦ح٥٦٥، (كنز العمّال) ج١٣ ص١٧٦ح٣٦٥٢٣، (كشف الغمة) ج١ ص٩٨.

(٢) راجع (ماقب الإمام عليّ) ص٢٣٨.

(٣) راجع (كشف الغمة في معرفة الأئمة) ج١ ص١٥٥.

(٤) راجع (كشف الغمة في معرفة الأئمة) ج١ ص١٥٦.

ولا يشكّ أحدٌ ذو عقلٍ سليمٍ أنّ الذين ناصبوه الخلاف كفارٌ لعدم اعتقادهم بخلافته، من هنا أنكر عليه عمر لمّا أخرجوه من داره ليبايع أبا بكر: إنْ لم تبايع نضرب عنقك[1]. فأبوا كونه خير البشر، من هنا رفضوا إمامته واغتصبوها لأنفسهم.

سابعاً: ونذكر هنا جملة أخبار ضمّنها المحقّق الكركي رحمه الله فصلاً خاصاً من كتابه (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت)، ونحن هنا نذكر بعضاً منها كالآتي[2]:

(١) الحافظ محمّد بن موسى الشيرازي - في كتابه الذي استخرجه من التفاسير الإثنى عشر: تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان، وتفسير ابن حجر جريج، وتفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير وكيع بن جراح، وتفسير يوسف بن موسى القطان، وتفسير قتادة، وتفسير أبي عبيدة القاسم بن سلام، وتفسير عليّ بن حرب الطائي، وتفسير السدي، وتفسير مجاهد، وتفسير مقاتل بن حيان، وتفسير أبي صالح، وكلّهم من الجمهور، عن أنس بن مالك قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكرنا رجلاً يصلي ويصوم ويتصدّق ويزكّي، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **لا أعرفه** »! فبينا نحن في ذكر الرجل إذ قد طلع علينا، فقلنا: هو ذا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لأبي بكر: « **خذ سيفي هذا وامضِ إلى هذا الرجل فاضرب عنقه، فإنه أول مَن يأتيه من حزب الشيطان** »! فدخل أبو بكر المسجد فرآه راكعاً فقال: والله لا أقتلُه، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهانا عن قتل المصلِّين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **إجلِسْ فلستَ بصاحبه، قمْ يا عمر وخذ سيفي من يد أبي بكر وادخُلِ المسجدَ فاضرِبْ عُنُقَهُ** ». قال عمر فأخذتُ السيفَ من أبي بكر ودخلتُ المسجدَ فرأيتُ الرجلَ ساجداً، فقلتُ: واللهِ لا أقتلُهُ، فقد استأذنه مَن هو خيرٌ مِنّي! فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني رأيتُ الرجلَ

---

(١) راجع (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري — فصل إبانة الإمامة علي لأبي بكر.

(٢) راجع (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) ص١٤١.

ساجداً. فقال: « **يا عمر إجْلِسْ فلستَ بصاحبه، قُمْ يا عليُّ فإنكَ أنتَ قاتِلُهُ، إنْ وَجَدْتَهُ فاقتُلْهُ، فإنكَ إنْ قَتَلْتَهُ لم يقع بين أمَّتِي اختلافٌ أبداً** ».

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: فأخذتُ السيفَ ودخلتُ المسجدَ فَلَمْ أَرَهُ، فَرَجِعْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلتُ له: « **يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتُهُ** ». فقال لي: « **يا أبا الحسن، إنّ أمّة موسى افتَرَقَتْ على إحدى وسبعين فِرْقَةً، فرقةٌ ناجيةٌ والباقون في النار. وإنّ أمّة عيسى افتَرَقَتْ اثنين وسبعين فرقة، فرقةٌ ناجية والباقون في النار، وإنّ أمَّتِي ستفترق على ثلاث وسبعين فِرْقَة، فرقةٌ ناجيةٌ والباقون في النار** ».

فقلتُ: « **يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن الناجية؟** » فقال: « **المتمسكُ بما أنتَ وأصحابك عليه** »، فأنزل الله تعالى في ذلك الرجل ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ... ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الحَجّ. يقول: هذا أول مَن يظهر من أصحاب البدع والضلالات.

قال ابن عباس: واللهِ ما قتل ذلك الرجلَ الا أميرُ المؤمنين عليه السلام. ثم قال: ﴿ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ... ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الحَجّ، قال: القتل، ﴿ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الحَجّ، بقتاله عليّ بن أبي طالب عليهما السلام يوم صفين.

(٢) وروى أهل السنّة عن ابن عباس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله – قال وهو في قبته يوم بدر –: « **اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم** » فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبكَ يا رسول الله صلى الله عليه وآله الحجة على ربّك! فخرج وهو يثبت في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر). أورده في (المشكاة) من رواية البخاري.

(٣) وروى في (الجمع بين الصحيحين) من مسند أبي هريرة ما حاصله: أنّ النبي صلى الله عليه وآله دفع إلى أبي هريرة نعليه وقال: إذْهَبْ فمَن لقيت مِن وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبُه بَشِّرْهُ بالجَنَّة، فلقيه عمر فضرب بين ثدييه فخرّ لإسته!

فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي وأخبره بما صنع عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمر:

ما حملك على ما فعلت؟ فقال له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبعثتَ أبا هريرة بذلك؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملوا!! قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خَلِّهم.

(٤) وقد روى ابن عباس، وجابر، وسهل بن حنيف، وأبو وائل، والقاضي عبد الجبار، وأبو مسلم الأصفهاني، ويوسف القزويني، والثعلبي، والطبري، والواقدي، والزهري، والبخاري، وقد ذكر الحميدي في (الجمع بين الصحيحين)، في حديث الصلح بين سهيل بن عمرو وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية:

إنّ عمر بن الخطاب قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ: ألستَ نَبِيَّ الله حقّاً؟ قال: بلى، قلتُ: أولَسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلتُ: فَلِمَ تعطي هذه الدنية في ديننا؟ قال: إني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولستُ أعصيه، وهو ناصري. قلتُ: أولَيس كنتَ تحدِّثُنا أنّه سنأتي البيت ونطوف به؟!

قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلتُ: يا أبا بكر أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى، فقلتُ: أولَسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، فقلتُ: فلِمَ نعطي هذه الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس يعصي ربَّه وهو ناصرُه، فاستمسك بعذره (بعروته)، فوالله إنّه على الحق. قلتُ: أوليس كان يحدِّثنا أنه سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: فأخبرك أنه يأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه وتطوف به.

وزاد الثعلبي في (تفسيره) عند سورة الفتح وغيره من الرواة: أنّ عمر ابن الخطّاب قال: ما شككتُ منذ أسلمتُ إلاّ يومئذٍ.

(٥) ومثله ما روى في (الجمع بين الصحيحين) في مسند عايشة من المتفق على صحته: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمّ بالعشاء حتى ناداه عمر: الصلاة! نام النساء والصبيان! فخرج وقال: ما كان لكم أن تبرزوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصلاة – وذلك حين صاح عمر بن الخطاب – وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا

تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ.

(٦) روى مسلم في (صحيحه)، والحميدي في مسند ابن عباس، قال: لما احتضر النبيﷺ – وفي بيته رجالٌ، منهم عمر بن الخطاب – فقال النبيﷺ: هَلُمُّوا أكتُبْ لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر بن الخطاب: إنّ النبيّﷺ قد غلب عليه الوجع، وإن الرجلَ ليَهْجُر!!!

قال الحميدي: فاختلف الحاضرون عند النبيﷺ، فبعضهم يقول: القول ما قاله النبيﷺ، وبعضهم يقول: القول ما قاله عمر. فلما أكثروا اللغطَ والاختلاف، قال النبيﷺ: قُوْمُوْا عَنِّي، ولا ينبغي عندي التنازع.

وكان عبد الله بن عباس يبكي حتى تبلّ دموعُه الحصى، ويقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس!. وكان يقول: الرزية كل الرزية ما حَالَ بين رسول اللهﷺ وبين كتابه.

وقد رواه في (المصباح) و(المشكاة) بتغيير يسير: فقال عمر: قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله.

(٧) وروى أيضاً عن سليمان بن أبي مسلم الأحوال قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بَلَّ دَمْعُهُ الحصى، قلتُ: يا بن عباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول اللهﷺ وَجَعُهُ، وقالﷺ: ايتوني بِكَتِفٍ أكتبْ لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا – ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازُعٌ – فقالوا: ما شأنه، أهَجَرَ؟ استفهموه! فذهبوا يردِّدُون عليه، فقالﷺ: دَعُونِي، ذَرُوْنِي، فالذي أنا فيه خيرٌ ممّا تدعونني إليه. فأمرهم بثلاث، فقال: أخْرِجُوا المشركين من جزيرة العرب، وأجِيْزُوا الوفدَ بنحو ما كنتُ أجيزُهُم وسكت عن الثالثة، أو قالها فنسيتُها!

قال سفيان: هذا من قول سليمان متفق عليه. كذا أورده في (المشكاة).

(٨) حكى الشيخ عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) قال: نقلتُ من كتاب (تاريخ بغداد) لأحمد بن أبي طاهر، بسنده عن ابن عباس، قال: دخلتُ على عمر في أول خلافته، وقد ألقي له صاعٌ من تمر على خصفة،

فدعاني إلى الأكل، فأكلتُ تمرةً واحدةً، وأقبل يأكلُ حتى أتى عليه، ثم شرب مِن جَرَّةٍ كانت عنده، واستلقى على مرفقيه، وطفق يحمد الله ويكرر ذلك.

ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟

قلتُ: من المسجد.

قال: كيف خلفت بني عمك؟ فظننتُه، يعنى عبد الله بن جعفر.

فقلتُ: خلفته يلعب مع أترابه.

قال: لم أعنِ ذاك، إنما عَنَيْتُ عظيمَكُم أهل البيت.

قلتُ: خلفته يَمْتَحُ بالغَرْب على نَخْلاتٍ له وهو يقرأ القرآن.

فقال: يا عبد الله، عليكَ دماء البُدن إن كتمتنيها، أبقيَ في نفسه شيءٌ من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نص عليه (في نسخة أخرى: جعلها له)؟

قلت: نعم وأزيدك، سألتُ أبى عمّا يدّعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذَرْوٌ (أي: طرف) من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً، وقد كان يضيق في أمره وقتاً ما. ولقد أراد في مرضه أن يصرِّح باسمه فَمَنَعْتُهُ من ذلك إشفاقاً وحيطةً على الإسلام! لا وربِّ هذه البنية، لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو ولاّها لانتفضت عليه العرب من أقطارها، فَعَلِمَ رسول الله صلى الله عليه وآله أنى علمتُ ما في نفسه فأمسكَ! وأبى الله إلا إمضاء ما حتم.

(٩) ونقلت من (كامل التواريخ) لابن الأثير الجزري - وتسننه معلوم - من حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، قال عمر بن الخطّاب لابن عبّاس: أتدري ما مَنَعَ قومكم منكم بعد محمّد صلى الله عليه وآله؟ فكرهتُ أنْ أجيبَه، فقلتُ: إن لم أكن أدري فإن أميرَ المؤمنين يُدرِيْني!

فقال عمر: كرهوا أنْ يجمعوا لكم النبوةَ والخلافةَ فتبجَّحوا على قومكم تبجُّحاً، فاختارتْ قريشُ لأنفسها فأصابت ووُفِّقَتْ.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين إنْ تأذن لي في الكلام وتُمِطّ عَنِّي الغضبَ تَكَلَّمْتُ.

قال: تكلَّمْ.

قلتُ: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: إختارَتْ قريشُ لأنفسها فأصابتْ ووُفِّقَتْ: فلو أنّ قريشاً اختارتْ لأنفسها حيث اختار الله لها لَكَانَ الصوابُ بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ مُحَمَّدٍ.

فقال عمر: هيهات والله يا بن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقول عنها لِتُزيلَ منْزلتك مني.

فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فلا ينبغي أن تزيل منْزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه؟

فقال عمر: بَلَغَني أنكَ تقول: إنما صرفوها عنّا حسداً وبغياً وظلماً.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: (ظلماً) فقد تبين للجاهل والحكيم العاقل، وأما قولك: (حسداً)، فإن آدم حُسِدَ ونحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات هيهات! أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسداً لا يزول.

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوبَ قومٍ أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإنّ قلب رسول الله صلى الله عليه وآله من قلوب بني هاشم عليهم السلام.

فقال عمر: إليك عني يا بن عباس.

فقلت: أفعلُ. فلما ذهبتُ أقوم استحى مني فقال: يا بن عباس، مكانك! فوالله إني مراعٍ لحقك، محبٌّ لِمَا سرَّك.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّ لي عليكَ حقّاً، وعلى كلّ مسلم، فمَن حفظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى.

(١٠) ونقل بعض مشايخنا: أنّ البلاذري روى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لَمّا قُتِل، كتب عبدُ الله بن عمر إلى يزيد: أما بعد، فقد عظُمَت الرزيةُ وجلّت المصيبةُ وحَدَث

في الإسلام حدثٌ عظيم، ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام.

فكتب إليه يزيد: أما بعد، يا أحمق فإنّا جئنا إلى بيوت متجددة وفرش ممهدة ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن يكن لغيرنا فأبوك أول مَن سَنَّ هذا وابتَزَّ واستأثر بالحق على أهله.

(١١) وروى الواقدي وغيره: أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى اليهود، فنَزل جبريل بهذه الآية: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ... ﴿٢٦﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.

فقال محمّد صلى الله عليه وآله: « **ومَن ذا القربى، وما حقه؟** » فقال: « **فاطمة** »، فدفع إليها فدك والعوالي فاستغلتها حتى توفى أبوها.

فلما بويع أبو بكر منعها، فكلّمته في ردّها وقالت: « **إنهما لي فإنّ أبي دفعها إليَّ** ». فقال أبو بكر: فلا أمنعك ما دفع إليك أبوك، فأراد أنْ يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر وقال: إنها امرأة فطالبها بالبينة على ما ادَّعَتْ. فأمَرها أبو بكر فجاءت بأمّ أيمن وأسماء بنت عميس مع الإمام عليّ عليه السلام، فشهدوا بذلك. فكتب لها أبو بكر، فبلغ ذلك عمر فأخذ الصحيفة فمحاها. فحلفَتْ أن لا تُكلِّمَهُمَا وماتت ساخطةً عليهما.

وروي أنّ المأمون جمع ألف نفس من الفقهاء وتناظروا، وأدّى بحثهم إلى ردّ فدك على العلويين من ولدها، فردَّها عليهم.

وذكر أبو هلال العسكري في كتاب (أخبار الأوائل) إنّ أوّل مَن ردّ فدك على ورثة الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز، وكان معاوية أقتطعها لمروان بن الحكم وعمرو بن عثمان ويزيد ابنه ثلاثاً. ثم غُصِبَت ورُدَّتْ عليهم مراراً في زمان بني العبّاس.

وروى الحفاظ بن مردويه بإسناده إلى أبي سعيد قال: لمّا نزلت: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ... ﴿٢٦﴾ ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك.

قال محمود الخوارزمي في (الفائق) قد ثبت أنّ الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام صادقة وأنها من أهل الجَنّة، فكيف يجوز الشك في دعواها لفدك والعوالي؟ وكيف

يجوز أنْ يُقال: إنها أرادت ظلم جميع الخلق، وأصرَّتْ على ذلك إلى الوفاة؟.

فأجاب: إنّ كون فاطمةعليها السلام صادقة في دعواها وإنها من أهل الجَّنة، لا يوجب العمل بما تدّعيه إلاّ ببيّنة. قال: وأصحابنا يقولون: لا يكون حالها أعلى من حال نبيّهمصلى الله عليه وآله! ولو ادّعى محمّدصلى الله عليه وآله مالاً على ذمّيّ وحكّم، ما كان للحاكم أنْ يحكم له إلاّ ببيِّنةٍ وإنْ كان نبيّاً من أهل الجَنَّة؟!.

(١٢) وروى البخاري ما حاصله: إنّ فاطمةعليها السلام أرسلتْ إلى أبي بكر وسألته ميراثها من رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: إنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وإنما يأكل آل محمّد من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صَدَقة رسول اللهصلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليه.

فأبى أبو بكر أنْ يدفع إلى فاطمةعليها السلام شيئاً، فوجدت فاطمةعليها السلام في ذلك على أبي بكر فَهَجَرَتْهُ فلم تكلِّمْه حتى توفيت، وعاشت بعد النبيصلى الله عليه وآله ستّة أشهر، فلمّا توفيت دَفَنَها زوجها أمير المؤمنين عليّعليه السلام ليلاً ولَم يُؤذِن بها أبا بكر، وصلّى عليها.

(١٣) وقد أشار المحقِّق الكركي في الوجه الأوّل من الفصل الثّاني إلى أنهاعليها السلام في وقت محاورتها مع أبي بكر وعمر خطبَتْ خطبةً بديعة، يجب الوقوف عليها والإطلاع على ما أودعت في مطاويها من معرفة معاني كلمات الله تعالى، والاطلاع على سنّة رسول اللهصلى الله عليه وآله – ولا غرو فإنها بضعة الرسالة وسلالة النبوّة – وفيها إثبات الكفر على هذين الملعونين.

وقد ذكرنا – والكلام للمحقِّق الكركي – سابقاً أيضاً أنها مرويّة من طرق أهل السنّة متناقلة بين محدثيهم، وذكرنا من رواها هناك، ونذكر الآن موضع الحاجة منها ملخصاً وإنْ كان جميعها حقيقاً بأنْ نذكره، فمنها قولها عليها السلام: « **فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسَمَل جلباب الإسلام، ونَطَقَ كاظمٌ ونَبَغَ خاملٌ وهَدَرَ فَنيقُ الكفر فخطر في عرصاتكُم. فأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم**

غضابا، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ﴿ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

فهيهات منكم! وكيف بكم؟! وأنى تؤفكون، وكتاب اللَّه بين أظهركم؟ أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟! ﴿ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ».

ومنها: « **ثمّ أنتم أولاء تزعمون أو لا إرث لي! أفعلى عمد تركتم كتاب اللَّه ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول:** ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ... ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ، **وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا**عليه السلام ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، **وقال:** ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ... ﴿٧٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ، **وقال:** ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ... ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، **فزعمتم أن لا حظ ولا إرث لي من أبي. أفحكم اللَّه بآية أخرج منها أبي**صلى الله عليه وآله**؟! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟! أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ إيهاً معاشر المسلمة، أبتزّ إرثيَة، آالله أن ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئتم شيئاً فريّاً! فدونكها مخطومة مرحولة مخطولة مرمولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم اللَّه، والزعيم محمّد، والموعد القيامة، وعند الساعة ما توعدون** ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ ﴿ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، **ثم التفتت إلى قبر أبيها متمثلة بقول هند ابنة أثالة:**

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة　　لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

إنّـا فقـدناك فقـد الأرض وابلهـا　　واختلّ قومك فاشهدهم وقد نكبوا»

ففي هذه الخطبة من هذا النمط ما أعرضنا عنه إيثاراً للاختصار واكتفاءً في الدلالة بالقيل عن الكثير.

(١٤) وروى صاحب كتاب (السقيفة) بإسناده: أنّ مولاتنا فاطمةعليها السلام لّما اشتدّ بها الوجع واشتدت علّتها اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا ابنة رسول اللهصلى الله عليه وآله، كيف أصبحتِ يا بنتَ رسول اللهصلى الله عليه وآله؟

قالت: « **أصبحتُ والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد إذ عجمتهم، وشنئتهم بعد أنْ سبرتهم** ». ثمّ قالت بعد كلام: « **لقد قلّدتهم ربقتها وشنت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً سحقاً للقوم الظالمين. ويحهم أين زحزحزها من رواسي الرسالة وقواعد النبوّة ومهبط الرّوح الأمين، ألا ذلك هو الخسران المبين. وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا والله نكير سيفه وشدّة وطأته ونكال وقعته وتنمّره في ذات اللهعزّ وجلّ** » .

إلى أنْ قالت: « **ألا هَلُمَّ فاسمع ما عشتَ، أراكَ الدهرُ عَجَباً وإنْ تَعْجَبْ فقد أعجبكَ الحادث! إلى أيّ لجأ اسندوا وبأيّ عروة تمسّكوا!؟ لبئس العشير وبئس للظالمين بدلاً. استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً** ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، **ويحهم!** ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُس ».

(١٥) ومثلها كلام أمير المؤمنينعليه السلام في الخطبة الشقشقية وقد رويت من طريق أهل السنة، رواها جماعة منهم الحسن بن عبد الله بن مسعود العسكري في كتاب (معاني الأخبار).

ونقل صاحب (كشف الغمّة) عن شريك أنه قال: (كان يجب على أبي بكر أنْ يعمل مع فاطمةعليها السلام بموجب الشرع، وأقلّ ما يجب أنْ يستحلفها على دعواها أنّ

رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها فدك في حياته، فإنّ علياً عليه السلام وأمّ أيمن شهدا لها وبقي ربع الشهادة، فردُّها بعد الشاهدين لا وجه له! فإما أنْ يُصدقها أو يستحلفها ويمضي الحكم لها). قال شريك: (الله المستعان، مثل هذا الأمر بجهله أو بتعمده؟).

(١٦) وقد ذكر صاحب (كشف الغمة) أنّه قد روي: أنّ عائشة وحفصة هما اللتان شهدتا بقوله: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) ومالك بن أوس النضري. ولما ولى عثمان قالت له عائشة: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر. فقال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل.

قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: أليس جئتِ فشهدتِ أنتِ ومالك بن أوس النضري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لا نورث)، فأبطلتِ حقَّ فاطمة عليها السلام، وجئتِ تطلبينه؟! لا أفعل.

فكان إذا خرج إلى الصلاة نادتْ - وترفع القميص - وتقول: (إنه قد خالفَ صاحب هذا القميص). فلما آذته صَعَدَ المنبرَ فقال: (إنّ هذه الزعراء عدوة الله ضَرَبَ اللهُ مَثَلَهَا ومَثَلَ صاحِبَتِها حفصة في الكتاب: ﴿ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا... ﴿١٠﴾ ﴾ سُورَةُ التَّحۡرِيمِ، إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ سُورَةُ التَّحۡرِيمِ).

فقالت له: (يا نعثل، يا عدوَّ الله، إنما سماك رسولُ الله صلى الله عليه وآله باسم (نعثل اليهودي) الذي باليمن). فلاعَنَتْهُ ولاعَنَهَا، وحلَفَتْ أنْ لا تُساكِنَهُ بمصر أبداً، وخَرَجَتْ إلى مكة.

ثمّ قال صاحب الكتاب: أقول: قد نقل ابن أعثم صاحب (الفتوح) أنّها قالت: (اقتلوا نعثلاً، قَتَلَ اللهُ نعثلاً، فلقد أبلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه ثيابه لم تبل)، وخرجت إلى مكة.

(١٧) وروى مسلم في (صحيحه): أن امرأة دخلت على زوجها فولدت لستة أشهر، فذكر ذلك لعثمان بن عفان، فأمر بها أن ترجم! فدخل أمير المؤمنين عليّ

عليه السلام فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا...﴿١٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْقَافِ، وقال أيضا: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ... ﴿١٤﴾ ﴾ سُورَةُ لُقْمَانَ، قال: فواللهِ، ما عند عثمان إلا أن بعثَ إليها فرجمت.

(١٨) وفي (الجمع بين الصحيحين): إنّ عثمان وعلياً عليه السلام حَجَّا، ونهى عثمان عن المتعة وفعلها أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عثمان: أنهى الناس وأنتَ تفعله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما كنتُ لأدَعَ سُنَّةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله بقَوْلِ أحَدٍ.

(١٩) في (صحيح مسلم) - ومنه نقلتُ - بإسناده عن سعيد بن مسيب قال: اجتمع علي وعثمان بعسفان - وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة - فقال علي عليه السلام: ما تريد إلى أمر فَعَله رسول الله صلى الله عليه وآله تنهى عنه؟ فقال عثمان: دَعْنَا منكَ. فقال عليه السلام: إني لا أستطيعُ أنْ أدَعَكَ. فلمّا أنْ رأى عليٌّ عليه السلام ذلك أهَلَّ بهما جميعاً.

(٢٠) وفي (الجمع بين الصحيحين): أنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين، وكذا أبو بكر وعثمان في صدر خلافته ثمّ أتمّها أربعاً.

(٢١) قد أورده ابن الأثير في (كامل التواريخ) كذلك وفيه: كان أوّل ما تكلّم به النّاسُ في عثمان ظاهراً حين أتمّ الصّلاة بمنى، فعابَ ذلك غير واحدٍ من الصحابة وقال له عليّ عليه السلام: (ما حَدَثَ أمرٌ ولا قدم عهد، ولقد عهدتُ النبيّ صلى الله عليه وآله وأبا بكر وعمر يُصَلّون ركعتين وأنتَ صدراً من خلافتك، فما أدري ما ترجع إليه)؟!

هذا ونحوه دالٌّ على اجترائه على تغيير الشرع من عند نفسه، وإقدامه على مبارزة الله عز وجل بالمعاصي، ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وفعله.

روايات من طرقنا نحن الإمامية تتضمن اللعن

فقد أورد العلاّمة الكركي العاملي رحمه الله في كتابه الكريم (نفحات اللاهوت)، فصلاً ضمّنه روايات من طرق أهل البيت عليهم السلام في جواز لعنهم[1]، وهو كالآتي:

① روى الشيخ في (التهذيب) بإسناده إلى الحسين بن ثوير وأبي سلمة السراج

(١) راجع (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) الفصل السابع ح١- ١٣.

قالا: سمعنا الإمام أبا عبد الله عليه السلام وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعةً من الرجال وأربعاً من النساء: التيمي والعدويّ وفُلان ومعاوية، يُسمِّيهم، وفلانة وهند وأمّ الحكم أخت معاوية.

② وقد اشتهر أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان يقنُتُ في الوتر بلَعْنِ صَنَمَي قريش، يريد بهما أبا بكر وعمر.

③ وقد ورد استحباب الدعاء على أعداء الله في الوتر.

④ وروى الشيخ الجليل الثقة محمّد بن شهر آشوب في كتاب (المثالب): إنّ مولانا الإمام الصادق عليه السلام لّما سُئِلَ عن أبي بكر وعمر، قال: « **كانا إمامين قاسطين عادلين، كانا على الحق وماتا عليه، فرحمة الله عليهما يوم القيامة** »!!!

فلما خلا المجلس، قال له بعض أصحابه: كيف قلتَ يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله؟!.

فقال عليه السلام: « **نعم، أمّا قولي: (كانا إمامين) فهو مأخوذ من قوله تعالى:** ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...﴿٤١﴾ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ.

وأما قولي: (قاسطين) فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ سُورَةُ الجِنّ.

وأما قولي: (عادلين) فهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ.

وأما قولي: (كانا على الحق) فالحق عليٌّ عليه السلام، وقولي: (ماتا عليه) فالمراد أنهما لم يتوبا عن تظاهرهما عليه، بل ماتا على ظلمهما إياه.

وأما قولي: (فرحمة الله عليهما يوم القيامة) فالمراد به أن رسول الله صلى الله عليه وآله ينتصف له منهما، آخذاً من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴿١٠٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ.

⑤ وروى الشيخ في (التهذيب) عن الحارث بن المغيرة البصري قال: دخلتُ على الإمام أبي جعفر عليه السلام فجلستُ عنده، فإذا نجيّة قد استأذن عليه فأذِنَ له، فدخل فجثا على ركبتيه ثم قال: جُعِلْتُ فداكَ إني أُريد أن أسألك عن مسألةٍ والله ما أريد

بها إلاّ فكاك رقبتي من النار، فكأنهعليه السلام رَقَّ له، فاستوى جالساً فقال: « **يا نجية، سَلْنِي فلا تسألني اليوم عن شئ إلا أخبرتك به** ».

فقال: جُعِلْتُ فداكَ، ما تقول في فلان وفلان؟

قالعليه السلام: « **يا نجية لنا الخمس في كتاب الله، ولنا الأنفال، ولنا صفو الأموال، وهما والله أوّل مَن ظلمنا حقنا في كتاب الله، وأوّل مَن حمل الناس على رقابنا، ودماؤنا في أعناقهما إلى يوم القيامة، وإنّ الناس ليتقلّبون في حرام إلى يوم القيامة بظلمنا أهل البيت** ».

فقال نجية: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون - ثلاث مرات - هلكنا وربِّ الكعبة.

قال: فرفع جسده من الوسادة واستقبل القبلة فَدَعَا بدعاء لم أفهم منه شيئاً، إلا أنّا سمعناه في آخر دعائه وهو يقول: « **اللهم إنّا قد أحللنا ذلك لشيعتنا** ».

قال: ثم أقبل علينا بوجهه فقال: « **يا نجية ما على فطرة إبراهيمعليه السلام غيرنا وغير شيعتنا** ».

(٦) روى الشيخ أمين الدين ثقة الإسلام أبو علي الطبرسي في (تفسيره الكبير) في معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، عن مولانا الإمام أبي الحسن الرّضاعليه السلام أنه قال: « **المؤذّن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليهما السلام** ».

(٧) قال: ذكره عليّ بن إبراهيم في (تفسيره) قال: حَدَّثَني أبي عن محمّد بن فضيل عن الإمام الرِّضاعليه السلام، ورواه أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمّد بن الحنفيّة عن أمير المؤمنين عليّعليه السلام أنه قال: « **أنا ذلك المؤذّن** ».

(٨) وبإسناده عن أبي صالح، عن ابن عباس: إن لعليٍّعليه السلام في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس، قوله: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ...﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، فهو المؤذّن بينهم يقول: « **ألا لعنة الله على الظالمين الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي** ».

(٩) روى الشيخ في (التهذيب) بإسناده عن أبي الصامت عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **أكبر الكبائر سبع: الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي**

حرم الله عزّ وجلّ، وأكل أموال اليتامى، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وإنكار ما أنزل الله عزّ وجلّ .

فأمّا الشِّرك بالله العظيم: فقد بَلَغَكُم ما أنزل اللهُ فينا وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فردّوه على الله وعلى رسوله.

وأمّا قتل النفس الحرام: فقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم جميعاً سلام الله.

وأمّا أكل أموال اليتامى: فقد ظَلَمْنَا فيئنا فذهبوا به.

وأمّا عقوق الوالدين: فإنّ الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ...﴿٦﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، **وهو أبٌ لهم، فَعَقُّوْهُ في ذرّيته وفي قرابته.**

وأمّا قذف المحصنات: فقد قذفوا السيِّدة فاطمة عليها السلام على منابرهم.

وأمّا الفرار من الزحف: فقد أعطوا أميرَ المؤمنين عليه السلام البيعة طائعين غيرَ مكرهين، ثم فَرُّوا منه وخذلوه.

وأمّا إنكار ما أنزل الله عزّ وجلّ: فقد أنكروا حقَّنَا وجَحَدُوا ما جعله الله له، وهذا ما لا يتعاجَمُ فيه أَحَدٌ، فالله تعالى يقول: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ ».

(١٠) وقد روى الشيخ في (التهذيب) بإسناده عن علي بن أسباط قال: لما ورد مولانا الإمام أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي وَجَدَهُ يردّ المظالم، فقال له: « **ما بال مظلمتنا لا تُرَدّ يا أمير المؤمنين؟** »

فقال له: « **وما هي يا أبا الحسن؟** »

فقال عليه السلام: « **إنّ الله تعالى لَمّا فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فَدَكاً وما والاها ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله:** ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ... ﴿٢٦﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ، **فلم يدرِ رسول الله صلى الله عليه وآله مَن هم، فراجَعَ في ذلك جبرئيل عليه السلام فسأل في ذلك، فأوحي إليه أن ادْفَعْ فَدَكاً إلى فاطمة عليها السلام.**

فقال لها: يا فاطمة، إنّ الله سبحانه أمرني أن أدفع إليك فَدَكَاً، فقالت: قد قبلتُ يا رسول الله من الله ومنكَ.

فلم يَزَل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ. فلمّا ولّي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردها عليها، فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءتْ بأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام وأمّ أيمن فشهدوا، فكتب لها بترك التعرض.

فخَرَجَتْ بالكتاب فلقيها عمر بن الخطاب فقال لها: ما هذا معك يا بنت محمّد؟ فقالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرنيه، فأبَتْ، فانْتَزَعَهُ من يدها فنظر فيه وتفل فيه ومحاه وخَرَقَهُ وقال، هذا لأنّ أباك لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب!!؟ وتركها ومضى ».

فقال له المهدي: « **حدّها لي، فحدَّها** »، فقال: « **هذا كثير فأنظر فيه** ».

⑪ وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) مواضع متعددة هي كالصريحة في المطلوب، وفيها من التوجع والتألم ما يفتّ الكبد ويوهي الجلد، أحببتُ أنْ أورد منها نبذة؛ لأنّ أكثر ذلك مرويّ من طرق أهل السنّة، وما من شيء إلاّ وقد ذكر الشيخ عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد إسناده من طريقهم ومَن أورده منهم.

فمن ذلك الخطبة المعروفة بالشقشقيّة:

« **أَمَا والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيتُ أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، حتى إذا مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده** ».

ثم تمثل بقول الأعشى:

شـتان مـا يـومي علـى كورهـا ... ويـوم حيـان أخـي جـابر[1]

« **فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته! لشَدَّ ما تشطرا ضرعيها فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها. فصاحبها كراكب الصعبة، إنْ أشنق لها خرم، وإنْ أسلس لها تقحّم. فَمُنِيَ الناسُ - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون واعتراض. فصبرتُ على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في ستّة زعم أني أحدهم، فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب فيَّ مع الأوّل منهم حتى صرتُ أُقرن إلى هذه النظائر؟ لكنّي أسففت إذا أسفوا، وطرت إذ طاروا. فصغى رجل منهم لضغنه، ومَالَ الآخرُ لصهره مع هنٍ وهنٍ. إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حِضنَيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع. إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنتُه، فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليَّ، ينثالون عَلَيَّ مِن كلِّ جانب، حتى لقد وُطِئَ الحسنان، وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلمّا نهضتُ بالأمر نَكَثَتْ طائفةٌ وَمَرَقَتْ أخرى وَقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول:** ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ، **بلى والله لقد سمعوها ووَعَوْهَا، ولكن حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها. أَمَا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النسمةَ، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أنْ لا يُقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلَها على غاربها، ولسقيت آخرها**

(١) أي: شتان ما بين يومي في الخلافة مع ما انتقص عليَّ من الأمر ومُنيت به من انتشار الحبل واضطراب أركان الخلافة، وبين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة وسكون شامل. (شرح النهج) لابن أبي الحديدج١ ص١٦٨.

بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عَنْزٍ».

⑫ ومن كلامٍ له عليه السلام: « **اللهمّ إني أستعديكَ على قريش، فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفؤا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنتُ أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ أنْ تأخذه وفي الحقّ أنْ تُمنعه، فاصبر مغموماً أو مت متأسّفاً، فنظرتُ فإذاً ليس لي رافد ولا ذابّ ولا مساعد إلاّ أهل بيتي، فضننتُ بهم عن المنيّة، فأغضيتُ على القذى، وجرعتُ ريقي على الشجى، وصبرتُ في كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، وآلَمَ للقلب من حزّ الشفار** ».

⑬ ومن كلامٍ له عليه السلام: « **يا عجباً! أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة؟! ويُروى له شعر في هذا المعنى:**

فإنْ كنتَ بالشُّورى مَلَكْتَ أمورَهُمْ ... فكيف بهذا والمُشِيرُونَ غُيَّبُ

وإنْ كنتَ بالقُربى حَجَجْتَ خَصِيْمَهُمْ ... فغيرُكَ أَوْلَى بالنَّبِيِّ وأقربُ »

ومن كلامٍ له عليه السلام من هذا النمط شيء كثير لِمَن تتبّعه، لسنا بصدد حصره؛ لأنّ اليسير منه كافٍ في الدّلالة على ما نحن بصدده لِمَن كان طالباً للحقّ متحرياً للصواب.

﴿ وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ ﴾

﴿ وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتالِكُمْ ﴾

يشير المقطع الشريف إلى أمرين خطيرين:

الأوّل: لعن القاتل الذي باشر بعملية إبادة وقتل أهل البيت عليهم السلام، ويمكن أنْ يندرج فيه مطلق مَن يسعى فيه، بل مطلق مَن يرضى به كما جاء في بعض الأخبار: (الراضي بفعل قومٍ كالداخل معهم فيه).

الثاني: الممهدون لقتالهم عليهم السلام، فالممهد اسم فاعل، وهو المهيئ للأسباب،

والمسهِّل للأمور في كلّ باب، وأصله من المَهْد وهو موضعٌ يُهَيَّأ للصبي لنومه، والتمكين إعطاء المِكْنَة والتمكن من الفعل وعدم المنع منه بل المساعدة عليه، والمراد بهم هنا رؤساء الجور الذين نصبوا العداوة لأهل البيت عليهم السلام، وحرّضوا على قتالهم، وهيّؤوا لهم أسباب القتل ببذل السلطة لهم - كبذل أبي بكر وعمر وعثمان - إمارة الشام لمعاوية، ومعاوية مهَّدَ ليزيد، ويزيد مَهَّدَ لبقيّة بني أميّة وبني العبّاس، وكذا ببذل الدعم المعنوي والمادي كالمال وإعداد الرجال والحثّ على القتال.

ويحتمل أنْ يُراد بالممهدين: الأتباع والرعية، فإنه لولا اجتماعهم على متابعة هؤلاء الطواغيت الفَجَرَة الكَفَرَة، وملازمتهم لإنفاذ أوامرهم عليهم السلام لَمّا حصلت لهم هذه المِكنة والسلطنة والقدرة على مقاتلة آل الله المعصومين المخصوصين بالله تعالى وبرسول الله صلى الله عليه وآله، كما يشير إلى ذلك حديث الخيط مع جابر الأنصاري عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام قال: « **لَمّا أفْضَتْ الخلافةُ إلى بني أمية، سفكوا في أيامهم الدم الحرام ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم ألف شهر، واغتالوا شيعته في البلدان، وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم، ومالأتهم على ذلك علماء السوء رغبةً في حطام الدنيا، وصارت محنتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين عليه السلام فمن لم يلعنه قتلوه. فلمّا فشا ذلك في الشيعة وكثر وطال، إشتكت الشيعة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام في البلدان، وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى منبره، ولا ينكر عليهم منكر ولا يغير عليهم مغير فإنْ أنكر واحدٌ مِنّا على لعنةٍ، قالوا: هذا ترابي ورُفِعَ ذلك إلى سلطانهم، وكُتِبَ إليه إنّ هذا ذكَرَ أبا تراب بخير، ضرب وحُبِسَ ثم قُتِلَ. فلمّا سمع ذلك عليه السلام نظر إلى السماء وقال: سبحانك ما أعظم شأنك! إنك أمهلتَ عبادك حتى ظنوا أنك أهملتهم، وهذا كله بعينك إذ لا يغلب قضاؤك، ولا يُرَدُّ تدبير محتوم أمرك، فهو كيف شئت، وأنى شئت، لما أنت أعلم به منا. ثمّ دعا بابنه الإمام محمّد بن علي الباقر - صلى الله عليهما - فقال: يا محمد! قال: لبيك. قال: إذا كان غداً، فاغدُ إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخُذِ الخَيْطَ الذي نزل به جبرئيلُ عليه السلام على رسول**

الله صلى الله عليه وآله، فَحَرِّكْهُ تحريكاً لَيِّناً، ولا تُحَرِّكْهُ تحريكاً شديداً، فيهلكوا إهلاكاً جميعاً ».

قال جابر رضي الله عنه : فبقيت متعجباً من قوله، لا أدري ما أقول. فلمّا كان من الغد جئته، وكان قد طال عَلَيَّ ليلي حرصاً لأنظر ما يكون من أمر الخيط، فبينما أنا بالباب، إذ خرج عليه السلام فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السّلامَ وقال: « **ما غدا بك يا جابر!، ولم تكن تأتينا في هذا الوقت؟** » فقلت له: لقول الامام عليه السلام بالأمس: « **خُذِ الخَيْطَ الذي أتى به جبرائيل عليه السلام، وصر إلى مسجد جدك صلى الله عليه وآله، وحَرِّكْهُ تحريكاً ليناً ولا تُحَرِّكْهُ تحريكاً شديداً فتهلك الناس جميعاً** ».

قال مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « **والله لولا الوقت المعلوم، والأجل المحتوم، والقدر المقدور، لخسفت بهذا الخلق المنكوس في طرفة عين، بل في لحظة، ولكنّا عبادٌ مكرَمون، لا نسبقه بالقول وبأمره نعمل يا جابر!** ».

قال جابر: فقلتُ: يا سيدي و مولاي! ولِمَ تفعل بهم هذا؟

فقال عليه السلام لي: « **أما حضرت بالأمس والشيعة تشكو إلى أبي ما يلقون من الملاعين؟** ».

فقلت: يا سيدي ومولاي نعم.

فقال عليه السلام: « **إنه أمرني أنْ أُرْعِبَهُم، لعلّهم ينتهون، وكنتُ أحب أنْ تهلك طائفة منهم ويطهر الله البلاد والعباد منهم** ».

فقال جابر رضي الله عنه: فقلتُ: سيدي ومولاي كيف ترعبهم وهم أكثر من أنْ تحصى؟!

فقال مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « **إمضِ بنا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأريك قدرة من قدرة الله تعالى التي خصنا بها، وما مَنَّ به علينا من دون الناس** ».

فقال جابر رضي الله عنه: فمضيتُ معه إلى المسجد، فصلى ركعتين ثم وضع خده على التراب وتكلم بكلام، ثم رفع رأسه وأخرج من كمّه خيطاً دقيقاً، فاح منه رائحة المسك فكان في المنظر أدق من سم الخياط. ثم قال عليه السلام لي: « **خُذْ يا جابر إليك طرف الخيط، وامضِ رويداً وإياكَ أنْ تُحَرِّكَه** ».

قال: فأخذتُ طرف الخيط ومشيتُ رويداً فقال عليه السلام: « **قِفْ يا جابر!** » فوقفتُ، ثم حَرَّكَ الخيطَ تحريكاً خفيفاً، ما ظننتُ أنه حَرَّكَهُ مِن لِينِهِ، ثم قال عليه السلام: « **نَاوِلْنِي طرفَ الخيط** » فناولتُه، وقلتُ: ما فعلتَ به يا سيدي؟! قال عليه السلام: « **ويحكَ أُخْرُجْ فانْظُرْ ما حال الناس** ».

قال جابر: فخرجتُ من المسجد وإذا الناس في صياح واحد والصائحة من كلّ جانب، فإذا بالمدينة قد زلزلت زلزلة شديدة وأخذتهم الرجفة والهدمة، وقد خربت أكثر دور المدينة، وهلك منها أكثر من ثلاثين ألفاً رجالاً ونساء دون الولدان، وإذا الناس في صياح وبكاء وعويل، وهم يقولون: إنَّا لله وإنا إليه راجعون خربت دار فلان وخرب أهلها ، ورأيت الناس فزعين إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يقولون: كانت هدمة عظيمة، وبعضهم يقول: قد كانت زلزلة. وبعضهم يقول: كيف لا نخسف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهر فينا الفسق والفجور، وظلم آل الرسول صلى الله عليه وآله والله ليزلزل بنا أشدّ من هذا وأعظم أو نصلح من أنفسنا ما أفسدنا.

قال جابر رضي الله عنه: فبقيتُ متحيِّراً أنظر إلى الناس حيارى يبكون، فأبكاني بكائهم، وهم لا يدرون من أين أُتوا. فانصرفتُ إلى الإمام الباقر عليه السلام وقد حَفَّ به الناسُ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يقولون: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أمَا ترى إلى ما نزل بنا؟ فادعوا الله لنا. فقال عليه السلام لهم: « **افرغوا إلى الصلاة والدعاء والصدقة** »، ثم أخذ عليه السلام بيدي وسار بي، فقال لي: « **ما حال الناس؟** » فقلتُ: لا تسأل يا بن رسول الله خربت (الدُّور) المساكن، وهلك الناس، ورأيتهم بحال رحمتهم.

فقال عليه السلام: « **لا رحمهم الله، أمَا إنه قد بقيت عليك بقية، ولولا ذلك لم ترحم أعداءنا وأعداء أوليائنا** »، ثم قال: « **سحقاً سحقاً بُعْداً بُعْداً للقوم الظالمين. والله لولا مخافة (مخالفة) والدي لَزِدْتُ في التحريك، وأهلكتُهم أجمعين فما أنزلونا وأولياءنا هذه المنزلة غيرهم وجعلتُ أعلاها أسفلها فكان لا يبقى فيها دار ولا جدار، ولكن أمرني مولاي أنْ أحرِّك تحريكاً ساكناً** »، ثم

صعد عليه السلام المنارة وأنا أراه، والناس لا يرونه، فمَدَّ يده وأدارها حول المنارة، فزلزلت المدينة زلزلة خفيفة وتهدمت دُوْرٌ، ثم تلا مولانا الإمام الباقر عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ... ﴿١٤٦﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَام ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ سُورَةُ سَبَإٍ. وتلا أيضاً: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا... ﴿٨٢﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، وتلا: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ. قال جابر: فخرجت العواتق من خدورهن في الزلزلة الثانية، يبكين ويتضرّعن منكشفات لا يلتفت إليهن أحدٌ، فلمّا نَظَرَ الإمام الباقر عليه السلام إلى تحيُّر العواتق رَقَّ لهنّ فوضع الخيط في كُمِّهِ، فسكت (فسكتت) الزلزلة، ثم نزل عن المنارة والناس لا يرونه، وأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد، فمَرَرْنَا بحدّاد اجتمع الناس بباب حانوته، والحداد يقول: أمَا سمعتم الهمهمةَ في الهدم؟ فقال بعضهم: بل كانت همهمة كثيرة. فقال قوم آخرون: بل والله كلامٌ كثير إلاّ إنّا لم نقف على الكلام.

فقال جابر رضي الله عنه: فنظر إلى الإمام الباقر عليه السلام وتبسم، ثم قال: « **يا جابر! هذا لما طغوا وبغوا** ».

فقلت: يا بن رسول الله ما هذا الخيط الذي فيه العجب؟

فقال عليه السلام: « **بقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، وينصبه جبرئيل. ويحك يا جابر أنا من الله بمكان ومَنْزِلَة رفيعة، فلولا نحن لم يَخْلُقِ اللهُ تعالى سماءً ولا أرضاً ولا جَنَّةً ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا جِنّاً ولا إنساً. ويحكَ يا جابر! لا يُقاس بنا أحد يا جابر! بنا والله أنقذكم وبنا نعشكم، وبنا هداكم، ونحن والله دللناكم على ربكم، فقفوا عند أمرنا ونهينا، ولا تردّوا علينا ما أوردنا عليكم، فإنّا بنِعَمِ الله تعالى أجلّ وأعظم من أنْ يردّ علينا، وجميع يرد عليكم منا فما فهمتموه فاحمدوا الله عليه، وما جهلتموه فاتكلوه إلينا، وقولوا: أئمتنا أعلم بما قالوا** ».

قال جابر رضي الله عنه، ثم استقبل أمير المدينة المقيم بها من قبل بني أمية قد نكب ونكب حواليه حرمته، وهو ينادي: معاشر الناس، احضروا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن

الحسين عليهما السلام وتقربوا به إلى الله تعالى وتضرّعوا إليه وأظهِرُوا التوبةَ والإنابة لعلّ الله أنْ يصرف عنكم العذاب.

قال جابر – رفع الله درجته –: فلمّا بصر الأمير بمولانا الإمام الباقر محمّد بن علي عليهما السلام سارع نحوه، وقال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أمَا ترى ما نزل بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وقد هلكوا وفنوا، ثم قال له: أين أبوك حتى نسأله أنْ يخرج معنا إلى المسجد فنتقرب إلى الله تعالى فيرفع عن أمّة محمّد هذا البلاء.

فقال مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « **يفعل إنْ شاء الله تعالى ولكنْ أَصلِحُوا من أنفسكم، وعليكم بالتوبة والنُّزُوع عمّا أنتم عليه، فإنه لا يأمن مكرَ الله إلا القوم الخاسرون** ».

قال جابر رضي الله عنه: فأتينا الإمام زين العابدين عليه السلام بأجمعنا وهو يصلي فانتظرنا حتى إنفتل وأقبل علينا، ثم قال لي سرّاً: « **يا محمّد، كدت أن تهلك الناس جميعاً؟** ».

قال جابر رضي الله عنه: يا سيدي ما شعرت بتحريكه حين حَرَّكَه.

فقال عليه السلام: « **يا جابر! لو شعرتَ بتحريكه ما بقي عليها نافخ نار، فما خبر الناس؟** » فأخبرناه، فقال: « **ذلك مما استحلّوا منّا محارم الله وانتهكوا من حرمتنا** ».

فقلتُ: يا بن رسول الله! إنّ سلطانهم بالباب قد سألنا أنْ نسألك أنْ تحضر المسجد حتى يجتمع الناس إليك فيدعون الله، ويتضرّعون إليه ويسألونه الإقالة. فتبسم عليه السلام ثم تلا: ﴿ أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

قلت: يا سيدي ومولاي! العجب أنهم لا يدرون من أين أُتُوا!

فقال عليه السلام: « **أجل** »، ثم تلا: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، « **هي والله يا جابر! آياتنا وهذه والله أحدها، وهي ممّا وصف الله تعالى في كتابه:** ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ

فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ. ثم قال ﷺ: « **يا جابر! ما ظَنُّكَ بقومٍ أماتوا سنتنا وضَيَّعُوا عَهْدَنا، ووَالَوْا أعداءَنا، وانتَهَكُوا حُرْمَتَنَا، وظَلَمُوْنَا حَقَّنَا، وغَصَبُوْنَا إِرْثَنَا، وأعانُوا الظالمين علينا، وأَحْيُوا سُنَّتَهُم، وساروا سيرةَ الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء نور الحق** ».

قال جابر: فقلتُ: الحمد لله الذي مَنَّ عَلَيَّ بمعرفتكم، وَعَرَّفَنِي وأَلْهَمَنِي طاعتَكُم، وَوَفَّقَنِي لموالاة أوليائكم، ومُعادَاةِ أعدائكم.

فقال: « **يا جابر أتدري ما المعرفة؟** » فسكت جابر! فأورد عليه الخبر بطوله..[1].

﴿ بَرِئْتُ إلى اللهِ وَإلَيْكُمْ مِنْهُمْ ﴾
﴿ وَمِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ وَأَوْلِيائِهِمْ ﴾

تنفرد هذه الفِقرةُ الشريفة بمفهوم البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام سوآء الأعداء المباشرين أو البعيدين نظير أنصار أعدائهم وأشياعهم والمائلين إليهم والمتودِّدين إلى الذين ظلموا أهلَ بيت النبوّة والرِّسالة.

كما تميَّزَتْ الفِقرة الشريفة بتقديم البراءة على الولاية التي تميَّزَت بها الفِقْرة التالية: « **السلام عليكَ يا أبا عبد الله، إني سِلْمٌ لِمَن سالَمَكم** »، والسر في التقديم هو أهمية جنبة البراءة على جَنَبَة الولاية والموالاة.

فللإيمان جناحان: موالاة أهل بيت النبوّة ومعاداة أعدائهم وهي المعَبَّر عنها بالبراءة، فكما لا يكون إيمانٌ بدون الولاية، كذلك لا تكون الولاية بدون البراءة. ومال الكاشانيّ إلى أنْ يكون مفهوم البراءة هو أنْ لا تحبّ أعداءهم دون الالتزام بمحبّة أهل البيت عليهم السلام، لكنّه ضعيف لكون عدم الالتزام بمحبّة أهل البيت عليهم السلام يستلزم

---

(١) راجع (مدينة المعاجز) ج٤ ص٤٢٤ ح١٤٠٧.

إسقاط أحد ركني الإيمان الذي قلنا إنّه مؤلَّف من الموالاة والبراءة؛ أي الحبّ والبغض، فكما لا يكفي في تحقق الإيمان أنْ يبغض المرءُ أعداء آل البيت عليهم السلام دون الإعتقاد بإمامتهم عليهم السلام والولاء لهم، كذا لا يكفي في تحقق الإيمان أنْ يُحِبَّ المرءُ أهلَ البيت عليهم السلام دون بغض أعدائهم عليهم السلام، فلا يتحقق الإيمان إلاّ بالرّكنين المذكورين: حُبُّ أهل البيت عليهم السلام زائداً على بغض أعدائهم. قال الشّاعر:

تــودُّ أعــدائي وتــزعم أنّــك صديقي إنّ الرّأي عليكَ لعازبُ

لذا فإنّ الإيمان بهم عليهم السلام لا يتمّ إلاّ مع الكفر بعدوّهم والبراءة منه، وإنّ حبَّهم لا يجتمع مع حبّ أعدائهم، فإنّ المحبّ مَن يحبُّ أولياءَ المحبوب ويبغض أعداءَه، من هنا أشار المولى عزّ وجلّ إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ... ﴿٢٥٦﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، وأشارت الأخبار بذلك - كما سوف يأتي معنا إنْ شاء الله تعالى -.

و(تبرّأتُ): فعل وفاعل، وشبه الجملة: (منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم) في محلّ نصب مفعول به. وبَرِئَ: أصله البُرْء والبَراء والتبري وكلّ ذلك بمعنى التخلص مما يُكْرَه مجاورته، ولذلك قيل: بَرَأتُ من المرض، وبَرَأتُ من فلان: تخلّصتُ منه. وبَرئ: إذا تنزَّه وتباعد، وبَرِئ: إذا أعذر وأنذر ومنه قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ... ﴿١﴾ ﴾ أي إعذار وإنذارٌ. والبراءة: انقطاع العصمة...

هذا من الناحية اللغوية لمعنى (البراءة)، وأمّا الآيات والأخبار المفسِّرة للبراءة فكثيرة جدّاً نذكر قسماً منها مع شيء من التوضيح. أمّا الآيات فمنها:

الآية الأولى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

أيّ انقطاع للعصمة ورفع للأمان وخروج من العهود إلى الذين عاهدتم من المشركين، فالخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وللمسلمين، والمعنى: تبَرَّؤوا ممّن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فإنّ الله تعالى ورسوله بريئان منهم.

فقد روي أنّ المشركين كانوا قد نقضوا العهد أو همُّوا بذلك فأمره الله تعالى أنْ ينقض عهودهم، فإبطال عهدهم إنما هو بسبب مبيحٍ لذلك من قِبَلِ المشركين الذين نقضوا عهدَهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله، لذا استثنى الله عز وجل في الآية الثالثة من سورة التوبة المشركين الذين لم ينقضوا العهد أنْ يُبقي النبيُّ العهد معهم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

الآية الثانية: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، بريء: أي بعيد عنكم قاطعاً مجاورتكم.

الآية الثالثة: ﴿ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُسَ، بريء ممّا تعملون: أي مجتنباً منكراتكم وأفعالكم الشريرة.

ومن الأحاديث الشريفة الدالة على وجوب موالاة أوليائهم عليهم السلام والبراءة من أعدائهم نذكر شيئاً مما أورده العلامة المجلسي في بحاره على الشكل الآتي[1]:

① تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله: « **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فيحب بهذا ويبغض بهذا، فأمّا محبتنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، مَن أراد أنْ يعلم حبّنا فليمتحن قلبه فإنْ شاركه في حبّنا حبّ عدوّنا فليس منّا ولسنا منه، والله عدوّهم وجبرئيل وميكائيل والله عدوّ للكافرين** ».

② قرب الإسناد: ابن عيسى عن البزنطي قال: كتب إليَّ الإمام الرِّضا عليه السلام: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **مَن سَرَّهُ أنْ لا يكون بينه وبين الله حجاب حتى ينظر إلى الله وينظر الله إليه فليتولَّ آلَ محمّد ويبرأ من عدوهم ويأتمّ بالإمام منهم، فإنه إذا كان كذلك نظر الله إليه ونظر إلى الله** ».

③ (الخصال) في خبر الأعمش عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **حب**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٥١ باب وجوب موالاة أوليائهم.

أولياء الله واجب، والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمّد صلى الله عليهم وهتكوا حجابه وأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهمُّوا بإحراق بيتها وأسّسوا الظلم وغَيَّرُوا سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمّة الضلال وقادة الجور كلّهم أوّلهم وآخرهم واجبة، والبراءة من أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود قاتل أمير المؤمنين عليه السلام واجبة، والبراءة من جميع قتلة أهل البيت عليهم السلام واجبة والولاية للمؤمنين الذين لم يغيّروا ولم يبدلوا بعد نبيهم صلى الله عليه وآله واجبة، مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الصامت وعبادة بن الصامت وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي سعيد الخدري ومَن نحا نحوَهم وفَعَلَ مثل فِعْلِهِم والولاية لأتباعهم والمقتدين بهم وبهداهم واجبة ».

④ (أمالي الصدوق) إبن البرقي عن أبيه عن جده عن سليمان بن مقبل عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: « **مَن جالس لنا عائباً أو مَدَحَ لنا قالياً أو وَاصَلَ لنا قاطعاً أو قَطَعَ لنا واصلاً أو والى لنا عدوّاً أو عادى لنا وليّاً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم** ».

⑤ (الخصال) ابن الوليد عن الصفار عن ابن معروف عن سعدان عن الفضيل عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **عشر مَن لقي الله عزّ وجلّ بهنّ دخل الجنة: شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله عزّ وجلّ وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت والولاية لأولياء الله والبراءة من أعداء الله واجتناب كلّ مسكر** ».

(الخصال) الطالقاني عن الحسن بن علي العدوي عن صهيب بن عباد عن أبيه عن

جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده عليهم السلام مثله.

⑥ (مجالس المفيد)، (أمالي الطوسي) المفيد عن عليّ بن خالد المراغي عن القاسم بن محمّد الدلال عن سبرة ابن زياد عن الحكم بن عيينة عن حبيش بن المعتمر قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقلتُ: السلام عليكَ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته كيف أمسيت؟ قال: « **أمسيتُ محبّاً لمحبِّنا ومبغضاً لمبغضنا، وأمسى محبُّنا مغتبطاً برحمةٍ من الله كان ينتظرها وأمسى عدوُّنا يؤسِّس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ، فكأن ذلك الشفا قد انهار به في نار جهنم وكأنّ أبواب الرحمة قد فتحت لأهلها، فهنيئا لأهل الرحمة رحمتهم، والتعس لأهل النار والنار لهم. يا حبيش مَن سرّه أنْ يعلم أمحبٌّ لنا أم مبغض فليمتحنْ قلبَه، فإنْ كان يحبّ وليّاً لنا فليس بمبغض لنا، وإنْ كان يبغض ولياً لنا فليس بمحبٍّ لنا، إنّ الله تعالى أخذ الميثاق لمحبينا بمودّتنا، وكتب في الذِّكر اسمَ مبغضنا، نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء** ».

تنبيه مهم: التامل والتدبر بهذه الرواية الشريفة يكشف عن حقيقة الشيعة المتحازبين اليوم الذين لا يرعون لمؤمنٍ موالٍ حرمةً ولا كرامة بالسب والشتم واللعن والتخوين والعمالة... لا لشيءٍ سوى مخالفته لما هم عليه من حبّ أصنامهم البشرية التي أسكرتهم وأضلتهم عن الصراط المستقيم، فصاروا يوالون ويعادون للدنيا والمبايعة لأصنامهم الزائفة... اللهم ابتر أعمارهم واهلك عروشهم وسلط عليهم من لا يرحمهم، وموعدنا معهم يوم يقتص لنا منهم فإنه خير ناصر ومعين...!.

⑦ (أمالي الطوسي) المفيد عن الجعابي عن ابن عقدة عن محمّد بن القاسم الحارثي عن أحمد ابن صبيح عن محمّد بن إسماعيل الهمداني عن الحسين بن مصعب قال: سمعتُ الإمام جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: « **مَن أحبنا لله وأحب محبَّنا لا لغرضٍ دنيا يصيبها منه، وعادى عدوَّنا لا لإحنة كانت بينه وبينه ثم جاء يوم القيامة وعليه من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفر الله**

تعالى له ».

⑧ (تفسير الإمام العسكري)، (معاني الأخبار)، (عيون أخبار الرضا عليه السلام)، (علل الشرائع) المفسر بإسناده إلى الإمام أبي محمّد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه ذات يوم: « **يا عبد الله أحِبَّ في الله وأبغِضْ في الله ووالِ في الله وعادِ في الله فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجلٌ طعمَ الايمان وإنْ كَثُرَتْ صلاتُه وصيامُه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادّون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً** ».

فقال له: وكيف لي أنْ أعلم أني قد واليت وعاديت في الله عزّ وجلّ؟ ومَن وليُّ الله عزّ وجلّ حتى أواليه؟ ومن عدوه حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ عليه السلام فقال: « **أترى هذا؟** » فقال: بلى، قال: « **ولي هذا وليّ الله فواله، وعدو هذا عدو الله فعاده، قال: وال وليّ هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك، وعاد عدو هذا ولو أنه أبوك أو ولدك** ».

⑨ (أمالي الصدوق) ابن المتوكل عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن علي بن سالم عن أبيه عن الثمالي عن ابن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **من سره أن يجمع الله له الخير كله فليوال علياً بعدي وليوال أولياءه وليعاد أعداءه** ».

⑩ (فقه الإمام الرِّضا عليه السلام) روي أنّ الله أوحى إلى بعض عباد بني إسرائيل وقد دخل قلبه شيء: أمّا عبادتك لي فقد تعززت بي، وأمّا زهدك في الدنيا فقد تعجلت الرّاحة، فهل واليتَ لي وليّاً أو عاديتَ لي عدوّا؟ ثم أمر به إلى النار، نعوذ بالله منها.

⑪ (تفسير العياشي) عن سعدان عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن

يَشَآءُۗ... ﴿٢٨٤﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، قال: « **حقيق على الله أنْ لا يدخل الجَنَّة مَن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من حبّهما** ».

⑫ (تفسير العياشي) عن أبي حمزة الثمالي قال: قال الإمام أبو جعفرعليه السلام: « **يا أبا حمزة إنما يعبد الله مَن عرف الله، وأمّا مَن لا يعرف الله كأنما يعبد غيره هكذا ضالاً** »، قلتُ: أصلحك الله وما معرفة الله؟ قال: « **يصدق الله ويصدق محمّداً رسول الله**صلى الله عليه وآله **في موالاة عليّ والإئتمام به وبأئمة الهدى من بعده، والبراءة إلى الله من عدوهم، وكذلك عرفان الله** ».

قال: قلت: أصلحك الله أي شئ إذا عملته أنا استكملت حقيقة الايمان؟ قال عليه السلام: « **توالي أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله** »، قال: قلت: ومَن أولياء الله؟ فقال: « **أولياء الله محمّد رسول الله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ثم انتهى الامر إلينا ثم ابني جعفر** »، وأومأ إلى جعفر وهو جالس، « **فمَن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله** ».

قلت: ومَن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: « **الأوثان الأربعة** »، قال: قلت: مَن هم؟ قال: « **أبو الفصيل ورمع ونعثل ومعاوية ومَن دان دينهم، فمَن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله** ».

⑬ (السرائر) من كتاب أُنس العالم للصفواني قال: إنّ رجلاً قدم على أمير المؤمنينعليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبّكَ وأحبّ فلاناً، وسمّى بعض أعدائه، فقالعليه السلام: « **أما الآن فأنتَ أعور، فإمّا أنْ تعمي وإمّا أنْ تبصر** ».

⑭ وقيل للإمام الصادقعليه السلام: إنّ فلاناً يواليكم إلاّ أنه يضعف عن البراءة من عدوّكم، فقالعليه السلام: « **هيهات كذب مَن ادّعى محبتّنا ولم يتبرأ من عدونا** ».

⑮ وروي عن مولانا الإمام الرِّضاعليه السلام أنه قال: « **كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا** ».

ثم قال الصفواني: واعلم أنه لا يتمّ الولاية ولا تخلص المحبّة ولا تثبت المودة لآل

محمّد إلا بالبراءة من عدوهم قريباً كان أو بعيداً، فلا تأخذك به رأفة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴿٢٢﴾ ﴾ سُورَةُ المُجادلَةِ.

(١٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، قال الامام عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في عبادتهم للأصنام واتخاذهم الأنداد من دون محمّد وعليّ عليهما السلام ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ يصوت بما لا يسمع ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ لا يفهم ما يراد منه، فيغيث المستغيث ويعين مَن استعانه ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ عن الهدى في اتباعهم الأنداد من دون الله والأضداد لأولياء الله الذين سمّوهم بأسماء خيار خلائق الله ولقّبوهم بألقاب أفاضل الأئمة الذين نَصَّبَهم اللهُ لإقامة دين الله ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أمرَ الله عزّ وجلّ.

قال مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: « **هذا في عبّاد الأصنام وفي النصاب لأهل بيت محمّد نبي الله صلى الله عليه وآله وعتاة مردتهم سوف يصيرونهم إلى الهاوية** »، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فانّ مَن تعوّذ بالله منه أعاذه الله ونعوذ من همزاته ونفخاته ونفثاته. أتدرون ما هي؟ أما همزاته فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت عليهم السلام** »، قالوا: يا رسول الله وكيف نبغضكم بعد ما عرفنا محلّكم من الله ومنْزِلتكم؟ قال صلى الله عليه وآله: « **بأنْ تبغضوا أولياءنا وتحبوا أعداءَنا فاستعيذوا بالله من محبّة أعدائنا وعداوة أوليائنا فتعادوا من بغضنا وعداوتنا فإنه مَن أحبّ أعداءَنا فقد عادانا ونحن منه براء والله عزّ وجلّ منه بريئ** ».

(١٧) (العقائد) اعتقادنا في الظالمين أنهم ملعونون والبراءة منهم واجبة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ.

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إنّ سبيل الله‌عَزَّ وَجَلَّ في هذا الموضع هو عليّ بن أبي طالب‌عليه السلام والأئمة في كتاب الله‌عَزَّ وَجَلَّ إمامان: إمام هدى وإمام ضلالة، قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ... ﴿٢٤﴾ ﴾ سُورَةُ السَّجۡدَةِ، وقال الله‌عَزَّ وَجَلَّ في أئمة الضلالة: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ. ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ... ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ، قال النبي‌صلى الله عليه وآله: « **مَن ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جَحَدَ نبوتي ونبوة الأنبياء من قبلي. ومَن تولى ظالماً فهو ظالم** »، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوۡبَةِ. وقال الله‌عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ... ﴿١٣﴾ ﴾ سُورَةُ المُمۡتَحنَةِ. وقال‌عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ... ﴿٢٢﴾ ﴾ سُورَةُ المُجَادلَةِ، وقال‌عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ... ﴿١١٣﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، والظلم هو وضع الشئ في غير موضعه.

فمَن ادَّعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومَن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون، وقال النبي‌صلى الله عليه وآله: « **من جحد علياً إمامته من بعدي فإنما جحد نبوتي، ومَن جحد نبوتي فقد جحد ربوبيته** ».

وقال النبي‌صلى الله عليه وآله لعليّ‌عليه السلام: « **يا عليّ أنتَ المظلوم بعدي، مَن ظلمكَ فقد ظلمني، ومَن أنصفك فقد أنصفني، ومَن جحدكَ فقد جحدني، ومَن والاكَ فقد والاني، ومَن عاداكَ فقد عاداني، ومَن أطاعكَ فقد أطاعني، ومَن عصاكَ فقد عصاني** ».

واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام بمنْزلة مَن جحد نبوة الأنبياء عليهم السلام. واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة عليهم السلام أنه بمنْزلة مَن آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « **المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا** ».

وقال النبي صلى الله عليه وآله: « **الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، مَن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني** ».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « **مَن شك في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر** ».

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: « **ما زلتُ مظلوماً منذ ولدَتْني أمي حتى أنّ عقيلاً كان يصيبه رمد فقال: لا تذروني حتى تذروا عليّاً فيذروني وما بي رمد** ».

واعتقادنا فيمَن قاتل عليّاً عليه السلام كقول النبي صلى الله عليه وآله: « **مَن قاتل علياً عليه السلام فقد قاتلني** » وقوله: « **مَن حارب علياً فقد حاربني ومَن حاربني فقد حارب الله عز وجل** ». وقوله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: « **أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم** ».

وأما فاطمة صلوات الله عليها فاعتقادنا أنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأن الله عز وجل يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وإنها خرجت من الدنيا ساخطة على ظالمها وغاصبها ومانعي إرثها.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: « **فاطمة بضعة مِنِّي، مَن آذاها فقد آذاني، ومَن غاظها فقد غاظني، ومَن سَرَّها فقد سرني** ».

وقال صلى الله عليه وآله: « **فاطمة بضعة مني وهي روحي التي بين جنبي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرَّها** ».

واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة، والإناث الأربع ومن جميع أشياعهم وأتباعهم وأنهم شر خلق الله عز وجل، ولا يتم الاقرار بالله وبرسوله وبالأئمة عليهم السلام

إلا بالبراءة من أعدائهم.

⑱ (كنز الفوائد) للكراجكي : أخبرني أبو الحسن محمّد بن أحمد بن شاذان عن نوح بن أحمد عن قيس بن الربيع عن سليمان الأعمش عن جعفر بن محمّد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: « **يا عليّ أنتَ أمير المؤمنين وإمام المتقين، يا عليّ أنتَ سيد الوصيين ووارث علم النبيين وخير الصديقين وأفضل السابقين، يا عليّ أنتَ زوج سيدة نساء العالمين وخليفة خير المرسلين، يا عليّ أنتَ مولى المؤمنين والحجة بعدي على الناس أجمعين، استوجب الجنة من تولاك، واستوجب دخول النار من عاداك. يا عليّ والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية لو أنّ عبداً عبد الله ألف عام ما قبل ذلك منه إلاّ بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإنّ ولايتك لا تقبل إلا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر** ».

باب: فيمَن دان لله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله [1]

① عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمَّد عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ... ۝٥٠ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ ، قال : « **يعني من اتخذ دينه رأيه، بغير إمام من أئمة الهدى** ».

② محمَّد بن يحيى ، عن محمَّد بن الحسين ، عن صفوان بن يحيى ، عن العلاء بن رزين عن محمَّد بن مسلم قال: سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول : « **كلّ مَن دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضالٌّ متحير والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلَّتْ عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع مع غير راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فباتت معها في ربضتها فلما أنْ ساق**

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٣٧٤ باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله عز وجل.

الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فصاح بها الراعي الحقي براعيك وقطيعك، فإنك تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيرة نادة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينا هي كذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فاكلها، وكذلك والله يا محمَّد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائها وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمَّد أنّ أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ».

(٣) عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ قال: فاستوى الإمام أبو عبد الله عليه السلام جالساً فأقبل عليَّ كالغضبان، ثم قال: « **لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على مَن دان بولاية إمام عادل من الله** »، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟! قال: « **نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء** »، ثم قال: « **ألا تسمع لقول الله عز وجل:** ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، **يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ إمام عادل من الله وقال:** ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، **إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أنْ تولوا كلّ إمام جائر ليس من الله عز وجل خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار من الكفار، ف** ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ ».

④ وعنه، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: « **لأعذبن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإنْ كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة** ».

⑤ عليّ بن محمَّد، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن عبد الله بن سنان، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: « **إن الله لا يستحيي أنْ يعذّب أمةً دانت بإمامٍ ليس من الله وإنْ كانت في أعمالها برة تقية وإن الله ليستحيي أنْ يعذب أمة دانت بإمامٍ من الله وإنْ كانت في أعمالها ظالمة مسيئة** ».

باب: مَن مات وليس له إمام من أئمة الهدى[1]

① الحسين بن محمَّد، عن معلى بن محمَّد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن ابن أذينة، عن الفضيل بن يسار قال: ابتدأنا الإمام أبو عبد الله عليه السلام يوما وقال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية** »، فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: « **إي والله قد قال** »، قلت: فكل مَن مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟! قال عليه السلام: « **نعم** ».

② الحسين بن محمَّد، عن معلى بن محمَّد، عن الوشاء قال: حدثني عبد الكريم ابن عمرو، عن ابن أبي يعفور قال: سألت مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَن مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية** »، قال: قلت: ميتة كفر؟ قال: « **ميتة ضلال** »، قلت: فمَن مات اليوم وليس له أمام، فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: « **نعم** ».

③ أحمد بن إدريس، عن محمَّد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن الفضيل، عن

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٣٧٦ باب مَن مات وليس له إمام.

الحارث بن المغيرة قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟** » قال: « **نعم** »، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: « **جاهلية كفر ونفاق وضلال** ».

④ بعض أصحابنا، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن مالك بن عامر، عن المفضل بن زائدة، عن المفضل بن عمر قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **مَن دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله - البتة - إلى العناء ومَن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشرك وذلك الباب المأمون على سر الله المكنون** ».

باب: فيمَن عرف الحق من أهل البيت ومَن أنكر[1]

① عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن سليمان بن جعفر قال: سمعت مولانا الإمام الرِّضا عليه السلام يقول: « **إن عليّ بن عبد الله بن الحسين ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وامرأته وبنيه من أهل الجنة** »، ثم قال: « **مَن عرف هذا الأمر من وِلد عليّ وفاطمة عليهما السلام لم يكن كالناس** ».

② الحسين بن محمَّد، عن معلى بن محمَّد قال: حدثني الوشاء قال: حدثنا أحمد ابن عمر الحلال قال: قلت لمولانا الإمام أبي الحسن عليه السلام: أخبرني عمّن عاندكَ ولم يعرف حقكَ من وِلْد فاطمة؟ هو وسائر الناس سواء في العقاب؟ فقال عليه السلام: « **كان الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: عليهم ضعفا العقاب** ».

③ الحسين بن محمَّد، عن معلى بن محمَّد، عن الحسن بن راشد قال: حدثنا عليّ بن إسماعيل الميثمي قال: حدثنا ربعي بن عبد الله قال: قال لي عبد الرحمن ابن أبي عبد الله قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: المنكر لهذا الأمر من بني هاشم وغيرهم سواء؟ فقال لي عليه السلام: « **المنكر، ولكن قل: الجاحد من بني هاشم**

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٣٧٧ باب فيمن عرف الحق من أهل البيت عليهم السلام.

وغيرهم »، قال أبو الحسن: « **فتفكرت فيه فذكرت قول الله** عَزَّوَجَلَّ **في إخوة يوسف:** ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ » .

④ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمَّد، عن ابن أبي نصر قال: سألت مولانا الإمام الرِّضا عليه السلام قلت له: الجاحد منكم ومن غيركم سواء؟ فقال عليه السلام: « **الجاحد منّا له ذنبان و المحسن له حسنتان** ».

باب: الحبّ في الله والبغض في الله[1]

① عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، وأحمد بن محمّد بن خالد، وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، وسهل بن زياد جميعا، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **مَن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فهو ممن كمل إيمانه** ».

② ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن سعيد الأعرج، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **من أوثق عرى الإيمان أنْ تحبّ في الله وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله** ».

③ ابن محبوب، عن أبي جعفر محمّد بن النعمان الأحول صاحب الطاق، عن سلام ابن المستنير، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومَن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله** ».

④ الحسين بن محمّد، عن معلى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن عليّ ابن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **سمعته يقول: إنّ المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور وجوهم ونور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شئ حتى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله** ».

(١) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص١٢٤ باب الحب والبغض.

⑤ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن فضيل بن يسار قال: سألت مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن الحبّ والبغض، أمن الإيمان هو؟ فقال: « **وهل الإيمان إلا الحبّ والبغض؟ ثم تلا هذه الآية:** ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ ».

⑥ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمّد بن عيسى، عن أبي الحسن عليّ بن يحيى – فيما أعلم – عن عمرو بن مدرك الطائي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: « **أيّ عرى الإيمان أوثق؟** » فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصّلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصّيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **لكلّ ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله** ».

⑦ عنه، عن محمّد بن عليّ، عن عمر بن جبلة الأحمسي، عن أبي الجارود، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **المتحابّون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء، في ظل عرشه عن يمينه – وكلتا يديه يمين – وجوههم أشدّ بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة، يغبطهم بمنْزلتهم كلّ مَلَكٍ مقرَّب وكلّ نبيٍّ مرسَل** »، يقول الناس: مَن هؤلاء؟ فيقال: « **هؤلاء المتحابون في الله** ».

⑧ عنه، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة الثمالي عن مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: « **إذا جمع الله عزّ وجلّ الأولين والآخرين قام منادٍ فنادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله، قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، قال: فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، قال: فيقولون: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون نحن المتحابون في الله، قال:**

فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله، قال: فيقولون: نِعْمَ أجر العاملين ».

⑨ عنه، عن عليّ بن حسان، عمن ذكره، عن داود بن فرقد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **ثلاث من علامات المؤمن: علمه بالله ومَن يحب ومَن يبغض** ».

⑩ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وحفص بن البختري، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ الرجل ليحبكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم، وإنّ الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار** ».

⑪ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن العرزمي، عن أبيه، عن جابر الجعفي، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **إذا أردت أنْ تعلم أنّ فيكَ خيراً فانظُرْ إلى قلبكَ، فإنْ كان يحبّ أهلَ طاعة الله ويبغضُ أهلَ معصيته ففيكَ خيرٌ، والله يحبكَ، وإنْ كان يبغض أهلَ طاعة الله ويحبّ أهلَ معصيته فليس فيكَ خير والله يبغضكَ، والمرء مع مَن أحب** ».

⑫ عنه، عن أبي عليّ الواسطي، عن الحسين بن أبان، عمن ذكره، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **لو أنّ رجلاً أحب رجلاً لله لأثابه الله على حبّه إياه وإنْ كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه وإنْ كان المبغض في علم الله من أهل الجنة** ».

⑬ محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بشير الكناسي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **قد يكون حب في الله ورسوله وحبّ في الدنيا، فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله، وما كان في الدنيا فليس بشئ** ».

⑭ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عثمان عيسى، عن سماعة بن مهران، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ المسلمين يلتقيان،**

فأفضلهما أشدّهما حبّاً لصاحبه ».

⑮ عنه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر وابن فضال، عن صفوان الجمال، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **ما التقى مؤمنان قط إلاّ كان أفضلهما أشدّهما حبّاً لأخيه** ».

⑯ الحسين بن محمّد، عن محمّد بن عمران السبيعي، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **كلّ مَن لم يحب على الدِّين ولم يبغض على الدِّين فلا دِينَ له** ».

باب: وجوب العبادات الخمس[1]

① محمَّد بن يعقوب الكليني رضي الله عنه عن أبي علي الأشعري عن الحسن ابن علي الكوفي عن عباس بن عامر عن أبان بن عثمان عن الفضيل بن يسار عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **بُنِيَ الإسلام على خمس: على الصّلاة، والزّكاة، والحج، والصوم، والولاية** » الحديث.

② وعن علي بن إبراهيم عن أبيه وعبد الله بن الصلت جميعا عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله عن زرارة عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **بُنِيَ الإسلام على خمسة أشياء: على الصّلاة، والزّكاة، والحج، والصوم، والولاية** ».

قال زرارة: فقلت وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال عليه السلام: « **الولاية أفضل لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن** ». قلتُ: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال عليه السلام: « **الصّلاة** »، قلتُ: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال عليه السلام: « **الزّكاة لأنه قرنها بها، وبدأ بالصّلاة قبلها** »، قلتُ: فالذي يليها في الفضل؟ قال عليه السلام: « **الحج** ». قلتُ: ماذا يتبعه؟ قال عليه السلام: « **الصوم** ». الحديث.

ورواه أحمد بن أبي عبد الله البرقي في المحاسن عن عبد الله بن الصلت بالاسناد المذكور.

---

(١) راجع (وسائل الشّيعة) ج١ ص٧، الباب الأوّل.

③ وعن محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد عن علي بن النعمان عن ابن مسكان عن سليمان بن خالد عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **ألا أخبرك بالإسلام، أصله وفرعه وذروة سنامه؟** » قلتُ: بلى جُعِلْتُ فداكَ. قالعليه السلام: « **أمّا أصله فالصّلاة، وفرعه الزّكاة، وذروة سنامه الجهاد** ». ثم قالعليه السلام: « **إنْ شئت أخبرتُكَ بأبواب الخير** »، قلتُ: نعم، قالعليه السلام: « **الصوم جنة** ». الحديث.

ورواه البرقي في المحاسن عن أبيه عن علي بن النعمان. ورواه الشيخ باسناده عن الحسن بن محمَّد بن سماعة عن ابن رباط عن ابن مسكان عن سليمان بن خالد عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحوه.

ورواه الحسين بن سعيد في كتاب الزهد عن علي بن النعمان مثله، إلى قوله الجهاد. وعن محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن ابن فضال عن ثعلبة عن علي بن عبد العزيز عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام نحوه.

ورواه الشيخ بإسناده عن محمَّد بن يعقوب عن محمَّد بن يحيى.

ورواه الصدوق بإسناده عن علي بن عبد العزيز.

ورواه البرقي في المحاسن عن الحسن بن علي بن فضال مثله.

④ وعن علي بن إبراهيم عن أبيه وعن أبي علي الأشعري عن محمَّد بن عبد الجبار جميعا عن صفوان عن عمرو بن حريث أنه قال لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: ألا أقصّ عليكَ ديني؟ فقالعليه السلام: « **بلى** ». قلت: أدين الله بشهادة أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمَّداً رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية، وذكر الأئمةعليهم السلام. فقالعليه السلام: « **يا عمرو هذا دين الله ودين آبائي الذي أدين الله به في السرّ والعلانية** ». الحديث.

⑤ وعنه عن أبيه عن حماد عن حريز عن زرارة عن أبي جعفرعليه السلام قال: « **بُنِيَ الإسلام على خمسة أشياء: على الصّلاة، والزّكاة، والحج، والصوم، والولاية** ». الحديث.

ورواه الشيخ بإسناده عن محمَّد بن يعقوب. ورواه الصدوق مرسلاً.

⑥ وعن محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد وعن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد جميعا عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن عبد الحميد بن أبي العلا عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في جملة حديث، قال عليه السلام: « **إن الله افترض على أمة محمَّد خمس فرائض: الصّلاة، والزّكاة، والصيام، والحج، وولايتنا** ».

⑦ وعنه عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن العرزمي عن أبيه عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: « **أثافي الإسلام ثلاثة: الصّلاة، والزّكاة، والولاية، لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها** ».

⑧ وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أحمد بن محمَّد بن أبي نصر وعن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمَّد بن خالد عن إبراهيم بن محمَّد الثقفي عن محمَّد بن مروان جميعا عن أبان بن عثمان عمن ذكره عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ الله أعطى محمَّداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى** »، إلى أن قال عليه السلام: « **ثم افترض عليه فيه الصّلاة، والزّكاة، والصيام، والحج، والامر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد في سبيل الله. وزاده الوضوء، وأحل له الغنم والفئ، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم** »، الحديث.

ورواه البرقي في المحاسن عن أبي إسحاق الثقفي عن محمَّد بن مروان مثله.

⑨ وعنه عن محمَّد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن عجلان بن أبي صالح قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان. فقال عليه السلام: « **شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأن محمَّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله، وصلاة الخمس، وأداء الزّكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولاية وليِّنا، وعداوة عدوِّنا، والدخول مع الصادقين** ».

⑩ وعن الحسين بن محمَّد الأشعري عن معلى بن محمَّد الزيادي عن الحسن بن علي الوشا قال حدثنا أبان بن عثمان عن الفضيل عن أبي حمزة عن مولانا الإمام

أبي جعفرعليه السلام قال: « **بُنِيَ الإسلام على خمس: على الصّلاة، والزّكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم ينادَ بشيءٍ ما نودي بالولاية** ».

ورواه البرقي في المحاسن عن ابن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام مثله، وعن عليّ بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن أبان عن الفضيل عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام مثله.

(١١) وعن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمَّد بن أبي نصر عن مثنى الحناط عن عبد الله بن عجلان عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **بُنِيَ الإسلام على خمس: الولاية، والصّلاة، والزّكاة، وصوم شهر رمضان، والحج** ».

(١٢) وعن علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن عليّ ابن أبي حمزة عن أبي بصير قال: سمعته يسأل الإمام أبا عبد اللهعليه السلام عن دين الذي افترض اللهعزّ وجلّ على العباد ما لا يسعهم جهله، ولا يقبل منهم غيره، ما هو؟ فقال عليه السلام: « **شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمَّداً رسول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً، وصوم شهر رمضان، والولاية** ». الحديث.

(١٣) محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه بإسناده عن سليمان بن خالد قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام: أخبِرْني عن الفرائض التي افترض الله على العباد ما هي؟ فقالعليه السلام: « **شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمَّداً رسول الله، وإقام الصّلاة الخمس، وإيتاء الزّكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، والولاية، فمَن أقامهنّ وسدّد وقارب واجتنب كلَّ مسْكِرٍ دخل الجنة** ».

ورواه البرقي في المحاسن عن أبيه عن النضر عن يحيى الحلبي عن عبد الله بن مسكان عن سليمان بن خالد مثله.

(١٤) وفي (الخصال) عن محمَّد بن الحسن عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن القاسم بن الحسن بن علي بن يقطين عن ابن أبي نجران وجعفر بن

سليمان جميعا عن العلا بن رزين عن أبي حمزة الثمالي قال: قال مولانا الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **بُنِيَ الإسلام على خمس: إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان، والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربعٍ منها رخصة، ولم يجعل في الولاية رخصة، مَن لم يكن له مالٌ لم تكن عليه الزّكاة، ومَن لم يكن له مال فليس عليه حج، ومَن كان مريضاً صلى قاعداً، وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مالٍ أو لا مالَ له فهي لازمة** ».

⑮ وفي كتاب (صفات الشيعة) عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن أحمد بن محمَّد عن ابن أبي نجران قال: سمعت مولانا الإمام أبا الحسن عليه السلام يقول: « **مَن عادى شيعتنا فقد عادانا** »، إلى أنْ قال: « **شعيتنا الذين يقيمون الصّلاة، ويؤتون الزّكاة، ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالون أهل البيت، ويبرؤون من أعدائنا أولئك أهل الإيمان، والتقى، والأمانة، مَن ردَّ عليهم فقد ردَّ على الله، ومَن طعن عليهم فقد طعن على الله** ». الحديث.

⑯ وفي (المجالس) عن محمَّد بن موسى بن المتوكل عن السعد آبادي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن محمَّد بن سنان عن المفضل بن عمر عن مولانا الإمام الصادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام قال: « **بُنِيَ الإسلام على خمس دعائم، على الصّلاة، والزّكاة، والصوم، والحج، وولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام** ».

⑰ محمَّد بن الحسن في المجالس والاخبار بإسناده عن علي بن عقبة عن أبي كهمس وبإسناده عن زريق عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قلتُ له: أي الأعمال أفضل بعد المعرفة؟ فقال عليه السلام: « **ما من شئ بعد المعرفة يعدل هذه الصّلاة، ولا بعد المعرفة والصّلاة شئ يعدل الزّكاة. ولا بعد ذلك شئ يعدل الصوم، ولا بعد ذلك شئ يعدل الحج، وفاتحة ذلك كلّه معرفتنا، وخاتمته معرفتنا، ولا شئ بعد ذلك كبر الاخوان، والمواساة ببذل الدينار والدرهم** »، إلى أن قال عليه السلام: « **وما رأيت شيئاً أسرع غنى، ولا أنفى للفقر من إدمان حج هذا البيت، وصلاة فريضة تعدل عند الله الف حجة وألف عمرة. مبرورات،**

متقبلات، والحجة عنده خير من بيت مملوّ ذهباً، لا بل خير من ملئ الدنيا ذهباً وفضة ينفقه في سبيل الله، والذي بعث محمَّداًﷺ بالحق بشيراً ونذيراً لقضاء حاجة امرئ مسلم، وتنفيس كربته أفضل من حجة، وطواف، وحجة، وطواف، حتى عقد عشرة». الحديث.

⑱ وعن أبيه عن سعدان بن مسلم عن الفضيل بن يسار عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **عشر مَن لقى الله بهن دخل الجنة: شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمَّداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله، واجتناب كل مُسْكِر** ».

ورواه الصدوق في (ثواب الأعمال) عن محمَّد بن الحسن عن الصفار عن العباس بن معروف عن سعدان بن مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم.

باب: في أنّ العبد يسأل يوم القيامة عن أربع منها حبّ أهل البيت وولايتهم عليهم السلام[1]

① الشيخ في (أماليه) قال: أخبرني محمَّد بن محمَّد يعني المفيد قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمَّد بن قولويه قال: حدثني أبي عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن مولانا الإمام أبي جعفر محمَّد بن علي الباقر عليه السلام قال: « **قال رسول اللهﷺ: لا تزل قدم عبد مؤمن يوم القيامة من بين يدي الله عزّ وجلّ حتى يسأل عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته، وعن حبنا أهل البيت فقال رجل من القوم: وما علامة حبكم يا رسول الله؟ فقال: محبة هذا ووضع يده على رأس عليّ بن أبي طالب عليهما السلام** ».

② ابن بابويه بإسناده عن إسحاق بن موسى بن جعفر قال: حدثني أبي موسى

(١) راجع (غاية المرام) ج٣ ص٩٤- ٩٥ الباب الثالث والخمسون.

بن جعفر عن أبيه الإمام جعفر بن محمَّد عن أبيه الإمام محمَّد بن عليّ عن أبيه الإمام علي بن الحسين عن أبيه الإمام الحسين بن علي عن أبيه أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالبعليهم السلام قال: « **قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيتعليهم السلام** ».

③ شرف الدين النجفي فيما نزل في العترة عن ابن عباس عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم: إنه قال: « **لا تزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به وعن حبّنا أهل البيتعليهم السلام** ».

④ ابن بابويه بإسناده عن رقيّة بنت إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أمِّها عن آبائهاعليهم السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: « **لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيتعليهم السلام** ».

⑤ الشيخ في (أماليه) بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: قلت يا رسول الله أوصني؟ فقال: « **عليك بمودة عليّ بن أبي طالبعليهما السلام والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل اللهُ من عبدٍ حسنةً حتى يسأله عن حبِّ عليٍّ بن أبي طالبعليهما السلام وهو تعالى أعلم فإنْ جاء بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإنْ لم يأتِ بولايته لم يسأله عن شئ ثم أمر به إلى النار** ».

باب: في أنه لا يجوز العبد على الصراط يوم القيامة ولا يدخل الجنة إلاّ بجواز من أمير المؤمنينعليه السلام بولايته وولاية أهل بيتهعليهم السلام من طريق العامة[1]

① أبو المؤيد موفق بن أحمد من أعيان العامة في كتاب فضائل أمير المؤمنينعليه السلام

(١) راجع (غاية المرام) ج٣ ص٩٦-٩٨ الباب الرّابع والخمسون.

قال: ذكر الإمام محمَّد بن علي بن أحمد بن شاذان قال: أخبرني محمَّد بن حماد التستري عن محمَّد بن أحمد بن إدريس عن محمَّد بن عبد الله الأصبهاني عن أبيه عن هشيم عن يونس عن عبيد عن الحسن البصري عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا كان يوم القيامة قعد عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام على الفردوس وهو جبلٌ قد علا على الجنة وفوق عرش ربّ العالمين ومن سفحه متفجر أنهار الجنة ويتفرق في الجنان وهو جالسٌ على كرسيٍّ من نور يجري من بين يديه التسنيم لا يجوز أحد الصراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته عليهم السلام يشرف على الجنة فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار** ».

(٢) موفق بن أحمد هذا أيضاً قال: أنبأني الحافظ الحسن أحمد المقري أخبرنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو العباس أحمد بن علي بن محمَّد المرمي حدثنا أبي حدثنا إسماعيل ابن موسى حدثنا محمَّد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّ وجلّ جبرائيل ومحمَّداً عليهما السلام على الصِّراط فلا يجوزه أحد إلاّ مَن كان معه براءة من عليٍّ كرم الله وجهه** ».

(٣) أبو الحسن علي بن محمَّد الخطيب الشافعي المعروف بـ (ابن المغازلي) في كتاب (مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) قال: أخبرنا أحمد بن محمَّد بن عبد الوهاب أذنا عن القاضي أبي الفرج أحمد بن علي قال: حدثنا أبو غانم سهل بن إسماعيل بن بلبل قال: حدثنا أبو القاسم الطائي قال: حدثنا محمَّد بن زكريا الغلابي، حدثنا العباس بن بكار عن عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا كان يوم القيامة ونصب الميزان على شفير جهنم لم يجز عليه إلاّ مَن كان معه كتاب ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام** ».

(٤) إبن المغازلي أيضاً في كتابه من عدّة طرق بأسانيد مختلفة عن النبي ﷺ والمعنى متقارب فيها أنّ النبي ﷺ قال: « **إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم لم يمر عليه إلاّ مَن معه كتاب ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام** ».

وفي بعض رواياتهم من عدة طرق بأسانيدها إلى النبي صلى الله عليه وآله: « **لم يجز على الصراط إلاّ مَن معه جواز من عليّ بن أبي طالب عليهما السلام** ».

⑤ ابن المغازلي أيضا قال أخبرنا أبو محمَّد بن أحمد بن موسى الغندجاني قال: أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمَّد الحفار قال: حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي قال: حدثنا عليّ بن الحسين السعدي قال: حدثنا إسماعيل بن موسى السدي قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **عليٌّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة إلاّ مَن جاء بجواز من عليّ بن أبي طالب عليهما السلام** ».

وروي: « **أن جبرائيل يجلس على باب الجنة ولا يدخلها إلاّ مَن معه براءة من علي عليه السلام** » .

⑥ أبو شيرويه من أعيان علماء العامة من كتاب الفردوس في باب الحاء بالإسناد قال عن عمر بن الخطاب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **حبُّ عليٍّ براءة من النار** ».

⑦ أبو الحسن الفقيه محمَّد بن أحمد بن شاذان المتقدم من طريق العامة يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: « **إذا كان يوم القيامة أمر الله ملكين يقعدان على الصراط فلا يجوز أحد إلاّ ببراءة أمير المؤمنين ومن لم تكن له براءة أمير المؤمنين أكبَّه اللهُ على منخريه في النار وذلك قوله تعالى:** ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ » قلتُ: فداكَ أبي وأمي يا رسول الله ما معنى براءة أمير المؤمنين؟ قال: « **مكتوب بالنُّور الساطع لا إله إلاّ الله محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليهما السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله** ».

⑧ ابن شهرآشوب في كتاب (الفضائل) من طريق العامة عن أنس عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال: قلتُ للنبي صلى الله عليه وآله للنار جواز؟ قال: « **نعم** »، قلتُ: وما هو؟ قال: « **حبُّ عليٍّ ابن أبي طالب عليهما السلام** ».

⑨ إبراهيم بن محمَّد الحمويني من أعيان علماء العامة قال: أخبرني الشيخ الصالح عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسي بقراءتي عليه قلت له: أخبرك القاضي جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمَّد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني إجازة أنبأنا أبو عبد الله محمَّد بن الفضل الفراوي أنبأنا شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي قال: أنبأنا الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله البيع النيسابوري قال: حدثني عطية بن سعيد عبد الله بن منصور الأندلسي ابن محمَّد حدثنا القاسم بن علقمة الأبهري حدثنا عثمان بن جعفر الدينوري قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الصاعدي حدثنا ذو النون المصري حدثنا مالك بن أنس عن جعفر ابن محمَّد صلوات الله عليهم أجمعين عن علي عليه السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جَمَعَ اللهُ الأولين والآخرين يومَ القيامة ونَصَبَ الصِّراطَ على جِسْرِ جهنّم لَمْ يجز بها أحدٌ إلاّ مَنْ كانت معه براءة بولاية عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه** ».

باب: في ولاية النبي وأهل بيته الأئمة عليهم السلام من طريق الخاصة وفيه أربعة أحاديث[1]

① محمَّد بن العباس بن ماهيار الثقة في تفسيره فيما نزل في أهل البيت عليهم السلام قال: حدثنا أحمد بن الفضل الأهوازي عن بكر بن محمَّد بن إبراهيم غلام الخليل قال: حدثنا زيد بن موسى عن أبيه الإمام موسى الكاظم عن أبيه الإمام جعفر عن أبيه الإمام محمَّد عن أبيه الإمام عليّ بن الحسين عن أبيه الإمام الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سُورَةُ المُؤْمِنُونَ، قال: « **عن ولايتنا أهل البيت** ».

② محمَّد بن العباس أيضاً قال: حدثنا علي بن العباس عن جعفر الرماني عن حسين بن علوان عن سعد بن ظريف عن الأصبغ بن نباتة عن مولانا أمير المؤمنين علي

(١) راجع (غاية المرام) ج٣ ص١٠٣ الباب السابع والخمسون.

عليه السلام قال: « **قوله عزّ وجلّ**: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾، قال: « **عن ولايتنا** ».

③ ابن شهرآشوب قال في كتبنا عن جابر عن أبي حنيفة قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ قال: « **ولايتنا** ».

④ عليّ بن إبراهيم في تفسير الآية عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ قال: « **إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام** » قال: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ قال: « **عن الإمام لحائدون** ».

ونذكر من الروايات أيضاً الآتي[1]

① ابن بابويه قال: حدثنا علي بن عيسى القمي قال: حدثني علي بن محمَّد ماجيلويه قال: حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن خلف بن حمّاد الأسدي عن أبي الحسن العبدي عن سليمان بن مهران عن مولانا الإمام الصادق جعفر بن محمَّد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنتَ أخي ووارثي ووصيّي وخليفتي في أهلي وأمتي في حياتي وبعد مماتي، مُحبِّكَ مُحبِّي ومُبْغِضُكَ مُبْغِضِي، يا عليّ أنا وأنتَ أَبَوَا هذه الأُمّة، يا عليّ أنا وأنتَ والأئمّة مِن وِلْدِكَ ساداتٌ في الدُّنيا وملوكٌ في الآخرة، مَنْ عَرَفَنَا فقد عَرَفَ اللهَ، ومَنْ أَنكَرَنَا فقد أنكر الله عزّ وجلّ** ».

② ابن بابويه قال: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر قال: حدثنا علي بن إبراهيم ابن هاشم عن أبيه عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن مولانا الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى عليهما السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيِّد مَن خلق الله عزّ وجلّ وأنا خيرٌ مِن جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وحملة**

(١) راجع (غاية المرام) ج٣ ص٧.

العرش وجميع ملائكة الله المقربين وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحبُ الشفاعة والحوض الشريف، وأنا وعليٌّ أَبَوَا هذه الأمّة، مَنْ عَرَفَنَا فقد عَرَفَ اللهَ، ومَنْ أنكرنا فقد أنكر اللهعَزَّلَّ، ومِن عليٍّ سبطا أُمَّتِي وسَيِّدَا شباب أهل الجنة: الحسن، الحسين، ومِن وِلْدِ الحسين تسعةٌ طاعتُهم طاعَتِي ومَعْصِيَتُهُم مَعْصِيَتِي، تَاسِعُهُم قَائِمُهُم وَمَهْدِيُّهُم ».

③ ابن بابويه قال: حدثنا محمَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن ابن سنان عن أبي بصير عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **قال أميرُ المؤمنينعليه السلام في خطبةٍ: أنا الهادي وأنا المهتدي وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأُ كل ضعيف ومأمن كل خائف، وأنا قائدُ المؤمنين إلى الجَنَّة وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى وكلمة الله التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله أن الذي يقول:** ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ... ﴿٥٦﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، **وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرّحمة والمغفرة، وأنا باب حِطّة مَنْ عَرَفَنِي وَعَرَفَ حَقّي فقد عَرَفَ رَبَّه لأني وصيُّ نبيِّه في أرضه وحجّتُه على خلقه لا ينكر هذا إلاّ رادّ على الله وعلى رسوله »**.

قال ابن بابويه عقيب هذا الحديث: الجنب الطاعة في لغة العرب يقال: هذا صغير في جنب الله أي في طاعة اللهعَزَّوَجَلَّ قال اللهعَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ... ﴿٥٦﴾ ﴾ أي في طاعة اللهعَزَّوَجَلَّ.

④ ابن بابويه قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمَّد بن عمران الدقاقرَحِمَهُ اللَّهُ قال: حدثنا محمَّد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد عن الحسن بن علي أبي حمزة عن أبيه عن يحيى بن أبي القاسم عن مولانا الإمام الصادق جعفر بن محمَّد عن أمير المؤمنين عليعليه السلام قال: « **قال رسول اللهصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الأئمة بعدي اثنا عشر أوَّلُهم عليُّ بن أبي طالب وآخرهم القائمُ خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجة الله على أُمَّتِي بعدي، المُقِرُّ بهم مؤمنٌ والمُنْكِرُ لهم**

كافرٌ».

وفي التنْزيل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ... ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، وفي حديث سماعة قال: والذي بعث محمَّداً بالحقّ لو أنّ جبرائيل وميكائيل كان في قلبهما شيء – من محبّة الشيخين – أكبّهما الله في النّار على وجوههما[1].

وفي مجالس المفيد رحمه الله بسنده عن حبيش بن المعتمر قال: دخلتُ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقلتُ: السّلام عليكَ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، كيف أمسيت؟ قال عليه السلام: « **أمسيتُ محبّاً لمحبِّنا، ومبغضاً لمبغضنا...** » إلى أنْ قال عليه السلام: « **مَن سرَّه أنْ يعلَم أمُحِبٌّ لنا أم مبغِضٌ فليمتحِنْ قلبَه، فإنْ كان يحبُّ وليّاً لنا فليس بمبغض لنا، وإنْ كان يبغضُ وليّاً لنا فليس بمحبٍّ لنا** ».

وفي تفسير العياشي أن أبي حمزة الثمالي قال: قال مولانا الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **يا أبا حمزة إنما يعبد اللهَ مَن عَرَف، وأما مَنْ لم يعرف اللهَ تعالى كأنما يعبد غيره هكذا ضلالاً** »، قلتُ: أصلحكَ اللهُ، وما معرفة الله؟ قال: « **يصدّق الله ويصدّق محمَّداً رسول الله في موالاة عليّ والايتمام به وبأئمّة الهدى من بعده والبراءة إلى الله من عدوّهم، وكذلك عرفان الله** »، قال: قلتُ: أصلحكَ الله أيّ شيء إذا عملتُهُ أنا استكملت حقيقة الإيمان؟ قال عليه السلام: « **توالي أولياءَ الله وتعادي أعداءَ الله، وتكون مع الصادقين كما أمركَ الله** ». قلتُ: ومَن أولياءُ الله ومَن أعداءُ الله؟ قال عليه السلام: « **أولياء الله: محمّد رسول الله وعليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ثمّ انتهى الأمر إلينا ثمّ ابني جعفر وأومأ إلى الإمام جعفر وهو جالسٌ، فمَن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصّادقين كما أمر الله** ». قلتُ: ومَن أعداءُ الله أصلحكَ الله؟ قال: « **الأوثان الأربعة** »، قلتُ: ومَن هم؟ قال عليه السلام: « **أبو الفصيل ورمع ونعثل**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٥ ص٣٢٩ ح٥.

ومعوية ومَن دَانَ دينهم، فمَن عادَى هؤلاء فقد عادى أعداءَ الله تعالى »[1] .

وفي (أمالي الصّدوق) بسنده عن هشام بن سالم عن مولانا الإمام الصّادقعليه السلام قال: « **مَن جالس لنا عائباً أو مدح لنا غالياً أو وصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً أو والى لنا عدوّاً أو عادى لنا وليّاً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآنَ العظيم** ».

وفي الصحيح عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: « **إذا رأيتم أهلَ البدع والريب من بعدي فأظهِرُوا البراءَةَ منهم، وأَكْثِرُوا من سَبِّهِم والقول فيهم والوقيعة، وباهِتُوهم لئلاّ يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرُهم الناسُ ولا يتعلّمون من بِدَعِهِم، يكتب اللهُ لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدّرجات في الآخرة** »[2].

والحاصل: إنّ الفِقرةَ الشريفة تضمَّنَتْ البراءَةَ إلى الله تعالى وإلى أهل البيتعليهم السلام من أعدائهم المباشرين، والذين شايعوهم واتبعوهم ووالوهم.

فالأشياع هم شيعة أبي بكر وعمر ومَن جاء بعدهما من بني أميّة وبني العبّاس وفلولهم.

فأشياعهم وأتباعهم لفظان مترادفان، يمكن تخصيص الأول بالخواص، والمتابعين لهم هم المقتفون آثارهم حذو النعل بالنعل، وأمّا لفظ (أولياؤهم) الوارد في الفِقرة أيضاً فهم المحبُّون مطلَقاً، ويجب التبرّي من الجميع لكونهم أولياء الطاغوت.

وكيف كان فالمؤمن هو المؤمن بمقام آل الرّسول، المحبُّ لهم بالسرّ والعلانية، ومَنْ كان كذلك فهو لا محالة محبٌّ لأوليائهم ومعادٍ لأعدائهم كما في الجامعة الكبيرة « **مستبصر بشأنكم وبضلالة مَن خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم، مبغضٌ لأعدائكم** ».

ونظير قولهعليه السلام في الزيارة: « **اُشهِدُ اللهَ واُشهِدُكم أني مؤمنٌ بكم وبما آمنتم**

(١) راجع (شرح الزيارة) للكربلائي ج٤ ص٣٦٥.

(٢) راجع (منهاج البراعة) ج١٣ ص٨٦.

به، كافر بعدوّكم وبما كفرتم به ».

والخلاصة: إنّ الإيمان بهم والولاية لهم والمحبّة الخالصة لهم لا تكون إلاّ بالبراءة من أعدائهم، والوجه من أنّ الإيمان حقٌّ وهو لا يجتمع مع الباطل الذي هو ولاية أعدائهم وعدم البراءة منهم.

﴿ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ ﴾

﴿ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ﴾

يتحقق الإيمان بالله عزّ وجلّ بموالاة أولياء الله تعالى، ومعاداة أعدائهم، فإنّه إنْ لم يوالهم فهو ضالّ، وإنْ والاهم مع أعدائهم فهو مشرك، وإنْ والى أعداءهم دونهم فهو كافر جاحد، وكيف كان فالإيمان بهذا من صفات عقد القلب، ويتحقق أيضاً بالفعل، وهو بترتيب آثار تلك العقائد في الخارج، ومنها قوله عليه السلام: « **سِلْمٌ لِمَن سالمكم** » أي مسالم ومواخٍ لهم وحربٌ أي عدوٌّ ومحاربٌ لِمَن حاربكم.

قال الشارح المجلسي رحمه الله: « **إني صُلْحٌ لَمن صالحتم إياه بترك الجهاد معهم كما في زمان الغيبة، أي لا أُجاهِد حتى تجاهدوهم أو أنا محبٌّ لشيعتكم وعدوٌّ لأعدائكم** ».

وعلى هذا فمعنى: إني سِلْمٌ أي مصالح ومطيع ومستسلم ومحبٌّ وموالٍ ومسلِّم، ومسالم لِمَن سالمكم أي لمن كان هكذا عمله معكم، وهذه الجملة ناظرة إلى الإيمان العملي، ويرجع معناه إلى أني تارك الجهاد ضدّ مَنْ سالمكم المستلزم لمسالمتكم معه، وتارك للمحاجة معه ما دام سلماً لكم أو مستعملاً التقية في مواردها الموجِبة للسلم، وتاركاً المخاصمة لدفع الضرر عن شيعتكم، ما دام راضياً عمّن رضي عنكم، أو مطيعاً لِمَن أطاعكم في موالاتكم وإنْ عصاني في غيرها، وما دام منقاداً لمن انقاد لكم في موالاته لكم، كونه محبّاً لِمَن أحبّكم، كلّ ذلك وغيره الناشئ من الإيمان القلبي لكم، فتكون المسالمة في جميع تلك الأمور على ما يقتضيه الايمان

القلبي، لا على ما تقتضيه المعاشرة العرفيّة فقط... وعلى هذا فقوله عليه السلام: « **حربٌ لِمَن حاربكم** » معناه أني بالنسبة إلى مَنْ حاربكم أعمل بما يقتضيه الإيمان بكم[1].

سؤال:

لماذا قَيَّدَ حربَ أعدائهم إلى يوم القيامة بقوله: « **سلْمٌ لِمَن سالَمَكُم، وحَرْبٌ لِمَن حارَبَكُم إلى يوم القيامة** »؟ وهل يعيش الموالي إلى يوم القيامة حتى يكون سلماً لِمَن سالمهم وحرباً لِمَن حاربهم إلى يوم القيامة؟

والجواب:

إنّ المراد بذلك هو أني سِلْمٌ لِمَن سالَمَكم فعلاً وقوّةً أي أُسالم مَن سالمكم في حياتي والذين كانوا قبل حياتي والذين سيكونون بعد وفاتي، أي أني موَطِّنٌ نفسي على موالاة أوليائكم الذين مضوا والذين سيأتون إلى يوم القيامة، وهكذا أني حربٌ لِمَن حاربكم قبل حياتي وحال حياتي وبعد وفاتي إلى يوم القيامة.

﴿ وَلَعَنَ اللهُ آل زِيَاد وَآلَ مَرْوانَ وَلَعَنَ اللهُ بَنِي أُمَيّةَ ﴾ ﴿ قاطِبَةً وَلَعَنَ اللهُ ابْنَ مَرْجانَةَ وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ ﴾ ﴿ بْنَ سَعْد وَلَعَنَ اللهُ شِمْراً ﴾

قلنا سابقاً إنّ معنى (اللعن) هو الطرد من رحمة الله تعالى واستحقاقُ صاحبه اللعن، وقد ذكرنا الأدلّةَ على جواز لعن الظالمين، فلا حاجة بنا لإعادتها. وهذه الفقرة تؤكد لعن جماعة خاصّة من الظالمين، بعد لعن الذين أسسوا أساس الظلم على آل الله عليهم السلام، فابن زياد ومروان بن الحكم وعمر بن سعد والشمر وكلّ مَن تابعهم وشايعهم مِن أنصار أبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد الذين سنّوا ظلمَ أهل البيت عليهم السلام.

(١) راجع (شرح الزيارة) للكربلائي ج٤ ص٣٧١.

والسؤال المهم هو: مَن هم آل زياد وآل مروان وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرٌ؟!.

آل زياد هم: عبيد الله بن زياد وذريتهما، فعبيد الله كان والياً على الكوفة من قبل يزيد بن معاوية، وأبوه هو زياد بن أبيه، أم زياد هي سميّة المشهورة بالزِّنا، يروى أنّ سمية كانت زوجة لأبي عبيد وهو عبد رومي يُقال أنه: عبد بني علاج من ثقيف، فزنى بها أبو سفيان والد معاوية، فأولدها زياداً وهي على فراش عبيد الرومي[1]. والمعروف أنّ سميّة كانت من ذوات الرايات بالطائف، وكانت تنْزل في محلة يقال لها (حارة البغايا)[2].

وقد ادعى معاوية - ودعواه صحيحة - أنّ عبيد الله بن زياد أخوه من ناحية أبيه أبي سفيان لكونه زنى بسميّة فولدت منه زياداً والد عبيد الله.

من هنا استلحقه معاوية، فجعل - أي معاوية - عبيد الله بن زياد أخاه، فعبيد الله أُطلِقَ عليه اسم (الدّعي) وكانت عائشة تسمّيه بـ (زياد بن أبيه) لأنه ليس له أب معروف. والبعض بيسميه بـ (ابن سميّة)، وبعض آخر: ابن عبيد.

آل مروان: هم أولاد الحكم بن أبي العاص الأموي، وآل مروان.

قال ابن الأثير في ترجمة الحكم بن أبي العاص [3]: (إنّ بنت الحكم بن أبي العاص قالت للحكم - أي لأبيها - ما رأيتُ قوماً كانوا أسوأ رأياً وأعجز في أمر رسول الله منكم يا بني أميّة، فقال: لا تلومينا يا بُنَيَّة، إني لا أحدثكِ إلاّ ما رأيتُ بعيني هاتين، قلنا: والله ما نزال نسمع قريشاً تقول: يصلي هذا الصابئ في مسجدنا، فتواعدوا له لتأخذوه، فتواعدنا إليه، فلمّا رأيناه سمعنا صوتاً ظننا أنّه ما بقي بتهامة جبلٌ إلاّ تفتَّتَ علينا، فما عقلنا حتى قضى صلاته، ورجع إلى أهله، فتواعدنا ليلة أخرى، فلمّا جاء نهضنا إليه فرأيت الصفا والمروة التقتا إحداهما

---

(١) راجع (الكامل في التاريخ) ج٣ ص٣١١، (إلزام النواصب)١٧٠-١٧١.

(٢) راجع (مروج الذهب) ج٣ ص٦.

(٣) راجع (أسد الغابة) لابن لأثيرج٢ ص٤٨.

بالأخرى، فحالَتا بيننا وبينه، فوالله ما نفعنا ذلك).

وتابع ابن الأثير فقال: (حدّثنا نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا مع النبيّ صلى الله عليه وآله فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: « **ويلٌ لأمّتي ممّا في صلب هذا** »)[1].

والحكم بن العاص طريد رسول الله نفاه من المدينة إلى الطائف، وخرج معه ابنه مروان، وقد اختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله صلى الله عليه وآله إياه، فقيل: كان يتسمع سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ويطلع عليه من باب بيته، وإنه أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ يفقأ عينه بِمدْرَى في يده لما طلع عليه من الباب، وقيل: كان يحكي رسول الله صلى الله عليه وآله في مشيته وبعض حركاته، وكان النبي صلى الله عليه وآله يتكفأ في مشيته، فالتفت يوماً فرآه وهو يتخلج في مشيته فقال: كن كذلك، فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذٍ، فذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في هجائه لعبد الرحمن بن الحكم فقال:

إنّ اللعين أبوكَ فارم عظامه ... إنْ تَرْمِ تُرْمَ مخلَّجاً مجنوناً

يُمسي خميص البطن من عمل التُّقى ... ويظلُّ مِن عمل الخبيث بطيناً

وأمّا معنى قول عبد الرحمن: (إنّ اللعين أبوك) فروي عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمة: إنها قالت لمروان بن الحكم، حيث قال لأخيها عبد الرحمن بن أبي بكر لما امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد ما قال، والقصة مشهورة: أما أنت يا مروان، فأشهدُ أنّ رسولَ الله لَعَنَ أباكَ وأنتَ في صلبه، وقد رويت في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها، إلاّ أنّ الأمر المقطوع به أنّ النبي مع حلمه وإغضائه على ما يكره، ما فعل به ذلك إلاّ لأمر عظيم، ولم يزل منفياً حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا ولي أبو بكر الخلافة، قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة، فقال: ما كنت لأحلّ عُقْدَةً عقدها رسول الله وكذلك عمر، فلمّا ولي عثمان الخلافة ردّه وقال: كنت قد شُفعت فيه إلى رسول الله فوعدني بردّه، وتوفي في

(١) هذا الحديث أخرجه إبن أبي حاتم (حديث رقم:٢٧٥١)، وذكره الهيثمي في (الزوائد) ج٥ ص٢٤١، والهندي في (كَنْز العمّال) حديث رقم:٣١٠٦٦.

خلافة عثمان[1] .

مَن هو ابن مرجانة؟

هو ابن زياد اللعين، وتخصيصه بالذكر مع دخوله في العموم المتقدِّم (آل زياد) لأكثريّة ظلمه وطغيانه كما لا يخفى على مَن تتبع وقائعه من معاداته لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وحَثِّهِ على قتل سيِّدنا مولانا الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام عليهم السلام، وبعثه لعمر بن سعد وشمر وأشباههما إلى كربلاء لذلك، وهتكه عترة الرسول في مجلسه بكالمات فضيحة ومقالات قبيحة لعنه الله لعناً وبيلاً، ومن كلماته القبيحة: ما خاطب بها سيدة نساء عصرها الصدِّيقة الصغرى زينب عليها السلام: (الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم !) فقالت مولاتنا زينب عليها السلام لابن زياد (لعنه الله): « **إنما يُفتضح الفاسقُ ويكذَّبُ الفاجر وهو غيرنا** ». فقال لها: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعُصاة المَرَدَة من أهل بيتكَ[2] ...

كما إنّ الطاغية ابن زياد قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وغيرهما من شيعة الإمام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

مَن هو عمر بن سعد؟

هذا اللعين كان قائداً لجيش عبيد الله بن زياد. أبوه سعد: رجلٌ من بني عذرة، كان خدناً أي: صاحباً لأمّ عمر، فزنى بها، فأنْجَبَتْ عمر، ويشهد له قول معاوية لسعد حيث قال لمعاوية: (أنا أحقُّ بذلك الأمر منك)، فقال له معاوية: (يأبى عليكَ ذلك بنو عذرة، وضرط له)[3].

وجاء في (مروج الذهب) لأبي الحسن المسعودي[4]: حدث أبو جعفر محمَّد بن

---

(١) راجع (أسد الغابة) لإبن الأثير ج٢ ص٤٨-٤٩.

(٢) راجع (اللهوف على قتلى الطفوف) ابن طاووس ص٢٠٠.

(٣) راجع (إلزام النواصب) ١٧٢؛ لمؤلفه الشيخ مفلح بن الحسين بن راشد بن صلاح البحراني من أعلام القرن التاسع الهجري، وكتابه من مصادر (بحار الأنوار).

(٤) راجع (اللهوف على قتلى الطفوف) ص٢٠٠.

جرير الطبري، عن محمَّد بن حميد الرازي، عن أبي مجاهد، عن محمَّد بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح قال: لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه إلى سريره، ووقع معاوية في عليٍّ وشرع في سَبِّهِ، فزحف سعد. ثم قال: أجلستني معكَ على سريركَ ثم شرعتَ في سَبِّ عليٍّ! والله لأنْ يكون فِيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعليٍّ أحبّ إِلَيَّ من أنْ يكون لي ما طلعت عليه الشمس: والله لأن أكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وآله لي من الولد ما لعليّ أحبُّ إِلَيَّ منْ أنْ يكون لي ما طلعت عليه الشمس. والله لأنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قال له يوم خيبر: لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّه اللهُ ورسولُه ويحبُّ اللهَ ورسولَه ليس بفرار يفتح اللهُ على يديه، أحبُّ إِلَيَّ من أنْ يكون لي ما طلعت عليه الشمس. والله لأنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قال في غزوة تبوك: ألاَ ترضى أنْ تكون مِنِّي بمَنْزِلَة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي، أحبّ إِلَيَّ من أنْ يكون لي ما طَلَعَتْ عليه الشمس. وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت ونهض.

ووجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب علي بن محمَّد بن سليمان النوفلي في الأخبار عن ابن عائشة وغيره: إن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية نهض يقوم، ضرط له معاوية وقال له: أقعد لما تسمع جواب ما قلت، ما كنتَ عندي قط ألأم منك الآن، فهلا نصرته؟ ولم قعدت عن بيعته؟ فإني لو سمعت من النبي صلى الله عليه وآله مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليّ عليه السلام ما عشت. فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك. فقال معاوية: يأبى عليك بنو عذرة. وكان سعد - فيما يقال - لرجل من بني عذرة، قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيِّد بن محمَّد الحميري:

سائل قريشا بها إنْ كنت ذا عَمَهٍ ... من كان أثبتها في الدين أوتادا

من كان أقدم إسلاما وأكثرها ... علماً وأطهرها أهلا وأولادا

من وحد الله إذ كانت مكذبة ... تدعو من الله أوثانا وأندادا

من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا ... عنها وان يبخلوا في أزمة جادا

مـن كـان أعـدلها حكمـا وأبسـطها / كفـا وأصـدقها وعـدا وابعـادا

إن يصـدقوك فلـن يعـدو أبـا حسـن / ان أنـت لم تلـق للأبـرار حسـادا

إن أنـت لم تلـق أقوامـاً ذوي صـلف / وذا عنـاد لحـق الله جحـادا

أو مـن بـني عـامر، أو مـن بـني أسـد / رهـط العبيـد ذوي الجهـل وأوغـادا

أو رهط سعد، وسعد كان قد علموا / عـن مسـتقيم صـراط الله صـدَّادا

قـوم تـداعوا زنيمـا ثـم سـادهُمُ / لـولا خمـول بـني زهـر لمـا سـادا

ويظهر أنّ والد عمر هو: سعد بن أبي وقّاص، وهذا قد قعد عن نصرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال المسعودي: (وكان سعد وأُسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمّد بن سلمة ممن قعد عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وأبوا أنْ يبايعوه وهم من القُعَّاد وذلك أنهم قالوا: إنها فتنة، ومنهم مَن قال للإمام عليّ عليه السلام: أعطِنا سيوفاً نقاتل بها معكَ، فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم وثبت (أي ارتفعت) عن أجسامهم، وإذا ضربنا بها الكافرين سرت في أبدانهم، فأعرض عنهم الإمام عليّ عليه السلام وقال: « **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** »)[1].

وقد هجا السيِّد الحميري سعداً بأبياتٍ منها:

أو رهـط سعد، وسعد كان قد علـم / عـن مسـتقيمِ صـراط الله صـدّادا

قـوم تـداعوا زنيمـاً[2] ثـم سـادهم / لولا خمول بني عذرة زهر لما سادا

وسعد بن أبي وقاص ولد زنا لرجل من بني عذرة حسبما جاء في (مروج الذهب)[3].

والمشهور أنّ سعد بن أبي وقّاص (والد عمر بن سعد) هو الذي اعترض على الإمام عليّ عليه السلام في الكوفة عندما قال عليه السلام: « **سلوني قبل أنْ تفقدوني، فوالله ما**

(١) راجع (مروج الذهب) ج٣ ص٢٥.

(٢) الزنيم: الداعي وهو الملحق قوم.

(٣) راجع (مروج الذهب) ج٣ ص٢٤.

تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلاّ نبّأتكم به »، قال: فقام إليه سعد بن أبي وقاص وقال: يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟ فقال عليه السلام له: « **والله لقد سألتَنِي عن مسألة حَدَّثَني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّكَ ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلاّ وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتكَ لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر يومئذٍ يدرج ين يدي أبيه** »[1].

﴿ وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتالِكَ ﴾

أسرَجَتْ وألجَمَتْ وتَنَقَّبَتْ: أفعال مشتقة من المصادر التالية: السَّرْج واللجام والنقاب.

السَّرْج: الرَّحْل؛ أي رحل الدالة[2]، والجمع: سروج.

اللِّجام: أصلها كلمة فارسيّة ثم استُعرِبَتْ، واللجام هو: حبلٌ أو عصا تُدْخَل في فم الدّابة وتُلْزَق إلى قفاه[3]، واللجام للمرأة عبارة عن شدّ وسطها بحزام عند الحيض. وألجمت الفرس إلجاماً: جعلتُ اللجامَ في فمه.

النّقاب القناع على وجه المرأة مع إبراز وإظهار عينيها، قال الفرّاء: إذا أدنَت المرأةُ نقابها إلى عينيها فتلك الوصوصة، فإنْ أنزلته دون ذلك إلى المَحْجَر فهو النقاب.

قال ابن منظور: النقاب عند العرب هو الذي يبدو منه محجر العين، فالنقاب لا يبدو منه إلاّ العينان[4].

ومعنى الفقرة: الطلب من الله تعالى أنْ يلعن ويطرد ويزيد العذاب - وهو فاعلٌ

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ١٥٥ ح١٦، (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٥٦ ح٥.

(٢) رحل الدابة: المركب الذي يوضع على الدابة.

(٣) راجع (لسان العرب) ج١٢ ص٥٣٤.

(٤) راجع (لسان العرب) ج١ ص٧٦٨.

عزوجل ذلك لكنه يريد منا طلب ذلك - على الذين تهيّؤوا وهيّؤوا المقدِّمات من السُّرُج واللُّجُم والنُّقُب لقتال الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله عليهم أجمعين، فلعن الله تعالى كلَّ مَن جعل السَّرْجَ واللجامَ على الفرس والأحصنة لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك لعن الله تعالى الذين لبسوا النقاب على وجوههم حال الحرب لقتاله عليه السلام؛ لأنّ النقاب كان زيّاً حربيّاً للمقاتلين. فهؤلاء الأتباع الذين أسرجوا الخيول وألجموها وتنقبوا مستحقون للعن كرؤسائهم آل زياد وآل مروان وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمراً عليهم جميعاً اللعنة السرمدية الأبديّة.

﴿ بِأبِي أنْتَ وَأُمِّي.. لَقَدْ عَظُمَ مُصابِي بِكَ ﴾

ورد في (كامل الزيارات) إضافة كلمة (يا أبا عبد الله) قبل قوله: بأبي أنتَ وأمّي، وجملة (بأبي أنتَ وأمي) مؤلَّفة من مبتدأ وخبر، فالمبتدأ مؤخر وهو (أنتَ)، الخبر مقدَّم وهو (بأبي) فكأنّ الجملة هكذا: (أنتَ بأبي وأمي). والباء تُحمَل على معنيين:

الأوّل: باء التفدية، ومتعلق (مفدى) محذوف، وكأنّ المعنى هكذا: (أنتَ مفدًّى بأبي وأمي)؛ أي أفديكَ بأبي وأمي.

الثاني: باء التعدية، كما يُقال: فديتكَ بنفسي حيث عدّى إلى المفعول الآخر بالباء، فالفعل متعدٍّ إلى أحد المفعولين بالنفس وإلى النفس بالحرف، من هنا ربما يقال: إنّ هذا التركيب في الأصل جملة فعلية أي (أفديكَ بأبي وأمي، يعني أجعلهما فداءً لكَ ووقايةً لنفسكَ)، والفِداء هو ما يُدفَع عوضاً عن شيء آخر، لذا يُقال: جُعِلْتُ فداكَ أي جُعِلَتْ نفسي قرباناً وعوضاً عنكَ، أو وقاية عنكَ، ويُقال: فِدى كذا أي لأجل كذا، وفي سبيل كذا...إلخ.

والتفدية والفِداء على قسمين:

الأوّل: تفدية الأدنى نفسه من أجل الأعلى والأكمل، نظير ما أشارت إليه الفقرة

الشريفة حيث علَّمَنا الإمام عليه السلام كيف يجب أنْ نفدِّي أنفسنا لأجل الإمام الحسين عليه السلام ؛ لأنه بَذَلَ بأنْفَسِ ما لديه من أجل الله تعالى وإحياء دينه القويم. قال الشّاعر :

يجـود بـالنفس إذا ضـنّ البخيـل بهـا   والجـود بـالنفس أقصـى غايـة الجـود

الثاني: تفدية الأعلى بنفسه لأجل الأدنى، نظير ما يُتوهّم بأنّ الإمام الحسين عليه السلام فدى نفسه (وهو الأعلى) لأجل حفظ الشيعة في حين أنهم الأدنى، ونظير ما يُتوهَّم من أنّ الله تعالى فدا إسماعيل عليه السلام بذبحٍ عظيم هو الإمام الحسين عليه السلام.

القسم الأوّل لا إشكال في وقوعه عقلاً ونقلاً ؛ وإنما الخلاف في القسم الثاني، فهل يصحّ أنْ يكون الأعلى فِداءً للأدنى؟

قال جماعة[1] بصحّة وقوع الأعلى فِداءً للأدنى، مستدلّين على ذلك برواية جاءت في كتاب (عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام) بإسناده إلى الفضل بن شاذان قال : سمعت الإمام الرِّضا عليه السلام يقول: « **لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أنْ يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أنْ يكون يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم مَن أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربِّ ما خلقتَ خلقاً هو أحبُّ إليَّ من حبيبك محمَّد صلى الله عليه وآله فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم أفهو أحبّ إليكَ أو نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليَّ من نفسي قال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده قال: فذبح ولده ظلماً على أعدائه أوجع لقلبك أو ذبْح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي قال: يا إبراهيم فإنّ طائفة تزعم أنها من أمّة محمَّد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش فيستوجبون بذلك سخطي فجزع إبراهيم عليه السلام**

(١) كالكاشاني في شرح الزيارة ص٧١، والتستري في (الخصائص).

لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكى فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، **ولا حول ولا قوه إلاّ بالله العلي العظيم** »[1].

حيث فَسَّرَتْ هذه الرّواية - كما ادّعى العلامة الكاشاني رحمه الله - أنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام كان عوضاً عن ذبح النبيّ إسماعيل، ولا يلزم في الفداء أنْ يكون المفدى له أفضل منه، فلا يلزم من كون إسماعيل أفضل من سيّد الشهداء الإمام الحسين سلام الله عليه حتى يتمّ الفداء.

الإيراد على الإستدلال المذكور:

ما أفاده العلامة الكاشاني رحمه الله من عدم وجود ملازَمة في الفِداء بين أنْ يكون المفدَّى له أفضل من المفدِّى دعوى ليس عليها شاهد نقلي أو إثبات خارجي، كما أنها خلاف العقل الدال على عدم جواز التضحية بالنفس من أجل السّيئ والرديء.

إنْ قيل: إنّ بعض الأنبياء عليهم السلام قُتِلوا من أجل الدِّفاع عن بعض المؤمنين، فكيف تقولون أنّ تفدية الأعلى لأجل الأدنى خلاف العقل؟!.

قلنا: على فرض صحّة أنهم قتلوا من أجل المؤمن... فإنهم عليهم السلام قُتِلوا، لأنّ الله تعالى أمرهم بالدِّفاع عن المؤمن، فقتلهم حينئذٍ إنما كان من أجل إقامة عدل الله تعالى وأعلاء أمره، لا من أجل المؤمن بما هو مؤمن، ولم يكن قتلهم من أجل المؤمن بعنوان أنه أدنى منهم، فيكون قتلهم في سبيل الله تعالى قتلاً في سبيل الأعلى لا الأدنى، فالفرق واضح عند المتدبرين المستبصرين.

وبهذا يتضح أنّ استشهاد الإمام المعظم أبي عبد الله الحسين عليه السلام لم يكن من أجل الشيعة بما هم مؤمنون مقصرون بما لحقهم من الذنوب والخطايا؛ بل من أجل الله

---

(١) راجع (عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام) ج١ ص١٧٨ باب١٧ ح١.

تعالى الذي أمره بالقيام الذي هو أعم من نصرة المظلوم، فأدّى القيام إلى قتله، فكان قتله إحياءً للتوحيد الإلهي ودين الله تعالى، وليس كما ادّعى بعض الفسقة ممن يغالون بالجمهورية الإيرانية؛ حيث قال لي بعضهم تقليداً منه لمقولة الخميني المشهورة: (إنّ حفظ الجمهورية أهمّ من حفظ وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف) لأنّ الإمام الحسين ضحّى بنفسه من أجل إقامة دولة الإسلام، وحيث إنّ الجمهورية الإيرانية حاكمة بإسم الإسلام فحفظها أهمّ من حفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وأجبناه بأنّ استشهاد الإمام المعظم أبي عبد الله الحسين عليه السلام إنما كان لأجل أمر الله تعالى؛ لأنّ في قتله إحياءً لأمر الله وتوحيده تماماً كما فعل رسول الله وأمير المؤمنين وسيدة النساء عليهم السلام حيث قُتِلوا من أجل دين الله وتطبيق أمره عزّ وجلّ المستلزِم لفضح الظالمين وتعريتهم، وهكذا شهادات بقيّة الأئمّة والأنبياء والأولياء عليهم السلام... ولعلَّ هؤلاء المنحرفين أخذوا تلك المقالة المشهورة من المحدّث الكاشاني ثم طبقوها على نظام الجمهورية الإيرانية، وهو محض غلوٍ بالنظام السياسي الذي يتحمسون له..! ويترتب على المقالة المتقدمة محاذير شرعية كثيرة تخرج بصاحبها من ربقة الإيمان والإسلام والتي منها التقصير في جنب المعصوم والإستهانة بدمه الشريف من أجل صعاليك يعصون الله تعالى في آناءِ الليل وأطرافِ النهار..! ولو فُرِضَ ظهورُ إمامنا المعظم وليّ الأمر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ودار الأمر بين حفظ الجمهورية وبين قتله لكانوا قدموه إلى مقصلة الموت من أجل حفظ جمهوريتهم... ولا عجب في ذلك بعد أن كشفت أخبارنا الشريفة عن حال هؤلاء حينما عبّرت عن العلَّة التي أدَّت إلى غيبة الإمام المعظم الحجة بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بأنَّ منها خوفه من القتل...! فإذا ما كان حفظ الجمهورية أهم من حفظ وجوده الشريف الذي به يُمسكُ اللهُ السماءَ أنْ تقعَ على الأرض فلا عجب في أن يقتلوه لكي تُحفظ جمهوريتهم....!!؟ والسؤال المهم الذي يجب طرحه هو: من هو الذي يشخص موارد حفظ الإسلام..؟ هل هو المعصوم عليه السلام أم الحاكم في نظام إيران؟ فإن كان الأول فقد ثبت حينئذٍ بأن حفظ وجود الإمام عليه السلام أهم من كلّ شيء، وإن كان الثاني

فقد دل على أن الحاكم أهم من الإمام عليه السلام ولا يعتقد بذلك إلا كلّ كافرٍ لا علاقة له بالإسلام...!!.

هذا بالإضافة إلى أن الإمام المعظم أرواحنا فداه هو الإسلام بالذات بل هو أهم من الإسلام المتمثل بالفروع والأحكام باعتبار أن الإسلام هو مجموعة أعتقادات وأصول وأحكام فرعية ومعاملات، ولا شيء أعظم من الإمام الذي تدور على إمامته رحى دين الإسلام، من هنا جاء في الكتاب الكريم والسنَّة المقطوعة بأن الإمامة أعظم الأصول الإعتقادية لأن بالإمام عليه السلام كمل الإسلام ولولاه لما كان هناك إسلام ولا إيمان قال تعالى حاكياً عن عظمة الإمام والإمامة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ. وقال تعالى بعد مبايعة المسلمين لأمير المؤمنين عليّ سلام الله عليه في غدير خم: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

أبعد هذا يُقال بأن حفظ النظام أهم من حفظ الإمام عليه السلام...!! اللهم احفظ سيدنا الإمام المعظم الحجة بن الحسن عليهما السلام من كيد الأعداء المتجلببين بمآزر الولاء بمحمد وآله الأطهار...!.

الردُّ على الكاشاني والتستري!!

ما ادَّعاه الكاشاني والتستري إعتماداً منهما على خبرٍ رواه الصدوق في كتاب (عيون الأخبار)، مردود من ناحيتين:

الناحية الأولى:

إنّ الخبر المذكور لا يدلّ على مدّعاهما؛ لأنّ مفاده أنّ الله عزّ اسمه جازى جزع إبراهيم الخليل على سيّد الشهداء الإمام الحسين سلام الله عليه بثواب رفيعٍ، وأين هذا مما ادعياه؟!! فانظرْ آخرَ الخبر لترى صحّة ما قلناه.

الناحية الثانية:

إنّ الخبر المذكور خبر واحد، يخالف ما ذكرنا سابقاً من عدم صراحته بما ادعياه المذكوران رحمهما الله، فلا يمكن العمل به إعتماداً على تفسيرهما له، فالخبر خارج تخصصاً وتخصيصاً عما ارتأياه واعتمداه فهو أشبه شيء بالإجتهاد في مقابل النص، كما لا يمكن أنْ يترجح على الأخبار الكثيرة الدالة على أنّ الذِّبح العظيم هو الكبش، ونحن هنا نذكر بعضاً منها كالآتي[1]:

① في (عيون الأخبار) في باب ذكر ما كتب به مولانا الإمام المعظم أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى محمَّد بن سنان في جواب مسائله في العلل والعلة التي من أجلها سميت منى منى أن جبرئيل عليه السلام قال هناك لإبراهيم عليه السلام: « **تمنَّ على ربك ما شئت، فتمنى إبراهيم عليه السلام في نفسه أنْ يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداء له، فأعطى مناه** ».

② في كتاب (الخصال) عن مولانا الإمام المعظم الحسن بن علي عليهما السلام قال: « **كان الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل، فكان فيما سأله أخبرني عن ستة لم يركضوا في رحم، فقال: آدم وحوا وكبش إسماعيل** » الحديث.

③ وفيه عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام حديث طويل مع ملك الروم وفيه أنّ ملك الروم سأله عن سبعة أشياء خلقها الله عزّ وجلّ لم تخرج من رحم فقال: « **آدم وحوا وكبش إسماعيل وناقة صالح وحية الجنّة والغراب الذي بعثه الله عزّ وجلّ يبحث في الأرض وإبليس لعنه الله** ».

④ روى الطبرسي رحمه الله في (مجمع البيان) عن العياشي بإسناده عن بريد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم كان بين بشارة إبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق؟ قال: « **كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله**

(١) راجع (نور الثقلين) ج٤ ص٤٢٠-٤٢٤.

سبحانه: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، **يعنى إسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها إبراهيم في الولد، ولما ولد لإبراهيم إسحاق من سارة وبلغ إسحاق ثلاثة سنين، أقبل إسماعيل إلى إسحاق وهو في حجر إبراهيم فنحاه وجلس في مجلسه، فبصرت به سارة فقالت: يا إبراهيم ينحى ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها أبداً فنحِّهما عنى، وكان إبراهيم مكرماً لسارة، يعزّها ويعرف حقّها، وذلك لأنها كانت من وِلْدِ الأنبياء وبنت خالته، فشق ذلك على إبراهيم واغتمّ لفراق إسماعيل، فلمّا كان في الليل أتى إبراهيم آت من ربّه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل بموسم مكة، فأصبح إبراهيم حزيناً للرؤيا التي رآها، فلمّا حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم هاجر وإسماعيل في ذي الحجة من أرض الشام فانطلق بها إلى مكة ليذبحه في الموسم، فبدأ بقواعد البيت الحرام، فلمّا رفع قواعده خرج إلى منى حاجّاً وقضى نسكه بمنى، ورجع إلى مكة فطاف بالبيت أسبوعاً ثم انطلقا، فلمّا صارا في السّعي قال إبراهيم لإسماعيل: يا بنى إنى أرى في المنام أني أذبحك في الموسم عامي هذا فماذا ترى؟ قال: يا أبت إفْعَلْ ما تؤمر، فلمّا فَرَغَا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى، وذلك يوم النحر، فلمّا انتهى إلى الجمرة الوسطى وأضجعه بجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه، نودي: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره، وفدى إسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين** ».

⑤ في (الكافي) علي بن محمَّد عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه أظنه محمَّد بن إسماعيل قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: « **لو خلق الله عزّ وجلّ مضغة أطيب من الضأن لفدى بها إسماعيل عليه السلام** ».

⑥ محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد عن محمَّد بن خالد عن سعد بن سعد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: « **لو علم الله عزّ وجلّ شيئا أكرم من الضأن لفدى به إسماعيل، والحديثان طويلان أخذنا منهما موضع الحاجة** ».

⑦ في (مجمع البيان) وقيل: إن إبراهيم رأى في المنام أن يذبح ابنه إسحاق، وقد كان حج بوالدته سارة وأهله، فلما انتهى إلى منى رمى الجمرة هو وأهله، وأمر سارة فزارت واحتبس الغلام، فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فأمره الغلام أنْ يمضى لما أمره الله وسلما لأمر الله، فأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أنْ أذبحه فقال: سبحان الله تريد أن تذبح غلاماً لم يعصِ الله طرفة عين قط؟ قال إبراهيم: إنّ الله أمرني بذلك، قال: ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان، فقال إبراهيم: لا والله فلمّا عزم على الذبح قال الغلام: يا أبت: أخمر وجهي وشد وثاقي، فقال: يا بنى الوثاق مع الذبح والله لا أجمعهما عليك اليوم، ورفع رأسه إلى السماء ثم انتحى عليه بالمدية وقلب جبرئيل المدية على قفاها واجتر الكبش من قبل ثبير واجتر الغلام من تحته، ووضع الكبش مكان الغلام، ونودي من ميسرة مسجد الخيف: ﴿ يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، بإسحاق ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَـٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، قال: ولحق إبليس بأم الغلام حين زارت البيت فقال: ما شيخ رأيته بمنى؟ قالت: ذاك بعلي، قال: فوصيف رأيته قالت: ذاك ابني قال: فانى رأيته قد أضجعه وأخذ المدية (ليذبحه) قالت: كذبت، إبراهيم أرحم الناس فكيف يذبح ابنه؟ قال: فورب السماء والأرض ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك، قالت: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت. حق له أن يطيع ربه، فوقع في نفسها أنه قد أمر في ابنها بأمر، فلما قضت نسكها أسرعت في الوادي راجعة إلى منى واضعة يديها على رأسها وهي تقول: يا رب لا تؤاخذني بما عملت بأم إسماعيل، فلما جاءت سارة وأخبرت الخبر قامت تنظر إلى ابنها فرأت إلى أثر السكين خدشاً في حلقه ففزعت واشتكت وكان بدو مرضها الذي هلكت به. رواه العياشي وعلي بن إبراهيم بالاسناد في كتابيهما.

❖ **ملاحظة مهمة**: دل الخبرُ المتقدم على أن الذبيح هو النبي إسحاق﵇ وهو خطأ محض نعتبره شاذاً في مقابل الأخبار الكثيرة الدالة على أن الذبيح إنما هو النبي

إسماعيل عليه السلام، ولا يجوز تقديم الخبر الشاذ على الخبر المتواتر الدال على أن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح لا سيَّما ما جاء في الخبر الصحيح عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: « **أنا ابن الذبيحين** » ولا خلاف بين الإمامية في أن النبيَّ الأعظم محمداً صلى الله عليه وآله من ولد إسماعيل عليه السلام، وكل خبر يعارضه مردود وذلك لمخالفته للأخبار المناهضة له ولأن اليهود والنصارى والمخالفين يميلون إلى أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام، بالإضافة إلى أن أئمة الهدى ومصابيح الدجى صلوات الله عليهم أمرونا بطرح كل خبر يتوافق مع المخالفين ويتعارض مع أخبارهم الشريفة.

دفع توهُّم:

إنْ قيل: كيف قلتم إنّه لم يرد إثبات تاريخي على تفدية الأعلى نفسه من أجل الأدنى، مع أنه ورد في زيارة وارث قوله عليه السلام: « **بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دُفِنْتم فيا ليتني كنتُ معكم فأفوز معكم** »، فقد دَلَّتْ هذه الفقرة على تفدية الإمام الصادق عليه السلام نفسه الشريفة بسائر شهداء كربلاء صلوات الله عليهم أجمعين؟

قلنا: إنّ هذا التركيب « **بأبي أنتم وأمي** » كثيراً ما يُستَعمَل في حقّ مَنْ يُراد تعظيمه واحترامه مطلَقاً من باب الكناية من غير ملاحظة معناه الوضعي كما في كثير الرماد وطويل النجاد، ففي الأول يعبّر عن الكريم بأنه كثير الرَّماد، فليس معناه أنّه يحمل رماداً على ظهره أو يقتني رماداً في بيته بل هو كناية عن كثرة جوده وكرمه لكثرة ما يطبخه لضيوفه.. وهكذا قول الخنساء ترثي أخاها صخراً بقولها:

طويل النجاد - أي السيف - رفيع العماد   كثير الرماد إذا ما شتا

وقد روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تكلّم بهذه المقالة « **بأبي أنتم وأمي** » لبعض أصحابه في بعض غزواته حسبما ادّعى الكاشاني، ولم يثبت لدينا ذلك. ولو فرضنا صحّة ثبوته وصدوره فيُحمَل على التعظيم والاحترام ولكنه بعيد جداً لا سيما أن والديّ النبي من المعصومين ولا يصح تفدية المعصوم بغيره، فيبقى - الإحتمال المذكور - مجردَ

إحتمالٍ ولا تُبنى المطالبُ العلمية والفقهية على دعوى الإحتمالات ما لم تقترن بالقرائن القطعية.

والصحيح أنّ تفدية المعصوم نفسه الشريفة بسائر شهداء كربلاء يُراد منها تعليم الشيعة كيفيّة الزيارة كما يشهد له تعليمه عليه السلام لصفوان ذلك، إذ قال له: « **ثمّ اخرُجْ من الباب الذي عند رجلي (مولانا) عليّ بن الحسين عليهما السلام ثمّ تَوَجَّهْ إلى الشهدء وقل: (السّلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه...** » إلى أنْ يقول: « **بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرضُ التي فيها دُفِنْتُم..)** » .

إذن المقامُ مقامُ تعليم للشيعة وليس مقام تفدية الإمام الصادق سلام الله عليه والديه بشهداء كربلاء..

والخلاصة: إنّ الإمام الصادق عليه السلام يعلّمنا كيف نزور الإمام الحسين عليه السلام، وكيف نطلق ألفاظَنا المناسِبة للتأدُّب بأدب الزّيارة، كما يُعْلِمُنا أجرَ المصاب على سيّد الشهداء عليه السلام وإظهار الحزن عليه، لذا عَبَّرَ بـ « **لقد عَظُمَ مصابي بك** »، وإنما تعظم المصيبةُ على المحبّ وإنْ لم تعظُم في نفسها، بمعنى إنْ عظم المصيبة على الآخرين إنما يكون بمقدار حبّ صاحب المصيبة، وبمقدار كمال صاحب المصيبة، فكلّما كان إيمانه أعظم كلّما كَبُرَت وعَظُمَت المصيبة على محبِّيه، والعكس صحيح أيضاً؛ أي كلّما نَقُصَ إيمان صاحب المصيبة كلّما نقُص المصاب عليه من محبيه... فالأجر على المصيبة نِسبيٌّ، يزيد وينقص تبعاً لمحبّة صاحب المصيبة.

ومصيبة الإمام الحسين عليه السلام عظيمة في نفسها؛ لأنّ صاحبها عظيم، فلقد عظُمَت مصيبتُه بعظم الإمام الحسين العظيم، مضافاً إلى أنّ الكيفيّة التي أُصيب بها لا توازيها مصيبة في عوالم التكوين، فلم يُصَب أحدٌ مذ خلق اللهُ تعالى أدمَ إلى يوم البعث، كما أُصيب سيد الشهداء أبيُّ الضيم الحسين بن عليّ عليهما السلام، لذا ورد أنّ مصيبته أعظم المصائب، كيف وقد بكت في هذه المصيبة السماوات السبع وعامروها، والأرضون السبع وساكنوها، وارتجّ لها العرش وضجَّتْ الملائكةُ الحافُّون حول العرش وهو ما أشارت إليه الأخبار الكثيرة التي أورد ابن قولويه القمي في كتابه الجليل (كامل

الزيارات) القسطَ الوافر منها فليراجع.

﴿ فَأسْألُ اللهَ الّذِى أكْرَمَ مَقامَكَ وَأكْرَمَنِي بِكَ ﴾ ﴿ أنْ يَرْزُقَنى طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمام مَنْصُور ﴾ ﴿ مِنْ أهْلِ بَيْتِ مُحَمّد ﴾

ثمّة مطالب مهمّة تطرَّقَتْ إليها الفقرة الشريفة هي الآتية:

المطلب الأوّل: إكرام الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام.

المطلب الثاني: إكرام الله تعالى للمؤمنين المحبين للإمام الحسين عليه السلام.

المطلب الثالث: طلب الثأر للإمام الحسين عليه السلام يوم ظهور إمامنا المعظم الحجة بن الحسن عليهما السلام وفي يوم الرّجعة.

المطلب الرّابع: إنحصار طلب الثأر والرجعة بالإمام المهدي فديتُهُ بنفسي.

أما المطلب الأوّل:

إنّ الإكرام هو التعظيم والإعزاز والتبجيل والتقريب... وإكرام الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام يتمّ عبر نحوين:

النحو الأوّل: الإكرام لمقام الشهادة.

النحو الثاني: الإكرام لمقام الذات.

فإنْ كان الإكرام منحصراً بالأوّل، فإنّ ذلك يعني إخراجَ النحو الثاني من عنصر الكرامة، مع أنّ النحو الأوّل مرتبطٌ بالنحو الثاني ارتباطاً وثيقاً كارتباط المعلول بالعلّة، فلا يمكن فصل الثاني عن الأوّل، فلا بدّ حينئذٍ من القول بأنّ الإكرام المقامي (أي الشهادتي)، لا يجوز فصله عن ذات الإمام الحسين عليه السلام.

وبعبارةٍ أخرى: إذا جاز الإكرام بمقام الشهادة أو لأجل مقام الشهادة - مع كونها - أي الشهادة معلولة لذات الإمام الحسين عليه السلام التي هي علّة للتحرك نحو الشهادة -

يجوز إكرام الذات المتلبسة بالشهادة بطريق أولى.

وبمعنى آخر: إذا جاز الإكرام للأدنى، ثبت الإكرام للأعلى بطريقٍ أولى.

مضافاً إلى أنّ إكرام المقام بدون الذات أشبه بالسالبة بانتفاء الموضوع، أو سلب المحمول عن الموضوع، فلا يمكن ذلك أصلاً.

كما إنّ مقام الشهادة عرضيٌّ، ومقام الذات ذاتيٌّ، فلا يصحّ أنْ يكون الإكرام بسبب المقام العرضي دون المقام الذاتي.

ولا يخفى أنّ إكرام المقام من الكرامات المتواصلة عليه، بدءاً بفضائله وانتهاءاً بالأرض التي استشهد عليها، كلّ ذلك يرجع إلى كمال ذاته وعلوّ صفاته وشموخ مقامه الشريف، فصار عليه السلام بكمال خضوعه وخشوعه وانكساره لله سبحانه فريد خلقه عزّ وجلّ، حتى صار كلُّ خضوع مأخوذاً من خضوعه لله تعالى، فبلغ بذلك أعلى مقامات القرب، وبلغ شيعتُه والباكون عليه، والمتأسفون على ظُلاماته، والمستشهدون بين يديه، والزائرون له والمجاورون لحرمه، والسّاعون إلى حوائج زوّاره والمشيّعون والمستقبلون لهم، والمتمنون لزيارته والشهادة بين يديه لو حضروه، وغيره ممّن ينتسب إليه عليه السلام، ولو بنسبة بعيدة... إلى أعلى الدّرجات وأسمى المقامات، وكُلُّهم يشفعون لمن شاؤوا وأرادوا من عُصاةِ الفِرقةِ المُحِقّة.

ومجمل القول: آثار الربوبية المطلقة على عِظَم مقاماتها، وأحكام العبودية على أتمّ الوجوه وأكملها، إنما ظهرت وتمّتْ بشهادة مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولذا استُحبّ زيارته في كلّ وقتٍ ظهر فيه سرٌّ من أسرار الربوبية كأوّل رجب ونصفه وآخره، والنصف من شعبان، واليومِ الأوّل من شهر رمضان، وليالي القدر، وليالي العيد وأمثالها، بل تستحب زيارته في كلّ وقتٍ وفي كلِّ يومٍ من أيام الإسبوع والشهر والسنة وقد أكدت الأخبار على زيارته كلّ يوم وهو ما دل عليه خبر حنان بن سدير عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله صلوات الله عليه: « **يا سدير تزور قبر الحسين صلوات الله عليه في كلّ يوم** » قلت: جعلت فداك لا قال: « **ما أجفاكم فتزوره في كلّ شهر** » قلت: لا قال: « **فتزوره في كلّ سنة** » قلت: قد

يكون ذلك قال « **يا سدير ما أجفاكم بالحسين صلوات الله عليه أما علمت انّ للَّه تبارك و تعالى ألف ألف ملك شعث غبر يبكون ويزورون ولا يفترون وما عليك يا سدير أنْ تزور قبر الحسين صلوات الله عليه في كلّ جمعة خمس مرّات أو في كلّ يوم مرّة** »، قلت: جعلت فداك بيننا و بينه فراسخ كثيرة فقال لي: « **اصعد فوق سطحك ثمّ التفت يمنة ويسرة ثمّ ارفع رأسك إلى السّماء ثمّ تنحو نحو القبر فتقول السّلام عليك يا أبا عبد الله السّلام عليك ورحمة الله وبركاته يكتب لك بذلك زورة والزّورة حجّة وعمرة** » قال سدير فربّما فعلت ذلك في الشّهر أكثر من عشرين مرّة.

فمصيبته – روحي فداه – وإنْ كانت عظيمة هُدَّتْ بها بنيةُ العالَم، وضعُفَتْ بها القوى و المشاعر، وظهر الخللُ والفسادُ والفتورُ والضعفُ والإبادةُ، وانطفأ النورُ والصفاءُ في كلّ ذرّة من ذرّات الوجود، ولكنّه عليه السلام بتلك المصيبة أغاث التوحيدَ الإلهي من أنْ يتلاعبَ به الأغيارُ، كما أنقذَ أمةَ جدّهِ من الهلاك، وأوصل بها كلَّ صاحب مقامٍ إلى مقامه، إما إلى عليين أو إلى سجّين، ونال عليه السلام بذلك أعلى منازل المقرَّبين، فصار بذلك رحمةً للعالمين، وإنْ هو إلاّ ذكرى للمتقين.

ورفعة مقام شهادته تابعةً لرفعة مقام ذاته الشّريفة، من هنا لُقِّبَ سلام الله عليه بسيّد الشهداء، فهذا لقبٌ لم يحظَ بمثله أحدٌ على كماله وحقيقته، مع أنّ الأئمّة عليهم السلام كلّهم قد استشهدوا، إلاّ أنّ هذا اللقب – بكماله وتمامه – ناله مولانا الإمام الحسين عليه السلام بكفاءة وشرف تامين ومن كلّ النواحي، والسبب أنّ تمني هذه الرتبة بكلّ حدودها وشروطها وأجزائها لم يتمنّها إلاّ مولانا الإمام الحسين صلوات الله عليه، وما قَبِلَ الخضوع التام غيرُه[1]، فكلٌّ شهيدٍ إنما هو تابع له في الشهادة، وهو أصل له فيها، وكلٌّ شهيد ناله هَمٌّ وغمٌّ فلا يعدو كونه جزءاً يسيراً من هموم وغموم كربلاء، لقد باع الإمام الحسين عليه السلام نفسَه الشريفة لله تعالى، بالكيفيّة التي أطلعنا

(١) هذا رأي الرشتي في (الخصائص الحسينية:ص٤٩)، ولا يعد صحته بالقياس إلى غير السيِّدة الصدِّيقة وأمير المؤمنين عليهما السلام.

عليها الأئمّة﵈ من خلال الأخبار - حيث لم يُصَب أحدٌ من العالمين كما أُصيب الإمام أبو عبد الله﵇ -، فهذه المزية في العطاء والبذل، اقتضَتْ مزيّةً واختصاصاً في المكافأة من قِبَلِ ربّ العزّة، من هنا اختصّه الله تعالى بخصائص انفرد بها عن غيره من الأنبياء والأولياء﵈، كاختصاصه﵇ بأيام الفضائل في شهور السنة كليالي القدر والأعياد وعرفة وليالي الجُمَع وأيامها، وأيام رجب والنصف من شعبان وأوّل كلّ شهر، هذه الأيام جعلها اللهُ تعالى مخصوصةً للإمام الحسين﵇، وأمر بالاتيان إلى مشهده الشريف لزيارته دون أبيه وجدّه وسائر الأئمّة﵈، كما إنّ الله تعالى أمر بالسجود على تربته وجعل الشفاء فيها.

وبالجملة: إنّ اختصاص الإمام الحسين﵇ بأيام الفضائل، سببه أنّه﵇ لمّا افتدى نفسَه وقَلْبَه وروحَهُ ومالَهُ وأولاده وإخوته وأصحابه وعِزَّهُ وعيالَه وكمالَهُ في محبّة الله سبحانه، بحيث لم يُبْقِ لنفسه باقية، اقتضت كرامةُ الله تعالى أنْ يخصَّهُ بنفسه، فما ثبت لنفسه جُعِلَ الإمامُ الحسين﵇ تشريفاً له، فجعل الله﷿ زيارة الإمام الحسين﵇ زيارته، لذا ورد عنهم﵈ أنهم قالوا: « **مَن زار الحسين﵇ يومَ عاشوراء كان كمَن زار اللهَ في عرشه** »[1].

- **بيان وتوضيح**:

الخبر من المتشابهات فلا بدّ من إخضاعه إلى المحكم العقلي ليتناسب مع الأسس الشرعيّة الأخرى كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ...﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ ؛ فلا بدّ من حرفه عن ظاهره، فنقول: إنّ المراد من عرشه أي عزّ سلطانه، أو يُراد من العرش سعة الوجود الإمكاني، فيكون المعنى هكذا: (إنّ مَن زار الإمام الحسين﵇ هو كَمَنْ زار اللهَ في كلّ ذرّةٍ من ذرّات وجوده الأقدس)، أو يكون المراد من العرش هو العرش الصغير المجازي للكعبة المشرَّفة والذي تطوف حوله الملائكة فيكون المعنى - على هذا التّفسير - أنّ مَنْ زار الإمام الحسين﵇ كأنّه زار ملائكة الله في عرشه أو

(١) راجع (كامل الزيارات) ص١٧٤.

حول عرشه، بتقدير مضاف في الحديث هو (ملائكة الله) في عرشه الإمكاني الكبير أو الصّغير.

فأيام الزيارات بالأوقات المخصوصة تظهر فيها أسرار الربوبية، من هنا جعلها الله عزّ وجلّ خاصةً بالإمام الحسين عليه السلام لمزيد مزية واختصاص عن غيره لما قدّمه من تضحيات يُشكر عليها، وهذه التضحيات العظمى بسبب علوّ همّته وعظمة روحه - فديته بنفسي وصلوات ربّي عليه -.

المطلب الثاني: إكرم المؤمنين بمحبّة سيّد الشهداء عليه السلام

وهو ما أشار إليه قولُ الإمام عليه السلام: « **وأكرمني بكَ** »؛ والإكرام يتمّ عبر: الإكرام التكويني، والإكرام التشريعي، والإكرام الأخروي.

الإكرام التكويني لآل الله تعالى

فالأوّل - أي الإكرام التكويني - عبارة عن كون الإمام الحسين عليه السلام علةً غائيّةً لحفظ الكون، إذ لولا الإمام الحسين عليه السلام لساخت الأرض بأهلها تماماً كبقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ويشهد لهذا ما روي بأسانيد معتبرة عن أبي حمزة قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال عليه السلام: « **لو بقِيَت الأرضُ بغير إمام لساختْ** »[1]. أي: ذابت وتفتتتْ، والسبب في تفتتها وذوبانها أنّ الأكوان بحسب ترتيبها الطبيعي، خُلق الأدنى منها من أجل الأشرف، فالنبات - مثلاً - أدون من الحيوان، والحيوان أدون من الإنسان، والانسان أشرف الكلّ، فالكلّ خُلِقَ لأجله، لذا قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا... ﴾ البَقَرَةِ، فلو ارتفع الإنسانُ عن الأرض لارتفعتْ ساير الأكوان من الجماد والحيوان والنبات، فكذلك لو ارتفع الإمام الحجّة لأدّى ذلك إلى ارتفاع النّاس كلّهم أجمعين، فثبت - إذاً - ما ورد أيضاً بأنّه « **لو لم يبقَ في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما هو الحجّة** »[2].

مضافاً إلى أنّ وجود الإمام عليه السلام سبب في وجود الأرض، وبقاؤه سبب في بقائها،

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص١٨٩ ح١٠.

(٢) راجع (الكافي) ج١ ص١٧٩ ح١-٢.

لكون الأئمّة عليهم السلام العلّةَ الغائيّةَ لخلق الأرض وما فوقها وتحتها، فالإمام عليه السلام سببٌ، وغيره مُسَبَّب، ولا يقوم المسبَّب بدون السبب، كما لا يقوم المعلول من دون علّته الفاعليّة.

آل الله تبارك شأنه هم علل التكوين

بل نترقى أكثر: فإنّ الأئمّة عليهم السلام هم العلل الأربع: العلة الفاعلة المادية والصُّوريَّة والغائيّة.

تفصيل ذلك بالتقرير الآتي:

بما أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الدُّعاةُ إلى الله تعالى، بل السببُ المتصلُ بين الأرض والسّماء كما أشار إلى ذلك دعاء الندبة: « **أين السبب المتصل بين الأرض والسّماء** »، وكما ورد: « **نحن السبب بينكم وبين الله** »[(1)]، وبما أنهم عليهم السلام بابُ الله تعالى إلى خلقه وأنهم أعضادٌ للخلق قد اتخذهم خالقُهم بعد أنْ خلقهم وحدهم ليس معهم خلْق يعبدون اللهَ ويسبِّحونه ويحمدونه ويهللونه ويكبِّرونه ويعظِّمونه ألفَ دهر، ثمّ خلق لهم الخلقَ الطاهر من أشعّة أنوارهم، فحيث كانوا هم العلّة الفاعليّة لأنهم في ذلك محالّ مشيئة الله، فنسبة الخلق إليهم كنسبة خلق الطير للنبي عيسى عليه السلام ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ... ﴿٤٩﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ، وكنسبة الإمامة إلى المَلاك عزرائيل عليه السلام: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ... ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ السَّجۡدَةِ، فعيسى عليه السلام بَسَطَ، وعزرائيل عليه السلام قَبَضَ، مع أنّ الله تعالى هو القابض والباسط.

وهم عليهم السلام العلّة المادية: لأنّ جميعَ الخلقِ خُلِقُوا من شعاع أنوارهم عليهم السلام، وذلك الشعاع قائم بأنوارهم قيام صدور.

وهم عليهم السلام العلّة الصُّورية: لأنّ كلّ فرد من جميع الخلائق من الغيب والشهادة، الجواهر والأعراض، فصورته إنْ كان طيباً من أنوار هياكلهم، أو من أنوار هياكل

---

(١) راجع (أمالي الطوسي) ج١٥٧، (المناقب) ج٤-٤٠، (بحار الأنوار) ج٢٣ ص١٠١.

هياكلهم، وهكذا لأنهم رحمة الله ومظاهر رحمة الله، ومُظهِرو رحمة الله.

وهم عليهم السلام العلّة الغائيّة: لأنّ الله سبحانه إنما خلق الخلقَ لهم، وإيابهم إليهم وحسابهم عليهم.

فأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام هم العلل الأربع لجميع الخلائق[1]: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ.

فهم في الفيوضات الإلهية الكونية والشرعية من جملة الأسباب والوسائل، خلقهم الله تعالى أنواراً قبل كلّ شيء، فجعلهم وسائط فيضه « **نحن السبب بينكم وبين الله** »، فإذا كانوا سبباً للخلق؛ فبإذن الله وأمره وقدرته، لا ينفكّ مددُه عنهم طرفةَ عينٍ أبداً، كالقلم في يد الكاتب، فإنّ زيداً هو الكاتب حقيقةً، والقلم أيضاً كاتبٌ مجازاً لأنَّه مباشر للكتابة، وقد عُبِّرَ في الأخبار عن نورهم بالقلم كما قال صلى الله عليه وآله: « **أوّل ما خلق اللهُ القلم** »[2].

فالعقل والنور والقلم والرّوح: كلماتٌ مترادفة تشير إلى معنى واحدٍ هو جواهرهم المقدَّسة التي لم يسبقها مخلوق قط.

والحاصل: إنّ الأئمّة الأولياء مع سيدتهم الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليهم السلام هم وسائط الفيوضات الإلهية، كما يشير إليه حديث أبي حمزة قال: كنتُ عند الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام... إلى أنْ قال عليه السلام: « **يا أبا حمزة لا تنامَنَّ قبل طلوع الشمس فإني أكرهها لكَ، إنّ الله يقسِّمُ في ذلك الوقت أرزاق العباد، وعلى أيدينا يُجرِيها** »[3].

فكونهم عليهم السلام العلل الأربع يُعَدُّ بدوره نعمة إلهيّة وإكراماً تكوينيّاً من الله تعالى على عامّة خلقه.

---

(١) راجع (شرح الزيارة) الإحسائي ج١ ص١٩٧- ١٩٨.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٤ ص٣٦٦، (تفسير القمي) ج٢ ص١٩٨.

(٣) راجع (بصائر الدّرجات) ص٣٤٣، (وسائل الشيعة) ج٦ ص٤٩٩، (بحار الأنوار) ج٤٦ ص٢٣.

الإكرام التشريعي لآل الله تعالى

وأمّا الإكرام التشريعي: فواضح لا يخفى على مَن له قلبٌ وألقى السّمعَ وهو شهيد، إذ إنّ الله تعالى قَرَنَ طاعتَهم بطاعته، ومعصيتهم بمعصيته، فمَن أطاعهم أطاعَ الله، ومَن عصاهم فقد عصى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ... ﴿٨٠﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، وقال عَزَّ وَجَلَّ أيضاً: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ... ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ.

وعن زرارة عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **ذروةُ الأمر وسنامُهُ ومفتاحُهُ وبابُ الأشياء ورضا الرّحمان؛ الطاعة للإمام بعد معرفته، إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول:** ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾، **أمَا لو أنّ رجلاً قام ليلَه وصام نهاره، وتَصدَّقَ بجميع ماله، وحَجَّ جميعَ دهره، ولم يعرف ولايةَ وليِّ الله فيواليه، وتكونَ جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عَزَّ وَجَلَّ حقٌّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان...** » ثمّ قال: « **أولئكَ المحسنِ منهم يُدخِلُهُ اللهُ الجَنَّةَ بفضل رحمته** »(1).

ومن جملة الأخبار أيضاً، ما ورد في (الكافي)(2):

① علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **ذروةُ الأمر وسنامُهُ ومفتاحُهُ وبابُ الأشياء ورضا الرّحمان تبارك وتعالى الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول:** ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ ».

② الحسين بن محمَّد الأشعري، عن معلى بن محمَّد، عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان بن عثمان، عن أبي الصباح قال: أشهد أني سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام

---

(1) راجع (الكافي) ج٢ ص١٩، (مستدرك الوسائل) ج١٧ ص٢٦٩، (تفسير العياشي) ج١ ص٢٥٩.

(2) راجع (أصول الكافي) ج١ ص١٨٥ باب فرض طاعة الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

يقول: « **أشهد أنّ علياً إمامٌ فَرَضَ اللهُ طاعتَه، وأنّ الحسنَ إمامٌ فَرَضَ اللهُ طاعتَه، وأنّ الحسينَ إمامٌ فَرَضَ اللهُ طاعتَه، وأنّ عليَّ بن الحسين إمامٌ فَرَضَ اللهُ طاعتَه، وأنّ محمَّدَ بن عليٍّ إمامٌ فَرَضَ اللهُ طاعتَه** ».

③ وبهذا الإسناد، عن معلّى بن محمَّد، عن الحسن بن علي قال: حدثنا حماد ابن عثمان، عن بشير العطار قال: سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **نحن قومٌ فَرَضَ اللهُ طاعتَنا، وأنتم تأتمون بِمَن لا يعذر الناس بجهالته** ».

④ محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار، عن بعض أصحابنا، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، قال: « **الطاعة المفروضة** ».

⑤ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن سنان، عن أبي خالد القماط عن أبي الحسن العطار قال: سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **أشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة** ».

⑥ أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **نحن قومٌ فَرَضَ اللهُ عزّ وجلّ طاعتَنا، لنا الأنفالُ، ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله:** ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ... ﴿٥٤﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ».

⑦ أحمد بن محمَّد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء قال: ذكرت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قولنا في الأوصياء أنّ طاعتهم مفترضة قال: فقال: « **نعم، هم الذين قال الله تعالى:** ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ... ﴿٥٩﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، **وهم الذين قال الله عزّ وجلّ:** ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴿٥٥﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ ».

⑧ وبهذا الاسناد، عن أحمد بن محمَّد، عن معمر بن خلاد قال: سأل رجلٌ

فارسيٌّ الإمام أبا الحسن(عليه السلام) فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال(عليه السلام): « **نعم** »، قال: مثل طاعة عليّ بن أبي طالب(عليهما السلام)؟ فقال(عليه السلام): « **نعم** ».

(٩) وبهذا الاسناد، عن أحمد بن محمَّد عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله(عليه السلام) قال: سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد؟ قال: « **نعم** ».

(١٠) وبهذا الاسناد، عن مروك بن عبيد، عن محمَّد بن زيد الطبري قال: كنت قائماً على رأس الإمام الرِّضا(عليه السلام) بخراسان وعنده عدة من بني هاشم وفيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي فقال(عليه السلام): « **يا إسحاق بلغني أنّ الناس يقولون: إنّا نزعم أنّ الناس عبيدٌ لنا، لا وقرابتي من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ما قلتُه قط، ولا سمعتُه من آبائي قاله، ولا بلغني عن أحدٍ من آبائي قاله، ولكنّي أقول: الناس عبيدٌ لنا في الطّاعة، مَوالٍ لنا في الدِّين، فليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ** ».

(١١) علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن أبي سلمة عن الإمام أبي عبد الله(عليه السلام) قال: سمعتُه يقول: « **نحن الذين فَرَضَ اللهُ طاعتَنا، لا يسع الناس إلاّ معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، مَن عَرَفَنَا كان مؤمناً، ومَنْ أنكَرَنَا كان كافراً، ومَن لم يعرفْنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض اللهُ عليه من طاعتِنا الواجبةِ، فإنْ يَمُتْ على ضلالته يفعلِ اللهُ به ما يشاء** ».

(١٢) علي، عن محمَّد بن عيسى، عن يونس، عن محمَّد بن الفضيل قال: سألته عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله(عزّ وجلّ)، قال: أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله(عزّ وجلّ) طاعةُ الله وطاعةُ رسوله وطاعةُ أولي الأمر، قال مولانا الإمام أبو جعفر(عليه السلام): « **حبُّنا إيمانٌ وبُغضنا كُفْرٌ** ».

(١٣) محمَّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمَّد بن عيسى، عن فضالة بن أيوب، عن أبان، عن عبد الله بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، قال: قلت لمولانا الإمام أبي جعفر(عليه السلام): أعرضُ عليكَ دِيني الذي أدين الله(عزّ وجلّ) به؟ قال: فقال (عليه السلام):

« **هاتِ** »، قال: فقلت: أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ، والإقرار بما جاء به مِن عند الله، وأنّ عليّاً كان إماماً فَرَضَ اللهُ طاعتَه، ثمّ كان بعده الحسن إماماً فَرَضَ اللهُ طاعتَه، ثم كان بعده الحسين إماماً فَرَضَ اللهُ طاعتَه، ثمّ كان بعده عليُّ بن الحسين إماماً فَرَضَ اللهُ طاعتَه، حتى انتهى الأمرُ إليه، ثم قلت: أنت يرحمك الله؟ قال: فقال عليه السلام: « **هذا دِينُ الله ودِينُ ملائكتِهِ** ».

⑭ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق، عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **إعْلَمُوا أنّ صُحْبَةَ العالِمِ وأتباعه دِيْنٌ يُدَانُ الله به، وطاعتُه مكسبة للحسنات ممحات للسيئات وذخيرة للمؤمنين ورفعة فيهم في حياتهم وجميل بعد مماتهم** ».

⑮ محمَّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور ابن حازم قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله أجلّ وأكرم من أنْ يُعْرَفَ بخلقه، بل الخلق يُعْرَفُون بالله، قال عليه السلام: « **صدقتَ** »، قلت: إنّ مَن عرف أن له ربّاً، فقد ينبغي له أنْ يعرف أنّ لذلك الرب رضا وسخطاً، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا بوحيٍ أو رسولٍ، فمَن لم يأتِهِ الوحيُ فينبغي له أنْ يطلبَ الرُّسُلَ، فإذا لقيهم عرف أنهم الحجة، وأنّ لهم الطاعة المفترضة، فقلتُ للناس: أليس تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: فحين مضى صلى الله عليه وآله مَن كان الحجة؟ قالوا: القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجي والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّةً إلاّ بقَيِّمٍ، فما قال فيه من شئ كان حقّاً، فقلتُ لهم: مَن قَيِّم القرآن قالوا: ابن مسعود، قد كان يعلم، وعمر يعلم، وحذيفة يعلم، قلت: كلّه؟ قالوا: لا، فلم أجِدْ أحداً يُقال إنه يعلم القرآن كلّه إلاّ عليّاً صلوات الله عليه، وإذا كان الشئ بين القوم فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أنّ علياً عليه السلام كان قَيِّمَ

القرآن، وكانت طاعتهُ مُفْتَرَضَةً، وكان الحجّةَ على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن ما قال في القرآن فهو حقٌّ، فقال: « **رحمك الله** »، فقلتُ: إنّ علياً عليه السلام لم يذهب حتى تَرَكَ حجّةً من بعده كما تَرَكَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الحجةَ بعد عليٍّ: الحسنُ بن عليّ، وأشهد على الحسن أنه لم يذهب حتى تَرَكَ حجةً، من بعده كما تَرَكَ أبوه وجده، وأنّ الحجةَ بعد الحسن: الحسينُ وكانت طاعته مفترضة، فقال: « **رحمك الله** »، فقبَّلْتُ رأسَهُ، وقلتُ: وأشهد على الحسين عليه السلام أنه لم يذهب حتى ترك حجّةً من بعده: عليّ بن الحسين وكانت طاعتُهُ مفترضةً، فقال: « **رحمك الله** »، فقبَّلْتُ رأسَهُ، وقلتُ: وأشهد على عليّ بن الحسين أنه لم يذهب حتى تَرَكَ حجّةً من بعده: محمَّد بن علي أبا جعفر وكانت طاعتُهُ مفترَضةً، فقال: « **رحمك الله** »، قلتُ: أعطِني رأسَكَ حتّى أقبِّلَهُ، فَضَحِكَ، قلتُ: أصلحكَ الله، قد علمتُ أنّ أباكَ لم يذهب حتى تَرَكَ حجّةً من بعده كما ترك أبوه، وأشهد بالله أنّكَ أنتَ الحجَّةُ، وأنّ طاعتَكَ مُفْتَرَضَةٌ، فقال: « **كُفَّ رحمك الله** »، قلتُ: أعطِني رأسَكَ أُقَبِّلْهُ، فَقَبَّلْتُ رأسَه فَضَحِكَ وقال عليه السلام: « **سَلْنِي عمّا شِئْتَ، فلا أنكرك بعد اليوم أبداً** ».

(١٦) محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن خالد البرقي، عن القاسم بن محمَّد الجوهري، عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: الأوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال عليه السلام: « **نعم هم الذين قال الله** عز وجل: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ... ﴿٥٩﴾ ﴾ **وهم الذين قال الله** عز وجل: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ».

(١٧) عليّ بن إبراهيم، عن محمَّد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن عن حماد، عن عبد الاعلى قال: سمعت سيدَنا ومولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **السَّمْعُ والطّاعةُ أبوابُ الخير، السّامعُ المطيعُ لا حجةَ عليه، والسّامع العاصي لا حجةَ له، وإمامُ المسلمين تَمَّتْ حجّتُهُ واحتجاجُه يومَ يلقى الله** عز وجل ثم قال عليه السلام: **يقول الله تبارك وتعالى:** ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ... ﴿٧١﴾ ﴾ ».

الإكرام الأخروي لآل الله تعالى

وأمّا الإكرام الأخروي: فواضحٌ أيضاً بعد اتضاح كونهم عليهم السلام أصحابَ الولاية التشريعيّة التي كانت وتكونُ لهم في الدّنيا، ويجب على العباد الانقياد إليهم فيها ليسلكوا بهم طريقَ الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، بل علّة وجودهم عليهم السلام في الدّنيا هي سوق العباد إلى الآخرة؛ فمَن أطاعهم عليهم السلام كان معهم في السّنام الأعلى، وفاز فوزاً عظيماً.

المطلب الثالث: طلب الثار للإمام الحسين عليه السلام يومي الظهور والرجعة

هذا الملطب تشير إليه الفقرة الشريفة: « **وأكرمني بكَ أنْ يرزقني طلبَ ثاركَ مع إمامٍ منصور من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله** ».

فالفقرة تطلب من المكلف الزائر أنْ يوفقه الله سبحانه للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام مع الإمام المعظم القائم المهديّ (عجَّلَ الله تعالى فَرَجه الشريف) المنصور يوم ظهوره المبارك، وتتوقف نصرة المؤمن له عند ظهور إمامنا المعظم الحجة القائم ارواحنا فداه على رجوعه من عالم الموت وهو ما أطلقت عليه الآيات والأخبار إسم الرجعة.

وحيث لا يمكن الرجوع من الموت إلى الحياة إلاّ بإعجاز، تكون الرجعة - حينئذٍ - من الأدلّة الدامغة على علوّ مقام أئمتنا الطاهرين عليهم السلام وتسديد الله تعالى لهم بالمعاجز - والتي منها الرّجعة - لإثبات أحقيتهم وصدق دعواهم، من هنا أنكرها - أي الرّجعة - على الشيعة المخالفون، وعليه يقع الكلام في جهات:

* **الجهة الأولى**: معنى الرَّجعة لغةً واصطلاحاً:

الرَّجْعَة لغةً: المرة من الرجوع، وهي العود إلى الحياة بعد الموت.

والرَّجعة: العودة أو نوع الرُّجوع، ورجع رجوعاً ومَرجعاً ومَرْجِعةً ورُجْعى: إنصرف وعاد. والرّاجع من النساء: التي مات عنها زوجها ورجعت إلى أهلها. ورجعةُ المرأةِ إلى زوجها هي ارتجاعها من دون عقدٍ جديد، لذا سُمِّيَتْ المطلَّقَةُ غير البائنة بـ(الراجعة) أو (المرتَجَعَة)، وبالطلاق: الطلاق الرَّجعي...

والحاصل: إنّ الرَّجعة على نحوين:

١- الرجوع بعد الغياب، ويصدق على الحيّ والميت.

٢- الرجوع بعد الموت، ويختصّ بالأموات الرّاجعين إلى الدّنيا، وهذا المفهوم للرّجعة الذي يؤمن به الإمامية، وقد استنكره عليهم المخالفون، فها هو ابن منظور يتهكّم على الشيعة لقولهم بالرجعة فقال: (الرجعة مذهب قومٍ من العرب في الجاهلية معروف عندهم، ومذهب طائفة من فِرَق المسلمين من أولي البِدَع والأهواء، يقولون إنّ الميت يرجع إلى الدّنيا ويكون فيها حيّاً كما كان، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون إنّ عليّ بن أبي طالب كرَّمَ اللهُ وجهَهُ مستتر في السحاب فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السّماء أخرُجْ مع فلان، ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ... ۝١٠٠ ﴾ يريد الكفّار...)[1].

يُجاب عنه:

لقد نسي ابنُ منظور أنّ سيّده عمر بن الخطّاب هو أوّل مَن تجاهر بالرّجعة عندما مات رسولُ الله، فقال تلك المقالة المشهورة يهدِّد بها كلَّ مَن اعترضه بقوله: (إنّ رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أنْ قيل قد مات والله ليرجعنّ رسول الله فليقطِّعَنَّ أيدي رجالٍ وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات)[2].

والظاهر أنّ الفرية المذكورة منسوبة إلى صاحب النهاية نقلها ابن منظور في كتابه المذكور، ويظهر موافقته عليها، وإلاّ لكان أنكر ذلك على صاحب النهاية.

وعليه يكون عمر بن الخطاب من أقطاب الجاهلية الذين قالوا بالرجعة، فيكون ابنُ منظور قد نسب إلى عمر الجاهلية مع الشيعة.

مضافاً إلى أنّ استشهاد ابن منظور بالآية المذكورة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ

---

(١) راجع (لسان العرب) ج٨ ص١١٤.

(٢) راجع (تاريخ الطبري) ج٢ ص٤٤٢، و (الكامل في التاريخ) ج٢ ص٣٢٣.

قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ... ﴿١٠٠﴾ ﴾ للتدليل على سوء اعتقادنا، يعارضه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾، فلا نتعّجب منه؛ لأنّ الله تعالى عبّرَ عنه وعن أمثاله بقوله تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ... ﴿١٧٦﴾ ﴾ ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا... ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ... ﴿٨٥﴾ ﴾، كما إنّه لم يتفطّن لكلامه المتقدِّم، فروى عن الزهري بأنه قال: (إنّ الرّجعة هي أنّ الميت يرجع إلى الدنيا بعد الموت قبل يوم القيامة)[1]، ولم يشر عليه باعتراض، وهل أنّ الزهري أيضاً من أهل البدع والأهواء تماماً كعمر الذي لم يُحْسِن ابنُ منظور أو المفتَرُون عليه بالدّس في كتابه الدفاع عنه حينما قال مقالته المشهورة تلك!.

هذا من الناحية اللغوية، وأمّا من ناحية الاصطلاح فيُطْلَق على الرّجعة بأنها رجوع الأموات إلى الدّنيا بعد ظهور المولى المعَظَّم صاحب الغيبة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، حيث إنّ الله عزّ اسمه يعيد أرواح المخلصين ليفوزوا بثواب نصرته عليه السلام، كما يعيد بعض الكافرين والفاسقين ليحاسبهم على جرائرهم ليكونوا عِبْرَةً لغيرهم وردعاً للناس عن ارتكاب أعمالهم.

وبالجملة: فإنّ الرجعة فيها قيد الموت السابق على الرجعة، هذا هو المعنى الحقيقي لمفهوم الرَّجعة، وثمة معنيان آخران للرجعة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي وهما:

الأوّل: إنّ المراد بالرجعة ظهور الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف بعد غيابه عليه السلام.

الثاني: المراد بها رجوع دولتهم أيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومرجع هذين القولين هو إنكار المخالفين وبعض الشواذ من متقدمي الإمامية[2] معجزةَ الرجعة الخاصّة بالأئمّة الأطهار عليهم السلام حسداً لهم، واستكباراً عليهم، وقد أوّل

---

(١) راجع (لسان العرب) ج٨ ص١١٩.

(٢) حسبما ذكر ذلك السيِّد المرتضى علم الهدى كما في (البحار) ج٥٣ ص١٣٨، وكذا من المتأخرين محمّد حسين فضل الله في مجلّة (الفكر الجديد) ص١٣ و(مجلة المعارج) مجلد٦ السنة الثامنة ص٣٢٨.

هؤلاء الشواذ من الشيعة بأنّ الرّجعة هي رجوع دولتهم أيام الإمام القائم عجل الله فرجه دون رجوع أجسامهم.

الإيراد على المعنى الأول:

أوّلاً: إنّ تفسير الرجعة بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه بعد غيابه، إنما هو تفسير مستَمَدٌّ من المعنى اللغوي للرَّجعة دون الاستناد إلى المعنى الاصطلاحي الذي دَلَّتْ عليه الآيات والأخبار الكثيرة جدّاً، فلا يعدو - هذا التفسير - كونه تفسيراً بالرّأي في مقابل الدّليل القطعي، وقد قامت الأدلّة القطعية على حرمة العمل بالرّأي المقابل للكتاب والسُّنَّة لاستلزامه ردّهما، ويستلزم - هذا الرّد - الكفر بشريعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وما جاء به من عند الله تعالى.

ثانياً: إنّ صريح الأخبار يفرِّق بين الرَّجعة وبين قيام القائم عجل الله فرجه، من هذه الأخبار ما نقله المجلسي عن الخصال عن مثنى الخياط (الحناط) قال: سمعتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **أيام الله تعالى ثلاثة: يوم يقوم القائم عجل الله فرجه، ويوم الكرّة، ويوم القيامة** »(1).

الإيراد على المعنى الثاني:

أوّلاً: إنّ ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه شيء، وعودة الحياة إلى مجموعة من الأموات شيء آخر، فلم يسبق على وجود الإمام المهدي - فديته بنفسي - موتٌ حتى يُدَّعَى ملازمة بين ظهوره الشريف والرّجعة، فما أفاده المعنى المتقدِّم إنما هو تعريف لغوي للرجعة وهو أعمّ من التعريف المصطَلَح عليه في فهمها، فالخلط بين المفهوم اللغوي للرجعة والمفهوم الاصطلاحي، خلط غوغائي مبتنٍ على الذوق والاستحسان، وقد حرّمت الشريعة الأخذ بهما في تحديد المفاهيم الدينيّة دون الرّجوع إلى الشرع المقدَّس.

ثانياً: دعوى أنّ الرّجعة هي رجوع أوصافهم ودولتهم أجنبيَّةٌ عن صريح

---

(1) راجع (بحار الأنوار) ج٥١ ص٥٠ الباب الخامس، ح٢٣.

الأخبار وحقيقة الرّجعة، حيث دَلَّتْ - هذه الأخبار - على أنّ الذين يرجعون هم الأشخاص وذواتهم، أمّا رجوع الأوصاف فلا اختصاص له بآخر الزّمان، بل هو أمر واقع من لدن خلقة آدمعليه السلام، فإنّ كلّ نبيّ ووصيّ كان يقوم في مقام نبيّ أو وصي سابق بالاوصاف التي كان يتصف بها السابق عليه، بل أصحابهم أيضاً كانوا يقومون مقامَ أصحاب الماضين من الأنبياء والأوصياء بأوصافهم وليس بأعيانهم أو أشخاصهم.

ثالثاً: إنّ النص الذي يراد تأويله لا بدّ أنْ يكون مخالفاً في ظاهره لما يحكم به العقل، أو مخالفاً للثوابت والمسلّمات الشرعية.

وأيُّ غضاضة إذا قلنا إنّ الله تعالى يعيدُ بعضَ الناسِ إلى الدّنيا؟!! وهل الإعتقاد بهذا يستلزم مخالَفَةً لأحكام العقل والشرع حتى استدعى الأمر عند بعضهم أنّ يؤوّل النصوصَ الواردة فيها؟!

فلا بدّ للذين يريدون تأويل النصوص أنْ يكون تأويلهم معقولاً ومقبولاً وموافقاً للكتاب الكريم والأخبار المقدَّسة وإلّا يجب رفض أيّ تأويل لمخالفته للنص القرآني والسنة الشّريفة، وما خالفهما فهو زخرف... وهل يمكن تأويل الآية التي دلت على رجعة عزير إلى الدّنيا، بحملها على عودة نبوته دون جسده؟! فإذا لم يمكن تأويل الآية لصراحتها، فكيف يتطرق التأويل حينئذٍ إلى النصوص المتعلقة بالرّجعة مع صراحتها بعودة بعض الأجساد مع أرواحها إلى الدنيا؟!

رابعاً: لم تثبت الرّجعةُ بخصوص أخبار آحاد ليمكن تأويلها أو طرحها، وإنما ثبتت بأخبار متواترة بالمعنى، عمل بها العلماء الأعلام، وعليها اعتقادهم، على أنّ أكثرهم إنما عوّل على الإجماع الذي هو مقطوعٌ به، ولا يحتمل التأويل نظير أنّ الله تعالى يحيي أمواتاً عند قيام الإمام المهديعجل الله فرجه من أوليائه وأعدائه، فنحن نستدلّ على صحّة الرّجعة بالأخبار والإجماع القطعي[1].

(١) لا نتّفق مع السيِّد المرتضى القائل بأنّ إثبات الرجعة إنما هو بواسطة الإجماع لا الأخبار. راجِعْ ⇐

فالرجعة إذن هي رجوع الأموات إلى الدنيا في زمن مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فيُخرِج بعض الأفراد من قبورهم وهم على ثلاثة أصناف: كاملون في الإيمان، كاملون في الكفر وأصحاب القصاص؛ فالأوائل يرجعون لنصرة الإمام عليه السلام، والمتوسطون للعقاب، والأواخر للإقتصاص منهم لأفعال منكَرة ارتكبوها.

فالرّجعة سرٌّ من أسرار الله تعالى، والقول بها ثمرةُ الإيمان بالغيب، والمراد بها رجوعُ الأئمّةِ الطاهرين عليهم السلام وشيعتهم وأعدائهم ممّن مُحِّضَ من الفريقين بالإيمان والكفر، ولم يكن ممن أهلكه الله عزّ اسمه في الدنيا بالعذاب، فإنّ مَن أهلكه الله تعالى في الدنيا بالعذاب لا يرجع إلى الدنيا، طبقاً لقوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ؛ روى القمي عنهما عليهما السلام قال: (كلّ قرية أهلك اللهُ أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرّجعة).

*** الجهة الثانية**: في إمكان الرَّجعة:

قام الإجماع عند الإمامية على إمكان الرّجعة - سوآء رجعةَ الأئمّة الأطهار أو غيرهم ممّن كان خالصاً في الإيمان أو الكفر للثواب والانتقام، ولم يخالف في ذلك إلاّ المخالفون الذين استبعدوا ذلك واستنكروا على الشيعة اعتقادهم بها، وسنتعرّض لأدلّتهم ثمّ نقضها، ولرفع الاستبعاد نستدلّ على صحّة الرّجعة بأمور عقليّة وأخرى نقليّة.

الإمكان العقلي على صحة الرجعة!

الإمكان العقلي يتحقّق بالأمور التالية:

الأمر الأول: إنّ الرّجعة مقدورة لله تعالى فلا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء، فلا استحالة فيها لتعلق قدرة الله تعالى في كلّ مقدور عدا المستحيل في نفسه كوجود شريك لله تعالى أو الجمع بين النقيضين، فوجود ذلك مستحيل في نفسه، إذاً لا تتعلق قدرته عزّ وجلّ في المستحيل.

(رسائل المرتضى) ج١ ص١٢٥، و(الهجعة) ص٨١.

وبعبارة أخرى: إنّ رجعة الأموات إلى الحياة هي تماماً كرجعتهم يوم البعث والنشور، بفارقٍ بينهما هو أنّ الرجعة محدودة كمّاً وكيفاً تحدث قبل يوم القيامة، بينما يبعثُ اللهُ تعالى جميعَ الناس يوم القيامة للثواب والعقاب الدائمين.

وكِلاَ البعثين واقعان تحت قدرة الله تعالى، وليس مستحيلاً في نفسه، فالاعترافُ برجوع الناس يوم القيامة، وإنكار رجوع بعض الناس يوم ظهور الإمام الصاحب عجّل الله تعالى فرجه الشريف يعتبر ترجيحاً بلا مرَجِّح، وفصلاً من دون دليل وبرهان قطعي.

الأمر الثاني: إذا جاز عقلاً أنْ يخلق اللهُ تعالى الجواهرَ والأعراضَ من العدم، جاز أنْ يُوجِدَها بعد الموت أو متى شاء بطريقٍ أولى؛ لأنّ إيجادها من العدم أصعب من إعادتها بعد وجودها.

الأمر الثالث: الوقوع أدلُّ دليلٍ على الإمكان، فقد وقعت الرّجعةُ في الأمم السّالفة، وهذا دليلٌ على إمكانها وإخراجها من دائرة الإستحالة إلى الإمكان والوقوع، فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز سوآء، فإذا جاز وقوعها في الأمم السالفة فلِمَ لا يجوز وقوعها في الأمّة الإسلاميّة ؟!.

الأمر الرابـع: الرّجعة داخلة في معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لتأكيد صدقهم ودعواهم، فإذا جاز للأنبياء إحياء الموتى للتدليل على صحّة سفارتهم، جاز للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف إحياء الأموات للنكتة المتقدِّمة بطريقٍ أولى، لكونه عليه السلام أفضل من الأنبياء عليهم السلام - بمقتضى آية المباهلة وآية التطهير والأخبار القطعية الصدور -؛ ولكون مهمته عليه السلام أصعب من مهمّة الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام، فيتأكّد تسديده بمعجزة إحياء الموتى لإثبات صحّة مدَّعاه، فثبت المطلوب.

فالرجعة - إذن - من الضروريات الدِّينيّة، منكرها من أساسها كافر، وذلك لكثرة الأخبار والرّوايات في شأنها، من هنا قام الإجماع على ثبوتها، (وهو عندنا حجّة لكشفه عن قول المعصوم عليه السلام، ومع أنّ ذلك أمرٌ ممكن مقدور، وقد أخبر الصادقون عليهم السلام والقرآن بوقوعه، وكلّ ما أخبر الصادقون عليهم السلام والقرآن بوقوعه فهو حقٌّ، وكلام علماء الطائفة في ذلك متطابق متوافق على الوقوع.

الإمكان الشرعي على صحة الرجعة!

إنّ الإمكان الشرعي على ثبوت الرجعة ينقسم إلى قرآني وآخر روائي، والآيات الدالة على الرجعة كثيرة نذكر أهمَّها:

الآية الأولى: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ، جاء في تفسيرها عن حمّاد قال للإمام الصّادق عليه السلام: « **إنّ العامّة تزعم أنّ قوله تعالى:** ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا...﴿٨٣﴾ ﴾ **أنها في يوم القيامة**، قال عليه السلام: **ليس كما يقولون، إنّ ذلك في الرّجعة، أيَحْشُرُ اللهُ في القيامة من كلّ أمّةٍ فوجاً ويَدَعَ المنافقين؟! إنما آيةُ يوم القيامة قوله:** ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ »[1].

والأحاديث في ذلك كثيرة، على أنها نصٌّ واضحُ الدَّلالة، ظاهر، بل صريح في الرّجعة، لأنّ رجعة بعض الناس لا تكون في القيامة قطعاً، وليس بعد القيامة رجعة إجماعاً، فتعيّن كون هذه الرّجعة قبلها، إنما آية القيامة هي قوله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ.

وإذا ثبت أنّه يحشر من كلّ أمّةٍ فوجاً ممّن يكذّب بآيات الله تعالى، ثبت باقي أقسام الرّجعة - أي رجعة المؤمنين ومَن عليه قصاص - وإلاّ لزم إحداث قول ثالث، مع أنّه لا قائل بالفَرْق، فإنّ الإماميّة تقرُّ بالجميع، والعامّة تنكر الجميع، فالفارق - أي مَن يقول برجعة الكافرين دون المؤمنين الكاملين - خارق للإجماع.

شبهة ودفع:

وجه الشبهة: إنَّ المراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلّي الشامل لجميع الخلق، فهو حشر بعد حشر.

والجواب: إنّه لو كان المراد بالحشر هو الحشر إلى العذاب لزم ذكر هذه الغاية دفعاً للإبهام كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٣ ص٢٢٨ ح٨٠٤٤.

سُورَةُ فُصِّلَتْ مع أنّه لم يذكر فيما بعد هذه الآية إلاّ العتاب والحكم الفصل دون العذاب، والآية كما ترى مطلقة لم يشر فيها إلى شيء يلوح إلى هذا الحشر الخاص المذكور ويزيدها إطلاقاً قوله تعالى بعدها: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا... ﴿٢٠﴾ ﴾ سُورَةُ فُصِّلَتْ فلم يقل: (حتى إذا جاؤوا العذاب أو النار).

الآية الثانية: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

فالوعد الإلهي منجزٌ بحقّ جماعة من الذين آمَنوا وعملوا الصالحات ليجعلهم خلفاء في الأرض، فيحكمون بالعدل بعد رجوعهم من الموت.

قال المحدّث الحرّ العاملي رحمه الله في (الهجعة): « **إنّ ثمّة أخباراً كثيرة بتفسيرها في الرّجعة** [1]**، على أنها نصٌّ في ذلك لا تحتمل سواه إلاّ أنْ تُصْرَف عن ظاهرها، وتخرج عن حقيقتها، ولا ريب في وجوب الحمل على الحقيقة عند عدم القرينة، وليس هنا قرينة كما ترى** ».

قال الطبرسي: « **المراد بالذين آمَنوا وعملوا الصالحات: النبي وأهل بيته صلوات الرحمن عليهم، وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف منهم... وهذا إجماع العترة الطاهرة، وإجماعهم حجّة لقول النبي صلى الله عليه وآله: « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض »، وأيضاً فإنّ التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظَر لأنّ الله عزّ اسمه لا يخلف وعده** » [2].

ولا يخفى أنّ الأفعال الدالة على المستقبل كثيرة، وكذا ضمائر الجمع المتعددة، ولفظ الاستخلاف والتمكين والخوف والأمن والعبادة وغير ذلك من التصريحات

(١) راجع (الإيقاظ من الهجعة) ص٩٢.

(٢) راجع (مجمع البيان) ج٧ ص٢١٣.

والتلويحات لا تستقيم إلاّ في الرّجعة، وأيّ رجعةٍ وأمنٍ واستخلافٍ وتمكين وعبادة يمكن نسبتها إلى الميت بسبب تملك شخص من أولاد أولاده بعد أحد عشر بطناً، والتصريحات في الأحاديث الآتية تزيل كلَّ شكٍّ وشبهة.

الآية الثالثة: قوله‌ﻷ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ

هذه الآية كسابقتها، تشير إلى الوعد الإلهي بالمنّ والفَرَجَ على جماعة من المؤمنين، قد استضعفهم المستكبرون، وهؤلاء الجماعة هم أهل بيت الوحي والطهارة‌عليهم السلام الذين لحقهم الأذى والخوف والاضطهاد والقتل من قِبَل أعدائهم، فسوف يمكّن لهم الله‌ﻷ في الأرض ويبسط لهم بالحكم والسطوة على الجبّارين، فيحاسبوهم على جرائرهم وظلمهم وجورهم، ولا يتصور ذلك إلاّ في الرّجعة بقرينة قوله تعالى: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ﴾ من آل محمّد في الأرض.

وهل يجوز التصدّي لتأويلها وصرفها عن ظاهرها بغير قرينة؟! وضمائر الجمع وألفاظه في المواضع الثمانية يتعيّن حملها على الحقيقة، ولا يجوز صرفها إلى تأويل بعيد ولا قريب إلاّ أنْ يخرج الناظرُ فيها عن الإنصاف، ويكذّب الأحاديث الكثيرة الدالة على رجعة أهل البيت‌عليهم السلام إلى الدّنيا، وها نحن نروي حديثين من تلكم الأحاديث.

[**الحديث الأوّل**]: أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري: في (مسند مولاتنا فاطمة عليها السلام) قال: حدّثنا أبو المفضل، قال: حدثني عليّ بن الحسن المنقري الكوفي، قال: حدثني أحمد بن زيد الدهان، عن مخول بن إبراهيم، عن رستم بن عبد الله بن خالد المخزومي، عن سليمان الأعمش، عن محمَّد بن خلف الطاطري، عن زاذان، عن سلمان‌رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله‌صلى الله عليه وآله: « **إن الله (تبارك وتعالى) لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلاّ جعل له اثني عشر نقيباً** ». فقلت: يا رسول الله، لقد

عرفت هذا من أهل الكتابين. فقال ﷺ: « **يا سلمان: هل علمت مَن نقبائي ومَن الاثني عشر الذين اختارهم الله للأمة من بعدي؟** ».

فقلت: الله ورسوله أعلم. فقال ﷺ: « **خلقني الله من صفوة نوره، ودعاني فأطعته، وخلق من نوري علياً عليه السلام، ودعاه فأطاعه، وخلق من نور عليٍّ عليه السلام فاطمة عليها السلام، ودعاها فأطاعته، وخلق مني ومن عليّ وفاطمة: الحسن عليه السلام، ودعاه فأطاعه، وخلق مني ومن علي وفاطمة: الحسين عليه السلام، فدعاه فأطاعه. ثم سمانا بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمَّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الاحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين. ثم خلق منّا ومن نور الحسين، تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق سماءً مبنيَّةً، وأرضاً مدحيّة، ولا مَلَكاً ولا بَشَراً، وكنّا نوراً نسَبِّح اللهَ، ونسمَعُ له ونُطيعُ** ».

قال سلمان: فقلتُ يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فما لمن عرف هؤلاء؟ فقال ﷺ: « **يا سلمان، مَن عرفهم حقَّ معرفتهم، واقتدى بهم، ووالى وليهم، وتبرأ من عدوهم، فهو والله منا، يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن** ».

فقلت: يا رسول الله، وهل يكون إيمان بهم بغير معرفة بأسمائهم وأنسابهم؟ فقال ﷺ: « **لا يا سلمان** ».

فقلت: يا رسول الله، فأنى لي بهم وقد عرفت إلى الحسين عليه السلام؟ قال ﷺ: « **ثم سيد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام، ثم ابنه محمَّد بن علي عليهما السلام باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم ابنه جعفر بن محمَّد عليهما السلام لسان الله الصادق، ثم ابنه موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام غيظه صبراً في الله عز وجل، ثم ابنه عليّ بن موسى الرضي عليهما السلام لأمر الله، ثم ابنه محمَّد بن علي عليهما السلام المختار من خلق الله، ثم ابنه علي بن محمَّد عليهما السلام الهادي إلى الله، ثم ابنه الحسن بن علي عليهما السلام الصامت الأمين لسرِّ الله، ثم ابنه محمَّد بن الحسن الهادي المهدي عليهما السلام الناطق القائم بحقِّ الله** ». ثم قال ﷺ: « **يا سلمان، إنك**

مدركه، ومن كان مثلك، ومَن تولاَّه بحقيقة المعرفة ».

قال سلمان: فشكرت الله كثيراً ثمّ قلت: يا رسول الله وإني مؤجل إلى عهده؟. قال صلى الله عليه وآله: « **يا سلمان إقرأ** ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ ﴾ » .

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي، ثم قلت: يا رسول الله، أبعهدٍ منك؟ فقال صلى الله عليه وآله: « **إي والله الذي أرسل محمَّداً بالحقّ، منِّي ومن عليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة، وكلّ مَن هو منَّا ومعنا، ومضام فينا، إي والله يا سلمان، وليحضرن إبليس وجنوده، وكلّ مَن محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً، حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار،** ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، **ويحقق تأويل هذه الآية:** ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ ».

قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وما يبالي سلمان متى لقي الموت، أو الموت لقيه[1].

بيان مهم:

الشّاهد في الحديث هو قوله صلى الله عليه وآله: « **يا سلمان، إنك مدركه، ومن كان مثلك، ومَن تولاَّه بحقيقة المعرفة... إي والله يا سلمان، وليحضرن إبليس وجنوده، وكلّ مَن محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً، حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار...** ».

[**الحديث الثاني**]: عن عليّ بن إبراهيم، وقوله: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) راجع (البرهان في تفسير القرآن) ج٤ ص٢٥٢ ح٨٠٩٦.

وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا... ﴿٦﴾ ﴾ ، وهم الذين غصبوا آل محمّد عليهم السلام حقّهم.

وقوله: ﴿ مِنْهُم ﴾ ، أي من آل محمّد ﴿ مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ ، أي من القتل والعذاب. ولو كانت هذه الآية نزلت في موسى وفرعون لقال: ونري فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون أي من موسى، ولم يقل: منهم، فلما تقدم قوله: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ علمنا أنّ المخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله، وما وعد الله به رسوله، فإنما يكون بعده، والأئمة يكونون من ولده، وإنما ضرب الله هذا المثل لهم في موسى وبني إسرائيل وفي أعدائهم بفرعون وهامان وجنودهما فقال: إن فرعون قتل بني إسرائيل وظلم فأظفر الله موسى بفرعون وأصحابه حتى أهلكهم الله، وكذلك أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله أصابهم من أعدائهم القتل والغصب، ثم يردهم الله ويرد أعداءهم إلى الدنيا حتى يقتلوهم.

وقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام في أعدائه مثلاً مثل ما ضربه الله لهم في أعدائهم بفرعون وهامان فقال عليه السلام: « **أيها الناس إنّ أوّل مَن بغى على الله عزّ وجلّ على وجه الأرض عناق ابنة آدم عليه السلام، خلق الله لها عشرين إصبعاً، في كلّ إصبع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين، وكان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلمّا بغتْ بَعَثَ اللهُ لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار، وكان ذلك في الخلق الأول، فسلّطهم الله عليها فقتلوها، ألا وقد قتل الله فرعون وهامان وخسف بقارون، وإنما هذا مثل أعدائه الذين غصبوا حقّه فأهلكهم الله** ».

ثم قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على أثر هذا المثل الذي ضربه: « **وقد كان لي حقّ حازه دوني مَن لم يكن له، ولم أكن أشركه فيه، ولا توبة له إلا بكتاب منْزَل، أو برسول مرسل، وأنى له بالرسالة بعد محمَّد صلى الله عليه وآله، ولا نبيَّ بعد محمَّد، فأنى يتوب وهو في برزخ القيامة، غرته الأماني، وغره بالله الغرور، وقد أشفى على جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** ».

وكذلك مثل القائم عليه السلام في غيبته وهربه واستتاره مثل موسى خائف مستتر إلى أنْ

يأذن الله في خروجه وطلب حقه، وقتل أعدائه في قوله: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ... ﴿٤٠﴾ ﴾ سُورَةُ الحَجّ، وقد ضرب بالحسين بن علي عليهما السلام مثلاً في بني إسرائيل بذلّتهم من أعدائهم[1].

فالشاهد هو قوله عليه السلام: « **وكذلك أهل بيت رسول الله أصابهم من أعدائهم القتل والغصب ثم يردّهم الله، ويردّ أعداءهم إلى الدّنيا حتى يقتلوهم** ».

الآية الرابعة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ.

تشير الآية إلى خروج آية خارقة من الآيات الموعودة لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ سُورَةُ فُصِّلَتْ، وفي كونه وصفاً لأمر خارق للعادة، دلالة على أنّ المراد بالإخراج من الأرض إمّا الإحياء والبعث بعد الموت، وإمّا أمرٌ يقرِّب منه، والدابة هي ما يدبُّ على الأرض من ذوات الحياة إنساناً كان أو حيواناً، فإنْ كان إنساناً كان تكليمه الناس على العادة، إلاّ إذا كان ميتاً ثمّ رجع إلى الحياة، وإنْ كان حيواناً أعجم كان تكليمه كخروجه من الأرض خرقاً للعادة.

وخروج هذه الآية يكون قبل يوم القيامة بأيّامٍ قلائل، وسبب خروجها هو إقامة الحجّة على الناس الذين كذّبوا بآيات الله تعالى.

والقرآن الكريم لم يحدِّد لنا أوصاف هذه الدّابّة، وما هو مصداقها؟ وما تتكلّم به؟ بل سياق الآية نِعْمَ الدليل على أنّ القصد إلى الإبهام كلامٌ مرموز فيه.

ومحصَّل المعنى: إنّه إذا آل أمرُ النّاس - وسوف يؤول - إلى أنْ كانوا لا يوقنون بآياتنا المشهودة لهم وبطل استعدادهم للإيمان بنا بالتعقل والاعتبار آن الوقت لأنْ نريهم ما وعدنا إراءَته لهم من الآيات الخارقة للعادة المبيّنة لهم الحقّ بحيث يضطرون

(١) راجع (البرهان في تفسير القرآن) ج٤ ص٢٥٤ح١٨٠١.

إلى الاعتراف بالحقّ، فأخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم.

وبتعبيرٍ آخر: إنّ مهمّة هذه الدابة هي تفريق الصفوف وتمييز المنافقين والمنكرين من المؤمنين، وبديهيٌّ أنّ المنكِرين يرجعون إلى أنفسهم عند مشاهدة هذه الآيات، ويندمون على ما سلف منهم وعلى أيّامهم المظلمة، ولكن ما عسى أنْ ينفعهم النّدم وأبواب التّوبة موصَدة؟!

فالدّابّة ذات مفهوم واسع يشمل الإنسان أيضاً كما نقرأ في الآية السّادسة من سورة هود ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا... ﴿٦﴾ ﴾، وفي الآية الحادية والستين من سورة النحل: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ... ﴿٦١﴾ ﴾، وكذلك في الآية الثانية والعشرين من سورة الأنفال: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾؛ فهذه الآيات تشير إلى أنّ الإنسان دابّة من دوابّ الأرض إلاّ أنّ القرآن لم يفصّل بيان هذه الدابة سوى أنها تكلّم الناس، وتميّز المؤمن من غير المؤمن، إلاّ أنّ هناك كلاماً طويلاً في الرّوايات الأشعرية والشيعية الإمامية في هذا الشّأن، ويمكن تلخيص مجموعها في تفسيرين:

التفسير الأوّل: طائفة – وهم عامة المخالفين – تعتقد بأنّ هذه الدابة حيوان غير مألوف ومن غير جنس الإنسان، له شكل عجيب... وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان، وتتحدث عن الإيمان والكفر، وتفضح المنافقين وتسِمهم بميسمها.

التفسير الثاني: طائفة آخرى – وهي نحن الإمامية – تعتقد بأنَّ الدابةَ إنسانٌ فوق العادة، إنسان متحرِّك فعّال، وواحد من أفعاله الأصليّة تمييز المؤمنين من المنافقين ووسمِهم، حتى إنه يستفاد من بعض الأخبار أنّ معه عصا موسى وخاتم سليمان، ونحن نعرف أنّ عصا موسى رمز للقدرة والاعجاز، وخاتم سليمان رمز للحكومة والسّلطة الإلهيّة؛ فإذاً هذا الإنسان رجلٌ قويٌّ ذو سلطةٍ وهيمنةْ، فقد جاء في الأخبار أنّ هذا الإنسان هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام:

عن ابن أبي عمير، عن المفضّل، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، في قوله

تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا... ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ، قال: « **ليس أحدٌ من المؤمنين قُتِلَ إلاّ ويرجع حتى يموت، ولا يرجع إلاّ مَن مَحَضَ الإيمانَ مَحْضاً، ومَن مَحَضَ الكفرَ مَحْضاً** ».

قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **قال رجلٌ لعمّار بن ياسر: يا أبا اليقظان، آية في كتاب الله قد أفسدَتْ قلبي، وشكّكتْني. قال عمّار: أيّة آية هي؟ قال: قال** عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾، **فأيّة دابّة هذه؟**

قال عمّار: والله ما أجلس، وما آكل، ولا أشرب حتى أريكها. فجاء عمّار مع الرّجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال: يا أبا اليقظان، هلمّ، فجلس عمّار، وأقبل يأكل معه، فتعجّب الرّجلُ منه، فلمّا قام، قال له الرّجل: سبحان الله - يا أبا اليقظان - حلَفْتَ أنّكَ لا تأكل، ولا تشرب، ولا تجلس حتى ترينها، قال عمّار: قد أريتُكَها، إنْ كنتَ تعقل »[1].

وعن محمّد بن العبّاس، قال: حدّثنا جعفر بن محمَّد الحلبيّ، عن عبد الله بن محمَّد الزيّات، عن محمَّد بن عبد الحميد، عن مفضّل بن صالح، عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلتُ على الإمام عليّ عليه السلام، فقال: « **أنا دابّةُ الأرض** »[2].

فدابّة الأرض التي تخرج في آخر الزمان خاصّة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام حسبما جاء في خبر صحيح عن أبي بصير عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائمٌ في المسجد، وقد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: قم، يا دابّةَ الأرض، فقال رجلٌ من أصحابه: يا رسول الله، أيسمي بعضنا بعضاً بهذا الإسم؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا والله، ما هو إلاّ له خاصّة، وهو الدابة التي ذكرها الله تعالى في كتابه** ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ

(١) راجع (البرهان في تفسير القرآن) ج٤ ص٢٢٨-٢٢٩ ح٨٠٤٥.

(٢) راجع (البرهان في تفسير القرآن) ج٤ ص٢٢٩ ح٨٠٤٦.

أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ **ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، إذا كان آخرُ الزّمان، أخرجَكَ اللهُ في أحسن صورة، ومعكَ ميسمٍ تَسِمُ به أعداءَكَ** ». فقال رجلٌ للإمام أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يقولون: هذه الدابة إنما تَكْلِمُهُم[1]؟ فقال عليه السلام: « **كَلَمَهُم اللهُ في نار جهنّم، وإنما هو يكلِّمُهُم من الكلام، والدّليل على أنّ هذا في الرّجعة قوله تعالى:** ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النَّمْلِ، **قال: الآيات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام** »[2].

والذي يشهد على كون هذه الدابة هي الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - وليست حيواناً معهوداً كما ادّعى العامة - هو أمران:

الأمر الأول: إنّ هذه الدابة معها عصا سليمان التي هي رمز القوة، وخاتم سليمان الذي يرمز إلى الحكومة الإلهيّة، وهذا قرينة على أنّ الدابة هي إنسان نَشِطٌ فعّالٌ فوق العادة، إذ من البعيد جداً أنْ يدّخر اللهُ عزّ اسمه مواريث الأنبياء كخاتم سليمان وعصا موسى لحيوان دون الإنسان، لا سيّما أنّ هذه الدابة تَسِم وجوه المؤمنين بميسم الإيمان، فللمؤمن منزلة عند الله تعالى بحيث يكون وَسْمُهُ بواسطة حيوان خلاف التكريم الذي حباه به الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.

الأمر الثاني: إنّ وَسْمَ المؤمن بين عينيه ووسْمَ الكافر كذلك، فعلٌ ناتجٌ عن الإختيار وإرادة حرّة، وهذا لا ينسجم مع القول بأنها حيوانٌ، فإذا دار الأمر بين الحقيقة والمجاز، فيُحْمَل اللفظُ حينئذٍ على الحقيقة دون المجاز، فهنا هكذا، فإنّ الدابة التي تكلّم الناسَ يدور أمرُها بين الإنسان والحيوان، فلا يصحّ حملُها على الحيوان

(١) الكَلْم: الجُرح.

(٢) راجع (تفسير البرهان) ج٤ ص٢٢٨ ح٨٠٤٣.

* ملاحظة هامّة: لو كان المقصود بـــ (الدابة) حيواناً يجرح النّاس قبيل يوم القيامة لَمَا كان جرْحُها للناس إعجازاً يستدعي أنْ يوقن الناسُ به، فمجرّد جرحها لا يستلزم كونها آية تستوجب الإيقان.

لكونه معنىً مجازياً، بمعنى أنّ صدور الكلام من الحيوان خلاف طبيعة الحيوان، فلو صدر الكلام من الحيوان ينصرف اللفظ حينئذٍ إلى المعنى المجازي.

وبالجملة؛ فإنّ القرائن المتعدِّدة الموجودة في الآية ذاتها، والرّوايات الكثيرة في تفسير الآية، تدلّ على أنّ المراد من دابّة الأرض هنا إنسان ذو هيمنة وسلطنة إلهيّة بحيث يميز الحقَّ من الباطل، والمؤمنَ من المنافق والكافر.. هو إنسان يخرج في آخر الزمان قبيل يوم القيامة، وهو بنفسه آية من آيات عَظَمَة الخالق.

الآية الخامسة: قولهﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ...﴿٢٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

دَلَّتْ الآيةُ الشّريفة على وقوع الرّجعة، وهو يستلزم إمكانَها وعدم جواز إنكارها، وفيها دلالة على وقوعها أيضاً، بضميمة الأحاديث الدالة على أنّ ما وقع في الأمم السّابقة يقع مثله في هذه الأمّة، وقد روي في الأحاديث انّ المذكورين في هذه الآية كانوا سبعين ألفاً، فأماتهم اللهُ تعالى مدّة طويلة ثمّ أحياهم، فرجعوا إلى الدّنيا، وعاشوا أيضاً مدّةً طويلةً.

فقد جاء في خبر عمر بن يزيد عن الإمام الباقر والإمام الصّادقعليهما السلام قالا: « **إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشّام، وكانوا سبعين ألف بيتٍ، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوانٍ، فكانوا إذا أحسُّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا، ويقلّ في الذين خرجوا، فيقول الذين خرجوا لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الذين أقاموا: لو كنا خرجنا لقلَّ فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً أنه إذا وقع الطاعون فيهم وأحسُّوا به خرجوا كلّهم من المدينة، فلمّا أحسُّوا بالطاعون خرجوا جميعاً، وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت، فساروا في البلاد ما شاء الله، ثمّ إنهم مرّوا بمدينة خربة قد خلا أهلها عنها، وأفناهم الطاعون، فنَزلوا بها، فلمّا حطّوا رحالهم واطمأنّوا قال لهم اللهﷻ: موتوا جميعاً، فماتوا من ساعتهم، وصاروا رميماً، وكانوا على طريق المارّة فكَنَسَهم**

المارّة فنحوهم وجمعوهم في موضع، فمرَّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل يُقال له: حزقيل، فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر، وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم السّاعة كما أمتّهم، فعمروا بلادك وولدوا عبادك، وعبدوك مع مَن يعبدك من خلقك، فأوحى الله تعالى إليه: أفتحبّ ذلك؟ قال: نعم يا ربّ، فأحياهم الله تعالى، فأوحى الله أنْ قل كذا وكذا، فقال الذي أمره الله عزّ وجلّ أنْ يقوله، فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: وهو الإسم الأعظم، فلما قال حزقيل ذلك الكلام نظر إلى عظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياءاً ينظر بعضهم إلى بعض يسبحون اللهَ عزّ ذكره ويكبّرونه ويهللونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير »[1].

وفي رواية أخرى: إنّ الله تعالى ردّهم حتى سكنوا الدُّور وتزوّجوا ومكثوا بذلك ما شاء الله عزّ اسمه ثمّ ماتوا بآجالهم[2].

الآية السّادسة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، الآية الشريفة صريحة في أنّ المذكور فيها مات مائة سنة ثمّ أحياه الله تعالى وبعثه إلى الدّنيا وأحيا حماره، وظاهر القرآن يدلّ على أنّه من الأنبياء؛ لِمَا تضمّنه من الوحي والخطاب له، وقد وقع التصريح في الأحاديث بأنه كان نبياً من بني إسرائيل، اختلفت الأخبار في اسمه، ففي بعضها أنّه عزير، وفي أخرى أنه إرميا، والأظهر أنه عزير، وبملاحظة الأحاديث يجب أنْ يثبت مثله في هذه الأمّة.

وهي صريحة في صحة رجوع أموات إلى الحياة الدنيا فمنكرها خارج من ربقة

(١) راجع (نور الثقلين) ج١ ص٢٤٢ ح٩٦١.

(٢) راجع (نور الثقلين) ج١ ص٢٤٢ ح٩٦١.

الإسلام.

الآية السّابعة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

الشّاهد في الآيتين هو قوله جلّ جلاله: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾، و﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾؛ ولا شكّ في صدقهما على وقوع رجعة الأموات إلى الدّنيا[1]، فإذا ثبت ذلك في شريعة النبيّ عيسى عليه السلام، فلا بدّ أنْ يثبت ذلك في شريعة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

الآية الثامنة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

دلالتها على الرّجعة واضحة بحسب سياق الآيات، وتفسير الأخبار لها، فإنّ قوم النبيّ موسى عليه السلام طلبوا منه رؤية الله تعالى بالباصرة، فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم، ثمّ أحياهم، وسبب إحيائه عليه السلام لهم - بالإضافة إلى سبب طلبهم الرُّؤية - يرويه لنا خبر

(١) راجع (تفسير الصّافي) ج١ ص٣٣٨، رواية الكافي والعياشي.

الإمام العسكري عليه السلام حسبما جاء ذلك في (تفسير الصافي)[1] :

إنّ موسى لمّا أراد أنْ يأخذ عليهم عهد الفرقان فرّق ما بين المحقين والمبطلين لمحمَّد صلى الله عليه وآله بنبوته ولعليّ والأئمة عليهم السلام بإمامتهم قالوا: لن نؤمن لكَ إنّ هذا أمر ربّك حتى نرى الله عياناً يخبرنا بذلك فأخذتهم الصاعقة معاينة فقال موسى عليه السلام للباقين الذين لم يصعقوا: أتقبلون وتعترفون وإلّا فأنتم بهؤلاء لاحقون؟ فقالوا: لا ندري ما حلّ بهم فإنْ كانت أصابتهم لردّهم عليكَ في أمر محمَّد صلى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام فاسئل الله ربّكَ بمحمَّد وآله أنْ يحييهم لنسألهم لماذا أصابهم ما أصابهم فدعا الله موسى عليه السلام فأحياهم فسألوهم فقالوا: أصابنا ما أصابنا لإبائنا اعتقاد إمامة عليّ بعد اعتقاد نبوّة محمَّد لقد رأينا بعد مولاتنا هذا ممالك ربّنا من سمواته وحجبه وعرشه وكرسيّه وجنانه ونيرانه فما رأينا أمراً في جميع الممالك وأعظم سلطاناً من محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وإنّا لّما متنا بهذه الصّاعقة ذهبنا إلى النيران فناداهم محمَّد وعليّ كفّوا عن هؤلاء عذابكم فإنهم يحيون بمسأله سائل سأل ربنا عز وجل بنا وبآلنا الطيبين قال الله عز وجل لأهل عصر محمّد فإذا كان بالدّعاء بمحمَّد وآله الطيبين نُشِرَ ظلمه أسلافكم المصعوقين بظلمهم فإنما يجب عليكم أنْ لا تتعرضوا لمثل ما هلكوا به إلى أنْ أحياهم الله.

شبهة لبعض المحدثين حول صيرورة بعض العصاة إلى أنبياء !!

لقد اشتبه بعضّ المحدثين حينما اعتقدوا بأن بعض العصاة ممن طلبوا رؤية الله تعال تحولوا إلى أنبياء بعد موتهم وهو ما رواه القمي في تفسيره للآية المتقدمة ووافقه عليه الحرّ العاملي[2] في كتابه (الايقاظ)، وكذا الحويزي في (نور الثقلين)، مدَّعِين ذلك - طبقاً لظاهر خبر - أنّ السبعين الذين اختارهم النبي موسى ليسمعوا كلام الله تعالى، فأماتهم الله تعالى ثمّ بعثهم أنبياءً، وهذه رجعة عظيمة لهم حسبما أشار المحدّث الحر العاملي رحمه الله... ويشهد لعدم صحّته أمران:

---

(١) راجع (تفسير الصافي) ج١ ص١٣٤.

(٢) راجع (الإيقاظ) ص٩٧، و (نور الثقلين) ج١ ص٨١ح٢٠٣؛ نقلاً عن القمي.

الأمر الأول: مخالفته لأدلّة عصمة الأنبياء في كلّ مراحل حياتهم، إذ لو صدرت منهم المعصية في زمنٍ ما، لانتفت فائدة بعثتهم، ولكانت بعثتهم - مع ما صدر منهم من معاصٍ سابقة - ترجيحاً بلا مرجِّحٍ، من حيث تساويهم مع بقيّة الرّعيّة في المعصية، فجعلهم أنبياءً دون بقيّة الرّعيّة ترجيح بلا دليل.

مضافاً إلى أنّ بعثتهم أنبياءً يستدعي القول بكون العصمة جبريّة يُعطيها اللهُ تعالى بدون استحقاق وجدارة بسبب مضيهم بالمعاصي في أكثر أيام حياتهم، وفي ذلك مخالفة صريحة لموازين العدل الإلهي.

الأمر الثاني: موافقة الخبر المذكور لمعتقدات العامة القائلين بعدم وجوب عصمة الأنبياءعليهم السلام قبل البعثة، وفي ذلك مخالَفة واضحة لظواهر الكتاب الكريم الدالّة على تنْزيه الأنبياءعليهم السلام عن المعاصي طوال حياتهم الكريمة بأخْذ الميثاق عليهم بالطّاعة والاخلاص وعدم الانقياد لإبليس مطلقاً ومن دون تديد بفترة زمنية معينة، فقد حكى الله تعالى لنا عن هذه الحقيقة بقوله تبارك وتعالى كاشفاً عن عدم قدرة إبليس على إغوائهم مذ ولدوا إلى نهاية حياتهم ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ صٓ، وقولهعزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وقوله سبحانه أيضاً: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

وقد فصَّلنا موضوع عصمة الأنبياء قبل صيرورتهم أنبياء في كتابنا (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية) فليراجع.

معالجة المحدث الحر العاملي رحمه الله العقيمة!!

لقد ذكر المحدّث الحرّ العاملي رحمه الله في كتابه المذكور ص١٦٤ الباب السادس في

إثبات أن الرجعة قد وقعت في الأنبياء والأوصياء السابقين عليهم السلام: (إنّ هؤلاء الذين اختارهم موسى هم الأنبياء، فلم يطلبوا الرُّؤية لأنفسهم بل طلبوها لقومهم)؛ ونردّه بأمرين هما الآتي:

الأمر الأول: أنّ سياق الآية ٥٥ من سورة البقرة وهي قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾؛ خلاف ما أفاده المحدّث الحر العاملي رحمه الله، حيث الظاهر منها أن العقاب خاصٌ بمن طلب الرؤية، فالطالبون للرؤية البصرية هم أنفسهم من أخذتهم الصاعقة، ولو كانوا غيرهم لما صح أن يأخذهم دون غيرهم بقرينة ضمير المخاطبين في صدر الآية ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ ﴾ فأتاهم الجواب بقوله ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾ فقد تفرع العذاب على طلب الرؤية لمن طلبها وليس لغيرهم كما ادَّعى رحمه الله، وخلاف الأخبار الدّالّة على أنّ الذين طلبوا الرُّؤية هم من غير الأنبياء.

الأمر الثاني: إن ذيل الخبر الذي اعتمده المحدّث الحر العاملي رحمه الله يشير بوضوحٍ لا لبس فيه بأنَّ الطالبين للرؤية البصرية قد احترقوا عن آخرهم وبقي موسى عليه السلام وحيداً على الجبل مع أنهم كانوا معه وهم أنفسهم الذين طلبوا الرؤية فكان عقابهم أن أخذتهم الصاعقة بظلمهم... فيرجى التأمل.

الآية التّاسعة: قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا... ﴿٢٦٠﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ

وهذه الآية الشريفة واضحة الدّلالة على صحّة رجعة المخلوق بعد موته، وذُكِرَ في سبب سؤال النبيّ إبراهيم عليه السلام إحياء الموتى من الله تعالى على وجوه:

أحدها: وهو المروي عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنّ نبيّ الله إبراهيم عليه السلام رأى جيفةً تمزّقها السِّباع فيأكل منها سباع البَرِّ وسباع الهواء ودوابّ البحر، فسأل النبيُّ إبراهيمُ عليه السلام اللهَ تعالى فقال: « **يا ربّ قد علمتُ أنّكَ تجمعُها من بطون السِّباع والطّير ودوابّ البحر فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك** ».

وثانيها: ما روي عن مولانا الإمام الرِّضا(عليه السلام) من أنّ الله تعالى أوحى إلى النبيّ إبراهيم(عليه السلام) أني متَّخِذٌ من عبادي خليلاً إنْ سألني إحياء الموتى أُجِبْهُ، فوقع في نفس إبراهيم الخليل(عليه السلام) أنّه ذلك الخليل، فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ على الخلّة، ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾سُورَةُ البَقَرَةِ، فأخذ إبراهيم(عليه السلام) نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً فقطّعهنّ وخلطهنّ ثمّ جعل على كلّ جبلٍ من الجبال التي حوله - وكانت عشرة - منهنّ جزءاً وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ، فوضع عنده حَبّاً وماءاً فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كلّ بدن حتى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرن، ثمّ وقعْنَ فشرِبْنَ من ذلك الماء والتَقَطْنَ من ذلك الحَبّ وقُلْنَ: يا نبيَّ الله أحييتنا أحياكَ الله، فقال إبراهيم(عليه السلام): « **بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيءٍ قدير** »، قال المأمون: باركَ اللهُ فيكَ يا أبا الحسن[1].

ثالثها: إنّه(عليه السلام) أحَبَّ أنْ يعلم ذلك عِلْمَ عيان بعد أنْ كان عالِماً به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا أقوى الوجوه[2].

هذا الوجه اختاره الطبرسي(رحمه الله)، وفي ذيله من المخالَفة الصّريحة للقرآن الكريم ما لا يخفى على متعلِّم فضلاً عن عالِم.

فالذيل مرفوض جملةً وتفصيلاً لِمَا تَقَدَّمَ معنا سابقاً من طهارة نفوس المرسَلين وأنّه لا قدرة لإبليس على نفوسهم بالوساوس والخواطر بمقتضى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾سُورَةُ ص، والوساوس من أبرز مصاديق الغواية المنفيّة عنهم(عليهم السلام)، فالعجيب من الطبرسي كيف

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٢٧٦ ح١٠٨٨.

(٢) راجع (مجمع البيان) ج٢ ص١٣٨.

يلصقها بالخليل إبراهيم عليه السلام مع أنّ الله تعالى نفاها عنه عليه السلام؟ سبحان مَن لا ينسى ولا يجهل...!!

وإليكَ أخي القارئ معجزة وقعت على يدي مولانا وسيدنا وإمامنا عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام (جاء في (عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام) في باب استسقاء المأمون بالإمام الرِّضا عليه السلام بعدما جرى كلام بين مولانا الإمام الرِّضا عليه السلام وبعض أهل النصب من حجاب المأمون لعنهم الله: فغضب الحاجب عند ذلك فقال: يا بن موسى لقد عدوتَ طورك وتجاوزتَ قدرك، إنْ بعث الله تعالى بمطر مُقَدَّر وقتُه لا يتقدَّم ولا يتأخر جعلته آية تستطيل بها وصولة تصول بها، كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم عليه السلام لمّا أخذ رؤوس الطّير بيده ودعا أعضائها التي كان فرّقها على الجبال فأتينه سعياً وتركبن على الرؤس وخفقن وطرن بإذن الله عزّ وجلّ فانْ كنت صادقاً فيما توهّم فأحيى هذين وسلِّطْهما عَلَيَّ، فإنّ ذلك يكون حينئذ آية معجزة، فأمّا المطر المعتاد فلست أنتَ أحق بأنْ يكون جاء بدعائك من غيرك الذي دعا كما دعوتَ، وكان الحاجبُ أشار إلى أسدين مصوَّرين على مسند المأمون الذي كان مستنداً إليه، وكانا متقابلين على المسند فغضب على ابن موسى الرِّضا عليه السلام وصاح بالصورتين: « **دونكما الفاجر، فافتَرِسَاه ولا تُبْقِيَا له عيناً ولا أثراً** »، فوثبتْ الصُّورتان وقد عادتا أسدين، فتناولا الحاجب ورضّاه وهَشَّمَاه وأكلاه ولَحَسَا دمَه والقوم ينظرون متحيِّرين ممّا يبصرون، فلمَّا فَرَغَا أقبلا على الإمام الرِّضا عليه السلام وقالا: يا وليَّ الله في أرضه ماذا تأمرنا أنْ نفعل بهذا أنفعل به فعلنا هذا - يشيران إلى المأمون - فغشى على المأمون ممّا سمع منهما، فقال الإمام الرِّضا عليه السلام: « **قِفَا** » فوقفا ثم قال الإمام الرِّضا عليه السلام: « **صُبُّوا عليه ماءَ وَرْدٍ وطَيِّبُوْهُ** »، ففعل ذلك به وعاد الأسدان يقولان: أتأذن لنا أنْ نُلْحِقَهُ بصاحبه الذي أفنيناه؟ قال عليه السلام: « **لا فإنّ لله عزّ وجلّ فيه تدبيراً هو ممضيه** »، فقالا: ماذا تأمرنا؟ فقال عليه السلام: « **عُوْدَا إلى مَقَرِّكُما كما كنتما** »، فعادَا إلى المسند وصارا صورتين كما كانتا، فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شرَّ حميد بن مهران يعنى الرجل المفترس، ثم قال للإمام الرضا عليه السلام: يا بن

رسول الله هذا الأمر لجدّكم رسول الله ﷺ ثمّ لكم ولو شئتَ لَنَزَلْتُ عنه لكَ، فقال مولانا الإمام الرِّضا عليه السلام: « **لو شئتُ لَمَا ناظرتُكَ ولم أسئَلْكَ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أعطاني من طاعة ساير خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصّورتين إلاّ جهال بني آدم فإنهم وإنْ خسروا حظوظهم فلله عزّ وجلّ فيه تدبير وقد أمرني بترك الاعتراض عليكَ واظهار ما أظهرتُهُ من العمل من تحت يدك، كما أمر يوسفَ بالعمل من تحت يد فرعون مصر** » قال: فما زال المأمون ضئيلاً إلى أنْ قضى مولانا الإمام عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام ما قضى)[1].

الآية العاشرة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧١ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

(نقل صاحب (تفسير نور الثقلين) عن عيون الأخبار حدثني أبي رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن موسى بن جعفر بن أبي جعفر الكميذاني ومحمَّد بن يحيى العطار عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن أحمد بن محمَّد بن أبي نصر البزنطي قال: سمعت الإمام أبا الحسن الرِّضا عليه السلام يقول: « **إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له، ثم أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلام: إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا مَن قتله؟ قال: إيتونى ببقرةٍ،** ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٢٧٦ ح١٠٨٩.

ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٦٧ ﴾ **ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم** ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ **يعنى لا صغيرة ولا كبيرة عوان بين ذلك ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم** ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩ ﴾ **ولو أنهم عمدوا إلى بقرة لاجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم** ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ **فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال: لا أبيعها إلاّ بملاء مسكها ذهباً فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك، فقال: اشتروها فاشتروها وجاؤا بها فأمر بذبحها ثم أمر أنْ يضرب الميت بذنبها، فلمّاً فعلوا ذلك حيى المقتول، وقال: يا رسول الله إنّ ابن عمّي قتلني دون من يدّعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله، فقال لرسول الله موسى عليه السلام بعض أصحابه: إنّ هذه البقرة لها نبأ فقال: وما هو؟ فقال: إن فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وإنّه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه والأقاليد تحت رأسه فكره أنْ يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره فقال له: أحسنت خذ هذه البقرة فهو لك عوضاً لما فاتك، قال: فقال له رسول الله موسى عليه السلام: انظروا إلى البرّ ما يبلغ بأهله »**)[1].

(وفي تفسير عليّ بن إبراهيم حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأةً منهم، فأنعمت له وخطبها ابن عم لذلك الرّجل، وكان فاسقاً ردياً فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه الذي أنعموا له، فقعد له فقتله غيلة، ثم حمله**

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٨٧ح٢٣٨.

إلى موسىعليه السلام **فقال: يا نبيَّ الله هذا ابن عمى قد قتل فقال موسى: مَن قتله؟ قال: لا أدري وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبِيَّ الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بارٌّ وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً وكره ابنه أنْ ينبِّهه وينغّص عليه نومه، فانصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلما انتبه أبوه قال له: يا بنيَّ ما صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأنّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهتُ أنْ أنبِّهَكَ وأنغِّصَ عليكَ نومكَ، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتكَ من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه وأمر بني إسرائيل أنْ يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلمّا اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجّوا قال لهم موسى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾ **فتعجبوا و**﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ **نأتيك بقتيل فتقول اذبحوا بقرة؟ فقال لهم موسى.** ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ **فعلموا أنهم قد أخطأوا** ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ **الفارض التي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر التي لم تضربها** ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا ﴾ **أي لونها شديدة الصفر** ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ **إليها** ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ **أي لم تذلل** ﴿ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ ﴾ **أي لا تسقى الزرع** ﴿ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ **أي لا نقط فيها إلاّ الصُّفرة** ﴿ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ **هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها، فقال: لا يبيعها إلاّ بملاء جلدها ذهباً فرجعوا إلى موسى فأخبروه فقال لهم موسى: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملاء جلدها ذهباً فذبحوها ثم قالوا: ما تأمرنا يا نبي الله؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: قل لهم اضربوه ببعضها وقولوا: مَن قتلك؟ فاخذوا**

الذنب فضربوه به، وقالوا: مَن قتلك يا فلان فقال: فلان بن فلان ابن عمه الذي جاء به، وهو قوله: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ »[1].

وروى الطبرسي أنّ الميت لمّا ضربوه بالبقرة قام حيّاً وأوداجه تشخب دماً، فقال: قتلني فلانٌ ابن عمّي ثمّ قُبِضَ.

وحاصل الأمر: إنّ القصّة تشير إلى رجعة الميت، وسبب الرجعة أمران:

الأوّل: رفع الخلاف الحاصل بين بني إسرائيل.

الثاني: إراءتهم قدرة الله تعالى بإظهار آياته التي منها إحياء الميت.

فالرّجعة إذن هي من آيات الله تعالى الدالة على قدرته عزّ وجلّ وعلى عَظَمَة آل البيت عليهم السلام.

الآية الحادية عشرة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ.

من المسلّمات القطعيّة عند المسلمين عامّةً أنّ الله تعالى أحيى أصحابَ الكهف ثمّ أماتهم بعد أنْ طلبوا منه ذلك، ونحن هنا سننقل القصّة كما أوردها الفيض الكاشاني في تفسيره، وهي كالآتي[2]:

(القمي عن مولانا الإمام جعفر بن محمَّد الصّادق عليه السلام: « **كان سبب نزول سورة الكهف أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نَفَرٍ إلى نجران النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط والعاص بن وائل السهمي ليتعلّموا من اليهود**

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٨٨ ح٢٤٠.

(٢) راجع (تفسير الصافي) ج٣ ص٢٣٢.

والنصارى مسائل يسألونها رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم، فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فإنْ أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادقٌ، ثمّ سلوه عن مسألةٍ واحدةٍ فإنْ ادعى علمها فهو كاذب قالوا وما هذه المسائل قالوا سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا كم بقوا في نومهم حتى انتبهوا وكم كان عددهم وأي شئ كان معهم من غيرهم وما كان قصتهم واسألوه عن موسى حين أمره الله عزّ وجلّ أن يتبع العالم ويتعلم منه من هو وكيف يتبعه وما كان قصته معه واسألوه عن طائف طاف مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سد يأجوج ومأجوج من هو وكيف كان قصته ثم أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث المسائل وقالوا لهم إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدقوه قالوا فما المسألة الرابعة قالوا سلوه متى تقوم الساعة فإنْ ادّعى علِمْهَا فهو كاذبٌ، فإنّ قيام السّاعة لا يعلمه إلاّ الله تبارك وتعالى، فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السّماء يأتيه، ونحن نسأله عن مسائل فإنْ أجابنا عنها علِمْنا أنه صادقٌ، وإنْ لم يخبرنا علِمْنَا أنّه كاذبٌ، فقال أبو طالب: سَلُوه عمّا بدا لكم، فسألوه عن الثلاث المسائل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: غدا أخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتمّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وشَكَّ أصحابُه الذين كانوا آمنوا به، وفَرِحَتْ قريش، واستهزؤوا وآذوا، وحزن أبو طالب عليه السلام، فلمّا كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرئيل عليه السلام بسورة الكهف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أبطأت!! فقال: إنّا لا نقدر أنْ ننْزِل إلاّ بإذن الله تعالى، فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ... ⁽⁹⁾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، **يا محمّد** ﴿ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ⁽⁹⁾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، **ثم قصَّ قصّتهم فقال:** ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ⁽¹⁰⁾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: « **إن أصحاب الكهف والرّقيم كانوا في زمن ملك جبّارٍ**

عاتٍ، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمَن لم يجبه قتله، وكانوا هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ، وكّل الملك بباب المدينة وكلاء، ولم يَدَعْ أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بعلّة الصيد؛ وذلك إنهم مرُّوا براعٍ في طريقهم فدَعَوْهُ إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الراعي كلبٌ فأجابهم الكلبُ وخرج معهم، فقال الإمام الصادق عليه السلام: لا يدخل الجنة من البهائم إلاّ ثلاثة: حمار بلعم بن باعورا وذئب يوسف عليه السلام وكلب أصحاب الكهف، فخرج أصحاب الكهف من المدينة بعلّة الصّيد هرباً من دِين ذلك الملك، فلمّا أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله عزّ وجلّ عليهم النعاس كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ سُورَةُ الكَهْفِ فناموا، حتى أهلك الله عزّ وجلّ الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان، وجاء زمان آخر وقوم آخرون، ثم انتبهوا فقال بعضهم لبعض: كم نمنا هاهنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت، فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا لواحدٍ منهم: خُذْ هذا الورق وادْخُلْ المدينةَ متنكِّراً لا يعرفونك فاشترِ لنا طعاماً فإنهم إنْ علموا بنا وعرفونا قتلونا أوردونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الذي عَهِدَهَا، ورآى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم، فقالوا له: مَن أنت؟ ومن أين جئت؟ فأخبرهم.

فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرّجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه، فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم، وقال بعضهم: هم خمسة وسادسهم كلبهم، وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله عزّ وجلّ بحجاب من الرُّعب، فلم يكن أحد يُقْدِمُ بالدُّخول عليهم غير صاحبهم، فإنه لمّا دخل عليهم وجدهم خائفين أنْ يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم فأخبرهم صاحبهم أنّهم كانوا نائمين هذا الزّمن الطّويل، وأنهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أنْ يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا، ثم قال الملك: ينبغي أن نبني ها هنا مسجداً

ونزوره، فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون، فلهم في كل سنة نقلتان ينامون ستة أشهر على جنوبهم الأيمن وستة أشهر على جنوبهم الأيسر، والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف »).

الآية الثانية عشرة: قوله‌ﷻ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

وَرَدَتِ الأحاديثُ المتعدِّدةُ في أنّ المراد بها الرّجعة، ويؤيد تلك التصريحات ظاهرُ الآية، فإنّ كثيراً من الرُّسُل والأوصياء والأولياء والأئمّة والذين آمَنوا لم يُنصروا، ونصرة الله تعالى لهم ستكون في الدّنيا وليس في الآخرة فحسب، بقرينة قوله: ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، واللهﷻ لا يخلف الميعاد، والحمل على إرادة خروج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ضعيف؛ وذلك لأمورٍ ثلاثة:

الأمر الأول: إنّه خروج عن الحقيقة إلى المجاز بغير قرينة، وهو باطلٌ إجماعاً.

الأمر الثاني: إنّه خلاف التصريحات في الأخبار الشريفة على أنّ الآية يراد بها الرّجعة.

الأمر الثالث: إنّ الانتقام من ذراري الذين قتلوا الأنبياء والأولياءعليهم السلام لا يصدق حقيقةً على أنّه نصرٌ لهم؛ لأنّ النصر الحقيقي هو أنْ يقتل قتلة الأنبياء بإرجاعهم إلى الدّنيا للإنتقام منهم.

ففي خبر سليمان بن خالد قال: قال الإمام أبو عبد اللهعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ النَّازِعَاتِ، قال: الراجعة: الحسين بن عليّعليهما السلام، والرّادفة: عليّ بن أبي طالبعليهما السلام، وأوّل مَن ينشقّ عنه القبر ويُنفَض عن رأسه التّراب الحسين بن عليّعليهما السلام في خمسةٍ وسبعين ألفاً، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ[1].

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٤ ص٧٦٤ ح٩٣٧٣.

الآية الثالثة عشرة: قوله عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّخْرُفِ

الآية الكريمة تتطرّق إلى سؤال النبي من الأنبياء هل أمرهم الله سبحانه بعبادة مَن دونه من الآلهة، فالسّائل هو النّبي صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّ المراد هو كلّ الأمة، بل يعم حتى مخالفيه، والمسؤول أو المسؤولون هم أتباع الأنبياء السّابقين، وكأنّ لسان الآية - بناءً على هذا التفسير - يتحدّث عن وجوب سؤال الأمّة الإسلاميّة من أتباع الأنبياء السّابقين على نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وآله هل أنّ الله تعالى أمر بعبادة الأصنام.. فكان الجواب مُسْتَبْطَناً في الآية بأنّ السُّنَّةَ الإلهيّةَ قَضَتْ بحرمة عبادة الأصنام...

هذا التفسير أخذ به صاحب تفسير الأمثل[1]، وهو يخالف الأحاديث الكثيرة الدّالّة على أنّ الله تعالى جمع لرسول الله محمَّد عامّة الأنبياء ليلة المعراج، وأمرهم بالاقتداء به في الصَّلاة، وهذا هو التفسير الصحيح للآية الشريفة، وما ذاك التفسير سوى تفسيراً في مقابل الأخبار الصّحيحة.

من هذه الأخبار ما ورد في صحيحة أبي حمزة عن أبي الرّبيع قال: حججت مع مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في السّنة التي حجَّ فيها هشام ابن عبد الملك وكان معه نافع بن الأزرق مولى عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى الإمام أبى جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع إليه الناس، فقال: يا أمير المؤمنين مَن هذا الذي تتكافى عليه الناس؟ فقال: هذا نبيّ أهل الكوفة محمَّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، فقال نافع: لآتينه فلأسئلنَّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلاّ نبيٌّ أو وصيٌّ نبيٍّ أو ابن وصيٍّ فقال هشام: فاذْهَبْ إليه فاسْألْهُ فلعلَّكَ أنْ تخجله.

فجاء نافع فاتّكى على الناس، ثم أشرف على الإمام أبى جعفر عليه السلام، فقال: يا محمَّد بن عليّ إنّي قرأت التوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان، وقد عرفتُ حلالَها وحرامَها، وقد جئتُكَ أسألُك عن مسائل لا يجيبني فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ أو ابن

(١) راجع (تفسير الأمثل) ج١٦ ص٦١-٦٢.

وصيّ نبيّ، فرفع إليه الإمام أبو جعفرعليه السلام رأسَه فقال له: « **سَلْ** »، فقال: أخبِرْني كم بين عيسى ومحمَّد من سنة؟ فقالعليه السلام: « **أخبرك بقولي أم بقولك؟** » قال: أخبِرْني بالقولين جميعاً. قالعليه السلام: « **أما قولي فخمسمأة سنة، وأما قولك فستمأة سنة** »، قال: فأخبرني عن قول اللهعزّ وجلّ: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، مَن ذا الذي سأل محمَّد وكان بينه وبين عيسى خمسمأة سنة؟ قال: فتلا الإمام أبو جعفرعليه السلام هذه الآية: « ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ...﴿١﴾ ﴾ **فكان من الآيات التي أراها الله محمَّداً حين أسرى به إلى البيت المقدس أنْ حشر الله له الأوّلين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيلعليه السلام فأذَّن شفعاً وأقام شفعاً، ثم قال في إقامته: حيّ على خير العمل، ثم تقدَّمَ محمدٌصلى الله عليه وآله فصلّى بالقوم، فأنزل الله عليه** ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، **فقال لهم رسول اللهصلى الله عليه وآله: على ما تشهدون و ما كنتم تعبدون؟ فقالوا: نشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّكَ رسولُ الله، اُخِذَتْ على ذلك مواثيقُنا وعهودُنا** »، قال نافع: صدقت يا بن رسول الله يا أبا جعفر أنتم والله أوصياء رسول الله وخلفاؤه في التوراة، وأسماؤكم في الإنجيل وفى الزّبور وفى القرآن، وأنتم أحقُّ بالأمر من غيركم[1].

وفي كتاب (الاحتجاج) للطبرسيرحمه الله (عن أمير المؤمنينعليه السلام حديث طويل يقول فيهعليه السلام: وأما قوله: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ فهذا من براهين نبيّناصلى الله عليه وآله التي آتاه الله إيّاها، وأوجب به الحجّة على ساير خلقه؛ لأنّه لمّا ختم به الأنبياء، وجعله اللهُ رسولاً إلى جميع الأمم وساير الملل، خصَّهُ بالإرتقاء إلى السّماء عند المعراج، وجمع له يومئذ الأنبياء، فعلم منهم ما أرسلوا به، وحملوه

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٤ ص٦٠٥ ح٦٣.

من عزائم الله وآياته وبراهينه. فأقرّوا أجمعين بفضله وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضَّلَ شيعة وصيّه من المؤمنين والمؤمنات الذين سلموا لأهل الفضل فضلهم ولم يستكبروا عن أمرهم وعرف مَن أطاعهم وعصاهم من أممهم وساير مَن مضى ومن غَبر أو تقدَّم أو تأخر)[1].

الآية الرّابعة عشرة: قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ.. ﴿٨١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

الشّاهد في الآية هو إيمان الأنبياء برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأنوار المطهرين صلوات الله عليهم أجمعين ونصرتهم، ومعلومٌ أنّ ذلك لم يقع بعدُ، فلا بدَّ من وقوعه، فإنّ الله تعالى لا يخلف الميعاد، فظاهر الآية نصٌّ في الرّجعة، ويدلّ على ذلك الأحاديث الكثيرة، منها ما ورد في:

① حدثني أبي، عن النّضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن سنان قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **أوّل مَن سبق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قال ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء له بالأمان على أنْ ينصروا أمير المؤمنين، فقال:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ... ﴿٨١﴾ ﴾ **يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله** ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ... ﴿٨١﴾ ﴾ **يعنى أمير المؤمنين صلوات الله عليه تخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمة** »[2].

② في تفسير العياشي، عن حبيب السجستاني قال: سألتُ مولانا الإمام أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ... ﴿٨١﴾ ﴾ فكيف

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٤ ص٦٠٦ ح٦٤.

(٢) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٣٥٨ ح٢١١.

يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه؟ وكيف يؤمن عيسى بمحمد صلى الله عليه وآله وينصره ولم يدركه؟ فقال: « **يا حبيب، إن القرآن قد طُرِحَ منه آيٌ كثيرة، ولم يُزَدْ فيه إلاّ حروفٌ أخطأتْ بها الكَتَبَةُ، وتوهَّمَتْهَا الرِّجالُ، وهذا وَهْمٌ فاقرأها:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ... ﴿٨١﴾ ﴾ **هكذا أنزلها الله يا حبيب، فوالله ما وَفَتْ اُمَّةٌ من الأمم التي كانت قبل موسى بما أخذه اللهُ عليها من الميثاق لكلّ نبيٍّ بعثه الله بعد نبيّها، وذكر عليه السلام كلاماً طويلاً في تكذيب الأمم أنبيائها تركناه خوف الإطالة** »[1].

③ عن فيض بن أبي شيبه قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: وتلا هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ... ﴿٨١﴾ ﴾ إلى آخر الآية قال: « **لتؤمنن برسول الله ولتنصرن أمير المؤمنين** »، قلت: ولتنصرن أمير المؤمنين؟ قال: « **نعم من آدم فهلمّ جَرّا، ولا يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلاّ رَدَّ إلى الدّنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين** »[2].

④ عن سلام بن المستنير عن أبي عبد الله عليه السلام: قال « **لقد تسموا باسم ما سمى الله به أحدا الاعلى بن أبي طالب عليهما السلام. وما جاء تأويله** »، قلت جعلت فداك متى يجئ تأويله؟ قال « **إذا جاءت جمع الله إمامة النبيين والمؤمنين حتى ينصروه، وهو قول الله عز وجل:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ... ﴿٨١﴾ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ **فيومئذ يدفع راية رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء إلى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام فيكون أميرَ الخلايق كلّهم أجمعين، يكون الخلايق كلّهم تحت لوائه، ويكون هو أميرهم فهذا تأويله** »[3].

---

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٣٥٨ ح٢١٢.

(٢) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٣٥٨ ح٢١٣.

(٣) راجع (تفسير نور الثقلين) ج١ ص٣٥٨ ح٢١٤.

الآية الخامسة عشرة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ.

مورد الآية هم أصحاب النّار حيث يصطرخون من العذاب، ويستغيثون ويطلبون من الله تعالى أنْ يخرجهم من النّار بدليل قولهم: ﴿ فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾، وظاهرها الإعتراف منهم بما فعلوه، لذا توسلوا لكي يخصلّهم من العذاب، ولات حين مناص، وذلك أنهم كانوا - وهم في الدّنيا - في ريبٍ من البعث والرّجوع إلى الله تعالى فأنكروه ونسوا يوم الحساب، وكان نسيان ذلك سبباً في استرسالهم في الذنوب وذهابهم لوجوههم في المعاصي، ونسيان يوم الحساب مفتاح كلّ معصية وضلالٍ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ سُورَةُ صٓ.

ثمّ لمّا أماتهم الله تعالى إماتةً بعد إماتة، وأحياهم إحياءة بعد إحياءة زال ارتيابهم في أمر البعث والرّجوع إلى الله بما عاينوا من البقاء بعد الموت والحياة بعد الحياة، وقد كانوا يرون أنّ الموت فناء، ويقولون إنْ هي إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين[1].

فقد جاء في الأخبار المفسِّرة للآية أنّ أحد الإحياءين إنما هو في الرّجعة؛ فعن عليّ بن إبراهيم عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ، قال: « **هو خاصّ لأقوامٍ في الرّجعة بعد الموت، فتجري في القيامة، فبعداً للقوم الظالمين** »[2][3].

طبقاً لهذين الخبرين، يكون الإحياءان على نحوين:

---

(١) راجع (تفسير الميزان) ج١٧ ص٣١٣.

(٢) راجع (تفسير البرهان) ج٤ ص٧٤٩ ح٩٣٢٨.

(٣) إشارة عرفانية: لعلّ الإماتتين والإحياءين داخلان في فلسفة السجدتين في كلّ ركعة؛ إذ إنّ رفع الرّأس من السّجود إشارة إلى الاحياء في القبر ثمّ وضعه على التراب إشارة إلى الموت، ثمّ رفعه ثانيةً إشارة إلى الرّجعة ثمّ وضعه إشارة إلى الموت، ثمّ القيام إلى الرّكعة الثانية إشارة إلى يوم الحساب.

الإحياء الأوّل: الإحياء في القبر للمساءلة والحساب.

الإحياء الثاني: الإحياء في الرّجعة.

كما تكون الإماتة على نحوين أيضاً:

النحو الأوّل: الإماتة بعد الإحياء في القبر.

النحو الثاني: الإماتة بعد الحياة في الرّجعة.

فالممحَّضون في الكفر، يُرجَعون في الرّجعة لاستكمال عذابهم، ويوم القيامة لّما يروا العذاب الشّديد المضاعَف، يتمنّون الرّجوع إلى الدّنيا - كرجوعهم يوم الرّجعة - ليعملوا بما أمر الله تعالى، لكنّ ذلك بعيدٌ لأنّه لا يومَ آخر يرجع فيه المكلَّف إلى الدّنيا بعد يوم القيامة ليعمل بما أمر الله تعالى، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾ سُورَةُ السَّجْدَةِ.

تفسير آخر للآية:

ثمّة تفسير آخر للآية لعلّه من بطون الرّوايتين المتقدِّمتين؛ فيُحمَل الإحياء على نحوين:

الإحياء الأوّل: الإحياء في القبر، والرّجعة من متممات هذا الإحياء.

الإحياء الثاني: يوم القيامة.

وأمّا الإماتة فعلى نحوين أيضاً:

الإماتة الأولى: الإماتة في الدّنيا.

الإماتة الثانية: الإماتة في القبر بعد الإحياء للمساءلة، أو الإماتة بعد الرّجعة.

ويشهد لهذه الآية - وأنّها دالّة على الرّجعة - الآية السّادسة عشرة.

الآية السّادسة عشرة: قولهﷻ: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

وجه الاستدلال أنه أثبت الإحياء مرّتين، ثمّ قال بعدهما: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾؛ والمراد به القيامة قطعاً، والعطف خصوصاً بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ ظاهر في المغايرة، فالاحياء

الثاني إمّا الرّجعة أو نظيرٌ لها.

وبالجملة فإنّ في الآية الكريمة دلالة على وقوع الإحياء قبل القيامة بعد الموت.

ولا بأس هنا أنْ نذكر حديثاً رائعاً حول عذاب القبر ونعيمه؛ كما جاء ذكره في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو كالآتي[1]:

(قيل له: يا ابن رسول الله ففي القبر نعيم، وعذاب؟.

قال: « **إي، والذي بعث محمَّداً صلى الله عليه وآله بالحق نبيّاً، وجعله زكيّاً هادياً، مهدِياً، وجعل أخاه عليّاً عليه السلام بالعهد وفيّاً، وبالحقّ مليّاً ولدى الله مرضيّاً، وإلى الجهاد سابقاً، ولله في أحواله موافقاً، وللمكارم حائزاً، وبنصر الله على أعدائه فائزاً، وللعلوم حاوِياً، ولأولياءِ اللهِ مُوَالِيَاً، ولأعدائه مناوِياً، وبالخيرات ناهِضاً، وللقبائح رافضاً وللشّيطان مُخْزِياً، وللفَسَقَةِ المَرَدَةِ مُقْصِياً، ولمحمَّد صلى الله عليه وآله نفساً، وبين يديه لدى المكاره تِرْسَاً وجُنَّة.**

آمنت به أنا، وأبي عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، عبدُ ربِّ الأرباب، المفضَّل على أولي الألباب، الحاوي لعلوم الكتاب، زين مَن يوافي يوم القيامة في عرصات الحساب بعد محمَّد صلى الله عليه وآله صفي الكريم العزيز الوهّاب.

إنّ في القبر نعيماً يوفر الله به حظوظ أوليائه.

وإنّ في القبر عذاباً يشدِّد الله به على أعدائه.

إنّ المؤمن الموالي لمحمَّد وآله الطيبين، المتخذ لعليّ بعد محمَّد صلى الله عليه وآله إمامه الذي يحتذي مثاله، وسيّده الذي يصدِّق أقوالَه، ويصوِّب أفعاله، ويطيعه بطاعة مَن يندبه من أطائب ذريته لأمور الدِّين وسياسته، إذا حضره من (أمر) الله تعالى ما لا يُرَدُّ، ونَزَلَ به من قضائه ما لا يُصَدُّ، وحضره ملكُ الموت وأعوانُه، وَجَدَ عند رأسه محمَّداً صلى الله عليه وآله رسولَ الله (سيّد النبيين) من جانبٍ، ومن جانب آخر عليّاً عليه السلام سيد الوصيين، وعند رجليه من جانب الحسن

(١) راجع (التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام) ص٢١٠ ح٩٨.

عليه السلام سبط سيد النبيين، ومن جانب آخر الحسين عليه السلام سيد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبِّيهم الذين هم سادة هذه الأُمّة بعد ساداتهم من آل محمَّد، فينظر إليهم العليلُ المؤمنُ، فيخاطبهم بحيث يحجب اللهُ صوتَه عن آذان حاضريه؛ كما يحجب رؤيتَنا أهلَ البيت ورؤيةَ خواصنا عن عيونهم، ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدّة المحنة عليهم فيه.

فيقول المؤمن: بأبي أنت وأمي يا رسول ربِّ العزّة، بأبي أنت وأمي يا وصيَّ رسول (ربِّ) الرّحمة، بأبي أنتما وأمي يا شبلَيْ محمَّد وضرِغَامَيْه، و(يا) وَلَدَيْهِ وسبْطَيْهِ، و(يا) سَيِّدَيْ شباب أهل الجَنَّة المقرَّبين من الرَّحمة والرِّضوان.

مرحباً بكم (يا) معاشر خيار أصحاب محمَّد وعليّ وولديهما، ما كان أعظم شوقي إليكم! وما أشدّ سروري الآن بلقائكم!

يا رسول الله هذا مَلَكُ الموت قد حضرني، ولا أشكّ في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك منِّي.

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كذلك هو.

ثمّ يُقْبِلُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على ملك الموت فيقول: يا ملك الموت استوصِ بوصيّة الله في الاحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبِّنا ومؤثرنا.

فيقول (له) ملك الموت: يا رسول الله مُرْهُ أن ينظرَ إلى ما قد أعدَّ (اللهُ) له في الجنان.

فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنظر إلى العلو.

فينظر إلى ما لا تحيط به الألباب ولا يأتي عليه العدد والحساب.

فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمَّد وعترته زوّاره؟ يا رسول الله لولا أنّ الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلاّ مَن قطعها، لما تناولتُ روحَه، ولكنْ لخادمك ومحبّك هذا أسوة بكَ وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أذيقوا الموت بحكم الله تعالى.

ثم يقول رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم: يا ملك الموت هاك أخانا قد سلمناه إليك

فاستوصِ به خيراً. ثم يرتفع هو ومَن معه إلى روض الجنان، وقد كشف عن الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه. فيقول: يا ملك الموت الوحا، الوحا، تناولْ روحي ولا تلبثني ههنا، فلا صبر لي عن محمَّد وعترته وألحِقْنِي بهم.

فعند ذلك يتناول ملكُ الموتِ رُوْحَهُ فيسلّها، كما يسلّ الشَّعرة من الدّقيق، وإنْ كنتم ترون أنه في شدّة فليس في شدة، بل هو في رخاءٍ ولذّة.

فإذا أدخل قبره وجد جماعتنا هناك، فإذا جاء منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمَّد، و(هذا) عليّ والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا فلنتّضع لهم.

فيأتيان ويسلمان على محمَّد صلى الله عليه وآله سلاماً (تامّاً) منفرداً، ثم يسلِّمان على عليّ عليه السلام سلاماً تامّاً منفرداً، ثم يسلِّمان على الحسن والحسين عليهما السلام سلاماً يجمعانهما فيه، ثم يسلِّمان على سائر مَن معنا مِن أصحابنا.

ثم يقولان: قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصّتك لخادمك ومولاك، ولولا أنّ اللهَ يريدُ إظهارَ فَضْلِهِ لِمَن بهذه الحضرة من أملاكه - ومَن يسمعنا من ملائكته بعدهم - لَمَا سألناه، ولكنَّ أمرَ الله لا بُدَّ من امتثاله.

ثم يسألانه فيقولان: مَن ربُّكَ؟ وما دِيْنُكَ؟ ومَن نَبِيُّكَ؟ ومَن إمَامُكَ؟ وما قِبْلَتُكَ؟ ومَن إخْوَانُكَ؟ فيقول: الله ربّي، ومحمَّد نبيّي؟؟، وعليّ وصيُّ محمَّدٍ إمامي، والكعبة قِبْلَتِي، والمؤمنون الموالون لمحمَّد وعليّ (وآلهما) وأوليائهما، والمعادون لأعدائهما إخواني.

(و) أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله وأنّ أخاه علياً ولي الله، وأنّ مَن نصبهم للإمامة من أطائب عترته وخيار ذريته خلفاء الأمة وولاة الحق، والقوّامون بالعدل.

فيقول: على هذا حَيِيْتَ، وعلى هذا مُتَّ، وعلى هذا تُبْعَثُ إنْ شاء الله تعالى، وتكون مع مَن تتولاّه في دار كرامة الله ومستقر رحمته.

قال رسول الله ﷺ: وإنْ كان لأوليائنا معادياً، ولأعدائنا موالياً، ولأضدادنا بألقابنا ملقباً، فإذا جاءه ملك الموت لنَزْعِ رُوْحِهِ.

مثّل الله ﷻ لذلك الفاجر سادته الذين اتَّخَذَهم أرباباً من دون الله، عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه، ولا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به.

فيقول له ملك الموت: (يا) أيها الفاجر الكافر تركتَ أولياءَ الله إلى أعدائه فاليوم لا يغنون عنكَ شيئاً، ولا تجد إلى مناصٍ سبيلاً.

فيَرِدُ عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم.

ثم إذا أدلي في قبره رأى بابا من الجنة مفتوحاً إلى قبره يرى منه خيراتها، فيقول (له) منكر ونكير: انظر إلى ما حرمته من (تلك) الخيرات. ثم يفتح له في قبره باب من النار يدخل عليه منه (من) عذابها. فيقول: يا رب لا تُقِمِ السَّاعةَ، (يا ربّ) لا تُقِمِ السّاعةَ ».

الآية السّابعة عشرة: قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴿٣١﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ.

والآية تشير إلى إمكان وقوع رجعة الأموات وإحيائهم بواسطة بعض آيات القرآن الكريم، وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف، والمعنى: لو أنّ قرآناً سُيِّرَت به الجبال؛ أي ذهبت من مواضعها وقُلِعَت من أماكنها، وكلّم به الموتى؛ أي أحيى به الموتى حتي يعيشوا ويتكلموا، لَمَا آمَنوا[1].

ومنهم مَن قال: إنّ السّبب في حذف جواب ﴿ لَوْ ﴾ هو أنّ في الكلام دليلاً عليه، والتقدير: لكان هذا القرآن لعظم محلّه وعلوّ أمره وجلالة قدره، فالمعنى هكذا: لو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال.. لكان هذا القرآن.

وروى المحدِّث الجليل الكليني رحمه الله في حديثٍ أنهم قالوا: « **عندنا هذا القرآن**

(١) راجع (مجمع البيان) ج٦ ص٣١.

الذي تسيَّر به الجبال وتقطع به الأرض ويكلّم به الموتى » ؛ وإليكَ أخي القارئ تميماً للفائدة ولمزيد من الأجر والثواب إنْ شاء الله تعالى :

(عن محمَّد بن يحيى ، عن أحمد بن أبي زاهر ، أو غيره ، عن محمَّد بن حماد ، عن أخيه أحمد ابن حماد ، عن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين كلّهم؟ قال : نعم ، قلت : من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال : ما بعث الله نبيّاً إلاّ ومحمَّد صلى الله عليه وآله أعلم منه ، قال : قلت : إنّ عيسى ابن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله ، قال : صدقتَ وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل ، قال : فقال : إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره : ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ ، حين فقده ، فغضب عليه فقال : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْلَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ ، وإنّما غضب لأنه كان يدلّه على الماء ، فهذا - وهو طائر - قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الرّيح والنّمل والإنس والجنّ والشياطين (و) المردة له طائعين ، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء ، وكان الطّير يعرفه وإنّ الله يقول في كتابه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ... ﴿٣١﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ ، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان ، وتحيى به الموتى ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء ، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون ، جعله الله لنا في أم الكتاب ، إن الله يقول : ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... ﴿٣٢﴾ ﴾ سُورَةُ فَاطِرٍ ، فنحن الذين اصطفانا الله عزّ وجلّ وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شئ)[1].

الآية الثامنة عشرة : قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي

---

(١) راجع (الكافي) ج١ ص٢٢٦ ح٧.

ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.

الآية فيها دلالة على رجعة الأئمّة عليهم السلام بعد موت سيّدنا الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف كما جاء ذلك في الأخبار المفسِّرة للآية الشّريفة، وليس في الآية أو في الأخبار دلالة على أنّ الذي يجوس ديارَ بني إسرائيل غير الإمام المهديّ عليه السلام[1] وأصحابه يوم ظهوره الشّريف، نعم ورد خبرٌ واحدٌ رواه الكليني في (الأصول) يشير إلى أنّ الله تعالى يبعث قوماً قبل خروج القائم عجل الله فرجه الشريف فلا يدعون وتراً لآل محمّد إلاّ قتلوه[2]، لكنّ الفقرة المذكورة في الخبر لا تدلّ على المطلوب وذلك لأمرين:

الأمر الأول: لو كان هؤلاء غير الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وأصحابه، لكان الفشلُ حليفهم بقرينة قوله تعالى في نفس السّورة: ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الأمرَ، وأظهرناكم عليهم، وعاد ملككم حسبما أشار الطبرسي في المجمع.

وتَغَلُّب غير الإمام المعظم المهدي الموعود عليه السلام وأصحابه على اليهود – بحسب الفهم السّائد اليوم – يستلزم فشل هؤلاء بعد انتصارهم الأوّل، وهذا ما لا يوافقون عليه بل يفسِّقون ويكفِّرون كلَّ مَن يعتقد بذلك.

الأمر الثاني: لو كان هؤلاء غيرَ الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وأصحابه لَبَطُلَ دور الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف يومَ الظّهور الشّريف في القضاء على المعاندين من بني إسرائيل وغيرهم من المخالفين حسبما جاء في الأخبار المتواترة.

فدعوى أنّ اللبنانيين بمؤازرة الإيرانيين سيقضون على اليهود دعوى بلا دليل، بل هي أشبه بالاجتهاد في مقابل النّصوص والأخبار.

فالصّحيح أنّ الّذين يجوسون خلال الدّيار هم أصحاب الإمام المعظم الحجة

(١) كما يروِّج اليوم جماعةٌ أنّ إيران وأعوانها في لبنان سيقضون على إسرائيل قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.
(٢) راجع (نور الثقلين) ج٣ ص٢٣٨ ح٧٧.

القائم المهدي عجل الله فرجه يومَ ظهوره الشّريف بقيادته المباركة عليه السلام، فقد جاء في الصّحيح عن حمران عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال حمران: إنّ الإمام عليه السلام كان يقرأ: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ثمّ قال: « **وهو القائم وأصحابه أولي بأسٍ شديد** »[1].

بل في أخبارٍ أخرى صحيحة أنّ الإفسادَين قد تَمّا، وأنّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قد جاس ديار اليهود من أُمَّة محمدٍ صلى الله عليه وآله، فقد جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم نقلاً عن المعصوم عليه السلام قال: « **وخاطب الله تعالى أمّةَ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله فقال:** ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ **يعني فلاناً وفلاناً وأصحابهما ونقضهم العهدَ،** ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ ﴾ **يعني ما ادّعوه من الخلافة،** ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ **يعني يوم الجمل،** ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ **يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه وأصحابه،** ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾ **أي طلبوكم وقتلوكم،** ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ﴾ **يتمّ ويكون،** ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ **يعني لبني أميّة على آل محمَّد،** ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾ **من الحسن والحسين ابني عليّ عليهما السلام وأصحابهما وسبوا نساء آل محمَّد** »[2].

وجاء في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن الإمام جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: « **ايّها النّاس... سلوني قبل أنْ تفقدُوني، فإنّ بين جوانحي عِلْماً جَمّاً، فسلوني قبل أنْ تشغر برجلها فتنة شرقيّة تطأ في خطامها، ملعونٌ ناعقها ومُوليها وقائدها وسائقها والمتحرز فيها، فكم عندها من رافعة ذيلها يدعو بويلها دجلة أو حولها، لا مأوى يكنها ولا أحد يرحمها، فإذا استدار الفلك قلتم مات أو هلك وبأيّ وادٍ سلك، فعندها توقّعوا الفَرَجَ، وهو تأويل هذه الآية:** ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ

(١) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص١٣٨ح٨٠، نقلاً عن تفسير العياشي.

(٢) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص١٣٨ح٨١.

وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾، **والّذين فلق الحبّة وبرئ النسمة ليعيش إذ ذاك ملوك ناعمين؛ ولا يخرج الرّجل منهم من الدّنيا حتى يولد لصلبه ألف ذَكَرٍ، آمنين من كلّ بدْعةٍ وآفة والتنْزيل، عاملين بكتاب الله وسُنّة رسوله قد اضمحلّتْ عليهم الآفات والشّبهات** »[1].

وجاء في خبر رفاعة بن موسى قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ أوّل مَن يكرّ إلى الدّنيا الحسين بن عليّ عليهما السلام ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذّة بالقذّة** » ثمّ قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[2].

وجاء أيضاً في التفسير عينه عن عليّ بن إبراهيم متّصلاً بآخر تفسيره المتقدِّم أعني قوله: وسبوا نساء آل محمَّد ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ... ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ، يعني يسود وجوههم، ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وأميرالمؤمنين صلوات الله عليه، ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ أي يعلو عليكم فيقتلوكم؛ ثمّ عطف على آل محمّد عليهم السلام فقال: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ ﴾ أي ينصركم على عدوّكم ثمّ خاطب بني أميّة فقال: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ ﴾ يعني إنْ عدتم بالسّفياني عدنا بالقائم من آل محمَّد صلوات الله عليهم، ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ أي حبساً يُحصَرُون فيها، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى ﴾ أي يبيّن، ﴿ لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني آل محمَّد صلوات الله عليهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[3].

رواية الكافي ليست دليلاً على ما يريده البعض!!

إعتمد بعض المغرورين أنّ فصائل شيعية لبنانية هي الموعودة في سورة الإسراء،

---

(١) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص١٣٩ح٨٢.

(٢) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص١٣٩ح٨٣.

(٣) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص١٤٠ح٨٥.

وها نحن نعرض الرّواية على القارئ ثمّ نعالجها بما يتوافق مع الأصول عندنا ؛ ففي (الكافي) بسنده عن سهل بن زياد عن محمّد بن الحسن بن شمون عن عبد الله بن عبد الرّحمن عن عبد الله بن القاسم البطل عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ قال: « **قتل عليّ بن أبي طالب وطعن الحسن** عليهما السلام، ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ **قال: قتل الحسين** عليه السلام، ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ **فإذا جاء نصر دم الحسين** عليه السلام، ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ **قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً لآل محمّد** صلى الله عليه وآله **إلاّ قتلوه،** ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ **خروج القائم** عليه السلام، ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ **خروج الحسين** عليه السلام **في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّب لكلّ بيضة وجهان المؤدّون إلى النّاس أنّ هذا الحسين قد خرج، ولا يشكّ المؤمنون فيه، وإنّه ليس بدجّال، ولا شيطان، والحجّة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرّتْ المعرفة في قلوب المؤمنين أنّه الحسين** عليه السلام **جاء الحجّةَ الموتُ فيكون الّذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحده في حفرته الحسين بن عليّ** عليهما السلام، **ولا يلي الوصيَّ إلاّ الوصيّ** »[1] .

فالشّاهد في الرّواية هو قوله عليه السلام: « **قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم...** ». وقد تقدَّم منّا المحذوران المترتِّبان على القول بأنّ هؤلاء القوم هم غير الإمام المهديّ عليه السلام، مضافاً إلى أنّ الدّعوى المذكورة مناهِضة لِمَا تقدّم من الأخبار التي عرضنا قسماً منها، مع التأكيد على أنّ مفهوم ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ ذو مغزى عميقٍ يدلّ على كمال العبوديّة عند هؤلاء الذين سيجوسون خلال الدّيار، وهو غير متحقّق بغير الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه الأبدال والنجباء والصّلحاء الذين لا يرون شريكاً لإمام زمانهم، أمّا ما نراه اليوم فإنّ أكثر النّاس، بل كلّهم - إلاّ ما خرج بالدّليل - أشركوا مع طاعة الإمام عليه السلام طاعة الفقيه، بل جعلوا طاعة الفقيه أو العالم المنعم

(١) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص١٣٨ ح٧٧.

عليهم بالسّلطة والمال مقدَّماً على الأولياء وحتى الأنبياء والأوصياءعليهم السلام .

وإذا لم نأخذ بالأخبار التي قدّمنا شطراً منها ، فإنّ ذلك يستلزم التالي :

أوّلا: طرح الأخبار الكثيرة من أجل خبر واحد يؤوَّل على غير ما يريدون، وطرح الأخبار غير جائز بالإجماع.

ثانيا: على فرض كون العباد الذين جاسوا خلال الدّيار هم جماعة قبل الظّهور، فلا يدلّ على فضيلة لهم، من هنا قال الطبرسي صاحب المجمع : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ...﴾ أي سلّطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوّة ونجدة وخلّينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءاً على كفركم وعتوّكم وهو مثل قوله: ﴿ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ[1] .

ثالثا: إنّ الدّعوى المذكورة بالفقرة المستدلّ بها على ذلك، تُخرِج الإمامَ المعظم القائم المهديعليه السلام وأصحابه من ميدان قتال اليهود والقضاء عليهم، فإذا كان بعضُ المؤمنين قبل ظهور الإمامعليه السلام سيقضي على اليهود، فأيّ دور - إذاً - سيكون للإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره؟!! لا سيّما أنّ الأخبار أكَّدَتْ أنّهعليه السلام هو الوحيد الّذي يقضي على المنافقين والكافرين ومنهم اليهود المعاندين لا المسالمين له والمؤمنين بدعوته لبسط العدل ورفع الجور، فلا تخصيص لقتالهعليه السلام، بمعنى أنّه لا يوجد أيّ خبر يُخرج الإمامَ المهديّعليه السلام من قتال اليهود الجاحدين لولايته؛ بل العكس هو الصّحيح، إذ أكّدَت الأخبارُ أنّ الإمام القائم (عليه السَّلام وأرواحنا لتراب مقدمه الفداء) يقضي عليهم ويُصلّي إماماً في القدس وعيسى النبيّ يكون مأموماً وراءه.

وبالجملة: فإنّ الذي يقضي على اليهود هو الإمام المعظم القائم المهديّعجل الله تعالى فرجه الشريف حصريّاً، ولا أحد سواه يحرِّر بيتَ المقدِس...

وعليه فيكون الإفسادان قد تمّا أو مضيا، ونحن بانتظار الضّربة القاضية عليهم بواسطة الإمام الحجّة بن الحسن المهديّعجل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) راجع (نور الثّقلين) ج٢ ص١٧٥.

فسواء أكان الإفسادان مضيا قبل الإسلام أو بعده، وسوآء أكانت الضّربتان مضتا قبل الإسلام أم بعده فإنّ كلّ ذلك تخرص ورجم بالغيب، ولا شاهد عليه من نصٍّ أو خبرٍ، وكذا يفسد ما ورد في الضربة الأولى على بني إسرائيل التي ادَّعُيَ أنها وقعت بيد المسلمين أيّام عمر بن الخطّاب عندما فتح القدس، والإفساد الثّاني تمّ في عصرنا، ولكنّ الضّربة سوف تكون على يد العرب والمسلمين فسيسترجعون منهم الأرض السّليبة... وتابع هذا الفريق بقوله: إنّ هذا المعنى هو المراد في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ... ٧ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ، أي أنّ العرب والمسلمين يحرِّرون المسجد الأقصى في المستقبل من إسرائيل الحاليّة كما حرّره المسلمون من قبل...إلخ.

أقول كما قال الشيخ مغنيّة[1]: « **ولا مصدر لهذا التفسير إلاّ العاطفة والتنبؤات التي يجب تنْزيه القرآن عنها؛ لأنّه كتاب عِلْمٍ ونورٍ من الله يكشف عن السّنن والقوانين الكونيّة التي لا تتغيّر ولا تتبدّل، وتُطرد في جميع الكائنات من الذرّة الصغيرة إلى المجرّات الكبيرة... وفي الوقت نفسه يحمّل القرآن كلَّ فرد مسؤوليّة العمل والجهاد والحساب عليه أمام الله والضّمير والناس أجمعين** ».

الآية التّاسعة عشرة: قوله عز وجل: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ.

روى عليّ بن إبراهيم وغيره أنّ قومه ضربوه على قرنه فمات خمسمئة سنة، ثمّ أحياه الله تعالى وبعثه إليهم، فضربوه على قرنه الآخر، فأماته الله خمسمئة عام ثمّ أحياه وبعثه إليهم فملّكه الأرض.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه نقل حديث ذي القرنين ثمّ قال: « **وفيكم مثله** » يعني نفسه الشّريفة.

فمع ضميمة الأحاديث الدّالة على أنّ ما كان في الأمم السّابقة يكون مثله في هذه

---

(١) راجع (تفسير الكاشف) ج٥ ص١٩.

الأمّة، يتمّ الاستدلال على صحّة الرّجعة بقصّة ذي القرنين وأمثالها.

وسنروي لكَ أخي القارئ قصة ذي القرنين وعين الحياة التي كان يبحث عنها، ويتّضح من خلال القصّة سبب بحثه عنها، وهي كالآتي[1]:

فعن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سأل عن ذي القرنين؟ قال عليه السلام: « **كان عبداً صالحاً واسمه عيّاش، اختاره الله وابتعثه إلى قرنٍ من القرون الأولى في ناحية المغرب وذلك بعد طوفان نوح، فضربوه على قرن رأسه الأيمن فمات منها، ثم أحياه الله بعد مائة عام، ثم بعثه الله إلى قرنٍ من القرون الأولى في ناحية المشرق، فكذبوه وضربوه ضربةً على قرنِ رأسه الأيسر فمات منها، ثم أحياه الله بعد مائة عام وعوضه من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين، أجوفين وجعل عين ملكه وآية نبوته في قرنيه. ثم رفعه إلى السّماء الدنيا فكشط له عن الأرض كلّها جبالها وسهولها و فجاجها، حتى أبصر ما بين المشرق والمغرب، وآتاه الله من كلّ شيءٍ يعرف به الحقّ والباطل، وأيّده في قرنيه بكشف من السّماء فيه ظلمات ورعد وبرق، ثم أهبط إلى الأرض وأوحى إليه: أنْ سرْ في ناحية غربي الأرض وشرقيها، فقد طوَيْتُ لكَ البلادَ، وذَلَّلْتُ لك العبادَ فأرهبتُهم منكَ.**

فسار ذو القرنين إلى ناحية المغرب، فكان إذا مَرَّ بقريةٍ زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب فينبعث من قرنه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ وصواعقُ تُهْلِكُ مَن ناواه وخَالَفَهُ، فلم يبلغ مغرب الشمس حتى دان له أهلُ المشرق والمغرب، قال: وذلك قول الله: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ... ﴿٨٧﴾ ﴾ **ولم يؤمن بربه فسوف يعذبه في الدنيا بعذاب الدنيا** ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ ﴾ **في مرجعه** ﴿ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ **إلى قوله** ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

(١) راجع (نور الثّقلين) ج٣ ص٢٩٧ ح٢١٥.

ثُمَّ أَتۡبَعَ ﴾ **ذو القرنين من الشمس** ﴿ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **إنّ ذا القرنين لمّا انتهى من الشمس إلى العين الحامية وجد الشّمسَ تغرب فيها ومعها سبعون ألف يجرونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرونها من قعر البحر في قطر الأرض الأيمن، كما تجرى السفينة على ظهر الماء فلما انتهى معها إلى مطلع الشمس سبباً** ﴿ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ ﴾ **إلى قوله** ﴿ بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرًا ﴿٩١﴾ ﴾ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « **إنّ ذا القرنين ورد على قوم قد أحرقتهم الشمس وغيرت أجسادهم وألوانهم حتى صيرتهم كالظُّلمة ثم اتبع ذو القرنين سَبَبَاً في ناحية الظُّلمة** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمًا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ ﴾ **خلف هذين الجبلين وهم يفسدون في الأرض، إذا كان إبان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السّدَّين فرعوا من ثمارنا وزرعنا حتى لا يبقون منها شيئاً** ﴿ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا ﴾ **نؤديه إليك في كل عام** ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ... ﴿٩٧﴾ ﴾.

قال عليه السلام: « **فاحتفر له جبل حديد فقلعوا له أمثال اللبن، فطرح بعضهم على بعض فيما بين الصدفين، وكان ذو القرنين هو أول من بنى ردماً على الأرض ثم جعل عليه الحطب وألهب فيه النّار، ووضع عليه المنافخ فنفخوا عليه، فلمّا دأب قال: إيتونى بقطر وهو المس الأحمر، قال: فاحتفروا له جبلاً من مسّ فطرحوه على الحديد فذاب معه واختلط به، قال:** ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ **يعنى يأجوج ومأجوج،** ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾ »؛ إلى هنا رواية علي بن الحسين، ورواية محمد بن نضر:

وزاد جبرئيل بن أحمد في حديثه عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: « ﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ... ﴿٩٩﴾ ﴾ **يعنى يوم القيامة، وكان ذو القرنين عبداً صالحا، كان من الله بمكان نصح الله فنصح**

له، وأحبَّ الله فأحبّه، وكان قد سبَّب له في البلاد ومكَّنَ له فيها حتى مَلَكَ ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليلٌ من الملائكة يقال له: رقائيل ينْزِل إليه فيحدّثه ويناجيه، فبينا هو ذات يوم عنده إذ قال له ذو القرنين: يا رقائيل كيف عبادة أهل السّماء؟ وأين هي من عبادة أهل الأرض؟ فقال: أمّا عبادة أهل السّماء؛ ما في السّماوات موضع قدم إلاّ وعليه مَلَكٌ قائمٌ لا يقعد أبداً، أو راكعٌ لا يسجد أبداً، أو ساجِدٌ لا يرفع رأسه أبداً، فبكى ذو القرنين بكاءاً شديداً وقال: يا رقائيل إنّي أحب أنْ أعيش حتى أبلغ من عبادة ربّى وحقِّ طاعته بما هو أهله، فقال له رقائيل: يا ذا القرنين إنّ لله في الأرض عيناً تُدْعَى عين الحياة، فيها عزيمة من الله أنّه مَن يشرب منها لم يمت حتى يكون هو يسئل الله الموت، فإنْ ظفرتَ بها تعيش ما شئت قال: وأين ذلك العين وهل تعرفها؟ قال: لا، غير أنّا نجد في السّماء أنّ لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنسٌ ولا جان، فقال ذو القرنين: وأين تلك الظُّلمة؟ قال رقائيل: ما أدرى، ثم صعد رقائيل، فدخل ذا القرنين حزنٌ طويلٌ من قول رقائيل وممِّا أخبره عن العين والظُّلمة، ولم يخبره بعِلْمٍ ينتفع به منهما.

فجمع ذو القرنين فقهاء أهل مملكته وعلمائهم وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة، فلمّا اجتمعوا عنده قال ذو القرنين: يا معشر الفقهاء وأهل الكتب وآثار النبوّة هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله أو من كتب مَن كان قبلكم من الملوك أنّ لله عيناً تُدعَى عين الحياة، فيها من الله عزيمة أنّه مَن يشرب منها لم يمت حتى يكون هو الذي يسئل الله الموت؟ قالوا: لا يا أيها الملك، قال: فهل وجدتم فيما قرأتم من الكتب أنّ لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنسٌ ولا جان؟ قالوا: لا أيها الملك، فحزن عليه ذو القرنين حزناً شديداً وبكى إذ لم يخبر عن العين والظُّلمة بما يحب، وكان فيمن حضره غلامٌ من الغلمان من أولاد الأوصياء، أوصياء الأنبياء، وكان ساكتاً لا يتكلم، حتى إذا أيس ذو القرنين منهم قال له الغلام: أيها الملك إنّك تسئل هؤلاء عن أمرٍ

ليس لهم به عِلْمٌ، وعِلْم ما تريد عندي، ففرح ذو القرنين فرحاً شديداً حتى نزل عن فراشه وقال له: اُدْنُ مِنِّي، فدنا منه، فقال: أخبرني، قال: نعم أيها الملك إنّي وجدتُ في كتاب آدم الذي كتب يوم سمى له ما في الأرض من عين أو شجر، فوجدتُ فيه أنّ لله عيناً تُدعَى عين الحياة فيها من الله عزيمة أنّه مَن شرب منها لم يمت حتى يكون هو الذي يسئل الله الموت، بظلمة لم يطأها إنسٌ ولا جان، ففرح ذو القرنين، وقال: اُدْنُ مِنِّي يا أيها الغلام، تدرى أين موضعها؟ قال: نعم، وجدتُ في كتاب آدم أنّها على قرن الشمس يعنى مطلعها.

ففرح ذو القرنين وبعث إلى أهل مملكته فجمع أشرافهم وفقهاءهم وعلماءهم و أهل الحكم منهم، فاجتمع إليه ألف حكيم وعالم وفقيه، فلمّا اجتمعوا إليه تهيّأ للسّير، وتأهّب له بأعدّ العدّة وأقوى القوّة، فسار بهم يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال والفيافي والأرضين والمفاوز، فسار اثنى عشر سنة حتى انتهى إلى طرف الظُّلمة، فإذا هي ليست بظلمة الليل ولا دخان، ولكنها هواء يفور فسد ما بين الأفقين، فنَزَلَ بطرفها، وعَسْكَرَ عليها، وجمع علماء أهل عسكره وفقهائهم وأهل الفضل منهم، فقال: يا معشر الفقهاء والعلماء إنّي أريد أنْ أسلك هذه الظُّلمة فخرّوا له سجَّداً، وقالوا: يا أيها الملك إنّكَ لتطلب أمراً ما طلبه ولا سلكه أحدٌ كان قبلكَ من النبيِّين والمرسَلين، ولا من الملوك؟ قال: إنه لا بد لي من طلبها، قالوا: أيها الملك إنّا لنعلم أنّك إذا سلكْتَها ظفرت بحاجتك منها بغير عنت عليكَ لأمرنا ولكنّا نخاف أنْ يعلق بك منها أمرٌ يكون فيه هلاك مُلْكِكَ وزوالُ سلطانكَ وفسادُ مَن في الأرض، فقال: لا بد من أن أسلكها، فخرّوا سُجَّداً وقالوا: إنّا نتبرء إليكَ مما يريد ذو القرنين.

فقال ذو القرنين: يا معشر العلماء أخبروني بأبصر الدّواب؟ قالوا: الخيل الإناث البكارة أبصر الدّواب، فانتخب من عسكره فأصاب ستة آلاف فرس

إناثا أبكاراً، وانتخب من أهل العلم والفضل والحكمة ستة آلاف رجل فدفع إلى كلّ رجل وعقد لأفسحر وهو الخضر على ألف فرس، فجعلهم على مقدمته وأمرهم أنْ يدخلوا الظُّلمة، وسار ذو القرنين في أربعة آلاف وأمر أهل عسكره أنْ يلزموا معسكره اثنى عشر سنة، فان رجع هو إليهم إلى ذلك الوقت وإلاّ تفرّقوا في البلاد ولحقوا ببلادهم أو حيث شاؤوا، فقال الخضر: أيّها الملك إنّا نسلك في الظُّلمة لا يرى بعضُنا بعضاً، كيف نصنع بالضّلال إذا أصابنا؟ فأعطاه ذو القرنين خرزة حمراء كأنها مشعل لها ضوء، فقال: خُذْ هذه الخرزة فإذا أصاب بكم الضّلال فارمِ بها إلى الأرض فإنها تصيح، فإذا صاحت رجع أهل الضلال إلى صوتها، فأخذها الخضر ومضى في الظُّلمة، وكان الخضر يرتحل و ينزل ذو القرنين، فبينا الخضر يسير ذات يوم إذ عرض له وادٍ في الظُّلمة فقال لأصحابه: قفوا هذا الموضع لا يتحرَّكَنَّ أحدٌ منكم عن موضعه، ونزل عن فرسه فتناول الخرزة فرمى بها في الوادي فأبطأت عنها بالإجابة حتى ساء ظَنُّه وخاف أنْ لا يجيبه ثم أجابته، فخرج إلى صوتها فإذا هي العين بقعرها، وإذا ماؤها أشد بياضاً من اللبن وأصفى من الياقوت، و أحلى من العسل، فشرب منه ثم خلع ثيابه فاغتسل منها، ثم لبس ثيابه ثم رمى بالخرزة نحو أصحابه فأجابته فخرج إلى أصحابه وركب وأمرهم بالمسير، فساروا.

ومَرَّ ذو القرنين بعده فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظُّلمة بأربعين يوماً وأربعين ليلة ثم خرجوا بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر ولكنه نور، فخرجوا إلى أرض حمراء رملة خشخاشة فركة كان حصاها اللؤلؤ فإذا هو بقصر مبنى على طوله فرسخ، فجاء ذو القرنين إلى الباب فعسكر عليه ثم توجه بوجهه وحده إلى القصر، فإذا طائر وإذا حديدة طويلة قد وضع طرفاها على جانبي القصر، والطير أسود معلّق بأنفه في تلك الحديدة بين السماء والأرض مزموم كأنه الخطّاف أو صورة الخطاف أو شبيه بالخطاف أو

هو خطّاف، فلمّا سمع خشخشة ذي القرنين قال: مَن هذا؟ قال: أنا ذو القرنين، قال: أَمَا كفاك ما وراك حتى وصلتَ إلى حدّ بابى هذا؟ ففرق ذو القرنين فرقاً شديداً فقال: يا ذا القرنين لا تَخَفْ وأخْبِرْنِي، قال: سَلْ، قال: هل كَثُرَ بنيان الآجر والجص؟ قال: نعم، قال: فانتفض الطير وامتلأ حتى ملأ من الحديدة ثلثها، ففرق ذو القرنين، فقال: لا تَخَفْ وأخْبِرْنِي، قال: سَلْ، قال: هل كَثُرَت المعازفُ؟ قال: نعم قال: فانتفض الطير وامتلاء حتى ملاء من الحديدة ثلثيها، ففرق ذو القرنين، فقال: لا تَخَفْ وأخْبِرْنِي، قال: سَلْ، قال: هل ارتكبَ النّاسُ شهادةَ الزُّوْرِ في الأرض؟ قال نعم، فانتفض انتفاضةً وانتفخ فسَدَّ ما بين جداري القصر قال: فامتلأ ذو القرنين فرقاً منه، فقال له: لا تَخَفْ وأخْبِرْنِي، قال: سَلْ، قال: هل ترك الناس شهادةَ أنْ لا إله إلاّ الله؟ قال: لا، فانضمّ ثلثه، ثم قال: يا ذا القرنين لا تَخَفْ وأخْبِرْنِي، قال: سَلْ، قال: هل ترك النّاس الصّلاة المفروضة؟ قال: لا، قال: فانضمّ ثلثٌ آخر، ثم قال: يا ذا القرنين لا تَخَفْ وأخْبِرْنِي، قال: سَلْ، قال: هل ترك الناس الغسلَ من الجنابة؟ قال: لا، قال: فانضم حتى عاد إلى حاله الأول.

وإذا هو بدرجة مدرجة إلى أعلى القصر، قال: فقال الطير: يا ذا القرنين أسْلُكْ هذه الدرجة، فَسَلَكَهَا وهو خائفٌ لا يدرى ما هو عليه حتى استوى على ظهرها، فإذا هو بسطحٍ ممدود البصر، وإذا رجل شاب أبيض مضئ الوجه عليه ثياب بيض حتى كأنه رجل أو في صورة رجل أو شبيه بالرَّجُل أو هو رَجُل، وإذا هو رافع رأسه ينظر إلى السّماء ينظر إليها واضعٌ يده على فيه، فلمّا سمع خشخشة ذي القرنين قال: مَن هذا؟ قال: أنا ذو القرنين، قال: يا ذا القرنين أَمَا كفاكَ ما وراك حتى وصلت إليّ؟ قال ذو القرنين: مالي أراك واضعاً يدكَ على فيك؟ قال: يا ذا القرنين أنا صاحب الصُّوْرِ، وإنّ الساعة قد اقتَرَبَتْ وأنا أنتظر أنْ أومر بالنَّفْخِ فانفخ، ثم ضرب بيده فتناول حجراً فرمى به إلى ذي القرنين كأنه حجراً أو شبه حجر أو هو حجر، فقال:

يا ذا القرنين خُذْ هذا، فانْ جاءَ جِعْتَ وإنْ شَبِعَ شَبِعْتَ فارجِعْ فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتى خرج به إلى أصحابه فأخبرهم بالطّير وما سأله عنه وما قال له، وما كان من أمره، وأخبرهم بصاحب السّطح وما قال له وما أعطاه، ثم قال لهم: إنّه أعطاني هذا الحجر وقال لي: إنْ جاع جِعْتَ، وإنْ شَبِعَ شَبِعْتَ، وقال: أخبروني بأمر هذا الحجر فوضع الحجر في إحدى الكفتين، ووضع حجراً مثله في الكفّة الأخرى، ثمّ رفع الميزان فإذا الحجر الذي جاء به أرجح بمثل الآخر، فوضعوا آخر فمال به حتى وضعوا ألف حجر كلها مثله، ثم رفعوا الميزان فمال بها ولم يستمل به الألف حجر فقالوا: يا أيها الملك لا علم لنا بهذا.

فقال له الخضر: أيها الملك إنّكَ تسأل هؤلاء عمّا لا عِلْمَ لهم به، وقد أُوتيْتُ علمَ هذا الحجر، فقال ذو القرنين: فأخبِرْنَا وبَيِّنْهُ لنا، فتناول الخضرُ الميزان فوضع الحجرَ الذي جاء به ذو القرنين في كَفَّة الميزان، ثم وضع حجراً آخر في كَفَّةٍ أخرى، ثم وضع كفّ تراب على حجر ذي القرنين يزيده ثقلاً، ثم رفع الميزان فاعتدل وعجبوا وخرُّوا سُجَّدَاً لله، وقالوا: أيها الملك هذا أمر لم يبلغه عِلْمُنا، وإنّا لنَعْلَمُ أنّ الخضرَ ليس بساحرٍ، فيكف هذا وقد وَضَعْنَا معه ألفَ حجر كلّها مثله، فمَالَ بها وهذا قد اعتدل به وزاده تراباً؟ قال ذو القرنين: بَيِّنْ يا خضر لنا أمرَ هذا الحجر، فقال الخضر: أيّها الملك إنّ أمرَ الله نافِذٌ في عباده، وسلطانه قاهر، وحكمه فاصل، وإنّ الله ابتلى عباده بعضهم ببعض، وابتلى العالم بالعالم، والجاهل بالجاهل، والعالم بالجاهل، الجاهل بالعالم، وإنّه ابتلاني بكَ وابتلاكَ بي، فقال: يرحمك الله يا خضر انما تقول: ابتلاني بكَ حين جُعِلْتَ أعلمَ منِّي، وجُعِلْتَ تحت يدي، أخبِرْنِي يرحمك الله عن أمر هذا الحجر؟ فقال الخضر: أيّها الملك إنّ هذا الحجر مَثَلٌ ضربه لكَ صاحبُ الصُّوْرِ، يقول: إن مِثْلَ بني آدم مثل هذا الحجر الذي وضع ووضع معه ألف حجر فمال بها، ثم إذا وضع عليه التراب

شبع وعاد حجراً مثله، فيقول: كذلك مثلكَ أعطاك الله من المُلْكِ ما أعطاك فلم ترضَ به حتى طلبتَ أمراً لم يطلبْهُ أحدٌ كان قبلكَ، ودخلتَ مدخلاً لم يدخله إنسٌ ولا جان، يقول: كذلك ابن آدم لا يشبع حتى يحثى عليه التراب.

قال: فبكى ذو القرنين بكاءاً شديداً وقال: صدقتَ يا خضر، ضَرَبَ لي هذا المثل: لا جَرَمَ أنّي لا أطلب أثراً في البلاد بعد مسلكي هذا، ثم انصرف راجِعاً في الظُّلمة، فبينا هم كذلك يسيرون إذ سمعوا خشخشة تحت سنابك خيلهم فقالوا: أيها الملك ما هذا؟ فقال: خذوا منه، فمَن أخذ منه ندم ومَن تركه ندم، فأخذ بعض وترك بعض، فما خرجوا من الظُّلمة إذا هم بالزبرجد، فندم الآخذ والتارك، ورجع ذو القرنين إلى دومة الجندل وكان بها مَنْزِلِه فلم يزل بها حتى قبضه الله ».

قال: وكان صلى الله عليه وآله إذا حَدَّثَ بهذا الحديث قال: « **رحم الله أخي ذا القرنين ما كان مخطئاً إذا سلك ما سلك وطلب ما طلب، ولو ظفر بوادي الزبرجد في مذهبه لَمَا ترك فيه سنة الزهاد إلاّ أخرجه للناس، لأنه كان راغباً ولكنه ظفر به بعد ما رجع فقد زهد** ».

الآية العشرون: قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً... ﴿٣٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ.

روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: أنّه تلا هذه الآية ثمّ قال: « **وسيريكم في آخر الزّمان، آيات منها دابّة الأرض، والدّجّال، ونزول عيسى بن مريم، وطلوع الشّمس من مغربها** ».

الآية الحادية والعشرون: قوله عزّ وجلّ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ.

فُسِّرَت الآية بالإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، ويمكن تعميمها على رجعة بقيّة الأئمّة الميامين الأطهار عليهم السلام أيضاً.

هذه أهمّ الآيات الدّالّة على إمكان رجعة الأموات إلى الدّنيا..

وأمّا الأخبار فكثيرة بلغت المئات، وهو رقم كبير لم تبلغه قضيّة دينيّة أو مفهوم عقيدي، إلّا حديث الغدير وأمثاله ممّا دَلَّ على ولاية أهل البيت عليهم السلام... وإنكار هذه الأحاديث من أساسها يستلزم إنكار ما نزل على رسول الله وتكذيبه وتكذيب اهل بيته الكرام، وهو على حَدِّ الشِّرْكِ بالله تعالى.

أخبار الرّجعة:

أكَّدَت الأخبار الشّريفة على رجعة كلّ كاملٍ في الايمان، وكلّ كاملٍ في الكفر، كما أكَّدَت الأخبار على رجعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه الإمام الحسين عليهما السلام بالخصوص، وهذا لا يعني عدم رجوع بقيّة الأئمّة عليهم السلام، بل يوجد أخبار كثيرة دَلَّتْ على رجعتهم عليهم السلام[1]، لكنّ التّأكيد على رجعة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام لها خصوصيّة لا نعلَمُ كنهَهَا... ولعلّ السر هو أنهما عليهما السلام رأس الولاية بمحاربتهما للطواغيت من أعداء الله تعالى وتظاهرهما بالولاية وعدم العمل بالتقية.. والله تعالى العالم بحقائق أسراره وأحكامه.

ولو لم يكن ثمّة أخبار خاصّة برجعة الأئمّة عليهم السلام، لكفى ما ورد في الأخبار العامّة - نظير رجعة مَن محض الإيمان محضاً - برجعتهم؛ وذلك لأنّه إذا ثبت رجعة الأدون، ثَبُتَتْ رجعة الأعلى.

الإستدلال على رجعة النبيّ وأهل بيته الأطهار الأبرار عليهم السلام

يُستَدَلُّ على رجعة كلّ الأئمّة الأبرار المصطفين الأخيار - وعلى رأسهم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله - بأمرين اثنين هما التالي:

الأمر الأول: الأخبار الشّريفة الدّالّة على ذلك.

الأمر الثاني: رجعة مَن محض بالإيمان، والغاية من رجوعهم أنْ ينعموا بنصرة الأئمّة عليهم السلام، فإذا جاز رجوع الأدون، جاز رجوع الأعلى، وهو الأئمّة الأطهار كلّهم

(١) راجع (كتاب الرَّجعة) للاسترآبادي: ص٦٢ ح٤١، وص٨٣ ح٥٣،٥٤، وص٨٤ ح٥٦، ٥٧، ٥٨، وص٨٦ ح٦٠، وص٨٨ ح٦٥، وص٨٩ ح٦٧.

عليهم السلام ؛ ليفوزوا بالنُّصرة بطريق أوْلَى، وليأروا من الأشرار لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

والأخبار الدّالّة على رجعة الكاملين من المؤمنين والكافرين كثيرة، نذكر منها الآتي:

① عن أبي بكر الحضرمي عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **لا يسأل في القبر إلاّ مَن محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، ولا ينال الرّجعة إلا مَن محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً** »[1].

② عن أبي بصير رضي الله عنه عن مولانا الإمام أ بي جعفر عليه السلام قال: « **ما من مؤمن إلاّ وله ميتةً وقتلة، مَن مات بُعِثَ حتى يُقْتَل، ومَن قُتِلَ بُعِثَ حتى يموت** »[2].

③ عن أبي بصير رحمه الله قال: دخلتُ على مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام فقلتُ: إنّا نتحدّث أنّ عمر بن ذر[3] لا يموت بموت حتى يقاتل قائم آل محمّد؟ فقال عليه السلام: « **إنّ مثل ابن ذر مثل رجل كان في بني إسرائيل يقال له: عبد ربه، وكان يدعو أصحابه إلى ضلالة، فمات، فكانوا يلوذون بقبره، ويتحدثون عنده، إذا خرج عليهم من قبره ينفض التراب من رأسه ويقول لهم كيت وكيت** »[4].

④ عن أبي حمزة الثمالي رحمه الله قال: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: مَن أراد أنْ يقاتل شيعة الدّجّال فليقاتل الباكي على دم عثمان، والباكي على أهل النّهروان، إنّ مَن لقى الله عزّ وجلّ مؤمناً**

(١) راجع (الرّجعة) للأسترآبادي: ص٤٨ ح٢١، و(بحار الأنوار) ج٥٣ ص٦١ ح٤٩.

(٢) راجع نفس المصدر السّابق: ص٤٦ – ٤٧ ح١٩.

(٣) عمر بن ذر كان قاصّاً، وهو من رؤوس الإرجاء، مات سنة ١٥٣ في زمن المنصور العبّاسي. أنظر (طبقات ابن سعد) ج٦ص٣٦٢، و (الهجعة) ٢٧٣.

والمرجئة هم الكراميّة الذين يعتقدون أنّ كلّ مَن تشهّد بالشّهادتين وفعل سائر المعاصي لم يدخل النّار أصلاً. راجع (معجم المصطلحات الكلاميّة) ص٣٢٥.

(٤) راجع (الرجعة) ص٤٦ ح١٨.

بأنّ عثمان قُتِلَ مظلوماً لقى الله ساخطاً عليه، ويدرك الدّجّال ».

فقال رجل: يا أمير المؤمنين، فإنْ مات قبل ذلك؟ قال عليه السلام: « **فيُبْعَث من قبره حتى لا يؤمن به (في نسخة: حتى يؤمن به) وإنّ رغم أنفه** »[1].

⑤ عن صفوان بن يحيى عن مولانا أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال: سمعتُهُ يقول في الرّجعة: « **مَن مات من المؤمنين قُتِلَ، ومَن قُتِلَ منهم مات** »[2].

⑥ (منتخب البصائر): سعد، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى وابن أبي الخطاب جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة قال: كرهتُ أنْ أسأل الإمام أبا جعفر عليه السلام في الرّجعة فاحتلت مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي منها فقلتُ: أخبرني عمّن قُتِلَ مات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل، فقلت: ما أحد يقتل إلا مات، قال: فقال: « **يا زرارة! قول الله أصدق من قولك، قد فرق بين القتل والموت في القرآن** فقال عليه السلام: « ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ وقال: ﴿لَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ۝١٥٨﴾ **فليس كما قلت يا زرارة الموت موت، والقتل قتل، وقد قال الله** عزّ وجلّ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ **قال: فقلت: إنّ الله** عزّ وجلّ **يقول:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ **أفرأيت مَن قُتِلَ لم يذق الموت؟ فقال: ليس مَن قتل بالسّيف كمَن مات على فراشه، إنّ من قُتِلَ لا بدّ أنْ يرجع إلى الدّنيا حتى يذوق الموت** ». تفسير العياشي: عن زرارة مثله[3].

⑦ (رجال الكشي) بإسناده عن أبي صالح خلف بن حماد، عن سهل بن زياد، عن علي بن المغيرة عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **كأني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتاها بين كتفيه، مصعدا في**

(١) راجع نفس المصدر: ص٤٤ ح١٤.

(٢) راجع نفس المصدر: ص٤٢ ح١٢.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٦٥ ح٨٥.

لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبرون ومكرون »[1].

⑧ (رجال الكشي) بإسناده عن عبد الله بن محمَّد، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة قال: سمعتُ مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إني سألت الله في إسماعيل أنْ يبقيه بعدي فأبى ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أخرى إنه يكون أوّل منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه** ».

وفي (منتخب البصائر) بإسناده عن سعد، عن ابن عيسى، وابن أبي الخطاب معاً، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي سلمة سالم بن مكرم الجمال مثله وفيه: وفيهم عبد الله ابن شريك العامري، وفيهم صاحب الرّواية[2].

⑨ (رجال الكشي) بإسناده عن طاهر بن عيسى، عن الشجاعي، عن الحسين بن بشار، عن داود الرقي قال: قلت له: إني قد كبرت ودق عظمي أحب أن يختم عمري بقتل فيكم؟ فقال: « **وما من هذا بد إن لم يكن في العاجلة تكون في الآجلة** »[3].

⑩ (المصباحين) روى لنا جماعة، عن أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمال، عن أبيه، عن جدّه صفوان قال: استأذنتُ الإمام الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، وسألتُه أنْ يعَرِّفَنِي ما أعمل عليه، وساق الحديث إلى أنْ قال عليه السلام في الزّيارة: « **وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أني بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرايع ديني، وخواتيم عملي** »[4].

⑪ (مصباح الزائر) في زيارة القائم عجل الله فرجه في السّرداب: « **ووفقني يا رب للقيام بطاعته، وللثوى في خدمته، والمكث في دولته، واجتناب معصيته، فان**

---

(١) راجع (بحار الأنوار)٥٣ باب الرّجعة ح٨١.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٧٦، الحديث من توابع ح٨٢.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٧٧ ح٨٤.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٩٤ ح١٠٤.

توفيتني اللهم قبل ذلك فاجعلني يا رب فيمن يكر في رجعته، ويملك في دولته، ويتمكن في أيامه، ويستظل تحت أعلامه، ويحشر في زمرته، وتقر عينه برؤيته »[(١)].

⑫ (مصباح الزائر) في زيارة أخرى له عليه السلام: « **وإن أدركني الموت قبل ظهورك فاني أتوسل بك إلى الله سبحانه أنْ يصلّي على محمَّد وآل محمَّد، وأنْ يجعل لي كرّةً في ظهورك، ورجعةً في أيامكَ، لأبلغ من طاعتكَ مرادي، وأشفي من أعدائكَ فؤادي** »[(٢)].

الأخبار الدالة على رجعة الإمام المعظم أمير المؤمنين وسيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وأمّا الأخبار الدالة على رجعة الإمام الحسين عليه السلام أوّلاً ثمّ رجعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثانياً، فكثيرة جدّاً منها:

① عن الحسين بن حمدان الخصيبي قال: حدثني محمَّد بن إسماعيل وعليّ بن عبد الله الحسنيّان عن أبي شعيب محمَّد بن نصير عن ابن الفرات عن محمَّد بن المفضل عن المفضل بن عمر قال: سألتُ سيّدي أبا عبد الله الصّادق عليه السلام، هل للمأمول المنتظر عليه السلام من وقتٍ مؤقت يعلمه الناس؟ فقال عليه السلام: « **حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا** »، قال: قلت يا مولاي ولم ذلك؟ قال عليه السلام: « **لأنه هو السّاعة التي قال الله تعالى فيها:** ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ **وقوله:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧ ﴾سُورَةُ الأَعْرَافِ، **وقوله:** ﴿ عنده علم السّاعة ﴾ **ولم يقل أحد دونه وقوله:** ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إلاّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٩٥ ح١٠٨.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٩٥ ح١٠٩.

أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ **وقوله:** ﴿ اقتربت السّاعة وانشق القمر ﴾ **وقوله:** ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ، يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلاّ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ ».

قلت: يا مولاي ما معنى: ﴿ يُمَارُونَ ﴾ قال: « **يقولون: متى ولد؟ ومن رآه؟ وأين هو؟ وأين يكون؟ ومتى يظهر؟ كلّ ذلك استعجالاً لأمر الله وشكّاً في قضائه وقدرته: (أولئك الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة وان للكافر لشر مآب)** ».

قال المفضل: يا مولاي فلا يوقت له وقت؟

قال عليه السلام: « **يا مفضّل لا توقّتْ فمَن وَقَّتَ لَمهْدِيّنا وقتاً فقد شارك الله في علمه، وادّعى أنّه يظهره على أمره، وما لله سرّ إلاّ وقد وقع إلى هذا الخلق المنكوس الضّال عن الله الرّاغب عن أولياء الله، وما لله خزانة هي أحصن سرّاً عندهم أكبر من جهلهم به، وإنّما ألقى قوله إليهم لتكون لله الحجة عليهم** ».

قال المفضل: يا سيّدي فكيف بدؤ ظهور المَهْدِيّ وإليه التسليم؟

قال عليه السلام: « **يا مفضل يظهر في سنة يكشف لستر أمره ويعلو ذكره وينادى باسمه وكنيته ونسبه ويكثر ذلك في أفواه المحققين والمبطلين والموافقين والمخالفين لتلزمهم الحجّة لمعرفتهم به على أنّنا نصصنا ودللنا عليه ونسبناه وسميناه وكنيناه سمي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، لئلا يقول النّاس ما عرفنا اسمه ولا كناه ولا نسبه والله ليحقن الافصاح به وباسمه وكنيته على ألسنتهم حتى يكون كتسمية بعضهم لبعض كل ذلك للزوم الحجة عليهم ثم يظهر الله كما وعد جده رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله عز من قائل:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ ».

قال المفضل: قلت: وما تأويل قوله: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ قال عليه السلام: « **هو**

قول الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ... ١٩٣ ﴾ **كما قال الله** ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ... ١٩ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾ ».

قال المفضل: فقلت يا سيّدي والدين الذي أتى به آدم ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمَّد هو الإسلام؟ قال﵇: « **ونعم، يا مفضل هو الإسلام لا غير** » قلت: فنجده في كتاب الله؟ قال﵇: « **نعم من أوله إلى آخره وهذه الآية منه:** ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ... ١٩ ﴾ ، **وقوله**ﷻ: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ... ٧٨ ﴾، **وفي قصة إبراهيم وإسماعيل:** ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ... ١٢٨ ﴾ ، **وقوله في قصة فرعون:** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ﴾، **وفي قصة سليمان وبلقيس قالت:** ﴿ وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤ ﴾، **وقول عيسى للحواريين:** ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾، **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾، **وقوله في قصة لوط:** ﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦ ﴾، **ولوط قبل إبراهيم، وقوله:** ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، **وقوله:** ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ ﴾ ».

قال المفضل: يا مولاي كم الملل؟ قال﵇: « **يا مفضل الملل أربعة، وهي الشرائع** ».

قال المفضل: يا سيّدي المجوس لم سُمّوا مجوساً؟ قال﵇: « **لأنهم تمجسوا في**

السريانية، وادّعوا على آدم وابنه شيث هبة الله أنه أطلق لهم نكاح الأمهات والأخوات والعمات والخالات والبنات والمحرمات من النساء، وأنّه أمرهم أنّ يصلّوا للشّمس حيث وقفت من السّماء، ولم يجعلوا لصلاتهم وقتاً، وإنما هو افتراء على الله الكذب وعلى آدم وشيث ».

قال المفضل: يا سيّدي فلم سمّوا قوم موسى اليهود؟

قال عليه السلام: « **لقول الله عنهم هدنا إليك أي اهديتنا إليك** ».

قال: والنصارى لِمَ سموا نصارى؟

قال عليه السلام: « **لقول عيسى يا بني إسرائيل** ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ... ﴿٥٢﴾ ﴾، **فتسموا نصارى لنصرة دين الله** ».

قال المفضل: ولِمَ سمّوا الصابئون؟

قال عليه السلام: « **لأنهم صبوا إلى تعطيل الأنبياء والرُّسُل والملل والشّرائع، وقالوا كلّ ما جاء به هؤلاء باطل، وجحدوا توحيد الله ونبوّة الأنبياء والرُّسُل والأوصياء، فهم بلا شريعة ولا كتاب ولا رسول، وهم معطلة العالم** ».

قال المفضل: يا سيّدي ففي أيّ بقعة يظهر المَهْدِيّ؟

قال الإمام الصّادق عليه السلام: « **لا تراه عينٌ بوقتِ ظهوره، ولا رأته كلّ عين، فمَن قال لكم غير هذا فكذّبُوه** ».

قال المفضل: يا سيّدي وفي أيّ وقتٍ ولادته؟

قال عليه السلام: « **بلى وبل والله لا يرى من ساعة ولادته إلى ساعة وفاته أبيه سنتين وسبعة أشهر أوّلها وقت الفجر من ليلة يوم الجمعة لثمان ليال خلت من شهر شعبان الثمان ليال خلت من شهر ربيع الأول من سنة ستين ومائتين، ثم يرى بالمدينة التي تبنى بشاطئ الدجلة، بناها المتكبر الجبار المسمى باسم جعفر العيار، المتلقب المتوكل، وهو المتاكل لعنه الله، يدعو مدينة سامرا ستة سنين، يرى شخصه المؤمن المحقّ، ولا يرى شخصه المشكّ المرتاب، وينفذ فيها أمره ونهيه، ويغيب عنها، ويظهر بالقصر بصاريا بجانب**

حرم مدينة جده رسول اللهصلى الله عليه وآله**؛ فيلقاه هناك المؤمن بالقصر، وبعده لا تراه كل عين** ».

قال المفضل: يا سيّدي فمَن يخاطبه؟ ولمن يخاطب؟

قال مولانا الإمام الصّادقعليه السلام: « **محمَّد بن نصير في يوم غيبته بصاريا، ثم يظهر بمكة، والله يا مفضل كأني أنظر إليه وهو داخل مكة وعليه بردة جدّه رسول الله**صلى الله عليه وآله**، وعلى رأسه عمامة صفراء، وفي رجله نعل رسول الله**صلى الله عليه وآله **المخصوفة، وفي يده هراوة، يسوق بين يديه عنوز عجاف؛ حتى يقبل بها نحو البيت، وليس أحد يوقِّته، ويظهر وهو شاب غرنوق** ».

فقال له المفضل: يا سيّدي يعود شابّاً، ويظهر في شيعته؟

قالعليه السلام: « **سبحان الله!! وهل يغرب عليك!! يظهر كيف شاء، وبأيّ صورة إذا جاءه الأمر من الله جلّ ذكره** ».

قال المفضل: يا سيّدي فيمَن يظهر؟ وكيف يظهر؟

قالعليه السلام: « **يا مفضل، يظهر وحده، ويأتي البيت وحده، فإذا نامت العيون؛ ووسق الليل، نزل جبرائيل وميكائيل والملائكة صفوفاً، فيقول له جبريل: يا سيّدي قولكَ مقبول، وأمركَ جائز، ويمسح يده على وجهه ويقول: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنِعْمَ أجر العاملين، ثم يقف بين الرّكن والمقام، ويصرخ صرخةً ويقول: معاشر نقبائي وأهل خاصتي ومَن ذَخَرَهُمُ اللهُ لظهوري على وجه الأرض، أتوني طائعين، فتورد صيحته عليهم وهم في محاريبهم وعلى فرشهم، وهم في شرق الأرض وغربها؛ فيسمعوا صيحةً واحدة في أذن رجلٍ واحدٍ، فيجيئوا نحوه، ولا يمضي لهم إلاّ كلمح البصر حتى يكونوا بين يديه بين الرّكن والمقام؛ فيأمر الله النّور أنْ يصير عموداً من الأرض إلى السّماء، فيستضئ به كلّ مؤمن على وجه الأرض، ويدخل عليه نوره في بيته؛ فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النّور وهم لا يعلمون بظهور قائمنا القائم**عليه السلام**، ثم تصبح نقباؤه بين يديه،**

وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نفراً بعدد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بيوم بدر ».

قال المفضل: قلت يا سيّدي والاثنان وسبعون رجلاً أصحاب أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام يظهرون معهم؟

قال عليه السلام: « **يظهر معهم الحسين بن عليّ باثني عشر ألف صديق من شيعته؛ وعليه عمامة سوداء** ».

فقال المفضل: يا سيّدي فنقباء القائم إليه التسليم بايعوه قبل قيامه؟

قال عليه السلام: « **يا مفضل كلّ بيعة قبل ظهور القائم فهي كفرٌ ونفاق وخديعة، لَعَنَ اللهُ المبايعَ لها، بل يا مفضل يسند القائم ظهره إلى كعبة البيت الحرام، ويمدّ يده المباركة فتُرى بيضاء من غير سوء، فيقول: هذه يد الله وعن الله وبأمر الله؛ ثم يتلو هذه الآية:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾، **وأوّل من يُقَبِّلُ يَدَهُ جبريل عليه السلام ثم يبايعه وتبايعه الملائكة ونقباء الحقّ ثم النجباء، ويصبح النّاس بمكة؛ فيقولون: مَن هذا الذي بجانب الكعبة؟ وما هذا الخلق الذي معه؟ وما هذه الآية التي رأيناها بهذه الليلة ولم نرَ مثلها؟ فيقول بعضهم لبعض: أنظروا هل تعرفون أحداً ممّن معه؟ فيقولون: لا نعرف منهم إلاّ أربعة من أهل مكّة وأربعة من أهل المدينة وهم فلان وفلان يعدّونهم بأسمائهم، ويكون ذلك اليوم أوّل طلوع الشّمس بيضاء نقيّة، فإذا طلعت وابيضَّتْ؛ صاح صائحٌ بالخلائق من عين الشّمس بلسانٍ عربيٍ مبينٍ يسمعه مَن في السّماوات والأرض: يا معاشر الخلائق هذا مهدي آل محمَّد، ويُسَمِّيْهِ باسمِ جدِّهِ رسول الله صلى الله عليه وآله، ويكنّيه بكنيته، وينسبه إلى أبيه الحسن الحادي عشر، فاتَّبِعُوه تَهْتَدُوا، ولا تخالفوه فتَضلُّوا. فأوّل مَن يلبّي نداءَه الملائكة، ثم الجن ثم النقباء؛ ويقولون: سمعنا وأطعنا، ولم يبق ذو أذن إلاّ سمع ذلك النّداء، وتقبل الخلق من البدو والحضر والبر والبحر يحدِّث بعضُهم بعضاً، ويُفهم بعضهم بعضاً ما سمعوه**

في نهارهم بذلك اليوم. فإذا زالت الشّمس للغروب صرخ صارخ من مغاربها: يا معاشر الخلائق لقد ظهر ربّكم من الوادي اليابس من أرض فلسطين وهو عثمان ابن عنبسة الأموي من ولد يزيد بن معاوية لعنهم الله فاتَّبِعُوه تهتدوا، ولا تخالفوه فتضلّوا، فترد عليه الجن والنقباء قوله، ويكذبونه ويقولون: سمعنا وعصينا، ولا يبقى ذو شكٍّ ولا مرتاب ولا منافق ولا كافر الأصل في النداء الثاني، ويسند القائم ظهره إلى الكعبة ويقول: معاشر الخلائق أَلاَ مَن أراد أنْ ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا إبراهيم، ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فها أنا موسى، ومَن أراد أنْ ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا عيسى، ومَن أراد أنْ ينظر إلى محمَّدﷺ وأمير المؤمنين إليا فها أنا محمَّد، ومَن أراد أنْ ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فها أنا هم واحداً بعد واحد، فها أنا هم، فلينظر إليَّ ويسألْنِي، فإني نبيّ بما نبَّؤوا به وما لم ينبِّؤوا، ألاَ مَن كان يقرأ الصحف والكتب فليسمع إليَّ ثم يبتدئ بالصُّحُف التي أنزلها الله على آدم وشيث فيقرأها؛ فتقول أمّة آدم هذه والله الصحف حقّاً، ولقد قرأ ما لم نكن نعلمه منها وما أُخْفِيَ عَنّا، وما كان أُسْقِطَ وبُدِّل وحُرِّف، ويقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور فتقول أمّتهم: هذه والله كما نزلت والتوراة الجامعة والزبور التام والإنجيل الكامل وإنها أضعاف ما قرأناه، ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون: هذا والله القرآن حقّاً الذي أنزله الله على محمَّد، فما أُسقط ولا بُدِّلَ ولا حُرِّفَ، ولعن الله من أسقطه وبدَّله وحرَّفه، ثم تظهر الدّابة بين الركن والمقام؛ فتَكْتُبُ في وجه المؤمن مؤمن، وفي وجه الكافر كافر، ثم يُقْبِلُ على القائم رجلٌ وجهه إلى قفاه، وقفاه إلى صدره، ويقف بين يديه؛ فيقول: أنا وأخي بشير أمرني مَلَكٌ من الملائكة أنّ الحقّ بكَ وأبشِّرَكَ بهلاك السفياني بالبيداء، فيقول له القائمعليه السلام: بَيِّنْ قصتك وقصةَ أخيكَ نذير، فيقول الرّجل: كنت وأخي نذيراً في جيش السّفياني، فخرَّبنا الدّنيا من دمشق إلى

الزوراء، وتركناهم حمماً، وخرّبنا الكوفةَ وخرّبنا المدينةَ، ورَوَّثَتْ أبغالُنا في مسجد رسول الله، وخرجنا منها نريد مكة وعددنا ثلاثمائة ألف رجل نريد مكة والمدينة وخراب البيت العتيق وقتْلَ أهله؛ فلمّا صرْنَا بالبيداء عرسنا بها فصاح صائح: يا بيداء بِيْدِيْ بالقوم الكافرين؛ فانفجَرَتِ الأرضُ وابتَلَعَتْ ذلكَ الجيشَ، فوالله ما بقي على الأرض عِقَالُ ناقةٍ ولا سواه غيري وأخي نذير، فإذا بِمَلَكٍ قد ضرب وجوهَنا إلى وراء كما ترانا، وقال لأخي: ويلك يا نذير النذر الملعون بدمشق بظهور مهدي آل محمَّد، وإنّ الله قد أهلك جيشه بالبيداء. وقال لي: يا بشير الحق بالمَهْدِيّ بمكة فبَشِّرْهُ بهلاك السفياني وتُبْ على يده؛ فإنه يَقْبَلُ توبتَكَ، فيُمِرُّ القائمُ يَدَهُ على وجهه فيردَّه سويّاً كما كان، ويبايعه ويسير معه ».

قال المفضل: يا سيّدي وتظهر الملائكة والجن للناس؟

قال عليه السلام: « **إي والله يا مفضل، ويخالطونهم كما يكون الرّجل مع جماعته وأهله** ».

قلت: يا سيّدي ويسيرون معه؟

قال عليه السلام: « **إي والله، ولنزلن أرض الهجرة ما بين الكوفة والنجف وعدد أصحابه ستة وأربعون ألفاً من الملائكة، وستة آلاف من الجن، بهم ينصره الله ويفتح على يده** ».

قال المفضل: يا سيّدي فما يصنع بأهل مكة؟

قال عليه السلام: « **يدعوهم بالحكم والموعظة الحسنة؛ فيطيعونه، ويستخلف فيهم من أهل بيته، ويخرج يريد المدينة** ».

قال المفضل: يا سيّدي فما يصنع بالبيت؟

قال عليه السلام: « **ينقضه ولا يدع منه إلاّ القواعد التي هي أول بيت وضع للناس ببكة في عهد آدم، والذي رفعه إبراهيم وإسماعيل، وإنّ الذي بني بعدهم لا بناه نبي ولا وصيّ، ثم يبنيه كما يشاء، ويغيِّر آثار الظلمة بمكة والمدينة**

والعراق وسائر الأقاليم، ولَيَهْدِمَنَّ مسجدَ الكوفة ويبنيه على بنائه الأول، ولَيَهْدِمَنَّ القصرَ العتيق، مَلْعُوْنٌ مَن بَنَاهُ ».

قال المفضل: يا سيّدي يقيم بمكة؟

قال عليه السلام: « **لا بل يستخلف فيها رجلاً من أهله، فإذا سار منها وثبوا عليه وقتلوه، فيرجع إليهم فيأتوا مهطعين مقنعي رؤوسهم يبكون ويتضرّعون ويقولون: يا مهدي آل محمَّد التوبة، فيعظهم وينذرهم ويحذّرهم، ثم يستخلف فيهم خليفة ويسير عنهم، فيثبون عليه بعده ويقتلونه، فيرجع إليهم، فيخرجون إليه مجززين النواصي ويضجون يبكون ويقولون: يا مهدي آل محمَّد غلبت علينا شقوتنا فاقبَلْ مِنّا توبَتَنَا يا أهل بيت الرّحمة، فيعظهم ويحذّرهم ويستخلف فيهم خليفة، ويسير فيثبون عليه بعده ويقتلونه، فيرد إليهم أنصاره من الجن والنقباء فيقول عليه السلام: ارجعُوا إليهم لا تُبْقُوا منهم أحداً، إلاّ مَن وُسِمَ وجهُهُ بالإيمان، فلولا رحمة الله وَسِعَتْ كلَّ شئ وأنا تلك الرحمة، لرجعتُ إليهم معكم؛ فقد قطعوا الأعذار والأنذار بين الله وبيني وبينهم فيرجعون إليه،م فوالله لا يسلم من المائة منهم واحد، والله ولا من الألف واحد** ».

قال المفضل: قلتُ: يا سيّدي فأين يكون دار المَهْدِيّ ومجمع المؤمنين؟

قال عليه السلام: « **يكون مُلْكُهُ بالكوفة، ومجلس حُكْمِهِ جامِعُها، وبيتُ مالِهِ مقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلوته الذكوات البيض من الغريين** ».

قال المفضل: وتكون المؤمنون بالكوفة؟

قال عليه السلام: « **إي والله يا مفضل، لا يبقى مؤمن إلاّ كان فيها وجرى إليها، ولَيَبْلَغَنَّ مربط مجال فرس ألف درهم واللهِ، ومربط شاة ألف درهم والله، وليودَّنَّ كثيراً من النّاس أنّهم يشترون شبراً من أرض السبيع بواحد ذهب، والسبيع خطة من خطط همدان، ولتصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، ولتخافن قصورها كربلا، ولتصيرن كربلا معقلاً ومقاماً تعكف فيه الملائكة**

والمنون، وليكونن شأنٌ عظيم، ويكون فيها البركات ما لو وق فيها مؤمن، ودعا ربه بدعوة واحدة لأعطاه مثل ملك الدنيا ألف مرة»، ثم تنفس أبو عبد الله عليه السلام وقال: «**يا مفضل، إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على البقعة بكربلاء، فأوحى الله اسكتي يا كعبة البيت الحرام، فلا تفخري عليها؛ فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة، وإنّها الرّبوة التي أوت إليها مريم والمسيح، وأنّها الدّالية التي غسل فيها رأس الحسين، وفيها غسلت مريم لعيسى واغتسلت من ولادتها، وانها آخر بقعة يخرج الرسول منها في وقت غيبته، وليكونن لشيعتنا فيها حياة لظهور قائمنا**».

قال المفضل: يا سيّدي إلى أين يسير المَهْدِيّ؟

قال عليه السلام: «**إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا وردها كان له فيها مقامٌ عجيب يظهر سرور المؤمنين وحزن الكافرين**».

قال المفضل: يا سيّدي ما هو ذلك؟

قال عليه السلام: «**يَرِدُ قبرَ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: يا معاشر الخلائق هذا قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولون: نعم يا مهدي آل محمَّد، فيقول من معه في القبر فيقولون: ضجيعاه وصاحباه أبو بكر وعمر!! فيقول: وهو أعلم بهم من الخلق جميعاً، ومَن أبو بكر وعمر، وكيف دفنا من دون كلّ الخلق مع جدِّي رسول الله، فعسى المدفون غيرهما، فيقولون: يا مهدي آل محمَّد ما ها هنا غيرهما وإنما دفنا لأنهما خليفتاه وأبوا زوجتيه!! فيقول عليه السلام للخلق: بعد ثلاثة أيام أخرجوهما فيُخْرَجَا غضين طريين، لم تتغير خلقتهما ولم تشحب ألوانهما، فيقول عليه السلام: هل فيكم رجل يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة ونشبههم لأن ليس هنا غيرهم، فيقول عليه السلام: هل فيكم أحد يقول غير هذا ويشك فيهما؟ فيقولون: لا، فيؤخر إخراجها ثلاثة أيام، ثم ينشر الخبر في النّاس فيفتتن مَن والاهما بذلك الحديث، ويجتمع النّاس ويحضر المَهْدِيّ، ويكشف الجدار عن القبرين ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما وانبشوهما،**

فيبحثون بأيديهم إلى أنْ يصلوا إليهما فيخرجاهما قال كهيئتهما في الدنيا، فتكشف عنهما أكفانهما، ويأمر برفعهما على دوحة يابسة ناخرة ويصلبان عليها، فتحيى الشجرة وتنبع وتورق ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل شيعتهما: هذا والله الشرف العظيم الباذخ حقاً، ولقد فزنا بمحبّتهما ويخسر مَن أخفى في نفسه مقياس حبّة من محبّتهما فيضرونهما ويرونهما ويفتتنون بهما، وينادي منادي المَهْدِيّ: كل مَن أحب صاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه فلينْفَرِدْ، فيجتاز الخلق حزبين، موال لهما ومتبرئ منهما، فيعرض المَهْدِيّ عليهم البراءة منهما، فيقولون: يا مهدي آل محمَّد نحن لا نتبرأ منهما، ولم نعلم أن لهما عند الله وعندك هذه المنزلة، وهذا الذي قد بدا لنا من فضلهما نتبرأ السّاعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من طراوتها وغضاضتهما وحياة هذه الشجرة بهما، بلى والله نتبرأ منك لنبشك لهما وصلبك إياهما. فيأمر عليه السلام ريحاً سوداء فتهب عليهم فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية، ثم يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييان ويأمر الخلائق بالاجتماع ثم يقص عليهم قصص أفعالهما في كلّ كور ودور، حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم، وجمع النّار لإبراهيم، وطرح يوسف في الجب، وحبس يونس ببطن الحوت، وقتل يحيى، وصلب عيسى، وحرق جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي، واشعال النّار على باب أمير المؤمنين، وسم الحسن، وضرب الصديقة فاطمة بسوط قنفذ ورفسه في بطنها وإسقاطها محسناً، وقتل الحسين وذبح أطفاله وبني عمه وأنصاره، وسبي ذراري رسول الله ﷺ واهراق دماء آل الرسول ودم كلّ مؤمن ومؤمنة، ونكاح كلّ فرج حرام، وأكل كلّ سحت وفاحشة وإثم وظلم وجور من عهد آدم إلى وقت قائمنا كلّه، يعدّه عليهم ويلزمهم إيّاه فيعترفان به، ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم مَن حضر، ثمّ يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض تحرقهما، ثمّ يأمر ريحاً تنسفهما في اليمِّ نسفاً ».

قال المفضل: يا سيّدي وذلك هو آخر عذابهم؟

قال عليه السلام: « **هيهات يا مفضل، واللهِ ليُرَدَّانِ ويحضر السيِّد محمَّد الأكبر رسول الله والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إمامٌ بعد إمامٍ، وكلّ مَن محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً، وليقتصن منهم بجميع المظالم، حتى أنهما ليُقْتَلاَنِ كلَّ يومٍ ألفَ قَتْلَةٍ، ويُرَدَّان إلى ما شاء الله من عذابهما.**

ثم يسير المَهْدِيّ عليه السلام إلى الكوفة، وينزل ما بينها وبين النجف وعدد أصحابه في ذلك اليوم ستة وأربعون ألفا من الملائكة وستة آلاف من الجن والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ».

قال المفضل: يا سيّدي كيف تكون دار الفاسقين الزوراء في ذلك اليوم والوقت؟

قال عليه السلام: « **في لعنة الله وسخطه وبطشه تحرقهم الفتن وتتركهم حمماً، الويل لها ولِمَن بها كلَّ الويل من الرّايات الصّفر ومن رايات الغرب ومن كلب الجزيرة ومن الرّاية التي تسير إليها مِن كلّ قريب وبعيد، والله ليَنْزِلَنَّ فيها من صنوف العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله، ولا يكون طوفان أهلها إلاّ السّيف، الويل عند ذلك كل الويل لِمَن اتَّخَذَهَا مَسكَنَاً؛ فإنّ المقيم بها لشقائه، والخارج منها يرحمه الله.**

واللهِ يا مفضل ليتنافس أمرها في الدنيا يعني الكوفة حتى يُقال: إنها هي الدنيا، وإنّ دُوْرَهَا وقصورها هي الجَنَّة، وإنّ نساءها هي الحور العين، وإنَّ ولدانها الولدان، ولَيَظُنُّ النّاس أنّ اللهَ لم يقسم رزقاً للعباد إلاّ بها، ولتظهر بغداد الزور والافتراء على الله ورسوله والحكم بغير كتاب وشهادة الزور وشرب الخمر وركوب الفسق والفجور وأكل السّحت وسفك الدماء ما لم يكن في الدنيا إلاّ دونه، ثم يخربها اللهُ بتلك الفتن والرّايات؛ حتى ليمرّ عليها المارُّ فيقول: ها هنا كانت الزوراء ».

قال المفضل: ثم ماذا يا سيّدي؟

قال‏عليه السلام: « **ثم يخرج الحسنيّ الفتى الصبيح من نحو الدّيلم؛ يصيح بصوت فصيح: يا آل احمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطّالقان كنوزاً، وأيّ كنوز؛ ليست من فضة ولا من ذهب، بل هي رجال كزبر الحديد، كأنّي أنظر إليهم على البراذين الشّهب، في أيديهم الحراب، يتعاوون شوقا للحرب كما تتعاوى الذئاب أميرهم، رجل من تميم يقال له شعيب به صالح، فيقبل الحسنيّ إليهم، وجهه كدارة البدر يريع النّاس جمالاً أنيقاً، فيعفي على أثر الظلمة، فيأخذ بسيفه الكبير والصغير والعظيم والرضيع، ثم يسير بتلك الرّايات كلّها حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض، فيجعلها معقلاً، ويتّصل به وبأصحابه خبر المَهْدِيّ‏عليه السلام فيقولون: يا ابن رسول الله مَن هذا الذي نزل بساحتنا؟ فيقول: أخرجوا بنا إليه حتى ننظره مَن هو وما يريد، والله ويعلم أنّه المَهْدِيّ وأنه يعرفه وأنّه لم يرد بذلك الأمر إلاّ له، فيخرج الحسنيّ في أمرٍ عظيمٍ، بين يديه أربعة آلاف رَجُلٍ، وفي أعناقهم المصاحف، وعلى ظهورهم المسوح الشعر يقال لهم الزيدية، فيُقْبِلُ الحسنيّ حتى ينزل بالقرب من المَهْدِيّ، ثم يقول الرَّجُلُ لأصحابه: إسألوا عن هذا الرجل من هو؟ وما يريد؟، فيخرج بعض أصحاب الحسنيّ إلى عَسْكَر المَهْدِيّ ويقول: يا أيّها العَسْكَر الجميل، مَن أنتم؟ حيّاكُمُ اللهُ، ومَن صاحبُكُم هذا؟ وما تريدون؟ فيقول له أصحاب المَهْدِيّ‏عليه السلام: هذا وليّ الله مَهْدِيّ آلِ محمَّدٍ، ونحن أنصاره من الملائكة والإنس والجن، فيقول أصحاب الحسنيّ: يا سيدنا ما تسمع ما يقول هؤلاء في صاحبهم، فيقول الحسنيّ: خَلُّوا بيني وبين القوم فانا هل اتيت على هذا حتى أنظر وينظروا، فيخرج الحسنيّ من عَسْكَره ويخرج المَهْدِيّ‏عليه السلام ويقفان بين العَسْكَرين، فيقول له الحسنيُّ: إنْ كنتَ مَهْدِيّ آلِ محمَّدٍ فأين هراوة جَدِّكَ رسول الله‏صلى الله عليه وآله، وخاتمه، وبُرْدَتُهُ، ودرْعَيْهِ الفاضل، وعمامته السّحاب، وفرسه البرقوع، وناقته العضباء، وبغلته الدّلدل، وحماره اليعفور، ونجيبه البراق، وتاجه السَّنِيّ، والمصحف**

الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير تبديل ولا تغيير ».

قال المفضل: يا سيّدي فهذا كلّه في السّفط؟

قال عليه السلام: « **يا مفضل وتركات جميع النبيين حتى عصاة آدم، وآلة نوح، وتركة هود وصالح، ومجمع إبراهيم، وصاع يوسف وميكائيل وشعيب وميراثه وعصاته موسى وتابوت الذي فيه بقية ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داود وعصاته، وخاتم سليمان وتاجه، وإنجيل عيسى وميراث النبيين والمرسَلين في ذلك السّفط.**

فيقول الحسنيّ هذا بعض ما قد رأيت، وأنا أسألكَ أنْ تغرس هراوةَ جَدِّكَ رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصّفا، وتسألَ اللهَ أنْ يُنْبِتَهَا فيها؛ وهو لا يريد بذلك إلاّ أنْ يُرِيَ أصحابَهُ فضلَ المَهْدِيِّ إليه التسليم حتى يطيعوه ويبايعوه، فيأخذ المَهْدِيّ الهراوة بيده ويغرسها في الحجر فتنبت فيه وتعلو وتفرغ وتورق حتى تُظِلَّ عَسْكَر المَهْدِيّ والحسنيّ؛ فيقول الحسنيّ: الله أكبر، مُدَّ يَدَكَ يا ابن رسول الله حتى أُبَايِعَكَ، فَيَمُدُّ يَدَهُ فيبايعه، ويبايعه سائر عَسْكَر الحسنيّ، إلاّ الأربعة آلاف أصحاب المصاحف والمسوح الشعر المعروفين بالزيدية، فيقولون: ما هذا إلاّ سِحْرٌ عظيمٌ، فتختلط العَسْكَران ويُقْبِلُ المَهْدِيُّ على الطّائفة المنحرفة فيعظهم ويدعيهم ثلاثة أيام، فلم يزدادوا إلاّ طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم، كأني أنظر إليهم وقد ذُبِحُوا على مصاحفهم، وتَمَرَّغُوا بدمائهم، فيُقْبِلُ بعضُ أصحاب المَهْدِيّ لأَخْذِ تلك المصاحف، فيقول لهم المَهْدِيُّ: دَعُوْهَا تكون عليهم حَسْرَةً كما بَدَّلُوْهَا وغَيَّرُوْهَا، ولم يعملوا بما فيها ».

قال المفضل: ثم ماذا يا سيّدي؟

قال عليه السلام: « **ثم تثور رجاله إلى سرايا السّفياني بدمشق، فيأخذوه ويذبحونه على الصّخرة، ثم يظهر الحسين عليه السلام في اثني عشر ألف صدِّيق، واثنين وسبعين رجاله بكربلاء، فيا لك عندها من كَرَّةٍ زهراء، ورَجْعَةٍ بيضاء، ثم يخرج الصِّدِّيقُ الأكبرُ أميرُ المؤمنين إليه التسليم، وتُنْصَبُ له القُبَّةُ على**

النجف، وتُقَامُ أركانُها؛ رُكْنٌ بهجر، ورُكْنٌ بصنعاء اليمن، ورُكْنٌ بطيبة وهي مدينة النبيﷺ، فكأني أنظر إليها ومصابيحها تشرق بالسّماء، والأرض أضوى من الشّمس والقمر، فعندها تُبْلَى السّرائر ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ... ۝ ﴾، إلى آخر الآية.

ثم يظهر الصِّدِّيق الأكبر الأجل السيِّد محمَّدﷺ في أنصاره إليه ومَن آمن به وصَدَّقَ، واستشهد معه، ويحضر مكذبوه والشّاكون فيه أنّه ساحرٌ وكاهن ومجنون ومعلم وشاعر وناعق عن هذا ومن حاربه وقاتله حتى يقتصّ منهم بالحق ويجازوا بأفعالهم من وقت رسول اللهﷺ إلى ظهور المَهْدِيّ مع إمام إمام ووقت وقت ويحق تأويل هذه الآية: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾، **قال: ضلال ووبال لعنهما الله فينبشا ويُحيا** ».

قال المفضل: قلت: يا سيّدي فرسول الله أين يكون؟ وأمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: « **إنّ رسول الله وأمير المؤمنين لا بدّ أن يطئا الأرضَ والله حتى يورَثَاها، إي واللهِ ما في الظّلمات ولا في قعر البحار حتى لا يبقى موضع قدم إلاّ وطئاه وأقاما فيه الدِّينَ الواصب. والله فكأني أنظر الينا يا مفضل معاشر الأئمة ونحن بين يدي جَدِّنا رسول اللهﷺ نشكو إليه ما نزل بنا من الأمة بعده، وما نالنا من التكذيب والردّ علينا وسبِّنا ولعننا وتخويفنا بالقتل، وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم إيانا من دون الأمّة، وترحيلنا عن حَرَمِهِ إلى ديار ملكهم، وقتلهم إيانا بالحبس وبالسّم وبالكيد العظيم، فيبكي رسول اللهﷺ ويقول: يا بني ما نزل بكم إلاّ ما نزل بجَدِّكم قبلكم، ولو عَلِمَتْ طواغيتُهم وولاتُهم أنّ الحقَّ والهدى والايمان والوصيّة والإمامة في غيركم لطلبوه.**

ثم تبتدئ فاطمةعليها السلام بشكوى ما نالها من أبي بكر وعمر من أَخْذِ فَدَكٍ منها، ومشيها إليهم في مجمع الأنصار والمهاجرين، وخطابها إلى أبي بكر

في أمر فدك وما رد عليها من قوله إن الأنبياء لا وارث لهم، واحتجاجها عليه بقول الله عز وجل بقصة زكريا ويحيى: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾، **وقوله بقصة داود وسليمان:** ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ... ۝ ﴾، **وقول عمر لها: هاتي صحيفتَك التي ذَكَرْتِ أنّ أباكِ كتبها لكِ على فدك، وإخراجها الصحيفة، وأَخْذِ عمر إياها منها، ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب، وتَفْلِهِ فيها، وعركه لها، وتمزيقه إيّاها، وبكاءَها ورجوعها إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله باكيةً تمشي على رمضاء وقد أقلقتها واستغاثتها بأبيها وتمثّلها بقول رقية بنت صفيّة:**

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهينمـة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختل أهلك واختلت بها الريب
ابدى رجال لنا ما في صدورهم	لما نايت وحالت دونك الحجب
لكـل قـومٍ لهـم قربـى ومنزلـة	عنـد الالـه عـن الادنـين مقتـرب
يا ليت بعدك كان الموت حل بنا	أملـوا أنـاس ففـازوا بالـذي طلبـوا

وتقصّ عليه قصّة أبي بكر، وإنفاذ خالد بن الوليد وقنفذ وعمر جميعاً لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته إلى البيعة في سقيفة بني ساعدة، واشتغال أمير المؤمنين، وضمّ أزواج رسول الله وتعزيتهنّ، وجَمْعِ القرآن وتأليفه، وإنجاز عداته وهي ثمانون ألف درهم باع فيها تالده وطارفه وقضاها عنه، وقول عمر له: أُخْرُجْ يا عليّ إلى ما أَجْمَعَ عليه المسلمون من البيعة لأمر أبي بكر، فما لك أنْ تخرج عمّا اجتمعنا عليه، فإنْ لم تفعل قتلناكَ، وقول فضة جارية فاطمة عليها السلام: إنّ أمير المؤمنين عنكم مشغول، والحقّ له لو أنصفتموه واتقيتم اللهَ ورسولَه، وسَبُّ عمر لها، وجَمْعُ الحَطَبِ الجزل على النّار لإحراق أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب ورقية وأم كلثوم وفضّة، واضرامهم النّار على الباب، وخروج فاطمة عليها السلام، وخطابها لهم من وراء الباب، وقولها: ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله ورسوله؟!! تريد أنْ

تَقْطَعَ نَسْلَهُ من الدُّنيا وتفنيه، وتطفئَ نورَ الله، واللهُ مُتِمُّ نوره، وانتهاره لها، وقوله: كُفِّيْ يا فاطمة؛ فلو أنّ محمَّداً حاضر والملائكة تأتيه بالأمر والنهي والوحي من الله، وما عليّ إلاّ كأحد المسلمين، فاخْتَارِيْ إنْ شِئْتِ خُرُوْجَهُ إلى بيعة أبي بكر، وإلاّ أُحْرِقُكُم بالنّار جميعاً، وقولها له: يا شقيَّ عُدَيٍّ، هذا رسول الله لم يبل له جبين في قبره ولامس الثرى أكفانه، ثم قالت - وهي باكية -: اللهمّ إليكَ نشكو فَقْدَ نبيّكَ ورسولك وصفيِّكَ وارتداد أمّته ومنعهم إيانا حقنا الذي جعلتَهُ لنا في كتابك المنْزَل على نبيّكَ بلسانه، وانتهار عمر لها وخالد بن الوليد وقولهم: دعي فنك يا فاطمة حماقة النساء فكم يجمع الله لكم النبوة والرسالة، وأخذ النّار في خشب الباب، وأدخل قنفذ لعنه الله يده يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بسوط أبي بكر على عضدها حتى صار كالدّملج الأسود المحترق، وأنينها من ذلك وبكاها، وركل عمر الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بمحسن لستّة أشهر وإسقاطها، وصرختها عند رجوع الباب، وهجوم عمر وقنفذ وخالد، وصفقة عمر على خَدِّها حتى أبرى قرطَهَا تحت خمارها فانتثر، وهي تجهر بالبكاء تقول: يا أبتاه يا رسول الله، ابنتُكَ فاطمة تُضْرَبُ، ويُقْتَلُ جَنِيْنٌ في بطنها، وتُصْفَقُ يا أبتاه، ويُسْقَفُ خَدٌّ لما لها كنتَ تصونه من ضيم الهوان يصل إليه من فوق الخمار، وضربها بيدها على الخمار لتكشفه، ورفعها ناصيتها إلى السّماء تدعو إلى الله، وخروج أمير المؤمنين من داخل البيت مُحْمَرُّ العينين، داير الحدقتين، حاسرٌ حتى ألقى ملاءته عليها وضمَّهَا لصدره، وقال: يا ابنة رسول الله قد علمتي أنّ الله بعث أباك رحمة للعالمين فالله الله أنْ تكشفي أو ترفعي ناصيتكِ، فوالله يا فاطمة لئن فعلتِ ذلك لا يُبْقِي اللهُ على الأرض مَن يشهد أنّ محمَّداً رسول الله ولا موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا نوح ولا آدم ولا دابّة تمشي على وجه الأرض ولا طائر يطير في السّماء إلاّ هلك.

ثم قال إلى ابن الخطاب: لكَ الويلُ كلُّ الويل بالكيل من يومك هذا وما

بعده وما يليه، أَخْرُجْ قبل أنْ أُخْرِجَ سيفي ذا الفقار، فأفْنِيْ غابرَ الأمّة، فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر، وصاروا من خارج الدّار، فصاح أمير المؤمنين بفضة اليكِ مولاتك فاقبلي منها ما يقبل النساء وقد جاءها المخاض من الرفسة وردَّةِ الباب فسقطت محسناً عليه قتيلاً وعرفت أمير المؤمنين إليه التسليم فقال لها: يا فضة لقد عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفني وعرف فاطمة وعرف الحسن وعرف الحسين اليوم بهذا الفعل ونحن في نور الأظلّة أنوارٌ عن يمين العرش فاوايه بقعر البيت فإنه لاحِقٌ بجَدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتشكو حمل أمير المؤمنين لها في سواد الليل والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم إلى دُوْرِ المهاجرين والأنصار يذكِّرُهُم بالله ورسوله وعهده الذي بايعوا الله ورسوله عليه في أربع مواطن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتسليمهم عليه بإمرة المؤمنين جميعهم، فكُلٌّ يَعِدُهُ النُّصْرَةَ ليومه المُقْبِلِ، فلمّا أصبح قعد جمعهم عنده.

ثم يشكو إليه أميرُ المؤمنين عليه السلام المِحَنَ السَّبْعَةَ التي امتحن بها بعده، ونقض المهاجرين والأنصار قولهم لمّا تنازعت قريش في الإمامة والخلافة، قد منع لصاحب هذا الأمر حقّه، فإذا منع فنحن أولى به من قريش الذين قتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبسوه في فراشه حتى خرج منهم هارباً إلى الغار إلى المدينة فآويناه ونصرناه وهاجرنا إليه، فقالت الأنصار: حتى قال من الحزبين منا أمير ومنكم أمير، فقام عمر أربعين شاهداً قسامة شهدوا على رسول الله زوراً وبهتاناً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الأئمة من قريش فأطيعوهم ما أطاعوا الله، فإنْ عصوا فالْحُوْهُم لَحْيَ هذا القضيب، ورمى القضيبَ من يده فكانت أول قسامة زور شُهِدَتْ في الإسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن رقبوا الأمر إلى أبي بكر وجاءوا يدعوني إلى بيعته فامتنعتُ إذ لا ناصر لي، وقد علم الله ورسوله أنْ لو نصرني سبعة من سائر المسلمين لَمَا وَسِعَنِي القعودُ، فوثبوا عَلَيَّ وفعلوا بابنتك يا رسول الله ما شكيتُهُ إليكَ، وأنت أعلمُ به، ثم جاؤوا بي فأخرجوني

من داري مُكْرَهاً، وثلبوني وكان من قصتي فيهم مثل قصة هارون مع بني إسرائيل، وقولي كقوله لموسى: ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾، وقوله: ﴿ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ ﴾، فصبرتُ محتسباً راضياً، وكانت الحُجّةُ عليهم في خلافي ونَقْضِ عَهْدِي الذي عاهدتهم عليه يا رسول الله، واحتملتُ ما لم يحتمل وصيٌّ من نبيٍّ من سائر الأنبياء والأوصياء في الأمم حتى قتلوني بضربة عبد الرحمن بن ملجم، وكان الله الرقيب عليهم في نَقْضِهِم بيعتي، وخروج طلحة والزّبير بعائشة إلى مكة يظهران الحج والعمرة، وسيرهم بها ناقضين لبيعتي إلى البصرة، وخروجي إليهم، وتخويفي إياهم بما جئتَ به يا رسول الله من كتاب الله، ومقامهم على حربي وقتالي، وصبري عليهم واعذاري وإنذاري، وهم يأبون إلاّ السّيف، فحاكمتُهُم إلى الله بعد أنْ ألزمْتُهُم الحجّةَ فنصرني اللهُ عليهم بعد أنْ قتل أكابر المهاجرين والأنصار والتابعين بالاحسان، وهُرِقَتْ دماءُ عشرين ألف من المسلمين، وقُطِعَتْ سبعون كفّاً على زمام الجمل من سبعين رئيساً، كلما قطعت كف قبض عليه آخر.

ثم لقيت من ابن هند معاوية بن صخر أدهى وأمّر ممّا لقيتَ في غزواتك يا رسول الله بعدك من أصحاب الجمل، على أنّ حرب الجمل كان أشنع الحرب التي لقيتُها وأهولها وأعظمها، فسِرْتُ من دار هجرتي الكوفة إلى حرب معاوية ومعي سبعمائة من أنصارك يا رسول الله وأربعة من دونه في ديوانك ولها ستين ألف رجل من أهل العراقين الكوفة والبصرة والخلاط النّاس، فكان بعون الله وعلمك يا رسول الله جهادي بهم وصبري عليهم، حتى إذا وهنوا وتنازعوا وتفاشلوا مكر بأصحابي ابن هند وشانئك الأبتر عمرو، ورفع المصاحب على الأسنّة، ونادى: يا إخواننا من الإسلام ندعوكم إلى كتاب الله وإلى الحكومة، ونصون دماءنا ودماءكم، وأصغى أهل الشبهات

والشّكوك والظّنون ومَن في قلبه مرض من أصحابي إلى ذلك، وقالوا بأجمعهم: لا يحلّ لنا قتال من دعانا إلى كتاب الله، وقلت لهم ما قد علمته وأنت يا رسول الله علمتني إياه من علْمِ الله أنّ القوم لم يرفعوا المصاحف إلاّ عند رهبهم وظهورنا عليهم، فأبى المنافقون من أصحابي إلاّ الكَفّ عنهم وترك قتالهم فوعظتهم وحرضتهم وحفظتهم وبَيَّنْتُ لهم أمرهم، وإنها حيلة عليهم، فرموا أسلحتهم واجتمعوا أصحاب معاوية في زهاء عشرين ألفا وقالوا لي كلمة رجل واحد: دعنا نحاكم القوم إلى كتاب الله، فقلت لهم على أنني أحكم به منكم ومن معاوية، فقال معاوية: لا يحكم عليّ ولا أحكم به، فإنه لا يرضى ولا أرضى، ولا يسلم إلي ولا أسلم إليه، فقلت إلى ابني الحسن الصر لا شككت في نفسي وفضلت ابني عليّ، فقالوا لي: ابنك أنتَ وأنتَ ابنكَ، فقلتُ: عبد الله بن العباس، فقالوا: لا يحكم بيننا مُضَرِيٌّ، واختاروا عَلَيَّ، ولي الاختيار عليهم، وتحَكَّمُوا وأنا الحاكم، وقالوا: إنْ لم ترضَ أنْ نُحَكِّمَ مَن نشاء أخذنا الذي فيه عيناك.

ثم اختاروا أنْ يحكموا يكتبوا إلى عبد الله بن قيس الأشعري وهو منعزل عنّا فسَيَّروه وقدّموه وتركوا معاوية قد حكم عُمَرَاً، ورَضُوا هم بعبد الله بن قيس الأشعري، وحكموا بما أرادوا، ووصفوا عبد الله بن قيس بالفضل والجبلة عباء عن مَكْرِ عمر، وما كانت إلاّ مواطاة وخدعة أظهرها عمر وعبد الله، فزعموا أن عبد الله عزلني، وأنّ عمراً أثبت معاوية، وألزموني عند قعود جمعهم عني واجتماعهم وأهل الشام وان كتبت بيني وبين معاوية إلى أجلٍ معلوم، وانكفَأْتُ مَعْصِيّاً غير مطاع إلى الكوفة أظهر لعني معاوية على منابر الشام وسائر أعماله، ولُعِنْتُ أنا وابناك يا رسول الله الحسن والحسين وعبد الله بن العباس وعمار بن ياسر ومالك الأشتر، شهد أيام بني أمية كلّهم على المنابر وفي جوامع الصّلاة ومساجدها وفي الأسواق وعلى الطرق والمسالك جهراً لا سِرّاً، وخرج عَلَيَّ المارقون من أصحابي المطالبون لي بالتحكيم يوم

المصاحف فقالوا: قد غَيَّرْتَ وكَفَرْتَ وبَدَّلْتَ وخَالفْتَ اللهَ في تركنا ورأيِنا وإجابتِكَ لنا إلى أن حَكَّمْنَا عليكَ الرِّجال، فكان لي ولهم بحروراءِ موقف، دفعتُ لهم فيه عن قتالهم وأنظرتُهُم حَوْلاً كاملاً.

ثم خرجت بعد انقضاء الهدنة أريد معاوية بِمَن أطاعني من المسلمين فخرج أصحابي المارقون عَلَيَّ بالنّهروان، فلقوا رجلاً من صلحاء المسلمين وعُبّادِهِم، ومَن قاتل معي يوم الجمل وصفين يقال له عبد الله بن خباب وذبحوه وزوجته وطفلاً له على دَمِ خنزير، وقالوا: ما ذَبْحُنَا هؤلاء وهذا الخنزير إلاّ واحدٌ، وهذا فِعْلُنَا بِعَلِّي وسائر أصحابه حتى يُقِرَّ أنّه قد كفر وغَيَّرَ وبَدَّلَ، ثم يتوب ونَقْبَل توبته، فعدلتُ إليهم وخاطبتُهُم بالنّهروان فاحتجوا عَلَيَّ واحتَجَجْتُ عليهم، فكان احتجاجُهم باطلاً وكان احتجاجي حقّاً... »[1].

② (منتخب البصائر) ممّا رواه لي السيِّد الجليل بهاء الدين عليّ بن عبد الحميد الحسيني رواه بطريقه عن أحمد بن محمَّد الأيادي يرفعه إلى أحمد بن عقبة، عن أبيه، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: سُئِلَ عن الرّجعة أَحَقٌّ هي؟ قال عليه السلام: « **نعم** »، فقيل له: مَن أوّل مَن يخرج؟ قال عليه السلام: « **الحسين يخرج على أثر القائم عليهما السلام** »، قلت: ومعه الناس كلّهم؟ قال عليه السلام: « **لا بل كما ذكر الله تعالى في كتابه** ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ النَّبَإِ، **قوم بعد قوم** ».

وعنه عليه السلام: « **ويُقْبِلُ الحسينُ عليه السلام في أصحابه الذين قُتِلُوا معه، ومعه سبعون نبيّاً كما بُعِثُوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائمُ عليه السلام الخاتمَ، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته** ».

وعن جابر الجعفي قال: سمعتُ مولانا الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **والله ليملكنَّ مِنّا أهل البيت رَجُلٌ بعد موته ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً** »، قلتُ:

---

(١) راجع (الرجعة) للاسترآبادي: ص١٠٠، و (الهداية الكبرى) للخصيبي: ص٣٩٢.

متى يكون ذلك؟ قال عليه السلام: « **بعد القائم عليه السلام** »، قلتُ: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال عليه السلام: « **تسع عشرة سنة، ثم يخرج المنتصر إلى الدّنيا وهو الحسين عليه السلام، فيطلب بدمه ودم أصحابه، فيقتل ويسبي حتى يخرج السّفّاح وهو أمير المؤمنين عليه السلام** ».

ورويتُ عنه أيضاً بطريقه إلى أسد بن إسماعيل، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال حين سئل عن اليوم الذي ذكر الله مقداره في القرآن: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ « **وهي كرة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون مُلْكُهُ في كَرَّتِهِ خمسين ألف سنة، ويملك أمير المؤمنين في كرته أربعة وأربعين ألف سنة** »[1].

③ (منتخب البصائر) من كتاب السلطان المفرج عن أهل الايمان تصنيف السيِّد الجليل بهاء الدين عليّ بن عبد الكريم الحسني يرفعه إلى عليّ بن مهزيار قال: كنتُ نائماً في مرقدي، إذْ رأيتُ فيما يرى النّائم قائلاً يقول: حُجَّ السنةَ، فإنك تلقى صاحبَ الزمان، وذكر الحديث بطوله ثم قال: « **يا ابن مهزيار إنّه إذا فقد الصيني وتحرك المغربي، وسار العباسي، وبويع السفياني، يؤذن لوليّ الله، فأخرج بين الصّفا والمروة، في ثلاثمائة وثلاثة عشر فأجيء إلى الكوفة، فأهدم مسجدها، وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة. وأحج بالنّاس حجّة الإسلام، وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجرة، وأُخْرِجُ مَن بها وهما طرّيان، فآمُرُ بهما تجاه البقيع، وآمُرُ بخشبتين يُصْلَبَانِ عليهما، فتُورِقَان من تحتهما، فَيَفْتَتِنَ النّاسُ بهما أشدَّ من الأولى، فينادي مناد الفتنة من السماء يا سماء أنبذي، ويا أرض خذي! فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلاّ مؤمن قد أخلص** ».

قلت: يا سيدي ما يكون بعد ذلك؟

قال: « **الكرّة الكرّة الرّجعة، ثم تلا هذه الآية:** ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١٠٣ باب الرّجعة، ح١٣٠.

وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ »[1].

④ (كامل الزيارة) محمَّد بن جعفر الرزاز، عن ابن أبي الخطاب وأحمد بن الحسن ابن عليّ بن فضال، عن مروان بن مسلم، عن بريد العجلي قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبِرْني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام؟ فانّ النّاس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام: « **إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإن إبراهيم كان حجّة لله قائماً صاحب شريعة، فإلى مَن أرسل إسماعيل إذاً** ». قلتُ: فمَن كان جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قال عليه السلام: « **ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ عليه السلام بعثه الله إلى قومه فكذَّبوه وقتلوه وسلخوا فروة وجهه، فغضب الله له عليهم، فوَجَّهَ إليه سطاطائيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا سطاطائيل ملك العذاب وجَّهَني ربُّ العزَّة إليكَ، لأُعَذِّب قومَكَ بأنواع العذاب كما شئتَ، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل. فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال إسماعيل: يا ربّ إنكَ أخذتَ الميثاق لنفسك بالربوبية، ولمحمد بالنبوة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرتَ خلقك بما تفعل أمّتُهُ بالحسين بن عليّ عليهما السلام من بعد نبيّها، وإنكَ وعدتَ الحسين أنْ تَكُرَّهُ إلى الدّنيا، حتى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أنْ تكرني إلى الدنيا حتى أنتقم ممّن فعل ذلك بي ما فعل، كما تكر الحسين. فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكرّ مع الحسين بن عليّ عليهما السلام** »[2].

⑤ (كامل الزيارات) الحميري، عن أبيه، عن عليّ بن محمَّد بن سالم، عن محمَّد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن أبي عبيدة البزاز، عن حريز قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام:

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١٠٤ باب الرّجعة، ح١٣١.

(٢) راجع (بحار الانوار) ج٥٣ ص١٠٥ باب الرّجعة، ح١٣٢.

جُعِلْتُ فِدَاكَ ما أقلّ بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض، مع حاجة هذا الخلق إليكم؟ فقال عليه السلام: « **إنّ لكلّ واحدٍ منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أنْ يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أُمِرَ به، عَرَفَ أنّ أَجَلَهُ قد حضر، وأتاه النبيّ ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله.**

وإن الحسين صلوات الله عليه قرأ صحيفته التي أُعْطِيها وفسر له ما يأتي وما يبقى وبقي منها أشياء لم تنقض، فخرج إلى القتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لهم فمكثت تستعد للقتال وتتأهب لذلك حتى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدته، وقتل صلوات الله عليه. فقالت الملائكة: يا رب أَذِنْتَ لنا في الانحدار، وأذنت لنا في نصرته، فانحدرنا وقد قبضته؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أنِ ألزموا قبته حتى ترونه قد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خُصِصْتُم بنُصْرَتِهِ والبكاء عليه، فبكت الملائكةُ تَقَرُّباً وجَزَعاً على ما فاتهم من نُصْرَتِهِ، فإذا خرج صلوات الله عليه يكونون أنصاره »[1].

(٦) كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: محمَّد بن العباس، عن جعفر بن محمَّد بن مالك، عن القاسم بن إسماعيل، عن عليّ بن خالد العاقولي، عن عبد الكريم الخثعمي، عن سليمان بن خالد قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ ﴾، قال عليه السلام: « **الرّاجفة الحسين بن عليّ عليهما السلام، والرّادفة عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، وأوّل مَن ينفض عن رأسه التراب الحسين بن عليّ عليهما السلام في خمسة وسبعين ألفاً؛ وهو قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢ ﴾ ».

تفسير فرات بن إبراهيم: أبو القاسم العلوي معنعنا عن مولانا الإمام أبي عبد

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١٠٦ باب الرّجعة، ح١٣٣.

الله عليه السلام مثله، وفيه في خمسة وتسعين ألفا.

الفضائل، الروضة: عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام مثله[1].

⑦ حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، عن الحسن السلمي، عن أيوب بن نوح، عن صفوان، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم، عن عباية قال: أتى رجلٌ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: حَدِّثْنِي عن الدّابّة قال عليه السلام: « **وما تريد منها؟** » قال: أحببتُ أنْ أَعْلَمَ عِلْمَهَا، قال عليه السلام: « **هي دابّةٌ مؤمنة تقرأ القرآن وتؤمن بالرّحمن وتأكل الطعام، وتمشي في الأسواق** »[2].

⑧ حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضي، عن عبد الله بن أيوب المخزومي عن يحيى بن أبي بكير، عن أبي حريز، عن علي بن زيد بن جذعان، عن خالد بن أوس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **تخرج دابّة الأرض ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام؛ تجلو وجهَ المؤمن بعصا موسى عليه السلام، وتَسِمُ وجهَ الكافر بخاتم سليمان عليه السلام** »[3].

⑨ (منتخب البصائر) سعد، عن ابن هشام، عن البرقي، عن محمد بن سنان أو غيره عن عبد الله بن سنان قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **لقد أسرى بي ربي عز وجل فأوحى إليَّ من وراء حجاب ما أوحى، وكَلَّمَنِي بما كَلَّمَ به، وكان ممّا كلمني به أنْ قال: يا محمَّد إني أنا الله لا إله إلاّ أنا عالِمُ الغيب والشّهادة الرحمن الرحيم، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عمّا يشركون، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا الخالق البارئ المصور، لي الأسماء الحسنى، يسبِّح لي مَن في السّماوات والأرض، وأنا العزيز الحكيم.**

يا محمَّد إني أنا الله لا إله إلا أنا الأوّل فلا شيء قبلي، وأنا الآخر فلا

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١٠٧ باب الرّجعة، هامش ح١٣٤.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١١١ح٦.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١١١ح٦.

شيء بعدي، وأنا الظّاهر فلا شيء فوقي، وأنا الباطن فلا شيء دوني، وأنا الله لا إله إلاّ أنا بكلّ شيء عليم.

يا محمَّد! عليٌّ أوّل ما آخذ ميثاقه من الأئمة..

يا محمَّد! عليٌّ آخر مَن أقبض روحَه من الأئمة، وهو الدّابّة التي تكلمهم.

يا محمَّد! عليٌّ أظهره على جميع ما أُوْحِيْهِ إليكَ، ليس لكَ أنْ تكتم منه شيئاً، يا محمد أبطنه الذي أسررته إليك فليس ما بيني وبينك سرٌّ دونه، يا محمد عليٌّ عليٌّ، ما خلقتُ من حلال وحرام: عليٌّ عليمٌ به »[1].

أشار الخبر - وهو صحيح سنداً - إلى أنّ الإمام عليّاً عليه السلام آخر مَن تُقْبَض روحه بعد الرّجعة، وليس فيه ثمّة ما يشير إلى أنّه يرجع بعد الإمام الحسين مباشرةً، ولكنّ الأخبار الأخرى التي دَلَّتْ على أنّه ثاني مَن يرجع، تكون قرينةً قطعيّة على أنّه ثاني راجعٍ إلى الدّنيا؛ وكذا ليس في الخبر ما يشير إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام أوّلُ راجعٍ إلى الدّنيا، لكنّ الأخبار المتقدِّمة قرينةٌ على أنّه عليه السلام أوّل مَن يرجع إلى الدّنيا، فعلاج هذا الخبر مع بقيّة الأخبار من باب تقييد المطلَق، فالخبر المتقدِّم مطلَق، والأخبار الأخرى مقيِّدة له، كما لا يخفى بمقتضى قواعد الجمع العرفي.

(١٠) عن مسعدة بن صدقة عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: « **أنا سيّد الشيب، وفِيَّ سُنَّة من أيّوب، وسيجمع اللهُ لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، وذلك إذا استدار الفلك، وقلتم مات أو هلك** »[2].

يشير الحديثُ إلى أنّ الإمامَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام سيرجع هو وعيالُه بعد رحيل مولانا الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف من هذه الدّنيا، وهذا ما دَلَّ عليه قوله عليه السلام: « **وقلتم مات أو هلك** »، وموته عليه السلام مقارن لاستدارة الفلك أي شروق الشّمس من مغربها، وهذا من أشراط السّاعة.

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٦٨ ح٦٥.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٨٩ ح٩١.

* **الجهة الثالثة:** الشّبهات الطّارئة على إمكان الرّجعة!!

الرّجعة ليست المفهوم العَقَدي الوحيد الذي عارضته الشّبهات، بل لا يكاد يوجدُ حقّ خالٍ من شبهة تعارضه، فإنّ الجهل أكثر من العِلم في هذه النّشأة، وشياطين الإنس والجنّ يجهدون في ترويج الشّبهات وتكثيرها، وقد قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ... ۝٧ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ؛ ومعلومٌ أنّه لا بدّ من حكمة في خلق الشّهوات ونصب الشّبهات وإنزال المتشابهات، وممّا ظهر لنا من الحكمة في ذلك إرادة امتحان العقول، وتشديد التكليف، والتعريض لزيادة الثّواب، والعوض على تحصيل الحقّ والعمل به، ومع ذلك فمَن أخلص نيّته وأراد الوصول إلى الحقّ من كلام الله وكلام نبيّه وأوصيائه عليهم السلام وَجَدَهُ راجحاً على الشّبهات، ودافعاً لها من أساسها.

إذا عرفتَ هذا؛ نقول: قد ثبت أنّ الرّجعة حقٌّ بتصريح الآيات الكثيرة، وتصريحات الأحاديث المتواترة بل المتجاوزة حدَّ التواتر بإجماع الإماميّة، حتى أنّا لم نجد أحداً من علمائهم صرّح بإنكار الرّجعة، ولا تعرَّضَ لتضعيف حديثٍ واحدٍ من أحاديثها، ولا لتأويل شيءٍ منها سوى بعض الشّواذ من الشّيعة الذين لم يتحمّلوا تلك الكرامة الخاصّة بآل الله، عنيتُ بهم النبيَّ وعترته الطّاهرة عليهم السلام. وكلُّ منصفٍ اطَّلَعَ على أخبار الرّجعة - على كثرتها الهائلة - يحصل له منها اليقين، وحينئذٍ يمكنه دفع كلّ شبهة بجوابٍ إجماليٍّ؛ بأنْ يقول: هذا معارِضٌ لليقين، وكلّ ما كان كذلك فهو باطلٌ؛ ونحن بدورنا نذكر أهمّ الشّبهات[1] التي استند إليها منكرها، ونجيب عنها بالتفصيل:

الشّبهة الأولى: أثار بعض العلماء المعاصرين[2] مناقشاتٍ تقتضي التشكيك بالرّجعة بكلّ احتمالاتها سوى ما دلّ على رجوع دابّة الأرض[3]، قال: « **فلم يثبت**

(١) راجع (الهجعة) ص٣٧٤، و (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج٢ ص٣٣٢.

(٢) وهو السيِّد محمّد صادق الصّدر في كتابه: (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠١.

(٣) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩١٠.

أيّ معنىً من معاني الرّجعة ولا احتمالاتها السّابقة، وإنّما لا بدّ لنا كمسلمين أنْ نتعبّد بخروج دابّة الأرض التي نطق بها القرآن الكريم... »[1].

ثمّ أيّد مدّعاه بمبرِّرات تحت عنوان: (مناقشات على كلام صاحب البحار رحمه الله)، وها نحن نستعرضها ثمّ نفنّدها واحدةً تلو الأخرى بعون الله عزّ اسمه.

المناقشة الأولى: « **إنّ إجماع الشّيعة وضرورة المذهب عندهم، لم تثبت على الاطلاق، بل المسألة عندهم محلّ الخلاف والكلام على طول الخط، والمتورِّعون منهم يقولون: إنّ الرّجعة ليست من أصول الدِّين ولا من فروعه، ولا يجب الاعتقاد فيها بشيء بل يكفي إيكال علمها إلى أهله، فهل في هذا الكلام – وهو الأكثر شيوعاً – اعتراف بالرّجعة** ». إنتهى.

فقد جاء كلامه المتقدِّم ردّاً على العلاّمة المجلسي رحمه الله، الذي ادّعى الإجماع على الاعتقاد بالرّجعة.

وفيه: إنّ ما هو خلاف عند العلماء على طول الخطّ ليس مطلق الإجماع والضّرورة، بل بعضٌ منهما، وما لم يبلغ الإجماع أو الضّرورة حَدَّ القطع واليقين، فلا يُعتَبَر حجّةً عند الإماميّة، وفي مورد الرّجعة بات الإجماع عليها من القطعيات والضّروريّات التي لا خلاف عليها أصلاً إلاّ في بعض التفريعات البسيطة التي لا تخلّ في مبدأ رجعة أئمّتنا الأطهار عليهم السلام، نظير ترتيبهم حال الرّجعة هل هو ترتيب عكسي أم ابتدائي؟! من هنا أجمَعَ علماءُ الشّيعة على رجوع أئمّتنا الأنوار المطهرين عليهم السلام إلى الدّنيا دون نكيرٍ من أحدٍ سوى بعض الشذاذ على حدّ تعبير السيِّد المرتضى رحمه الله.

قال المحدِّث الحرّ العاملي أعلى الله مقامه: « **إنّ ثبوت الرّجعة من ضروريّات مذهب الإماميّة عند جميع العلماء المعروفين والمصنِّفين المشهورين، بل يعلم العامّة أنّ ذلك من مذهب الشّيعة، فلا ترى أحداً يُعْرَف اسمه ويُعْلَمُ له تصنيفٌ في الإماميّة يصرِّحُ بإنكار الرّجعة ولا تأويلها... والّذي يُعلَم بالتتبُّع أنّ صحّة الرّجعة أمرٌ محقّقٌ معلومٌ مفروغٌ منه مقطوعٌ به، ضروريٌّ عند أكثر علماء الإماميّة أو الجميع، حتى لقد صنّفَت الإماميّة كتباً**

---

(١) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٤.

كثيرةً في إثبات الرّجعة كما صنّفوا في إثبات المتعة وإثبات الإمامة وغير ذلك »[1].

فما ذكره السيّد العلامة محمّد صادق الصّدر رحمه الله ضعيفٌ جدّاً وواهنٌ، وأوهن منه دعواه على أنّ الرّجعة ليست من أصول الدّين ولا فروعه، فلا يجب الاعتقاد فيها بشيء، إذ عدم كونها أصلاً - عدا عن أنّها ليست فرعاً شرعيّاً - لا يُخرجها من الاعتقادات الدينيّة الأصيلة الثابتة بالأدلّة القطعيّة، فليس كلُّ ما لم يكن من أصول الدِّين الخمسة يخرج من الأصوليّة، وبالتالي يخرج من باب الاعتقادات الإيمانيّة الضّروريّة بل الصّحيح أنها من الاعتقادات الثابتة الدّالّة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، والفضائل والمعاجز الدّالّة على صدق سفارة آل البيت عليهم السلام، فالتوهين والتضعيف فيها هو بمثابة التضعيف في معاجز الأنبياء والأوصياء عليهم السلام؛ لذا فإنّ الإعتقاد بها ضرورة من الضّروريّات الدِّينيّة كغيرها من معاجز الأنبياء والأولياء عليهم السلام التي لا يجوز لأيٍّ كان إنكارها والتّشكيك بها، وإلاّ عُدَّ منكِراً لها، وبالتالي منكِراً للأخبار المتواترة بالمعنى الدالة على عظيم قدرة الله تعالى على الإحياء ومنكراً أيضاً لتلكم المعاجز الكبرى الدالة على صدق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في دعواهم.

فما ادّعاه السيِّد الصّدر جدٌّ خطيرٍ على المستوى العقيدي، فالتشكيك في ضروريّة الرّجعة عند الإماميّة لا يعدو كونه تشكيكاً في مقابل البديهة.

ولم يكتفِ السيِّدُ المذكور بما تقدّم آنفاً، بل زاد الطّين بِلّةً؛ عندما نسف تواتر الأخبار على الرّجعة، فقال: « **وإنما اعترف مَن اعترف بالرّجعة وأخذ بها، نتيجة لهذه الأخبار التي ادّعى المجلسيّ تواترها، فالرّأي العام المتخذ حولها - ولا أقول الإجماع - ناتجٌ من هذه الأخبار، ولا يمكن أنْ تزيد قيمة الفرع على الأصل** »[2].

يرد عليه: إنّ دعوى المحدِّث المجلسي رحمه الله هي عين الحقيقة، وليس فيها أيّ إيهام لدى كلّ فاحصٍ بصير ودقيق خبير بأخبار أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام، فلم يقم تواتر على مسألة عقيديّة هامّة كما قام على الرّجعة - حسبما قلنا آنفاً - اللهمّ إلاّ

---

(١) راجع (الإيقاظ من الهجعة) ص٨٢.

(٢) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٢.

مسألة الإمامة والوصاية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

مضافاً إلى أنّ غمزه بالإجماع القائم عليها، مدّعياً أنّ قيام المشهور على الأخذ بها، لم نرَ له وجهاً عند عامّة فقهاء ومتكلِّمي الإماميّة، بل لم نجد مَن غمز بها من الشّيعة سوى الشذاذ من علماء الطّائفة حسبما ذكر السيِّد المرتضى أعلى الله مقامه، فخروج ثلّة من الشذّاذ عن الإجماع لا يقدح بصحّة انعقاده، كما لا يخفى على الخبير الفقيه، فكيف بمَن كان مرجعاً للأمّة في فترةٍ زمنيّة مضت، وله مقلِّدون إلى زماننا هذا؟!! غفر الله لنا وله، وأقال الله عثرته يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

والمحدّث المجلسي رحمه الله لم يكن الوحيد الذي ادّعى الإجماعَ على ضرورة الرّجعة، بل سبقه إلى ذلك أعاظم محدِّثي وفقهاء الإماميّة، إذ إنّ كلَّ مَن كتب في إثبات الرّجعة ادّعى انعقاد الإجماع على صحّة الرّجعة، ودعوى الإجماع على ذلك صحيحة لعدم مخالفة أحدٍ من فقهاء الإماميّة ذلك، وهل يتحقّق الإجماع بغير ذلك؟!!.

المناقشة الثانية : « **إنّه من الواضح أنّ مجرّد نقل الرّواية لا يعني الإلتزام بمضمونها والتّصديق بصحّتها، من قِبَلِ النّاقل أو الرّاوي، إذن فهؤلاء الأربعون الناقلون لهذه الرّوايات لا يمكن أنْ نعدّهم من المعترفين بالرّجعة** »[1] .

يورد عليه: إنّ الملازمة مخدوشة، إذ كيف ينقل الرّاوي روايةً من دون أنْ يتعرّض لها بتكذيبٍ أو تشكيك، ولا يقتضي ذلك الأخذ بمضمونها وتصديقها، فعدم صدور شيء من ذلك يستلزم العمل بمضمونها والتصديق بصحّتها.

وعلى فرض وجود ملازَمة بين نقلها وعدم الالتزام بمضمونها، فإنّ عدم الالتزام يتساوى مع الالتزام بمضمونها ما لم يبرز قرينة على رفضه لها، وإذا تساوى الاحتمالان فلا يجوز تقديم أحدهما على الآخر إلاّ بمرجحٍ معتبرٍ أو قرينةٍ قويّةٍ،

(١) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٢.

وهو مفقودٌ في مناقشة صاحب الشّبهة.

ويمكننا دعوى وجود ملازمة بين نقل الرّواية والالتزام بمضمونها، إذ لو لم يعتقد الناقلُ بتلكم الرّوايات الدالة على الرجعة لكان عقّب عليها باعتراضٍ أو غمزٍ أو تضعيفٍ وما شابه ذلك، وحيث إننا لم نرَ شيئاً من هذا القبيل، نعلَم بوجود ملازَمة بين نقله للرّواية والالتزام بصحّتها، فما ادّعاه صاحب المناقشة دونه خرط القتاد، فلا تصلح مناقشته للمناقشة أصلاً.

المناقشة الثّالثة : « **إنّ هؤلاء الرّواة الإثنين والأربعون الذين عدّدهم العلامة المجلسيّ رحمه الله لم يجتمعوا في جيلٍ واحدٍ، فلو رويتْ أخبارُ الرّجعة من قبل أربعين شخصاً في كلّ جيل حتى يتصل بزمن المعصومين عليهم السلام لكانت أخبارُ الرّجعة متواترةً، ولكن يبدو من كلام المجلسي نفسه وهو أوسع الناس اطّلاعاً في عصره أنّ مجموع الناقلين لأخبار الرّجعة من المؤلفين في كلّ الأجيال الإسلاميّة إلى حين عصره لا يعدو النيّف والأربعين راوياً، فلو أخذنا المعدَّل وهو عمليّة لا مبرِّر لها الآن، لَرَأينا أنّه يعود إلى كلّ جيل حوالي أحد عشر مؤلِّفاً؛ لأنّ المجلسي عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وهو عدد لا يكون للتواتر** »[1] .

يورد عليه:

١- لا يهمّنا عدد الكتب النّاقلة لأخبار الرّجعة بمقدار ما يهمّنا عدد رواة أخبار الرّجعة، فقد خلط صاحب المناقشة بين رواة أخبار الرّجعة وبين الكتب الرّاوية لها، فما عدّده المحدِّث المجلسي رحمه الله إنّما هو أصحاب الكتب وليس رواة الأسانيد.

كما إنّه خَلَطَ في توصيف التواتر بين تواتر الأسانيد وبين تواتر الكتب الناقلة لأحاديث الرّجعة، والفَرْقُ بينهما كبير عند أهل التّحقيق، فليست العِبرةُ في تحقق التواتر هي تواتر الكتب، وإنّما المهمّ تواتر رواة الأخبار وهو حاصل في أخبار الرّجعة، فقد روى المحدِّث المجلسي رحمه الله في باب الرّجعة من الجزء الثالث والخمسين من بحاره تسعين حديثاً متّصلاً بالإمام الصّادق عليه السلام، وستّاً وستّين حديثاً متّصلاً

(١) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٢.

بالإمام الباقر عليه السلام، وهذا رقم عظيمٌ في تواتر أخبار الرّجعة، لذا صدق العلاّمة المجلسيّ - أعلى الله تعالى مقامه - حينما قال: « **فإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أيّ شيءٍ يمكن دعوى التواتر، مع ما روته كافّة الشّيعة خلفاً عن سلف..** »[(١)].

٢- لا يُشتَرَطُ في الخبر المتواتر أنْ يكون مجموعه متحقّقاً في عصر معصومٍ واحدٍ، بل لو اجتمع التواتر على قضيّةٍ متوزّعاً على عصر كلّ معصوم لكفى في تحقّق التواتر؛ لأنّ الأصل في التواتر روايته عن طبيعي المعصوم أو المعصومين مجتمعين لكونهم عليهم السلام من نفسٍ واحدةٍ، وليس المعصوم بما هو لوحده فحسب، ومن المتعذّر عادةً تحقّق وصف التواتر - بالمعنى الذي أفادته المناقشة - في عصور التقيّة التي عاشها أئمّتنا الأنوار المطهرون عليهم السلام لقلّة الموقنين بهم عليهم السلام وبأسرارهم، ومع هذا فقد جاءت الأسانيد المتعدِّدة بطرق مختلفة تثبت إمكان الرّجعة وصحّة وقوعها مع تأكيد القرآن الكريم عليها.

المناقشة الرّابعة: « **إنّ عدداً من المؤلَّفات التي ذكرها المجلسي لم تثبت عن مؤلفيها أو لم تصلنا عنهم بطريقٍ صحيحٍ مضبوط، أو أنّ روايته عن مؤلفه ضعيفة أساساً كتفسير عليّ بن إبراهيم وكتب أخرى لا حاجة إلى تعدادها** »[(٢)].

يرد عليه:

١- إنّ المؤلَّفات النّادرة التي نقل منها المحدِّث المجلسي رحمه الله قليلة جدّاً لم تتجاوز أصابع اليد، بالقياس إلى عشرات المصادر الصّحيحة والمعتَبَرَة عند علماء الإماميّة، - وأصحابها من أعاظم علماء الإماميّة — (كبصائر الدّرجات) و(منتخب البصائر) و(الكافي) و(الفقيه) و(التهذيب) و(الأمالي) و(كنز الفوائد) و(تفسير العياشي) و(معاني الأخبار) و(رجال الكشي) و(الارشاد) و(المجالس) للمفيد و(الاختصاص) و(إعلام الورى) و(غيبة النعماني) و(كامل الزّيارات) و(غيبة الطوسي) و(المصباح) للطوسي و(المصباح) للكفعمي و(الإقبال) و(فهرست

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١٢٣.

(٢) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٢.

النجاشي) و(الاحتجاج) و(دعائم الإسلام) و(صفات الشّيعة)... إلى غيرها من المصادر المعتَبَرة عند الإماميّة والمليئة بالرّوايات المتّصلة بالمعصومﷺ، وأصحاب هذه المصادر في الإشتهار والإعتبار أشهر من النار على المنار ومن الشمس في رابعة النّهار، فالعجب من صاحب المناقشة كيف يُدْخِلُ الشكَّ - وإنْ لم يكن عن قصدٍ حملاً له على الصحّة - إلى قلوب المستضعفين من المؤمنين، لكنّ زلّة العالِم أعظم من زلّة سبعين جاهلٍ، ويغفر للجاهل سبعون ذَنْباً قبل أنْ يُغْفَرَ للعالِم ذَنْبٌ واحدٌ، وصاحب المناقشة مما نجلُّ ونحترم بعض أفكاره وآرائه، لكنّ الحقّ أحقُّ أنْ يُجَلَّ عن النّقص والتّوهين، فلم يكن بوسعنا إلاّ الذَّوْد عن عقيدتنا بالرّجعة التي تناولتها أقلام وألسنٌ ولا زالت تنفث السّمومَ عليها لتُمِيتَ ذكرَها وتوهن أمرَها، وما ذاك إلاّ إماتةً وتوهيناً للحقّ وقدرة الله تعالى على إحياء الموتى؛ لإظهار فضل أهل بيت العصمة والطّهارةﷺ.

والعَجَبُ من صاحب المناقشة كيف شكَّكَ بروايات الرّجعة بشكلٍ عامٍّ، ولم يشكِّك في رجعة دابّة الأرض المرويّة[1] في نفس المصادر التي شكّكَ بنسبتها إلى مؤلِّفيها، مع أنّ المصدر واحدٌ.

إنْ قيل: إنّ روايات رجعة دابّة الأرض رويت أيضاً في مصادر أخرى غير التي ضعّفها صاحب المناقشة، وورويتها في المصادر الأُخرى تُخرجها عن مورد الخلاف الذي اخترعه صاحب الشبهة وبالتالي تكون الحجية لروايات دابة الأرض دون غيرها من روايات الرجعة لبقية أئمة الهدى وأنوار الهداية والقداسة سلام الله عليهم أجمعين...!.

قلنا: كما أنَّ روايات دابة الأرض قد رويت في مصادر معتبرة، كذلك روايات رجعة غير أمير المؤمنين من أهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين قد رويت في مصادر معتبرة ومشهورة، فيثبت المطلوب في الرّجعتين: رجعة أمير

(١) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٤.

المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ورجعة غيره من الأئمّة الأطهار عليهم السلام وبعض الأموات.

٢- إنّ تضعيف تفسير عليّ بن إبراهيم لا يكون مبرِّراً لتضعيف روايات الرّجعة عن بكرة أبيها، وقد رويت بطرق متعدِّدة تبلغ حَدَّ التواتر بمرّات، ومؤلِّفوها معروفون حسبما أسلفنا، وما رواه عن القمّي لا يتجاوز - حسب استقصائي في بحث الرّجعة للمجلسي[1]- الواحد والثلاثين روايةً، وأمّا غيره من المصادر فبلغ مقدار ما رواه عنها مائة وتسع وخمسين رواية، وهو رقمٌ هائل لا يُقارَن بروايات القمّي البالغة إحدى وثلاثين رواية.

وعليه؛ فلا يحقّ لصاحب المناقشة التشكيكُ بتلكم الرّوايات ذات الكمّ الهائل في المصادر الموثوقة عند الإماميّة، ولكنّنا نعذره لِمَا أدّى إليه ظنُّهُ، وسبحان الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، والعصمة لأهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام، ومَنْ دونهم معرَّضٌ للسّقوط والهفوات، نسأل اللهَ تعالى بحقِّهم عليهم السلام أنْ يعصمنا من الزلاّت والسّقطات إنّه خير مُجيبٍ، وهم عليهم السلام خير وسيطٍ، صلوات الرّحمان عليهم أجمعين.

بالإضافة إلى كلِّ ذلك: إنّ تضعيف نسبة التفسير إلى عليّ بن إبراهيم بن هاشم في غير محلِّها، لا سيّما بعد اعتراف النّجاشي بصحّة التفسير حين قال: « **عليّ بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي ثقة في الحديث ثبت معتَمَد صحيح المذهب سمع فأكثَرَ وصَنَّفَ كتباً وأُضر في وسط عمره وله كتاب التفسير كتاب قرب الإسناد، كتاب الشرائع، كتاب الحيض، كتاب التوحيد والشرك، كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء، رسالة في معنى هشام ويونس، جوابات مسائل سأله عنها محمد بن بلال ، كتاب يعرف بالمشذر، والله أعلم أنه مضاف إليه..** »[2].

وتوثيق النجاشي لعليّ بن إبراهيم معتبرة باعتبار الأقرب إليه منا ولأنه من مشايخ ثقة الإسلام الكليني ومن أكابر علماء الطائفة، ولو كان تفسير القمي ملفقاً

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ باب الرّجعة.

(٢) راجع (رجال النجاشي) ج٢ ص ٨٦ - ٨٧ رقم ٦٧٨، (معجم رجال الحديث) للخوئي ج١١ ص١٩٣.

عليه بنظر الأوائل لا سيَّما النجاشي الأقرب إليه منا لكانوا أشاروا إلى ذلك وحذروا منه كما حذّر النجاشي من كتاب المشذّر قائلاً بأنه « **مضاف إليه** » أي إلى القمي، فعدم تضعيفه للتفسير المشهور يدل بالدلالة الإلتزامية بأن الكتاب بعامة فصوله هو للمحدّث القمي أعلى الله مقامه ورفع في الخلد جنانه، وعلى من ادَّعى التلفيق على التفسير أن يأتينا بدليل وبرهان مقبولَيْنِ لا أنْ يأتينا بأقيسة وإستحسانات حتى يمكننا مناقشته والإيراد على مقالته..!.

وقال الشّيخ الطّوسي في الفهرس: « **عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي له كتب منها كتاب التفسير، كتاب النّاسخ والمنسوخ ..** »[1].

إنّ عليّ بن إبراهيم من مشايخ الكليني، وقد أكثر في الكافي الرّوايةَ عنه، حتى بلغَتْ روايته عنه سبعة آلاف وثمانية وستين مورداً[2]، وقد وقع في أسنادٍ كثيرٍ من الرّوايات تبلغ سبعة آلاف ومائة وأربعين مورداً[3].

وأسانيد القمّي في تفسيره صحاح؛ لأنّه لم يروِ إلاّ عن ثقة بحسب تصريحه في ديباجة كتابه، من هنا التزم ثلّة من محقّقي الإماميّة بتوثيق رجاله؛ لأنّه لا يروي إلّا عن ثقة، ومن هؤلاء الحرّ العاملي والخوئي ونحن نؤيّدهما أيضاً في ذلك.

قال العلامة الخوئي: « **...نحكم بوثاقة جميع مشايخ عليّ بن إبراهيم الذي روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السَّنَد إلى أحد المعصومين عليهم السلام، فقد قال في مقدِّمة تفسيره: (ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا من مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم)، فإنّ في هذا الكلام دلالة ظاهرة على أنّه لا يروي في كتابه هذا إلاّ عن ثقة، بل استفاد صاحب الوسائل في الفائدة السّادسة في كتابه في ذكر شهادة جمع كثير من علمائنا بصحّة الكتب المذكورة وأمثالها وتواترها وثبوتها عن مؤلّفيها وثبوت أحاديثها عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أنّ كلّ مَن وقع في إسناد روايات تفسير عليّ بن إبراهيم المنتهية إلى**

(١) راجع (الفهرس) ص٨٩، الرّقم٣٧٠ منشورات الشريف الرضي قم.

(٢) راجع (معجم رجال الحديث) ج١٨ ص٥٤.

(٣) راجع (معجم رجال الحديث) ج١١ ص١٩٤.

المعصومين عليهم السلام قد شهد عليّ بن إبراهيم بوثاقته... »[1].

ثمّ قال السيِّد الخوئي رحمه الله : « **إنّ ما استفاده رحمه الله في محلّه، فإنّ عليّ بن إبراهيم يريد بما ذكره إثبات صحّة تفسيره، وإنّ رواياته ثابتة وصادرة من المعصومين عليهم السلام وإنها انتهت إليه بوساطة المشايخ والثقات من الشّيعة، وعلى ذلك فلا موجب لتخصيص التوثيق بمشايخه الذين يروي عنهم عليّ بن إبراهيم بلا واسطة كما زعمه بعضهم... »**[2].

ثمّ أضاف السيِّد الخوئي رحمه الله : « **وبما ذكرناه نحكم بوثاقة جميع مَن وقع في إسناد كامل الزّيارات أيضاً، فإنّ جعفر بن قولويه قال في أوّل كتابه: وقد علمنا بأنّا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا غيره، لكنّ ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته ولا أخرجتُ فيه حديثاً روي عن الشذّاذ من الرِّجال »**[3].

وعليه ؛ فإنّ تفسير القمّي هو لصاحبه عليّ بن إبراهيم بلا إشكالٍ لشهادات علماء الرِّجال المعروفين على ذلك، وشهادة نفس المؤلِّف صاحب التفسير بذلك في ديباجة تفسيره، فالأصل يقتضي كون الكتاب له بالقرائن المتقدِّمة، حتى يثبت العكس، ولكنّ صاحب المناقشة خالف الأصل والقاعدة فجعل روايات التفسير لغير القمّي بدون دليلٍ معتَبَرٍ على دعواه، فيسقط كلامه عن مقام الاحتجاج في مثل المقام.

المناقشة الخامسة : « **إنّ الرّوايات التي نقلها هؤلاء ليست كلّها صريحة وواضحة، وسنعرف عما قليل أنّها مشوَّشة قد لا تدلّ على الرّجعة اصلاً، وقد تدلّ على الرّجعة بالمعنى العام المشترك بين الاحتمالات الثلاثة السّابقة، وقد تدلّ على واحدٍ منها بعينه وتنفي الاحتمالات الأخرى، وهكذا.**

إذن، فالتواتر المدَّعى ليس له مدلول معيَّن، ومعنى ذلك: أنّ الأخبار لم تتواتر على مدلولٍ بعينه، ومعه فكلام المجلسي يحتوي على شيء من المبالغة في الإثبات على أقلّ

(1) راجع (معجم رجال الحديث) ج1 ص49.

(2) راجع (معجم رجال الحديث) ج1 ص50.

(3) راجع (معجم رجال الحديث) ج1 ص50.

تقدير »[1].

وفيه: إنّ إلقاء نظرةٍ بسيطةٍ على أخبار الرّجعة المبثوثة في المصادر الحديثية عند الشيعة الإمامية، لا سيّما أخبار (بحار الأنوار)، فضلاً عن كتاب (الرّجعة) للأسترآبادي والإحسائي، يرينا خلاف ما ادّعاه صاحب المناقضة، ووجود عدد قليل جداً لا يدلّ على الرّجعة مباشرةً لا يُلغي الأخبار الصّريحة في الرّجعة.

مضافاً إلى أنّ دعواه على عدم وجود تواتر على مدلول معيَّن ليس دليلاً على نسف الأخبار العامّة للرّجعة، بل في عددٍ معتدٍّ منها فيه دلالة واضحة على رجعة كلّ الأئمّة عليهم السلام نظير قوله عليه السلام: « **وجعلني ممّن يقتصّ آثارَكم.. ويكرُّ في رجعتكم، ويُمَلَّكُ في دولتكم، ويُشَرَّفُ في عافيتكم، ويُمَكَّنُ في إيّامكم...** »[2].

وفي صحيحة صفوان الجمّال عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام في زيارة الأربعين: « **وأشهد أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن، بشرايع ديني وخواتيم عملي** »[3].

وقول الإمام الصّادق عليه السلام: « **ليس منّا مَن لم يؤمن بكَرَّتنا ولم يستحلّ متعتنا** »[4].

والأخبار في ذلك كثيرة نحيل القارئ إلى البحار ليرى بوضوح صحّة ما قلنا، وخلاف ما ادّعاه صاحب المناقشة ونعته لكلام المجلسي بالمبالغة في الاثبات.

وهل مَن سبق العلامة المجلسي من العلماء العِظام أمثال الطّوسي والصَّدوق والكليني والمرتضى والنجاشي والكشي والعياشي وعليّ بن إبراهيم والمفيد والكراجكي والنعماني والصفّار... إلخ من المبالغين أيضاً في دعوى التّواتر؟!!! وهل أنّ الحرّ العاملي في كتابه (الايقاظ من الهجعة) مبالغٌ في دعوى التواتر وهو أسبق من المحدِّث المجلسي في إثبات الرّجعة؟! ما هكذا تورد يا سعد الأبل!!

وبالجملة؛ فعدم تواتر مدلول على معنى معيَّن غير صحيح لَمن تأمّل وتحقّق في

(١) راجع (تاريخ ما بعد الظّهور) ص٩٠٢.

(٢) الزّيارة الجامعة المبارَكة، وهي صحيحة السَنَد.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٥٢ ح١٠٠، نقلاً عن (التهذيب) للطوسي.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٥٢ح١٠١، نقلاً عن (الفقيه) للصَّدوق.

الأخبار. نعم، ليس ثمّة تواتر على رجوع كلّ مؤمن على الإطلاق، أو رجوع جماعة من كلّ أمّة، لكنّ الأخبار على ذلك كثيرة وإنْ لم تبلغ حَدَّ التواتر، وليس الشّرط في صحّتها أنْ تبلغ حَدَّ التواتر ما دامت موافِقة للإطلاقات القرآنيّة الدالّة على صحّة الرّجعة نظير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا... ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ؛ فلا يمكن تخصيصه بالأمّة الإسلاميّة دون غيرها من الأمم السّابقة.

ويظهر من صاحب المناقشة طغيان الفكر الفلسفي على آرائه وأفكاره لمن لاحظ كتبه العقائديّة لا سيّما (تاريخ ما بعد الظّهور)، ولعلّه كان متأثّراً بابن عمّه السيِّد محمَّد باقر الصّدر[1] الذي فعَّل دورَ العقل في معالجة القضايا الفقهية والعقائدية المرتكزية على الأخبار الشريفة...! وفي ذلك من الإشكال ما لا يخفى على المحقِّقين من فقهاء الإماميّة، إذ إنّ تحكيم الفلسفة على الأخبار يلغيها من أساسها، لتقديم العقل على الأخبار.

والحقّ أنْ يُقال: إنّ المبالغ في كلامه إنَّما هو السيّد الصدر صاحب الشبهة، وليست المبالغة في كلام المحدِّث المجلسي رحمه الله الذي قضى عمره الشّريف في تتبّع الأخبار وضبطها ورعايتها، مع وفور صدقه وأمانته وورعه بحيث لا يبالغ في كشف الحقائق الدالة على العقائد، ونحن لا ننزهه عن بعض الإشتباهات إلا أن أكثر عقائده صحيحة وموافقة للأدلة الشرعية والتي منها مسألة الرجعة، فجزاه الله تعالى عنّا خيرَ الجزاء وأسكنه فسيح جِنانه مع أهل بيت العصمة والطّهارة عليهم السلام..!.

ويبدو أنَّ مسألة التشكيك بالرجعة التي جعلت السيِّد الصدر ينحو منحاها لها جذور في الوسط الشيعي عند بعض الشذاذ كما أفاد السيّد المرتضى رحمه الله وقد تأثر بها المشكك المعاصر، من هنا أبدى المحدِّث المجلسي رحمه الله إعتراضه وإمتعاضه من أولئك المشككين، لذا أظهره بخطاب الواثق بما يعتقده في الرجعة فقال: « **أني لا أظنك**

(١) فقد نفى السيِّد محمَّد باقر الصّدر سبق وجود الأرواح على وجود الأبدان في كتابه: (فلسفتنا) وفي ذلك مخالَفة لأخبار أئمتنا الأطهار عليهم السلام وهي متواترة بل فوق التواتر لِمَن تعمَّقَ في الأخبار المعصوميّة... ولديه شبهات وشكوك في قضايا ضرورية في الفقه والعقيدة الشيعية لسنا في مقام بيانها ههنا.!

ترتاب بعد ما مهّدتُ وأوضحتُ لكَ في القول بالرّجعة التي أجمعت الشّيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشّمس في رابعة النّهار، حتى نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم وشنع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوها في كتبهم وأسفارهم، منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما.

وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهارعليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الاسلام الكليني، والصّدوق محمَّد ابن بابويه، والشّيخ أبي جعفر الطّوسي، والسيِّد المرتضى، والكشّي، والعيّاشي، وعليّ بن إبراهيم، وسليم الهلالي، والكراجكي، والنعماني، والصفَّار، وسعد بن عبد الله، وابن قولويه، وعليّ بن عبد الحميد، والسيِّد عليّ بن طاووس، وولده صاحب كتاب (زوائد الفوائد)، وصاحب كتاب (الفضائل) ومحمَّد بن عليّ بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلِّف كتاب (التّنْزيل والتّحريف)، والشيخ المفيد، وأبي الفضل الطّبرسي، وإبراهيم بن محمَّد الثقفي، ومحمَّد بن العبّاس بن مروان، والبرقي، وابن شهرآشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراوندي، والعلامة الحلي، والسيِّد بهاء الدين عليّ بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن عليّ بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشيخ الشهيد محمَّد بن مكي، والحسين بن حمدان، والنّجاشي، والحسن بن محمَّد بن جمهور العمي مؤلف كتاب (الواحدة)، والحسن ابن محبوب، وجعفر بن محمَّد بن مالك الكوفي، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرئيل، ومؤلف كتاب (العتيق)، ومؤلِّف كتاب (الخطب) وغيرهم من مؤلِّفي الكتب التي عندنا، ولم نعرف مؤلفه على التعيين، ولذا لم ننسب الأخبار إليهم، وإنْ كان بعضها موجوداً فيها.

وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أيّ شيءٍ يمكن دعوى التواتر، مع ما روته كافّة الشّيعة خَلَفَاً عن سَلَفٍ.

وظَنّي أنَّ مَن يشكّ في أمثالها فهو شاكٌّ في أئمّة الدِّين، ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين، فيحتال في تخريب المِلَّة القويمة، بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، وتشكيكات الملحدين: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ

نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوۡبَةِ »[1] .

الشّبهة الثّانية: إنّ الاعتقاد بالرّجعة ينافي ثبوت التّكليف؛ لأنّ مَن يرجع إلى الدّنيا فهو راجع إلى دار التكليف، فإنْ كُلِّف ثانياً بعد انقطاع التكليف عنه، فالأصل براءة ذمته من أصل التّكليف، وإنّما ثبت قبل الموت بأخبار النبيّ صلى الله عليه وآله الذي شهدت المعاجز بتصديقه، ولا يثبت بعد ارتفاعه بالإتفاق إلاّ بمثل ذلك، وقد أجمع المسلمون على أنّ رسول الله محمَّداً خاتم النبيين فلا نبيَّ بعده، وإنْ لم يكن مكلَّفاً فقد نقضتم قولكم بأنه يرجع لإقامة الدِّين والجهاد في سبيل الله حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإنْ قلتم الرّجوع للجزاء فهو خلاف الإجماع؛ لأنّ الجزاء إنما هو في يوم القيامة، فلا يصحّ القول بالرّجعة.

جوابها: إنّ العلّة الموجِبة للتكليف في الدّنيا موجودة بعينها في الرّجعة، فكما أنّ الدّنيا دار متاع واستعداد ليوم المعاد، كذا يوم الرّجعة فإنّه دار متاع واستعداد لليوم الآخر، وذلك ظاهر لِمَن عرف علّة تركيب الأجسام من العناصر المختلفة المتضادّة والأعراض المتغيِّرة الموجبة لعدم البقاء، الدالة على إرادة الإختيار بذلك التغيير، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى مَن حيَّ عن بيّنة.

وانقطاع التكليف في دار الدّنيا لا يدلّ على عدمه مرّة ثانية يوم الرّجعة، لجواز أنْ يكون انقطاعه إلى أجَلٍ محدودٍ لسبق عِلم الله برجوعه، فهو مكتوب في اللوح المحفوظ لأنّه مقتضى وجوده في دار التكليف، ووجوده مركب من عناصر وأعراض متغيِّرة، والتكليف إنّما هو لتعديل نظام أحوال المكلَّف المختلفة باختلاف ذاك التركيب والأعراض وهما متاع السّفر إلى الآخرة التي هي دار الجزاء، وما ذُكِرَ آنفاً هو الأصل الأوّل فيستصحب بقاؤه لشغل الذمّة به للعلّة المذكورة.

توضيح ذلك: بما أنّ علّة التّركيب دالّة على إرادة الإختيار، فإذا شُكَّ بالرّاجع إلى الدّنيا بعد موته هل هو مكلَّف باختياره أم لا؟ فيقتضي الأمر استصحاب

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص١٢٢- ١٢٣.

التكليف للعلّة المذكورة.

ولو سلّمنا توقُّف التّكليف على أخبار مَن شهدت له المعاجز بالتصديق فهو موجود في الإمام(عليه السلام) مستكمل لجميع الشّرائط ما خلا النّبوّة؛ وذلك لأنّ للإمام (عليه السلام) ما للنبيّ(صلى الله عليه وآله)، فإنّنا الشيعة الإمامية اشترطنا في الإمام جميع شرائط التلقّي والأداء والتّبليغ بشهادة الأدلّة والبراهين، والمعاجز الباهرة التي يأتي الإمام(عليه السلام) بها كمعاجز النبي(صلى الله عليه وآله). والرّجعة عندنا دار تكليف[1] بمقدار ما هي دار جزاء. والتكليف كما يصحّ مع ظهور المعجزات، كذلك يصحّ مع الرّجعة بنفس المناط أيضاً.

الشّبهة الثّالثة: إنّ الرّجعة تنافي التّكليف؛ لأنّ التكليف شرطه الاختيار، وهو منتفٍ يوم الرّجعة لكونها - أي الرّجعة - ملجئة إلى فعل الطّاعات، والامتناع من المعاصي، وذلك ينافي التّكليف.

والجواب:

أوّلاً: لا يرجع إلى الدّنيا من المؤمنين الأتقياء إلاّ مَن كان موطِّناً نفسه على نصرة الإمام القائم(عجل الله فرجه الشريف)، فتكون رجعة الرّاجع مترشّحة من اختياره وإرادته ذلك قبل الموت، من هنا ورد استحباب تمنّي المؤمن الرّجعة لنصرة الإمام القائم روحي فداه، والمتمنّون في كلّ عصرٍ قليلون جدّاً، والله سبحانه يحقّق أمانيهم وتمنياتهم باعتبارها تصبُّ في صالح الفتح الإلهي على يد منقذ البشريّة الإمام المهديّ(عجل الله فرجه الشريف)، فما الضير حينئذٍ أنْ يُرْجِعَ اللهُ سبحانه مَن علم مِن نيّته التوطين على ذللك؟ ولا يحقّ لأحدٍ أنْ يسأل ربَّه لِمَ وكيف ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ.

مضافاً إلى أنّ الله تعالى يُخَيِّر المؤمنين[2] الأخيار في البرزخ بالخروج للنُّصرة

---

(١) فالرّجعة دار تكليف لثلّة من المؤمنين الأتقياء الأخيار كأنصار الأئمّة الأطهار(عليهم السلام)، ودار جزاء لثلّة من الكافرين لينالوا العذاب الشّديد وليكونوا عبرةً لغيرهم ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سُورَةُ السَّجْدَةِ.

(٢) وقد ورد ذلك عنهم(عليهم السلام) في الأخبار الشريفة.

فيختارون ذلك بسبب ما كانوا عليه في الدّنيا من الانتظار لإمام زمانهم ليفدوه بأنفسهم ويسفكون في سبيله مهجهم، اللهمّ اجعلنا منهم بمحمّد وآله صلواتك عليهم أجمعين، فإذا ما كان كذلك فأين وجه الإلجاء المنافي للتكليف يا تُرى؟!!!

ثانيا: إنّه من الجائز أنْ يستعدَّ الإنسانُ لكمال موجود في زمان بعد زمان حياته الدنيويّة الأولى فيموت ثمّ يحيا لحيازة الكمال المعدّ له في الزّمان الثاني، أو يستعدَّ لكمالٍ مشروطٍ بتخلل حياة ما في البرزخ فيعود إلى الدّنيا بعد استيفاء الشّرط، فهذا الاستعداد للتكامل متصل بمرحلة ما قبل الموت الأوّل، فهو نوع تتمّة للحياة الأولى(1).

ثالثا: على القول بعدم تكليف أهل الرّجعة، يكون رجوعهم من باب إدخال السّرور على قلوبهم مما يرون من ظهور الحقّ أو من باب إعطاء الثّواب لهم عن طريق التنعُّم مع مولاهم الإمام المهديّ عليه السلام في دولة الحقّ، لما اعتقدوه سابقاً بأحقية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام من غيرهم، أو لما انتظروه بفارغ الصّبر من إعلاء كلمة الله تعالى وإزهاق كلمة الشيطان(2).

رابعا: التّنعيم والتعذيب في الرّجعة كالتّنعيم والتعذيب في البرزخ بفارقٍ نسبيٍّ وهو أنّهما في الرّجعة ظاهران، وفي البرزخ باطنان ومستوران، فكما يصحّان في البرزخ، يصحّان في الرّجعة أيضاً.

إنْ قيل: إنّ هذا إلجاءٌ.

قلنا: فليكن كذلك إنْ كان ذلك بإرادة الله تعالى التي لا تمنع من الإختيار المتقدم على الإلجاء في اللوازم المترتبة على الإختيار، فالكافر هو من أوجب على نفسه التعذيب بسوء إختياره للقبيح في الدنيا وهو يستلزم التعذيب في الرجعة وهكذا بالنسبة إلى المتنعم في الرجعة هو من أوجب على نفسه التنعيم المذكور في الرجعة بحسن إختياره للحسن في الدنيا المستلزم للنعيم في الرجعة، فالله تعالى هو الملجئ

(1) راجع كتابنا (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج٢ ص٣٣٥.

(2) راجع كتابنا (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج٢ ص٣٣٥.

لكلا الرجلين - الكافر والمؤمن - في التنعيم والتعذيب بما اختاره في الدنيا من الإختيار، وهو أعلم بمصالح العباد. فما المانع - إذاً - أنْ تكون الرّجعة إلجاءً ممضيّاً مِن قِبَلِ الله عَزَّ وَجَلَّ تماماً كإلجاء أهل الجَنّة إلى الجَنّة، وأهل النّار إلى النّار المعلولين للحسن والقبح الإختياريين في الدنيا..؟!!

الشّبهة الرّابعة: يلزم من الرّجعة القول بالتناسخ وهو كفر، وذلك لأنهم لا يرجعون على هذه الحالة في الدّنيا وأجسادهم قد فنيت في قبورهم، ولم يبقَ منها إلاّ الطّينة الأصليّة، وهي لطيفة مثل عالم الآخرة، فإذا رجعوا في الدّنيا رجعوا في غيرها وهو قول بالتناسخ، وإنْ قلتم يرجعون فيها لزم أنهم يكونون على غير حالهم في الدّنيا، فلا يكون بينهم وبين الموجودين في ذلك الزّمان مجانسة ولا مؤانسة، ولا يتمّ ما تدعون إلاّ بالمجانسة، ويلزم منها التناسخ.

والجواب:

أوّلا: إنّ التناسخ عبارة عن رجوع الفعليّة إلى القوّة، أي الرّجوع العكسي من الشيخوخة إلى الشّباب ثم إلى الطّفولة، ثمّ إلى عالم الأجنّة، فالمضغة ثمّ النطفة.

وبمعنى آخر: إنّ الرّوح تنتقل إلى بدنْ آخر فتمرّ بمراحل عدّة من النطفة إلى المضغة إلى أنْ يصير طفلاً، وأين هذا من الرّجعة التي هي عود الرّوح إلى البدن المتكامل من جميع الجهات من دون رجوع إلى القوّة بعد الفعليّة[1].

وبتوضيحٍ آخر أهم: إنّ التناسخ انتقال النفس من بدن إلى آخر منفصل عن الأوّل؛ أي انّ الموضوع في التناسخ متعدد، أمّا الرّجعة فهس عبارة عن معاد جسماني، معناه رجوع نفس البدن الأوّل بمشخصاته النّفسيّة، والفرق بين المعاد والرّجعة، هو أنّ الرّجعة عود ورجوعٌ مؤقت إلى الدّنيا، والمعاد عودٌ ورجوعٌ في الآخرة[2].

---

(١) راجع كتابنا (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج٢ ص٣٣٢.

(٢) راجع كتابنا (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج٢ ص٣٣٢.

ثانيا: ليس كلّ رجوعٍ إلى غير الجسد الأصلي يكون تناسخاً، وإلاّ لثبت التناسخ في أرواح أهل البرزخ، إذ إنّهم يتنعّمون ويتعذبون بأجسادٍ مثاليّة شبيهة لأجسادهم الدّنيويّة، وإنما يشترط في التناسخ أمران:

الشّرط الأوّل: تكرر دخول الرّوح في أجسام متعدّدة.

الشّرط الثّاني: رجوع الرّوح من عالَم الفعليّة إلى القوّة.

وكِلاَ الأمرين متلاحمان لا ينفصلان، فإنْ تحقّق أحدهما دون الآخر لا يتحقّق التناسخ بخلاف الرّجعة ويوم المعاد، فإنّ الرّوح يتكرّر دخولها إلى جسده الأصلي في القبر وعند المحاسبة وفي غير الأصلي عند التنعّم أو العذاب، ويوم القيامة تدخل الرّوح إلى جسدها الأصلي بعدما كانت في جسدٍ مثاليٍّ في البرزخ، لكنّها لم تخرج من كلا العالَمَين: البرزخ والقيامة؛ من الفعليّة إلى القوّة كما هو مفاد الأمر الثاني الحاصل في التناسخ.

وعليه: لو سلّمنا بأنّ الدّخول في غير الجسم الأصلي تناسخ، لكنّه في الرّجعة دخول في جسدها الأصلي فأين التناسخ حينئذٍ؟ بل هو نظير رجوعها إلى جسدها الأصلي في يوم القيامة، فحيث لا يعدّ تناسخاً هناك، كذا لا يُعَدُّ تناسخاً في الرّجعة، والفصل بينهما خارق للإجماع والأدلّة؛ فتأمَّلْ.

ثالثا: دعوى أنّ رجعوهم إلى الدّنيا يلزم منه عدم وجود مجانسة بينهم وبين الموجودين الأحياء فيقتضي ذلك تناسخاً، منقوضة من حيث إنّ الطينة الأصليّة التي خُلِقَت منها أجسادُهم مرّة أخرى، تلبس في كلّ عالم من أعراض مكانه ووقته، فيمزجها في كلّ عالم بما هو منه، ففي الدّنيا بما فيها من الكثائف، وفي البرزخ بما فيه من الأمور البرزخيّة، وفي الآخرة بما فيها من اللطائف، وبذلك تحصل المجانسة بينهم وبين أهل زمانهم الذين يرجعون فيه، ولا يلزم منه القول بالتناسخ، فكما لا يحصل تناسخٌ عند أهل البرزخ وفي الآخرة، كذا لا يحصل في زمان الرّجعة بلا فصلٍ.

الشبهة الخامسة: عندما يموت النّاسُ تنقطع آجالهم وأرزاقهم، بل لا يموتون

إلاّ بعد فناء آجالهم وأرزاقهم؛ كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ... ﴿٣٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، فيستحيل رجوعهم بغير آجال وأرزاق.

والجواب:

إنّ أهل الرّجعة ماتوا بعد فناء آجالهم وأرزاقهم المكتوبة لهم في الدّنيا، وإذا رجعوا عاشوا بآجالهم وأرزاقهم المكتوبة لهم في الرّجعة كما حصل للنبي عزيرعليه السلام، وكذا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم، وكذا في السّبعين الذين سالوا نبيَّ الله موسىعليه السلام أنْ يريهم الله تعالى فأخذتهم الصّاعقة.

الشبهة السّادسة: على القول بالرّجعة يحتمل لَمن يرجع عند رجوعه التوبة والإنابة حتى لو كان يزيداً أو شمراً وأضرابهما، فحينئذٍ ينقلب العقاب المتوجه على المستحقين إلى ثواب تجب موالاتهم والترحّم عليهم.

والجواب:

أوّلا: لو رجعوا فلن يتوبوا، وليس حالهم في الرّجعة من جواز التوبة وذهاب أسباب العناد والنفاق ومعاينة العذاب والندم على ما فعلوا بأشدّ منهم يوم القيامة، وقد أخبر الله سبحانه بأنهم يكذبون فيما يدّعون من التوبة في قولهعزّ وجلّ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، فكذّبهم اللهُ تعالى العليم بأحوال خلقه وبما هم صائرون إليه فقال: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، بل إنّ سوء اختيارهم يمنعهم من التوبة قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ... ﴿١١١﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ.

ثانيا: إنّ رجوع الكافرين إلى الدّنيا إنّما هو لأجل الانتقام منهم أمام أنصارهم

ومحبِّيهم، وليس رجوعهم ليكلّفهم بتكليفٍ جديد، إذ من الواضح أنّ الانتقام والتعذيب ليس تكليفاً وإنما هو حسابٌ لتفريطهم بالتكليف السّابق على رجوعهم، فالرّجوع - إذاً - هو استمرارٌ لعمليّة التعذيب نتيجة ما ارتكبوه سابقاً من موبقات وجرائم، فلا يُقبَل لهم توبة، وجروا في ذلك مجرى فرعون لمّا أدركه الغرق، قال تعالى حكايةً عنه: ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُسَ، فردّ الله تعالى على دعواه بقوله: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُسَ، وردُّ الله تعالى لإيمان فرعون حال الغرق بحيث لم ينفعه ندم، تماماً كأهل الآخرة حيث لا يقبل الله عزّ وجلّ منهم توبةً ولا ندماً؛ لأنهم ملجؤون على التعذيب، ولأنّ الحكمة تمنع من قبول التوبة أبداً بعد فوات الأوان، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ... ﴿١٥٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ.

الشبهة السابعة: إنّ الذين يرجعون للدنيا ربما يهمُّون مجدّداً إلى المعاصي، أوليس هذا إغراءاً بالقبيح؟!

والجواب: إنّ الدّواعي لهم إلى المعاصي مرتفعة ولا يحصل لهم داعٍ إلى قبيحٍ على وجهٍ من الوجوه، ويعلمون في الحال أنهم معذَّبون على ما سبق لهم من العصيان، وإنهم إنْ راموا فعل القبيح تزايد عليهم العقاب.

مضافاً إلى ذلك: فإنّ رجوعهم إلى الدّنيا إنما هو للاقتصاص منهم، فهم ملجؤون لا مكلَفون، وهم كالمعذَّبين في البرزخ ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ سُورَةُ فَاطِرٍ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سُورَةُ المُؤْمِنُونَ.

دفع شبهة:

مفاد الشّبهة: إنّ الرّجعة لا تنسجم مع قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ ﴾ سُورَةُ المُؤْمِنُونَ؛ لأنّه طبقاً لهذه الآية، فإنّ المشركين يطلبون الرّجوع للدنيا ليعملوا صالحاً، فكيف يقول المسلمون الشيعة أنّ الله تعالى سيعيد جماعةً إلى الدّنيا في دولة القائم عليه السلام؟!.

والجواب:

إنّ هذه الآية: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ ﴾ سُورَةُ المُؤْمِنُونَ، عامّة، والرّجعة خاصّة، بمعنى أنّ كلّ العصاة والجبابرة والكفّار يتمنون - وهم في عالم البرزخ - الرّجوعَ إلى الدّنيا لكي يعملوا الصّالحات، لكنّ الله تعالى لا يستجيب طلبهم لأنهم ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، وإنما يرجع جماعة منهم - لا استجابةً لهم دون غيرهم من أهل النّار - ليكونوا عبرةً لغيرهم لشدّة ما كانوا عليه من الفساد والظلم والطّغيان، من هنا جاء في النصوص أنّه لا يرجع إلا مَن محض الكفر؛ أي مَن كان خالصاً في الكفر والزندقة[1].

الشبهة الثامنة: إن المراد بالرجعة هو رجوع أوصاف الأئمة الطاهرين عليهم السلام برجوع دولتهم في أيام الإمام القائم عليه السلام من دون رجوع أجسامهم، وهو رأيٌ قال به بعض الشواذ من المتقدمين ويبدو أن هذه النظرة الفاسدة كانت قبل عصر السيد المرتضى رحمه الله باعتباره الناقل لذلك الرأي الفاسد معبراً عنهم بأنهم شذاذ.

والحاصل: إن هؤلاء الشذاذ أنكروا رجوع الأشخاص إلى الدنيا وأوّلوا النصوص برجوع دولة الأئمة الطاهرين عليهم السلام إلى الدنيا بعدموتها.

(١) راجع كتابنا (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج٢ ص٣٣٤.

والجواب عن الشبهة بالأمور التالية:

الأمر الأول: إنّ ظهور الإمام عليه السلام شيءٌ وعودة الحياة إلى مجموعة من الأموات شيء آخر وذلك ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته فينتقمون من أعدائه ومبغضيه.

الأمر الثاني: إنّ رجوع أوصافهم ودولتهم أجنبيٌّ عن صريح الأخبار وحقيقة الرجعة، وإن الذين يرجعون هم الأشخاص وذواتهم، أما رجوع الأوصاف فلا اختصاص له بآخر الزمان بل هو أمر واقع من لدن خلقة آدم عليه السلام ، فإنّ كلَّ نبيٍّ ووصيّ كان يقوم في مقام نبيّ أو وصيّ سابق ، بل أصحابهم أيضاً كانوا يقومون مقام أصحاب الماضين من الأنبياء والأوصياء.

الأمر الثالث: إن النص الذي يراد تأويله لا بدّ أن يكون مخالفاً في ظاهره لما يحكم به العقل، أو مخالفاً للثوابت والمسلَّمات الشرعية وغيرها، وأيُّ غضاضةٍ إذا قلنا إنّ الله يعيد بعض الأشخاص إلى الدنيا؟! وهل الإعتقاد بهذا يستلزم مخالفة لأحكام العقل والشرع حتى استدعى الأمر عند بعضهم أنْ يؤوِّل النصوص الواردة فيها إلى رجوع دولتهم عليهم السلام دون أعيانهم أو أجسامهم الشريفة؟! فلا بدّ للذين يريدون تأويل النصوص أن يكون تأويلهم معقولاً ومقبولاً وموافقاً للكتاب الكريم وإلّا فلا بدَّ حينئذ من رفضه وردّه لمخالفته للنص القرآني القطعيّ، وما خالف القرآن فهو زخرف، وهل يمكن تأويل الآية التي دلّت على رجعة عُزير عليه السلام إلى الدنيا بحملها على عودة نبوّته دون جسده؟! وإذا لم يمكن التأويل لصراحة الآية بذلك، فكيف يتطرّق التأويل حينئذٍ إلى النصوص المتعلقة بالرجعة مع صراحتها بعودة بعض الأجساد مع أرواحها إلى الدنيا؟!

الأمر الرابع: لا يجوز شرعاً وعقلاً أن نرفضَ كلَّ نصٍ لم نستطع إدراك الحكمة فيه، كما يحرم علينا تأويله بما لا يتناسب والأسس المقررة، فعدم القدرة على تعقّل أو فهم النص لا يبرّر رفضه أو تأويله بما يخرجه عن معناه الصحيح، وإذا لم يمكن تأويله فعلينا أن نسلّم بفحواه ما دام غيرَ مخالفٍ للقرآن الكريم، إذْ قد يأتي زمان

تترقّى فيه قوانا الفكرية ويزيد فيه علمنا ، ونعرف الحكمة فيه ومنه كما رُوي عن ابن عباس قال: (لا تفسّروا القرآن فالزمان يفسّره)، حيث كشفت البحوث العلمية في زماننا هذا عن كثير من حقائق القرآن التي لا يخفى وجه الحكمة فيها في العصور المتقدّمة.

الأمر الخامس: إنّ التأويل برجوع دولتهم دون أعيانهم الشريفة هو خلاف الإجماع، والإجماعُ هنا دخوليٌّ ضروريٌّ نقطع بدخول المعصوم عليه السلام في المجمعين، لأنّ الطائفة بأسرها مجمعة على الرّجعة والإمام عليه السلام فردٌ منهم، وهذا الإجماع حجّة شرعاً، ولا يجوز طرحه لاستلزامه طرح أقوال المعصومين (صلوات ربي عليهم أجمعين)، والإجماع الدخولي يختلف بطبيعته عن الإجماع المحصَّل والمنقول لكونهما مدركيين حدسيين فلا يكونا كاشفَين عن رأي المعصوم عليه السلام، ولهذا لا يسع الفقيه الإعتماد عليهما في استنباط الأحكام الشرعية بوجهٍ، بخلاف الإجماع الدخولي التعبدي فلا بدّ من الأخذ به والعمل بمضمونه، من هنا قال السيد المرتضى رحمه الله: « ... **فالطريق إلى إثباتها – أي الرجعة – إجماع الإمامية على وقوعها ، فإنّهم لا يختلفون في ذلك، وإجماعهم قد بيّنا في مواضع من كتبنا أنّه حجّة لدخول قول الإمام عليه السلام فيه ، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بدّ من كونه صواباً . .** ».

الأمر السادس: إنّ التأويل برجوع الدولة خلاف المتبادر من معنى الرجعة، والتبادر علامة الحقيقة.

توضيح ذلك: لو أنّ فرداً قال لجماعة: إني سأرجع إليكم بعد فترة، فالكلّ يتبادر إلى ذهنهم بأنّه سيرجع إليهم بجسمه وليس بأفكاره المحضة من دون حضور جسمه، وهذا التبادر دلالة على علاقة اللفظ بمعناه الحقيقي لا المجازي، إذ المجاز يلزمه قرينة تصرفه من معناه الأولي الحقيقي إلى معناه الثانوي المجازي.

الأمر السابع: لقد نصّ علماء اللغة على إثبات معنى الرجعة وأنّ المراد بها الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وكذلك ما نصّ عليه المفسِّرون في تفسير بعض آيات الرجعة لا سيّما تمنّي الميت في البرزخ الرجوع إلى عالم الدنيا ليعمل صالحاً كما في

الآية مئة من سورة المؤمنين الدالة على رجوع بعض الأموات إلى الدّنيا، كلّ ذلك بالغضّ عن الآيات الأخرى الدالة على الرجعة.

الأمر الثامن: وجود تصريحات كثيرة بل وقرائن عديدة لا تحصى تدلّ على رجعة الأموات، وهي لا تحتمل التأويل الوارد في الشبهة بوجهٍ على الإطلاق.

الأمر التاسع: لا يُعْهَدُ إطلاقُ الرجعةِ على خروج مولانا الإمام المعظم صاحب الزمان عليه السلام في النصوص أصلاً، فلا يقال أنّه رجع من الموت، بل يطلق عليه أنّه ظهر وخرج، وعلى تقدير وجود شيء نادر فكيف يجوز الإلتفات إليه بعدما تقدَّم من الوجوه السابقة.

الأمر العاشر: إعتراف نفس المؤوِّلين بأنّ الرجعة هي تأويلٌ لرجوع دولتهم، ولا يجوز التأويل بغير نصٍّ ودليلٍ، ومعلومٌ أنّه لا يجوز التأويل ما دام الحمل على الظاهر ممكناً، وقد اتضح مما سبق أنّه لا ضرورة إليه هنا.

الأمر الحادي عشر: يظهر من حديث المفضل بن عمر عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام استنكاره الشديد لهذا التأويل، وها نحن نستعرض جزءاً منه، قال المفضل: يا مولاي فإنّ من شيعتكم مَن يقول برجعتكم؟ فقال الإمام الصادق عليه السلام: « **أمَا سمعوا قول جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن سائر الأئمة نقول:** ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ... ﴿٢١﴾ ﴾ »، ثم قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام: « **يا مفضل من أين قلت برجعتنا؟ ومقصّرة شيعتنا تقول: معنى الرجعة أن يردَّ الله إلينا ملك الدنيا ويجعله للمهدي؟! ويحهم متى سُلِبنا حتى يردَّه علينا؟** »، قال المفضل: والله ما سلبتموه لأنّه ملك النبوة والرسالة والوصية والإمامة، فقال مولانا الصادق عليه السلام: « **لو تدبّر شيعتنا القرآن لما شكّوا في فضلنا، أمَا سمعوا قول الله؟**: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾، **والله يا مفضل: إنّ تنزِيل هذه الآية في بني إسرائيل وتأويلها فينا، وإنّ فرعون وهامان: تيم وعدي** »، ثم ذكر قيام

الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً إلى رسول الله وشكوى كلّ واحدٍ منهم مما فُعِلَ به من قتله وظلمه، قال المفضل: فقوله؟ ليظهره على الدِّين كلّه؟؟، قال عليه السلام: « **إنّما يظهره على الدِّين كلّه في هذا اليوم وهذه الرجعة...** ». والحديث طويل.

وبهذا القدر من شبهات منكري الرّجعة والرّدّ عليها نصل إلى طيّ الجهة الثالثة المتعلِّقة بالمطلب الثالث.

*** المطلب الرّابع:** إنحصار طلب الثأر بخروج الإمام الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف:

دَلَّتْ الفقرة بقوله عليه السلام: « **أنْ يرزقني طلب ثارِكَ مع إمام منصور من أهل بيت محمّد** صلى الله عليه وآله » على انحصار طلب الثأر مع الإمام المهديّ عليه السلام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام؛ حينما يُرجعهم الإمام عليه السلام إلى الدّنيا، وكذا طلب الثأر من أنصارهم وأوليائهم ومحبيهم.

وتمني طلب الثأر لا يكون إلاّ من خلال الرّجعة؛ أي رجعة الطالب للثأر، وكأنّ الإمام عليه السلام في هذه الفقرة الشريفة يُعلِّمنا كيف نوطّن أنفسنا على تمنّي الكرّة بتلقينها الخروج للطلب بالثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وذراريهم عليهم اللعنة السّرمديّة.

وانحصار طلب الثأر بواسطة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يستلزم عدم وقوع رجعة قبل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام؛ وذلك لأنّ الغاية من الرّجعة هي النصرة وإقامة الحجّة، وهذا لا يتحقق إلاّ مع الإمام عليه السلام المؤيَّد بالمعجزات والكرامات، ورجعة الأموات هي معجزة لا تحصل إلا على يد الإمام المعصوم عليه السلام... وهذا ما تذكره الفقرة: « **مع إمام منصور** »؛ أي منصور ومؤيَّد بالآيات والجنود من الملائكة والشيعة من الجنّ والإنس والمعجزات والكرامات..

والمراد بالإمام المنصور هو القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي سيظهر بحكم الضّرورة من مذهبنا، وهو الإمام محمد بن الحسن العسكريّ عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ كما ورد في الأخبار المتواترة، فالتنكير (إمام منصور) للتعظيم والتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ... ﴿٤﴾ ﴾ سُورَةُ فَاطِرٍ؛ أي رسلٌ عظام، فعدم التعيين للرسل بأعيانهم إنما هو للتعظيم وليس لأجل التناكر أو التجاهل لذواتهم الشريفة، فإن الشريف إذا

عظم في نفوس الآخرين نادوه بألقابه وأوصافه وتغافلوا عن ذكر أسمائه، فالقائل (بالمهدويّة النوعيّة منكر للضّرورة من مذهب الإثني عشريّة)[1].

ويُراد بالمهدويّة النوعية أمران:

الأمر الأول: وهي رجوع أوصاف أهل البيت عليهم السلام برجوع دولتهم عليهم السلام في أيام الإمام القائم أرواحنا فداه وعليه السلام، من دون رجوع أجسامهم الشريفة، وهو ما أشار إليه المحدّث المجلسي رحمه الله نقلاً عن السيّد المرتضى رحمه الله واصفاً المعتقدين بهذا الرأي بالشذاذ، ويبدو من خبر المفضل الذي عرضناه الشبهة الثامنة أن الرأيَّ القائل بتأويل الرجعة برجوع دولتهم دون أشخاصهم النورانية المطهرة كان رائجاً في عهد الإمام الصادق صلوات الله عليه بدلالة ما قال عليه السلام للمفضل: « .. **ومقصّرة شيعتنا تقول: معنى الرجعة أن يردَّ الله إلينا ملك الدنيا ويجعله للمهدي عليه السلام؟!** ».

الأمر الثاني: وهي الفكرة القائلة بأنّ الفقهاء في عصر الغيبة هم المهديّون لكونهم ينوبون ويقومون مقامَ الإمام القائم المهديّ الموعود عجل الله فرجه ويعتقدون بأن الفقهاء في عصر الغيبة لهم الولاية التامة على كلّ شيء، فهم تماماً كالإمام الثاني عشر أبي صالح المهدي سلام الله عليه يحللون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون وأن كلَّ من يعترض على واحدٍ منهم يكون كافراً ويستحق القتل..إلخ.

وأنصار هذه الدّعوى اليوم متواجدون في إيران ولبنان والعراق والبحرين والكويت، وباتوا يصرِّحون بوجوب اعتقادهم بالوليّ الفقيه[2]، وأنّه الإمام الذي تجب معرفته، ومَن مات ولم يعرفه مات ميتةً جاهليّة، ونقل ذلك في مجلة القائم العدد الثالث عشر... ويظهر أن أنصار هذه الفكرة المنحرفة بدأت تنتشر في الوسط الشيعي الأمر الذي ينذر بإنحرافهم عن الولاية لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وهو أمر لا نتعجب منه بعد أن كشفت عنهم أخبارنا الشريفة بأن الكثير من المؤمنين

---

(١) راجع (شرح الزيارة للكاشاني) ص٧٣.

(٢) نقل لنا بعض الثقات المؤمنين في قرية من قرى جبل عامل أنّ أحد كوادرهم أذاع من المسجد أنّ الخمينيّ إمامٌ تجب معرفته وتجب مبايعته، ومَن مات وليس في عنقه بيعة له مات ميتة جاهليّة.

بولايتهم في آخر الزمان سوف يرتدون عنهم، وأطلقت أخبار أخرى عليهم لقب البترية والناصبية وأن عشرات الآلاف منهم سينكرون على الإمام الحجة القائم سلام الله عليه خروجه ويقولون له (إرجع يابن فاطمة من حيث جئت).

فقد روى المحدّث المجلسي في (البحار) عن (الإرشاد) للمفيد بإسناده عن أبي الجارود عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنه قال : « **إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس يدعون البترية عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ثم يدخل الكوفة، فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها، ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عزَّ وعلا** ».

ونحن نؤكّد رفضنا واستنكارنا وشجبنا لتلك الفكرة المخالفة لأصول الدين وصاحبها والمعتقد بها من الكافرين بما نزل على النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله باعتبارها من البدع المستحدثة لأكثر من إثنى عشر إماماً وهم المنصوص عليهم في الأخبار الشريفة.

والحاصل: إن المهدوية النوعية بالشكل الذي أشرنا إليه هي من العقائد الفاسدة الشاذّة التي يجب أن ينبذها ويستنكرها كلُّ فقيهٍ عاقلٍ وحكيم، وأنّه لا إمام إلّا الإمام المعصوم عليه السلام الذي تجب بيعته وهو الذي ورد فيه النصّ الإلهي، فعدم بيعة المعصوم توجب الكفر والضّلال كما هو مفاد كثيرٍ من الأخبار، وقد قام على ذلك الاجماع، وعدم بيعة الفقيه لا تستلزم الكفر والضّلال بالنص والإجماع، بل إن مبايعة غير المعصوم من المحرمات الشرعية، ومَن ادّعى خلاف ما ذكرنا فلا يعرف من الفقاهة شيئاً.

الأدلّة على حرمة بيعة غير المعصومين عليهم السلام

نستدلّ على حرمة البيعة لغير المعصومين بالأمور التالية :

الأمر الأوّل: إنّ معنى البيعة هو: المعاقدة كأن يبيع كلٌّ من المشتري والبائع ما عنده إلى الآخر بالبيع المعاطاتي، ولكنَّ البيعة ليست عقداً معاطاتياً وإنّما هو عقد

لفظيٌّ يحتاج إلى إيجاب وقبول، كأن يقول المبايع: (بايعتك يا فلان..) أو (لبّيك يا فلان..).

فالمبايعة هي التزام المبايع وعهده المؤكد وميثاقه المسدد بأنْ ينصر مَن يبايعه بنفسه وماله ولا يبخل عنه بشيء من ذات يده وما يتعلق به في نصرته، ويجعل نفسه وماله فداءً ووقاءً له.

والبيعة بهذا المعنى المذكور في دعاء العهد المرويّ لكلّ يوم بقوله عليه السلام: « **اللهمّ إني أجدِّدُ له في صبيحة يومي هذا وما عشتُ من أيامي حياتي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً..** »، وقد أمر رسول الله جميع الأمّة بمبايعة الأئمّة بهذه البيعة الشاهد منهم والغائب في خطبة الغدير المرويّة في الاحتجاج.

قال العلاّمة السيِّد الموسوي الأصفهاني أعلى الله مقامه صاحب كتاب (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للإمام القائم عليه السلام): « **ولا شكّ أنّ المبايعة بهذا المعنى من لوازم الإيمان وعلائمه، بل لا يتحقق الإيمان بدونه، فالمبايع هو المؤمن، والمشتري هو الله تعالى ولذلك قال** عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ... ﴿١١١﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، **وقد بعث الله تعالى أنبياءه ورسله لتجديد تلك المبايعة وتأكيدها، فمَن بايعهم فقد بايع الله، ومَن تولّى عنهم فقد تولّى عن الله تعالى، ولهذا قال جلّ شأنه:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ سُورَةُ الفَتْحِ »[1].

الأمر الثاني: إنّ البيعة أمر توقيفيٌّ يجب تلقّيها من الشّارع، ولم يرد إذن وترخيص بمبايعة غير المعصومين عليهم السلام.

الأمر الثالث: إنّ سيرة المتقدِّمين المتصلة بالمعصومين عليهم السلام مانعة من مبايعة المؤمنين لغير المعصومين عليهم السلام، بل لم يُعْهَد في زمانهم عليهم السلام مبايعة المؤمنين لنواب ووكلاء الأئمّة

(١) راجع (مكيال المكارم) ج٢ ص٢٣٠.

عليهم السلام المبثوثين في الأمصار والأقطار، لا بعنوان النيابة عنهم ولا بعنوان آخر، بمعنى أنّه لم يُعْهَد عند المتدينين في زمان حضور المعصومين عليهم السلام أنهم بايعوا وكلاءهم تحت عنوان أنّ الوكلاء نوّاب عن الأئمّة عليهم السلام فتكون المبايعة لهؤلاء مبايعة للأئمّة عليهم السلام، فهذا شيء لم يكن معهوداً في أزمنتهم، فبطريق أولى عدم جواز هذا الفعل بغيبة مولانا الإمام القائم عجل الله فرجه الشريف، بل ورد النهي منهم عليهم السلام بحرمة مبايعة مَن دعا إلى نفسه، من هنا لم يبايع أئمتنا الطاهرون عليهم السلام حكّامَ الجور، ولم يفعل ذلك أتباعهم وأنصارهم؛ وأكبر شاهدٍ على ذلك هو عدم مبايعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد؛ لأنّ المبايعة تقتضي تصحيح كلّ اللوازم الصّادرة من المبايَع له، وحيث إنّ غير المعصوم عليه السلام معرَّض للهفوات والأخطاء والشّبهات والذنوب وعظائم الأمور، فمن غير الجائز تفويض الأمر إليه تحت عنوان البيعة لاستلزامه الإقرار بالخطأ والإلتزام به، وفي ذلك مفاسد عظيمة على الأمّة لا يمكن جبرها أو إصلاحها.

الأمر الرابع: إنّ البيعة من لوازم الرياسة التكوينيّة والتشريعيّة العامّة، ومن آثار السّلطنة الكبرى، وليس ثمّة دليل يثبت هذه السلطنة الإلهية للفقهاء حتى تجب مبايعتهم كبيعة الإمام عليه السلام، بل السلطنة الإلهيّة مخصوصة من الله تعالى بمحمّد رسوله والأئمّة الإثني عشر والصدِّيقة الطاهرة عليهم صوات الله أجمعين.

وحيث إنّه ليس للفقهاء تلك الرّياسة، فادّعاء البيعة لهم تكون بدعة يُعاقَب صاحبُها.

الأمر الخامس: إنّ البيعة هي حقٌّ خاصٌّ بالمعصومين عليهم السلام، وهذا قدر متيقَّن، فالتعدي عنه إلى غيرهم حرام وشرك في الطّاعة، ويشهد لما قلنا بأنّ البيعة حقّ خاصٌّ بهم عليهم السلام ما ورد في دعاء سيّد السّاجدين عليه السلام ليوم العيد والجمعة بقوله عليه السلام: « **اللهمّ إنّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك في الدّرجة الرّفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزّوها (أي سلبوها) وأنتَ المُقَدِّرُ لذلك، لا يُغالبُ أمرُكَ ولا يُجاوَزُ المحتومُ من تدبيرك، كيف شئتَ وأنى شئت، ولما أنت أعلم به، غيرُ متّهمٍ على خلقك ولا لإرادتك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين**

مقهورين مبتزين، يرون حكمكَ مبدَّلاً، وكتابكَ منبوذاً، وفرائضكَ محرَّفة عن جهات إشراعِكَ.. »[1].

إذن البيعة لغير المعصوم عليه السلام ابتزاز لحقوقهم عليهم السلام الخاصّة بهم، وهو شرك بالله تعالى في الطّاعة.

قال العلامة الجليل الميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني رحمه الله: « **لا يجوز مبايعة غير النبي والإمام، إذ لو بايع غيره جعل له شريكا في المنصب، الذي اختصه الله تعالى به ونازع الله في خيرته وسلطانه قال الله** عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ »[2].

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، روايات بأنّ المراد بالشّرك في الآية هو الشّرك في الولاية لغير الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ فقد جاء عن أبي حمزة عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال عليه السلام: « **تفسيرها لئن أمرت بولاية أحدٍ مع ولاية عليّ عليه السلام من بعدكَ ليحبطنّ عملكَ** »[3].

فقوله عليه السلام: « **بولاية أحدٍ مع ولاية عليّ عليه السلام** » عام غير قابل للتخصيص والتقييد بالفقهاء في عصر الغيبة، فإذا لم يرد في عصر حضورهم لأحدٍ من وكلائهم، فكيف تجوز البيعة حينئذٍ في غيابهم عليهم السلام بطريق أولى؛ لأنّ المبايَع له في حضورهم لو أخطأ لقوّموا خطأه وردّوه إلى الصّواب، ولكانت البيعةُ حينئذٍ مشروعة لوجود المعصوم المقوِّم للخطأ، ومع هذا لم تجز البيعة لأحد في حضورهم لعدم الحاجة إلى ذلك بوجود المعصوم عليه السلام، فكيف تجوز حينئذٍ في حال غيابهم وعدم

(١) راجع (الصّحيفة السجادية) ص٢٧، دعاء رقم٤٨.

(٢) راجع (مكيال المكارم) ج٢ ص٢٣٨.

(٣) راجع (تفسير البرهان) ج٤ ص٧٢٥ ح٩٢٧٨ وغيرها؛ فراجِعْ.

قدرتهمعليهم السلام على تقويم مَن أخطأ فكيف يقوِّمون مَن ادّعى مقاماً لنفسه وله أتباع مستعدّون لمحاربة المعصومعليه السلام إذا أراد تقويم مَن بايعوه وانقادوا له...

الأمر السادس: الأخبار النّاهية عن مبايعة غير المعصومينعليهم السلام كثيرة، منها:

① خبر المفضل بن عمر عن الإمام الصّادقعليه السلام قال له: « **يا مفضل؛ كلّ بيعة قبل ظهور القائم فبيعة** (فبيعته: في نسخة البحار) **كفر ونفاق وخديعة، لعن الله المبايع بها** (ن. خ: لها) **والمبايَع له** »[1].

والحديث كما ترى صريح في عدم جواز مبايعة غير الإمامعليه السلام من غير فَرْقٍ بين كون المبايَع له فقيهاً أو غير فقيه، ومن غير فَرْقٍ بين أنْ تكون البيعة لنفسه أو بعنوان النيابة عن الإمامعليه السلام.

② خبر أبي حمزة المتقدِّم وأمثاله[2] ممّا دلّ على عموم حرمة الشراكة بالولاية والبيعة مع الأئمّة الأطهارعليهم السلام، والبيعة من لوازم الولاية الكلية والإمامة المطلقة حسبما أسلفنا سابقاً.

③ الأخبار الدالة على حرمة دعوى الإمامة، حتى لو كان مدَّعيها علويّاً فاطميّاً، ودعوى الإمامة تستلزم البيعة لمدّعيها، فإذا حَرُمَتْ دعوى النتيجة (وهي ادّعاء الإمامة) حَرُمَتْ مقدِّماتها وهي البيعة، من هذه الأخبار ما أورده الكليني[3] في (الكافي) بأسانيد متعددة منها:

بإسناده عن محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن سنان، عن أبي سلام، عن سورة ابن كليب، عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « قلت له: قول اللهعزّ وجلّ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ... ﴿٦٠﴾ ﴾؟ قالعليه السلام: **مَن قال: إني إمامٌ وليس بإمام**، قال: قلتُ: وإنْ كان علويّاً؟ قالعليه السلام: **وإنْ كان علويّاً**، قلتُ: وإنْ كان مِن وِلْدِ عليّ ابن أبي طالبعليهما السلام؟ قال عليه السلام: **وإنْ كان** ».

(١) راجع (الهداية الكبرى) ص٣٩٧ للخصيبي، و(الرّجعة) ص١١٠ للأسترآبادي.
(٢) راجع (تفسير البرهان) ج٤ ص٧٢٥-٧٢٥.
(٣) راجع (الكافي) ج١ ص٣٧٢ ح١ باب من ادّعى الإمامة وليس لها أهلاً.

وعن محمَّد بن يحيى، عن عبد الله بن محمَّد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبان عن الفضيل، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **مَن ادّعى الإمامةَ وليس مِن أهلها فهو كافرٌ** ».

والحديث كما ترى واضح في تكفير مدّعي الإمامة؛ لأنّ الإمامة خاصّةٌ بالمعصومين عليهم السلام فلا يجوز لأحدٍ أنْ ينسبها لنفسه أبداً.

وعن الحسين بن محمَّد، عن معلى بن محمَّد، عن محمَّد بن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن الحسين بن المختار قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: « جُعِلْتُ فِدَاْكَ ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ... ﴿٦٠﴾ ﴾؟ قال عليه السلام: **كلُّ مَن زَعَمَ أنّه إمامٌ وليس بإمامٍ**، قلتُ: وإنْ كان فاطميّاً علويّاً؟ قال عليه السلام: **وإنْ كان فاطميّاً علويّاً** ».

وكذا ما ورد في (البحار) بإسناده إلى تفسير الإمام العسكري: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾، قال الامام عليه السلام: « **قال الله عزّ وجلّ**: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ **في عبادتهم للأصنام واتّخاذهم الأنداد من دون محمَّدٍ وعليٍّ عليهما السلام** ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ **يصوِّت بما لا يسمع** ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ **لا يفهم ما يراد منه، فيغيث المستغيث ويعين من استعانه** ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ **عن الهدى في اتّباعهم الأنداد من دون الله والأضداد لأولياء الله الذين سمّوهم بأسماء خيار خلائق الله ولقّبوهم بألقاب أفاضل الأئمة الذين نصّبهم الله لإقامة دين الله** ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ **أمر الله عزّ وجلّ** »[1].

(٤) ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله عليه السلام: « **صارت المصافقة سنّةً ورَسْماً يستعملها مَن ليس له حقٌّ فيها** »[2].

قال الشيخ الصّدوق في (الاعتقادات): « **فمن ادّعى الإمامة وليس بإمام**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٥٩ ح٢٠.

(٢) راجع (الإحتجاج) ج١ ص٨٤، و(مكيال المكارم) ج٢ ص٢٤٠.

فهو الظالم الملعون، ومَن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون »[1].

الأمر السّابع: لو كانت مبايعة النّاس للفقهاء مبايعة للإمام(عليه السلام)، لكان على النّبي الأعظم(صلى الله عليه وآله) أنْ يفعلها يوم غدير خم، حيث يروى أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) لّما أراد أنْ يأخذ البيعة للإمام عليّ(عليه السلام) ورأى أنّه يعسر على جميع المؤمنين أنْ يصافقوه بيده، أمرهم بإظهار العهد والبيعة بألسنتهم ولم يأمرهم بأنْ يصافقوا غيره من صالحي أصحابه وخواصّهم نيابةً عنه مع أنّ ذلك كان ممكناً.

ويروى أيضاً أنّه لّما فتح رسولُ الله(صلى الله عليه وآله) مكّةَ، وبايع الرّجال، جاءَهُ المؤمنات لمبايعته، فقال(صلى الله عليه وآله): « **إني لا أصافح النّساء، فدعا بقدح من ماء، فأدخل يدَهُ ثمّ أخرجها، فقال: أدْخِلْنَ ايديكنّ في هذا الماء، فهي البيعة** ».

ووجه التأييد بالحديث من حيث إنّه(صلى الله عليه وآله) لم يأذن لهنّ في مصافقة امرأة من المؤمنات الصّالحات، ولا في مصافقة محارمهنّ من المؤمنين بعنوان أنّ مصافقتهنَّ مصافقة رسول الله نيابةً عنه.

من خلال ما تقدّم يتّضح بأنّ المبايعة من خصائص المعصومين(عليهم السلام)، ولا يجوز لأحدٍ التصدّي لذلك إلاّ مَن جعله النبيُّ أو الإمامُ نائباً له في ذلك بالنيابة الخاصّة، فيكون وكيلاً في هذا الأمر، مثل الوكالة في ساير الأمور.

وأمّا الفقهاء النّائبون عن الإمام(عليه السلام) بالنيابة العامّة فليست لهم هذه البيعة؛ لأنّ البيعة مخصوصة بالنبي والإمام(عليهما السلام)، وهذا نظير وجوب إقامة صلاة العيدين على الإمام(عليه السلام) حال حضوره، ونظير ملك اليمين الخاصّ بالنبيّ والإمام(عليهما السلام) ولا يجوز للفقيه أنْ يسري إليه ما كان واجباً على الإمام(عليه السلام).

وعلى فرض عدم ثبوت الاختصاص بالإمام(عليه السلام)، فلا يجوز حينئذٍ تصدّي الفقيه إلاّ لمن ثبتت شرعيّته، ولم يثبت شرعاً مبايعة غير المعصوم نيابةً عن المعصوم(عليه السلام).

إنْ قيل: يمكن إثبات شرعيّة البيعة لغير المعصومين(عليهم السلام) بما ورد من الآيات الدالة

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٦١.

على رجحان التأسّي والمتابعة للنبيّ صلى الله عليه وآله نظير قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ... ﴿٣١﴾﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، ونحو ذلك.

وبتوضيحٍ آخر: إنّ الآيات دَلَّتْ على حسن اتّباع النبيّ صلى الله عليه وآله في أفعاله، ومن أفعاله التي صدرت منه بشهادة الآيات والرّوايات مبايعة المؤمنين والمؤمنات، فيستحب لهم التأسّي به في مبايعة الفقهاء أو الحكّام...

قلنا:

أوّلا: الآيات المذكورة غير ظاهرة في استحباب أو وجوب التأسّي والإتباع في تمام الأفعال الصّادرة عنه، بل هي ظاهرة في وجوب الإيمان به، وامتثال أمره ونهيه الذي يشترك فيه مع بقيّة المكلَّفين، أمّا لو قامت قرينة على التكاليف الخاصّة به وبأهل بيته الأنوار عليهم السلام، فلا يجوز حينئذٍ العمل بذاك التكليف الخاص بهم عليهم السلام؛ لأنّ ذلك من شؤونهم الخاصّة التي لا يشاركهم فيها أحدٌ من الخلق، نظير الزّواج بأكثر من أربعة، وملك اليمين، والولاية الكبرى... إلخ، فلا يجوز لغيرهم سحب هذه الأمور إلى أنفسهم بحجّة وجوب استحباب التأسّي بالنبيّ والعترة عليهم السلام، فإنّ ذلك شططٌ وانحرافٌ في السّليقة، بل كفرٌ برسوله وأهل بيته الأطهار الميامين عليهم السلام.

ثانيا: لو فرضنا ثبوت دلالة الآيات على رجحان أو استحباب المتابعة مطلَقاً، لكنّها تدلّ على المطلوب بالنحو الذي صدر عنه صلى الله عليه وآله، وذلك ممتنع فيما نحن فيه؛ لأنّ البيعة الصّادرة في زمانه كانت مقيَّدة بمصافقة يده الشّريفة أو كانت بأمره، كما إنّ مبايعة مسلم بن عقيل كانت بأمر مولانا الإمام الحسين عليه السلام، وأما في مثل زماننا هذا فجواز المبايعة على وجه المصافقة ممّا لا دليل له، فهي من البدع المحرَّمة التي توجب اللعنة والنّدامة[1].

(١) راجع (مكيال المكارم) ج٢ ص٢٤١.

وبعبارةٍ أخرى: تثبت الدّلالة على رجحان المتابعة إنْ لم تقم قرينة صارفة عن الاختصاص وإلاّ فلا تثبت، وفي مثل المقام ليس ثمّة ما يدلّ على اشتراك غيره معهصلى الله عليه وآله.

إنْ قيل: إنّ رجحان المبايعة لغير المعصومينعليهم السلام بدليل أصالة الاشتراك، بمعنى اشتراك النبيّصلى الله عليه وآله مع غيره بالتكاليف والتي منها المبايعة الثابتة له ولغيره معاً.

قلنا:

أوّلا: إنّ البيعة حقٌّ خاصٌّ بالنبيّ والعترةعليهم السلام، فتعديته إلى غيرهم مشكِلٌ، بل هو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار حسبما جاء في الخبر الشّريف. فإذا ما كان حقّاً خاصّاً، فكيف تصحّ دعوى الاشتراك؟!!

ثانيا: لو فرضنا عدم الدّليل على اختصاصها بالمعصومينعليهم السلام فالمرجع في هذه المسألة وأمثالها هو أصل البراءة، لا أصل الاشتراك في التكليف؛ لأنّ التكليف المشكوك منفيٌّ بالأصل عقلاً وشرعاً، وحيث إنّ البيعة لغير المعصومينعليهم السلام من موارد الشكّ في التكليف، فتجري - حينئذٍ - فيها أصالة البراءة بلا إشكال باتفاق الأصوليّين كلّ ذلك على فرض عدم وجود دليل على الاختصاص بالمعصومينعليهم السلام، وحيث ثبت الاختصاص بهمعليهم السلام، فلا يجوز حينئذٍ إجراء أصالة البراءة في حال الشّك بعد ثبوت حقّ الاختصاص بالمعصومعليه السلام... مضافاً إلى أنّ التمسُّكَ بأصالة الاشتراك في التكليف لا يجدي نفعاً في مثل المقام، بل غاية ما يمكن أنْ يُقال - لو سلّمنا بأصالة الإشتراك في مثل هذا المقام - أنه لم يكُ ناهضاً لإثبات استحباب البيعة بنحو المصافقة أو بنحو التحيّة العسكريّة كما هو ملحوظ في الإستعراضات العسكرية أو بنحو الهتاف بالأيدي ملببين ومبايعين للقائد العسكري أو السياسي في أكثر التنظيمات الشيعية في زمان الغيبة؛ لأنّ جميع ما له دخل في توجه الخطاب يجب أنْ يكون موجوداً في غير الحاضر وقت الخطاب حتى يثبت توجهه إليه ايضاً بأصالة الاشتراك؛ لأنّ المفروض وجوب مبايعة الحاضرين مع النبيّ والوصيّعليهما السلام، وذلك في حقّ الغائبين مثل أهل هذا الزّمان مثلاً سالبة بانتفاء الموضوع، فلا يمكن تكليفهم بذلك، وأيضاً لا يثبت تكليفهم بذلك لوجهٍ آخر، وهو أنّ النبيَّ الأعظمصلى الله عليه وآله قد أمر

الحاضرين في زمانه بالمصافقة في وقايع خاصّة وزمان مخصوص، فلا يثبت تكليف الحاضرين بذلك الأمر بعد خروج ذاك الوقت، ومضيّ تلك الواقعة، فضلاً عن المعدومين في زمانه، وذلك لما هو مثبت في علم الأصول أنّ القضاء بأمر جديد، وأنّ الأمر بشيء في وقت معيَّن لا يقتضي وجوبه بعد انقضاء ذلك الوقت إلاّ أنْ يقوم دليلٌ آخر عليه، والمفروض هنا العدم.

ثالثا: مقتضى أصالة الاشتراك المدّعاة لو تمّت، هو لزوم القول بوجوب المبايعة على جميع النّاس في جميع الأزمنة؛ لأنّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله كان على وجه الإيجاب على الحاضرين، فبمقتضى أصالة الاشتراك في التكليف - بحسب زعم مَن ادّعاها - يتعيّن القول بالوجوب على الغائبين والمعدومين في زمانه صلى الله عليه وآله، ولا أظنّ أصحاب الدّعوى ملتزمين بذلك، إذ لم يعهد من النبيّ - يومذاك - أنْ أخذ البيعة ممّن ولد بعد غدير خم.

تفنيد رأي مَن قال: إنّ البيعة واجبةٌ في عصر الغيبة!

ذهب مشهور الصوفية إلى وجوب بيعة الشيخ المرشد، ومصافقة يده، وزعموا أنها جزء من الإيمان، بل لا يتحقق الإيمان بدونها، وسمّوا هذه البيعة بالبيعة الولوية حسبما نقل ذلك عنهم صاحب المكيال أعلى الله مقامه الشّريف، فأضاف:

وقالوا: إن الأخذ بالبيعة لا يجوز إلا لمن كان له إجازة ذلك من مشايخهم بطرقهم المقررة المثبتة عندهم وهذا من أصولهم التي اتخذوها أساسا للرئاسة، وشبكة لاصطياد العوام، الذين هم كالأنعام، وقد تكرر ذكر هذه البيعة ووجوبها وعدم تحقق الإيمان بدونها في كلام بعض رؤسائهم في تفسيره المسمى (بيان السعادة)، ولا بأس بنقل بعض كلماته، ثم التكلم عليه بما سنح لنا بتأييد الله عز وجل ليكون الناظر على بصيرة من أمرهم... قال في تفسير سورة التوبة بعد كلام له في وجوب البيعة في كل زمان من الأزمنة ولزوم التعلق بيد الشيخ مدعياً: إن تلك البيعة كانت سنة قائمة من لدن آدم إلى زمان ظهور دولة الخاتم صلى الله عليه وآله بحيث كان أهل كل دين لا يعدون من

أهل الدين أحداً إلا بالبيعة مع صاحب ذلك الدين، أو مع من نصبه لأخذ البيعة من الناس..][1]. إنتهى.

يرِدُ على الكلام المتقدم الوجوه الآتية:

(الوجه الأول): لو كانت المبايعة لغير المعصومينعليهم السلام - سواء بنحو المصافقة أو نظير قولهم لبيك يا فلان أو بايعناك يا فلان - واجبة أو مستحبّة في الإسلام أو جزءاً من الإيمان، لكان الواجب على النبيّ والإمامعليهما السلام وعلى أصحابهما بل على كلّ مؤمن أنْ يأمروا مَن يدخل في الإسلام أو التشيّع بتلك البيعة، بل كان اللازم عليهم الأمر بذلك، قبل الأمر بالصّلاة وساير الفرايض لأنها جزء الإيمان بزعم هذا القائل، وللزومها في كلّ حين، وعدم توقيتها بوقتٍ من الأوقات، ولم يرد شيء في الأخبار والرّوايات ما يدلّ على الوجوب أو الاستحباب، بل من الواضح أنّ هذا المدَّعي أيضاً لم يظفر به، ولو ظفر به لذكره في طيّ كلامه حرصاً على إثبات مرامه.

(الوجه الثاني): يلزم على طريقة هذا المدّعي أنْ يكونَ جميعُ المؤمنين من زمن المعصومينعليهم السلام إلى ما قبل زماننا الكنود الجاحد لإمام الزمانعليه السلام، علماؤهم وعوامهم خارجين عن زمرة أهل الإيمان لعدم تداول تلك البيعة بينهم في زمنٍ من الأزمان.

(الوجه الثالث): لقد جاء في بعض الأخبار أنّ بعض أصحاب أئمتنا المطهرين عليهم السلام عرضوا إيمانهم ومعتقداتهم عليهمعليهم السلام، وقرّروا لهم ذلك، ولم يكن في كلام السّائل ولا الإمامعليه السلام ذكر للبيعة أصلاً، ولو كانت للبيعة دخالة في تحقيق الإيمان أو كماله لنبّهوا عليه، وأوجبوه عليهم باعتباره شرطاً في تحقق الإيمان... كما لا يخفى على من جاس ديار أخبارهم الشريفة.

(الوجه الرابع): قد ورد أخبار كثيرة عن ائمتنا المطهرينعليهم السلام في بيان صفات المؤمنين وآدابهم وأخلاقهم، وبيان علامات الإيمان وذكر علامات تحققه وكماله،

(١) راجع (مكيال المكارم) ج٢ ص٢٤٦.

ولم يُذكَر في واحدٍ منها اسم البيعة تصريحاً ولا تلويحاً.

(الوجه الخامس): إنّ ما يدّعيه هؤلاء من وجوب كون البيعة بيد الشيخ أو الفقيه، ويخصونه شخصاً معيَّناً لأخذ البيعة بهذا التعيين، هل هو من باب النيابة الخاصّة أم العامّة؟ فإنْ قالوا: إنّه بسبب النيابة الخاصة، قلنا: لا خلاف بين الإماميّة في انقطاع النيابة الخاصّة في زمن الغيبة الكبرى، وإنْ قالوا: بالنيابة العامّة، فلماذا التخصيص بشخصٍ خاص؟!.

(الوجه السادس): إنّ إظهار خلافة أمير المؤمنين عليه السلام كان أعظم خطباً، وأشدّ خوفاً وخطراً، ومع ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالإظهار، لكونه جزءاً من الإيمان، ولو كانت بيعة غيره جزءاً - كما زعمه علماء الصوفية وأخه عنهم أتباع الولاية العامة للفقيه اليوم - لوضَّحَه وبيّنه النّبي وخلفاؤه عليهم السلام.

(الوجه السابع): لو كانت البيعة واجبةً، وكان لها دخلٌ في تحقق الإيمان لوجب أن يُنقل خبرها ويذكر في كتب العلماء ويُعَنْون بينهم، فكيف يُدَّعى ذلك مع عدم وجود ذكرٍ له في شيء من الأخبار والآثار!!.

والحاصل: إنّ البيعة لغير المعصومين عليهم السلام أو لغير مَن دلّوا عليهم بالنيابة الخاصّة حرامٌ شرعاً، وصاحبها أو الدّاعي إليها مبتدعٍ في الدِّين؛ لأنّها حقٌّ خاصٌّ بالمعصوم عليه السلام، فادّعاؤها لشخصٍ لم يقم الدّليل الخاص عليه على وجه التعيين، يكون غاصباً لبعض حقوقهم ومنازلهم ومقاماتهم التي رتّبهم الله تعالى فيها، وقد جاء في زيارة عاشوراء الشّريفة اللعن على مَن فعل ذلك: « **ولعن الله أمّةً دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها** ».

زبدة المخض:

إنّ دعوى الإمامة والبيعة لغير المعصومين عليهم السلام من بدع العامّة التي سرت إلى الأوساط الشّيعيّة العلميّة، وهو أمر في غاية الخطورة على الصّعيد الاعتقادي لما يترتّب عليه من آثار سيّئة على كيان الإمامة، وها نحن نلمس آثاره في زماننا هذا

حيث بات المستنكر لدعوى الإمامة والبيعة لغير المعصومين عليهم السلام من الفاسقين بل ومن الجاحدين الكافرين... مع أنّه أمر قد نهت عنه الأخبار - كما أفدنا آنفاً - وأكّدتْهُ سيرة المتشرعة والمتدينين المتصلة بالمعصومين عليهم السلام، ويشهد لهذا ما ورد في خبر عن عليّ بن الحسين عليهما السلام بإسناده إلى عمر بن المتوكّل بن هارون البجلي عن أبيه المتوكل بن هارون قال: (لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه إلى خراسان، فما رأيت رجلا في عقله وفضله، فسألته عن أبيه عليه السلام فقال: « **إنه قتل وصلب بالكناسة**، ثم بكى وبكيت حتى غشي عليه، فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغي وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك فقال: سألت أبي عليه السلام يحدث عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صلبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد يقتل شهيدا إذا كان يوم القيامة يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة، فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قال: رحم الله أبي زيداً، كان والله أحد المتعبدين قائم ليله صائم نهاره يجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ حق جهاده. فقلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصفة. فقال: يا أبا عبد الله إن أبي لم يكن بإمام ولكن كان من سادات الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن ادَّعى الإمامة كاذباً، فقال: مه يا أبا عبد الله إن أبى عليه السلام كان أعقل مِنْ أنْ يدَّعي ما ليس له بحق، وإنما قال " أدعوكم إلى الرضا من آل محمد "؛ عنى بذلك عمي جعفر. قلت: فهو اليوم صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم. ثم قال: يا أبا عبد الله إني أخبرك عن أبي عليه السلام وزهده وعبادته، إنه كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جن عليه السلام نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سجد سجدة، ثم يقوم يصلى الغداة إذا وضح الفجر، فإذا فرغ من صلاته قعد في التعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا قرب الزوال

قعد في مصلاه فسبح الله تعالى ومجده إلى وقت الصلاة، فإذا حان وقت الصلاة قام فصلى الأولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد تعقيبه ساعة، ثم سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلى العشاء والعتمة. قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا ولكنه كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ويصوم في الشهر ثلاثة أيام. قلت: فكان يفتي الناس في معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه. ثم أخرج إلي صحيفة كاملة فيها أدعية علي بن الحسين عليهما السلام)[1].

فالشّاهد في الحديث أنّ يحيى بن زيد الذي عاصر الإمام الباقر عليه السلام قد استشكل على المتوكل بن هارون الذي أطلق على أبيه زيد لقب (إمام) مما يعني انصراف اللقب المذكور إلى المعصوم خاصّةً دون أنْ يشاركه غيره فيه... وهذا الارتكاز في عصر المعصوم عليه السلام دلالة واضحة على عدم جواز إطلاقه على مثل زيد بن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام فكيف بمن دونه في الجلالة والقداسة بعشرات المرّات؟!!.

إن مصيبة الحوزات الشيعية اليوم تكمن في زحفهم نحو فقه وعقيدة المخالفين حيث أوغلوا فيها فساداً وانحرافاً فجندوا أنصارهم من بترية الشيعة ليقوموا بتجيير الشيعة إلى الخندق البكري العمري ليقوموا بالدور المطلوب منهم تحت عناوين السيادة الهاشمية والمرجعية الدينية التي يقدسها الشيعة بلا وعيٍ ودراية وهو ما يسمى بالسلوك الجمعي اللاواعي فيهتفون عندما يؤمرون بالهتاف ويلعنون عندما يؤمرون باللعن لكلِّ من خالف مرجعياتهم المعلبة وهو ما نلحظه اليوم بشكلٍ خطير لم يسبق أن حصل مثله في الازمنة السابقة وهو من علامات الفرج الذي حدثت عنه الاخبار الشريفة... اللهم عجِّل فرج وليّك القائم الحجة المنتظر عليه السلام لينتقم من أعدائه المتجلببين بمآزر شيعية وعمائم هاشمية فخربوا الدين وحرفوا سنن سيِّد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام حتى صار الموالي منبوذاً مكفراً ولا عجب بعد أن جاء عنهم بأن المؤمن مكفَّر..! فقد أورد الكليني عدة أخبار في هذا المضمون ففي خبر محمد

(١) راجع (كفاية الأثر) ص٣٠٣-٣٠٤.

عن ابن عيسى عن الحجال عن داود بن أبي يزيد عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال: « **المؤمن مكفر** ».

وفي رواية أخرى « **وذلك أن معروفه يصعد إلى اللّه فلا ينتشر في الناس والكافر مشكور** ».

بيان في معنى المكفر: المكفر كمعظم المجحود النعمة مع إحسانه وهو ضد للمشكور، فقد روى الشيخ الصدوقرحمه الله في (علل الشرائع) بإسناده عن الحسين بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جده علي بن الحسينعليهم السلام قال: « **كان رسول اللّهصلى الله عليه وآله وسلم مكفرا لا يشكر معروفه ولو كان معروفه على القرشي والعربي والعجمي ومن كان أعظم معروفاً من رسول اللّه على هذا الخلق وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يشكر معروفنا وخيار المؤمنين مكفرون لا يشكر معروفهم** ».

اللهم كن لوليِّك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه الطاهرين في هذه الساعة وفي كلِّ ساعة وليّاً وحافظاً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً..واجعلنا من خدامه وأنصاره وخيرة أعوانه بمحمدٍ وآله.

﴿ اللهمّ اجْعَلْنى عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيهِ السّلام ﴾ ﴿ فِى الدّنْيا وَالآخِرَةِ ﴾

ورد في نسخة (كامل الزّيارات) تقديم « **وجيهاً** » على « **عندكَ** »، هكذا « **اللهم اجعلني وجيهاً عندك** ».

ومضمون الفقرة الشريفة هو الطلب من الله عزّ اسمه أنْ يجعل الزائر للإمام الحسينعليه السلام من الوجهاء عنده تعالى في الدّنيا والآخرة.

وهذا الطّلب لم يأتِ إلاّ بعد الإقرار بالإمام الحسينعليه السلام كإمام مفترض الطاعة،

مسدَّد بالله تعالى، مفوَّض إليه مواريث الأنبياء عليهم السلام، وكذا بعد الاعتقاد بآبائه المطهرين لا سيّما أمير المؤمنين وسيدة النساء فاطمة عليهما السلام، مع الإقرار أيضاً بأنّه ثار الله وابن ثاره، وأنّ مصيبته جلّت وعظمت على كلّ الكائنات، وأنّ الزائر يتبرّأ من كلّ عدوّ للإمام الحسين عليه السلام وآبائه وأبنائه وأخوته وأخواته وأصحابه وأعوانه...إلخ.

ويمكننا تلخيص المطالب المتقدِّمة على هذه الفقرة الشّريفة بالتالي:

المطلب الأوّل: السّلام عليه وعلى آبائه الكرام، وهو فرع الاعتقاد بذواتهم الطاهرة، وكونهم حجج الله تعالى.

المطلب الثاني: الإقرار بأنّه عليه السلام ابن سيّد الوصيين وابن المظلومة سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

المطلب الثالث: إنّ خروجه وقيامه الشريف إنما كان لله تعالى، فكان المنتقمَ لله تعالى والمنتقم لأبيه وأمّه وجَدّه عليهم السلام «**يا ثار الله وابن ثاره**».

المطلب الرّابع: أنّه عليه السلام متفرِّدٌ في المظلوميّة، فهو وتر موتور لم يسبقه سابق ولن يلحقه لاحق بمثل مظلوميته.

المطلب الخامس: السّلام والرّحمة عليه وعلى مَن استشهد معه، بل مَن حَلَّ بفناء شهادته كالملائكة ومؤمني الجنّ وأخواته المصطفات الطاهرات ونسائه الطيبات ونساء أصحابه المنتجبات الميمونات، فالسّلام والرّحمة لكلّ مَن أعان الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء المقدَّسة.

المطلب السّادس: البراءة إلى الله من أعدائه وظالميه وقاتليه وكلّ مَن شارك في هضمه والإعتداء عليه وعلى كلّ مَن يتّصل به من أوليائه وشيعته ومحبيه إلى يوم القيامة.

المطلب السّابع: مناجاة الإمام الحسين عليه السلام بأني - أنا الزّائر لكَ - موالٍ لكَ ولأوليائكَ، ومعادٍ لأعدائكَ ومبغضيكَ.

المطلب الثامن: تأكيد البراءة بلعن أعدائه وظالميه.

المطلب التّاسع: الطلب من الله تعالى - بعد إعلان البراءة والولاية - أنْ

يرزقني طلب الثأر مع الإمام المعظم الحجة المهديّ المنصورعجل الله فرجه الشريف، والرّجعة للأخذ بالثأر.

المطلب العاشر: وهو الطلب من الله أنْ يجعلني من الوجهاء بالإمام الحسين عليه السلام في الدّنيا والآخرة.

والوجيه: ذو الجاه والعِزّ والمَنْزِلة والقدْر.

قال ابن منظور وابن الأثير: وفي حديث عائشة قالت: وكان لعليّ رضوان الله عليه – أمير المؤمنين عليه السلام – وجهٌ من الناس حياةَ فاطمة رضوان الله عليها – سيّدة النساء عليها السلام – أي جاهٌ وعِزٌّ فقدهما بعدها[1].

ورجل وجيهٌ: ذو وجاهة؛ أي صار وجيهاً ذا قدر وشرف، وأوجهه اللهُ تعالى؛ أي صيّره وجيهاً مقرَّباً.

ومعنى: (اجعلني عندكَ وجيهاً بالحسين عليه السلام)؛ أي مقرَّباً عندكَ بالإمام الحسين صلوات الله عليه بمحبّة الإمام ومعرفته، أو بشفاعته أو برجعتي في رجعته وكرّته عليه السلام.

فالمؤمن الصّادق بحقّه عليه السلام عزيز في الدنيا لما يُعطَى من الكرامة والدولة بسبب تقرّبه إلى الإمام الحسين عليه السلام، وفي الآخرة لما يناله من الدّرجات الرّفيعة في الجَنّة ببركته والحشر في زمرته، وقد ورد أنّ شيعتهم معهم، وفي وداع الزيارة الجامعة: « **السّلام عليكم، حشرني الله في زمرتكم، وأوردني حوضكم، وجعلني في حزبكم، وأرضاكم عنّي، ومكّنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم، وملّكني في أيامكم...** »، ومن كلام مولانا الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: « **اللهم أحيي شيعتنا في دولتنا، وأبْقِهِم في ملكنا ومملكتنا** »[2].

سؤالٌ بصيغةِ إشكالٍ عويصٍ: كيف يكون الزائرُ المخلصُ وجيهاً بالإمام الحسين عليه السلام في الدّنيا والآخرة، ونحن نرى زوّاره يُذَلُّون ويُشَرَّدُون ويقتلون

(١) راجع (لسان العرب) ج١٣ ص٥٥٧، و(النهاية) ج٥ ص١٣٩.

(٢) راجع (مشارق الأنوار) للبرسي: ص١٩٩، و (المنتخب) للطريحي ص٢٦٨.

ويضطهدون ويُعتدى عليهم، فأين الوجاهة حينئذٍ؟!.

والجواب: إنّ الزّائر الوجيه أي المقرَّب ذو العِزّ والقدر ليس كذلك عند النّاس، بل وجيه عند الله تعالى، ففي قوله عليه السلام: «**عندكَ**» الوارد في الفقرة إشارة إلى أنّه لا اعتناء بالعزّة والجاه عند الخلق بل العزّ الحقيقي هو العزُّ عند الخالق العظيم وعند أوليائه المقربين سلام الله عليهم.

ونؤكّد أكثر من ذلك أنّ الزّائر العارف لا ينال عزّاً عند النّاس، بل لن يلاقي سوى الذل والهوان حتى ممن يدّعي الإيمان وهو واضح لذي عينين روحانيتين.

﴿ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إنِّي أَتَقَرّبُ إلى اللهِ وَإلَى رَسُولِهِ وَإلى ﴾
﴿ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ وَإلَى فاطِمَةَ وإلى الحَسَنِ وَإلَيْكَ ﴾
﴿ بِمُوالاتِكَ وَبِالْبَرَاءَةِ مِمّنْ قَاتَلَكَ وَنَصبَ لَكَ ﴾
﴿ الحَربَ وبالْبَرَاءةِ مِمّنْ أَسّسَ أساسَ الظُلْمِ ﴾
﴿ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ وَعلى أشياعِكُم ﴾

في الفقرة الشريفة عدّة مفاهيم: البراءة، الولاية، نصب العداوة.

أمّا الأوّلان فمعروفان، وأمّا النّصب فهو إقامة الحرب وإيقاد نارها والعكوف عليها، والوقوف على لوازمها من القتل والأسر.

وبعد الاعتراف بإمامة الإمام الحسين عليه السلام، والإقرار برسالة جَدِّه صلى الله عليه وآله، ووصاية أبيه وأخيه عليهما السلام، وسيادة الصدِّيقة الطّاهرة فاطمة البتول عليها السلام، ثمّ لعن ظالميهم وقاتليهم، أشارت الفقرة الشريفة هاهنا إلى مخاطبة الإمام الحسين صلوات الله عليه بالاعتراف له بأنّي متقرِّبٌ إلى الله ورسوله وأمير المؤمنين وسيِّدة النساء وأخيه الإمام المجتبى عليه السلام وإليه بالموالاة لهم، وبالبراءة من أعدائهم وقاتليهم...

وقد تكلّمنا سابقاً عن مدى أهميّة الولاية لأهل البيتعليهم السلام، والبراءة من أعدائهم؛ على الصّعيد العقدي والتشريعي في الإسلام، وأنّه لا يُقبَل من أعدائهم عملٌ بدون الإعتقاد بولاية هؤلاء المطَهَّرين والبراءة من أعدائهم؛ لأنّ ذلك مقتضى الحبّ والبغض في الله تبارك وتعالى، وبحسب الأخبار الصّحيحة أنّ الحبَّ والبغض في الله هو الدِّين الحنيف المنحصر بآل الله تعالى.

والمسألة المثيرة للإهتمام هي: الترتيب الذكري لهمعليهم السلام، الدّال على الترتيب الواقعي للمعصومينعليهم السلام، وهو يشير إلى أمرين:

الأمر الأول: أنّ ضمّ التقرُّب إليهمعليهم السلام، مع التقرُّب إلى الله تعالى دلالة واضحة على كونهم المرشِدِين والدّالِّين إلى الله تعالى بإخلاص العبوديّة له واندكاكهم في صفات الجلال والكمال الإلهيين، ولا يعني هذا الضمّ في القُرْبيّة الشِّرك في العبادة كما يتوهم الزنادقة من الوهابية الملحدة لعنهم الله تعالى؛ وذلك لعدم انطباق هذا التفسير على مفهوم الشِّرك، إذ إنّ الزّائرَ لهمعليهم السلام والمتقرِّب إليهم بعد الله تعالى، لا يقصد عبادتهم أو جعلهم آلهةً، بل يقصد بذلك الاستعانة بهم باعتبارهم شفعاء ووسائل أمر الله تعالى بالتمسك بها، كما أمر الله تبارك مجده بالتّمسّك بغيرها من الوسائل المشروعة كالصّلاة والحج والزكاة والخمس والصَّدَقة وصلة الأرحام وبرّ الوالدين والاستعانة بالزّوجة أو الولد أو الخادم...إلخ.

فأنتَ إذا تقرّبْتَ إلى الله تعالى بالصّلاة أو ببرّ الوالدين وصلة الأرحام.. لا يستلزم ذلك عبادتك للوالدين أو الأرحام أوّ الصّلاة والخمس، بل أنك تعبد ربَّ الصّلاة وربّ الزّكاة وربّ الوالدين وربّ الأرحام وهو الله الخالق العظيم عزَّ شأنه، وهكذا في موردنا هذا، فإنّكَ تعبد ربّ رسول الله محمَّدصلى الله عليه وآله، وربّ أمير المؤمنين عليّعليه السلام، وربّ سيّدة النساءعليها السلام، وربّ الإمامين الحسن والحسين سبطي رسول اللهعليهما السلام... إنّكَ تعبد ربّاً واحداً لهؤلاء المقرَّبين والوجهاء عند اللهعزوجل.

الأمر الثاني: يشير الترتيب المذكور إلى بيان الوظائف الرّساليّة الملقاة على عاتق هؤلاء من حيث التسلسل الزمني لكلّ واحدٍ منهم باعتبار السّبق الزّمني لكلّ واحدٍ

منهم على الآخر، وكون السّابق علّةً لوجود اللاّحق إجمالاً، نظير كون رسول الله صلى الله عليه وآله علّةً لإيجاد سيّدة النساء فاطمة الزّهراء عليها السلام، وكون أمير المؤمنين والصدِّيقة الكبرى عليهما السلام علّةً لإيجاد الإمامين الحسنين عليهما السلام، وقد يُراد من هذا الترتيب المقامي، وجود مقامات متعدِّدة لهم عليهم السلام، لكنّ كلّ واحدٍ منهم تلبس بمقام من مقاماته لمقتضيات خارجيّة وظروف زمكانية لا مفرّ منها، فرسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله كان الغالب عليه مقام الرِّسالة، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان الغالب عليه مقام الوصاية، وسيّدة النساء فاطمة عليها السلام كان الغالب عليها مقام الولاية، والإمام الحسن عليه السلام مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام كان الغالب عليهما مقام الوصاية والخلافة، وإنْ كنَّا نميل إلى أنَّ سيَّدنا الإمامَ الحسين عليه السلام يزيدُ على أخيه الإمامِ الحسن المجتبى عليه السلام بمقام الولاية الجهادية من حيث إن الله تعالى أمره بالعمل بهذا المقام المؤدي إلى المواجهة ضد الطاغوت مع قلة العدد والناصر حتى لو أدى إلى الشهادة، وهو تماماً كمقام أُمّه وليّة الله الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليه المؤدي إلى شهادتها حيث واجهت طاغوتي القرون كلها أبي بكر وعمر بن الخطاب.

وأفضل المقامات هو ما غَلَبَ على مولاتنا سيّدة النّساء فاطمة عليها السلام، أي مقام الولاية الجهادية، ولهذا المقام خواص كثيرة غير موجودة في المقامات الأخرى، بل إنّ سنخ هذا المقام هو من عالَم الملكوت حيث ينظر دائماً إلى بواطن الأشياء، وليس إلى ظواهرها كالمقامات الأخرى.

إذن هي أفضليّة رتبيّة زمانية أو أفضليّة مقاميّة، وبهذا يندفع ما تصوّره الشيخ أحمد الإحسائي[1] والكاشاني في شرحه[2] معتقدان بأنّ رتبة مولاتنا فاطمة عليها السلام دون رتبة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام، وأنّ رتبة الإمام القائم عجل الله فرجه بعد الإمام الحسين عليه السلام، بل استدلّ الميرزا الأحقاقي[3] على أنّ الترتيب بالخلق دليل الأفضليّة.

---

(١) راجع (شرح الزيارة الجامعة) للأحسائي ج١ ص١٨٧، وج٢ ص٣١١.

(٢) راجع (شرح زيارة عاشوراء) ص٧٧.

(٣) راجع (حلّ مشكلات الزيارة الجامعة) ص٦٥- ٦٧.

وبالجملة: لا يُراد من الأفضليّة الواردة في الأخبار الأفضليّة الذاتيّة؛ بمعنى أنْ تكون ذات النبيّ الأعظمﷺ أفضل من ذات الإمام الأكبر أمير المؤمنين(عليه السلام)، وذات إمام المتقين وسيِّد الموحدين مولانا المعظم عليّ(عليه السلام) أفضل من ذات سيّدة النساء الصدِّيقة الحوراء فاطمة الزّهراء(عليها السلام)... إذ كيف يكون كذلك وقد دلّ القرآن الكريم على أنهم نفس واحدة وطاعتهم واحدة وولايتهم واحدة نظير قوله تعالى:

﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ... ﴿٦١﴾ ﴾ آلِ عِمْرَانَ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ... ﴿٥٩﴾ ﴾ النِّسَاءِ، ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ المَائِدَةِ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأَحْزَابِ.

مضافاً إلى الأخبار الدالّة على أنهم(عليهم السلام) من طينة واحدة ومن نور واحد، وتأخرهم عن النبيّﷺ ليس دليلاً على أفضليّة ذاته على ذواتهم؛ فأرواحهم ونورهم وطينتهم واحدة وإنْ تعدّدوا، وإنما ذلك كنور السّراج لا كالسّراج ونوره - أي شبيه بالسراج ونوره - كما إذا نسب إليهم من سواهم بل هم كالسّراج من السّراج كما قال المؤمنين عليّ(عليه السلام): « **أنا من محمّد كالضّوء من الضّوء** »، وهذا هو شأن البدل[1]، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

وورد في (البحار)[2] عن (كنْز الفوائد) عن الصّدوق في كتاب (المعراج) عن رجاله إلى ابن عبّاس قال: سمعتُ رسولَ الله وهو يخاطب عليّاً(عليه السلام) ويقول: « **يا عليّ إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه، فخلقني وخلقك رُوحَيْن من نور جلالِه...** ».

هذا الحديث الشّريف يعارض الأخبار التي دَلَّت على سبق نور النبيّ على نور

---

(١) راجع (شرح زيارة الجامعة) ج٢ ص٣١٦ و٣١٠.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٥ ص٣.

الوليّ عليه السلام.

وقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام مخاطباً سلمان وجندباً: « **يا سلمان و يا جندب** »، قالا: لبّيكَ يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: « **معرفتى بالنُّورانية معرفة الله عزّ وجلّ، ومعرفة الله معرفتى بالنّورانية... لأنّا كلّنا واحدٌ أوّلنا محمَّد وآخرنا محمَّد وأوسطنا محمَّد، كلّنا محمَّد، فلا تفرِّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء اللهُ، وإذا كرهناه كَرِهَ اللهُ** »[1].

وقوله عليه السلام في الزيارة الجامعة: « **وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت، بعضها من بعض** ».

فقوله عليه السلام: « **بعضها من بعض** » يظهر منه أنّ أرواحهم ونورهم وطينتهم في الطيب والطُّهر عن جميع النقائص واحدة، لا تفاضل فيها بوجهٍ من الوجوه، وهو المستفاد من قوله عليه السلام: « **بعضها من بعض** »، الظاهر في الإتّحاد.

أو بعبارةٍ أخرى: إنّ المراد من « **بعضها من بعض** » الإتّحاد الواقعي، والفصل في ظاهر الخلقة وفي عالم القلب والفؤاد الظاهري، وأمّا في النّور والواقع فهم واحدٌ، ولذا كان بعضهم من بعض، فالمغايرة في الظاهر، وفي الفؤاد والقلب والصّورة الظاهريّة، وأمّا في عالم النّور فهم واحد « **كلّنا محمَّد** »، « **أنا محمد ومحمّد أنا، وأنا من محمّد، ومحمّد منِّي** »[2].

فالحاصل: إنّ كلّ ما فرض بعضها من بعض في الظاهر، هو من البعض الآخر في الواقع، وذلك البعض الآخر في الظاهر أيضاً من هذا البعض في الواقع، فالفضل في الظاهر والاتحاد في الواقع، وإنْ شئتَ قلتَ: الفصل في عالم المثال والقلب والفؤاد والتشخصات الخلقيةّ، والإتحاد في الواقع وعالم العقل والنّور الذي خلق من نور عظمة الله عزّ وجلّ، ومن هذا البيان تنحلّ تلك المسألة العويصة، وهي تعارض الأخبار

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٦ ص٧؛ والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، (مشارق الأنوار) ص١٦٠.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٦ ص٦ حديث المعرفة بالنّورانيّة.

في ترتيب خلقتهمعليهم السلام، ففي طائفة منها - حسبما ذكرنا سابقاً - أنهم واحد في الرتبة والفضل والعلم، وفي طائفة أخرى تدلّ على تفاضلهم في بعض الأمور.

وحاصل الحل: إنّ ما دلّ على اتحادهم في العلم، فهو محمول وظاهر في الواقع والجهة النورانية، وما دلّ على اختلاف درجاتهم، فهو محمول وظاهر في الظاهر والجهات الشخصيّة.

توضيح ذلك: لا ريب في أنّ عالم الجسم والمادّة يكون في غاية الضيق بالنسبة إلى عالم الأنوار والواقعيات، ولا ريب في أنّ الحقائق والواقعيّات تظهر في عالم الظاهر والجسمانيات في مواردها محدودةً مرعيّاً فيها الحكم والمصالح الموجبة لتحديدها كمّاً وكيفاً، فلو أنّ أشخاصاً متعدِّدين كانوا في الإمكانات الأولية على حدٍّ سواء وفي مرتبة واحدة، ولكن لا ريب في أنّ كلّ واحد منهم تظهر إمكاناته على حسب ما تقتضيه الظّروف والشّرائط كمّاً وكيفاً، فلو أنّ أحداً منهم أعطى من إمكاناته لواحدٍ عشرة، والآخر مائة، فإنّه وإنْ كان في الظاهر مَن أعطى المائة يحسب أسخى من الذي أعطى عشرة إلاّ أنّ هذا التفاضل صوري اقتضته الحكمة والظروف والشّرائط في العوالم الإمكانية، وإلاّ فالمعطي عشرة له أنْ يعطي مائة، والمعطي مائة له أنْ يعطي العشرة إذا اقتضت الحكمة ذلك.

وكيف كان فالتفاضل صوري بلحاظ عالم الملك والمادّة، وأمّا بلحاظ الواقع فجميعهم سوآء، ولا ريب في أنّ التفاضل الصّوري يوجب مفضوليّة المعطي عشرة في المثال بالنسبة إلى المعطي مائة، فالتفاضل الصوري تفاضل في الظّاهر إلاّ أنّه ليس مما يوجب نقصاً في المفضل عليه صورة كما لا يخفى، فما دلّ من الأحاديث على تفضيل بعضهم على بعض في الصّورة يكون هكذا، وهذا ليس نقصاً للمفضّل عليه واقعاً كما لا يخفى على الموالي البصير.

وزبدة المخض: إنّ التفضيل الوارد في الأخبار محمولٌ على أحد الوجوهِ التالية:

(**الوجه الأوّل**): يراد بالأفضليّة: الأفضليّة الرتبيّة بحسب التسلسل الزمني لأهل البيتعليهم السلام، إذ يعتبر السّابق أفضل من اللاحق من حيث الظّهور الفعلي للسابق

دون اللاحق، فهما وإنْ كانا متساويين بالكمال قوّةً، لكنّهما متفاوتان سعةً وضيقاً بعالم الفعليّة، فالظاهر قائم بالفعليّة، والباطن قائمٌ بالقوّة، وما اكتنف الظّاهر يكتنف الباطن.

(**الوجه الثاني**): الأفضليّة على نحو العليِّة الفلسفيِّة، والمفضوليّة على نحو المعلوليّة؛ **وتوضيح ذلك**: إنّ مَن كان أفضل هو مَن كان علّةً إعداديّة لإيجاد الآخر؛ لأنّ السبق بالوجود أفضل من التأخر عنه، والسبق يستلزم ظهور العلوم فيه دون المتأخر عنه، وهذا حقٌّ لا ينكره إلاّ مكابر للحقيقة، ومن هذا القبيل وجود الإمام السّابق يكون علّةً لوجود اللاحق، ووجود الأوّل يستلزم ظهور العلوم الفعليّة فيه دون اللاحق، لذا تظهر الأفضليّة بسبب التقدُّم المذكور، فتأمل تغنم.

(**الوجه الثالث**): الأفضليّة على نحو الإتصاف بالمقامات الخاصّة بهمعليهم السلام، بمقتضى مراد الحكمة الإلهيّة حسب الظروف الموضوعيّة في عصر كلّ واحدٍ منهمعليهم السلام.

(**الوجه الرّابع**): إنّ الأفضليّة أو الأعلميّة - كما هو ظاهر بعض الأخبار - بحسب موارد التجلّي الإلهي في سرّ الإمامعليه السلام، بل الإمامعليه السلام ليس إلاّ ذلك التجلّي، وكنه هذا التجلّي هو ما أظهره الله تعالى لهعليه السلام، فالوليّ إمام به، وحقيقتهعليه السلام من حقيقتهعزّ وجلّ، فهو إمام به وبما أظهره الله تعالى فيه من الأوامر الشّرعية والتكوينيّة، وهذا التجلّي ظهر أوّلاً لمحمَّدٍ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليّعليه السلام في مرتبةٍ واحدةٍ، ثمّ لسيّدة النساء فاطمة الزّهراءعليها السلام الصدِّيقة الكبرى، ثمّ للإمامين الحسنينعليهما السلام، ثمّ ساير الأئمّةعليهم السلام... ثمّ إنّ التجلّي فيهمعليهم السلام كيفما كان يختلف كيفاً، ولعلّه بلحاظ اختلافه كيفاً قالوا: بعضنا أعلم أي أشدّ تجلياً من بعض.

هذا التقسيم ليس نهاية المطاف، وليست وجوهه كلّها تعكس عن الواقع، ولكنّه تقسيمٌ ظاهريٌّ أردنا من خلاله معالجة أخبار التفاضل الحاصل بينهمعليهم السلام، وإنْ كان ثمّة أخبار تعارضها هي أولى بالتقديم من أخبار التفضيل، وقد عالجنا أخبار

التعارض في بعض بحوثنا، فلتراجع[1].

وحاصل الفقرة الشريفة:

يظهر من الفقرة الشّريفة التقرُّب إلى الله تعالى والنبي وأهل بيته بالولاية لهمعليهم السلام، وبالبراءة من أعدائهم، ولا يتقرَّب إلى الله تعالى إلاّ بالإيمان الكامل على حسب مراتب الاستعدادات في المعرفة، وفي تكرار البراءة إشارة إلى أنّ تجديد ما في الجنان وإظهاره باللسان مطلوب في مقام الإيمان، ليكون الظاهر عنواناً للباطن، والتصدير بندائهعليه السلام مع إظهار التقرُّب بالجميع لكون المقام مقام زيارتهعليه السلام خاصّةً، ويُستفاد من هذه الفقرة أيضاً أنَّ التقرُّب إلى اللهعزّ وجلّ وإلى رسوله الكريمصلى الله عليه وآله وابنته الصدِّيقة فاطمةعليها السلام لا يكون إلاّ بموالاة الإمام الحسين سيّد الشّهداءعليه السلام، ومعاداة أعدائه... فلعنَ اللهُ تلك العصابة التي كانت تقرّبت إلى الله تعالى بقتلهعليه السلام.

كما أنّ الفقرة المبارَكة أشارت إلى الترتيب الزمني لسفارة الحججعليهم السلام، والتي منهم سيّدة النساء فاطمة ا لبتولعليها السلام، ولا يُصغَى إلى ما ذكره الأحسائي والكاشاني من كون السيِّدة الزّهراءعليها السلام من حيث الفضيلة بعد الإمام القائمعجل الله فرجه الشريف، وهذا الرّأي مخالِفٌ للأخبار القطعيّة الدالة على أفضليّتها عليهم.

الأقوال في رتبة مولاتنا المعظمة الصدّيقة الكبرى صلوات الله عليها!

تحصل معنا أربعة أقوال في شأن مولاتنا سيّدة النساء فاطمةعليها السلام:

القول الأوّل: إنّهاعليها السلام ثالث المعصومين رتبةً بعد رسول الله وأمير المؤمنينعليهما السلام.

القول الثاني: إنّهاعليها السلام دون الأئمّةعليهم السلام رتبةً، فتأتي بالدّرجة الأخيرة.

القول الثالث: إنهاعليها السلام نفس النّبي[2] وأمير المؤمنينعليهما السلام وفي رتبةٍ واحدة، فتكون

---

(١) راجع للمزيد من الفائدة كتابنا الجليل (شبهة إلقاء المعصومعليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها) جزءان، نشر مركز العترةعليهم السلام للدّراسات والبحوث.

(٢) أمّا كونها صلوات الله عليها نفس النّبيصلى الله عليه وآله فبنصّ آية المباهلة ﴿ وَأَنفُسَنَا... ﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

من حيث إنها مساوية لأمير المؤمنين، والمساوي للمساوى مساوٍ للثاني، وللحديث: « **ولا أنّ أمير المؤمنين تزوّجها لَمَا كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه** »، وأمّا كونها صلوات ⟸

أفضل من بقيّة الأئمّةعليهم السلام، ونستدلّ على ذلك بالحديث المستفيض: « **ولا أنّ أمير المؤمنين تزوّجها لَمَا كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه** ».

القول الرّابع: إنّهاعليها السلام أفضل - مقامها الشامخ - من كلّ الأنبياء والمرسَلينعليهم السلام، حتى رسول اللهصلى الله عليه وآله مع أنهم من سنخٍ واحدٍ في العصمة الكبرى، من هنا جاء في الصحيح بأنها «**بنفسي هي وأمي وأبي**» روح النبيّ الأعظم ومهجة كبده وثمرة فؤاده الشريف، وبهذه الروح استقامت حياة أبيها صلى الله عليهما، بالإضافة إلى ما جاء في المستفيض بأنها من دارت على ولايتها القرون الأولى وأنَّ بولايتها تكاملت نبوة كلِّ نبيّ ومنهم النبيّ الأعظم محمدصلى الله عليه وآله... ولعلّ هذا من الصعب المستصعب الذي لا يقدر على حمله نبيٌّ مرسَل وملَك مقرَّب أو عبد ممتَحَن، بل لا يحتمله إلاّ هم أو مَن شاءوا من عبيد الله المخلصين.

أمّا القول الأوّل فقد أشرنا إلى عدم كفايته، وأمّا القول الثاني فليس ثمّة ما يؤيّده من الأخبار، بل هو قول اعتمده العلامة الأحسائيرحمه الله ولا ثمّة دليل قطعيٌّ عليه. وأمّا القول الثالث ففيه ما يؤيّده من الأدلة.

الأدلة على القول الثالث:

نستدل على أفضلية مولاتنا المعظمة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها على بقية الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم اجمعين بالوجوه التالية:

(**الوجه الأوّل**): كونهاعليها السلام حجّة بما تملكه من مصادر علميّة إلهية كالمصحف والجفر والجامعة، فمعنى حجيتها كونها واسطة علميّة بين الله تعالى وبين الأئمّة الأطهارعليهم السلام حيث يأخذون منها كما يأخذون من النبيّصلى الله عليه وآله في شأن القرآن الكريم الذي هو أحد المصادر الأساسيّة لعلوم الأئمّةعليهم السلام.

الله عليها أفضل من كلّ الأئمّةعليهم السلام فبما ورد عن الإمام العسكريعليه السلام: « **نحن حجج الله تعالى، وجدّتنا فاطمة حجّة علينا** ».

ووجود المصحف عندهاعليها السلام هو وجود تنزيلي ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ١٠٦ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ، فكما أنّ القرآن الكريم يحكي عن التشريع والتكوين، فكذا مصحف مولاتنا فاطمة فيه كلّ الحوادث التكوينيّة التي تعكس عن الواقع إلى يوم القيامة.

وَهْمٌ ودَفْعٌ: كيف يكون مصحف الصدِّيقة الكبرى حاوياً لكلّ الحوادث التكوينيّة في حين أنّ القرآن الكريم حاوٍ لها لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ... ٨٩ ﴾ سورَةُ النَّحْلِ، أليس دعواكم المتقدِّمة تستلزم وجود شريك للقرآن في تفاصيل الأشياء؟ فلا داعي حينئذٍ للقرآن في حياتنا الدّنيويّة؟!!

والجواب من جهتين هما الآتي:

(**الجهة الاولى**) كون القرآن الكريم تبياناً لكلّ شيء لا يقتضي نفي تبيان غيره المفسّر له نظير النبيّ الأعظم وأهل بيته الطّاهرينعليهم السلام للقاعدة العقليّة القائلة بأنّ (إثبات شيء الشيء لا ينفي ما عداه)، فالكتاب في حين أنّه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ هو بحاجة إلى النبيّ وأهل بيته، لذا جاءت الآيات فيه تأمر باتباعهم والأخذ منهم نظير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ... ٥٩ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ٣٦ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

(**الجهة الثانية**) يوجد في القرآن الكريم كلمات بحاجة إلى تفصيل بواسطة المعصومعليه السلام، وما المانع أنْ يكون مصحف السيِّدة المطهَّرة فيه شيءٌ من هذا القبيل؛ أي تفصيل الجزئيّات إلى يوم القيامة؟ فيكون أبوها رسول اللهصلى الله عليه وآله نزل عليه القرآن التكويني الكلّي، وابنته الصدِّيقة الطاهرة فاطمة نزل عليها تفاصيل تلكم الكلّيات، ولا يعني هذا التنْزيل نسبة النبوّة التشريعيّة إليهاعليها السلام، بل هو إخبار وتحديث من قِبَلِ ربّ العالمين، وثمّة فَرْقٌ بين النبوّة التشريعيّة والتّحديث لا يخفى على أهل التحقيق.

(**الوجه الثّاني**): كونهاعليها السلام حجّة بمعنى ما يحتجّ به اللهعزّ وجلّ على العالمين جميعاً

من حيث سعة مقدار ولايتها التكوينيّة والتشريعيّة، فقد حباها الله تعالى بالولاية – كمّاً وكيفاً – بحيث تعجز العقول عن تصوّره أو إدراك حقيقته؛ ويشهد لهذا ما ورد في أخبار كثيرة بأنها العلَّة الكبرى في تنصيب الانبياء والمرسلين سفراء على الخلق لا سيَّما الخبر المشهور: « **لولا فاطمة ما خلق الله محمَّداً وعليّاً** »[1]، وبهذا الوجه نستفيد أفضليتها حتى على رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام؛ ووجه الأفضليّة هي سعة ولايتها في عوالم التكوين والملك، أمّا عوالم الأنوار فهي بمنْزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام؛ فالأفضليّة مُلكيّة، وليست ملكوتيّة، فتأمَّلْ جيداً فإنه دقيق جداً.

(**الوجه الثّالث**): هي عليها السلام حجّة على أولادها عليهم السلام؛ باعتبار كونها العلّة الغائيّة لحفظ وجودهم المقتضي لحفظ التوحيد والإمامة والوصاية وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبتعبيرٍ آخر: هي العلّة المبقية لهم عليهم السلام – عدا عن العلّة الغائيّة – إذ كما أنهم بحاجة إلى علّة محدثة لوجودهم، كذا هم بحاجة إلى علّةمبقية – تماماً كغيرهم من الكائنات، والمبقي لهم مع عامّة الكائنات، هو الله تعالى بواسطة السيِّدة الكبرى فاطمة عليها السلام... ومعنى أنها العلَّة المبقية أنه لولا تصديها لطاغوتي زمانها أبي بكر وعمر لعنهما الله لما كان لآل محمد ذكرٌ ولا أثر ولكنَّها بأبي وأمي ونفسي لها الفضل عليهم جميعاً حتى أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان في عداد الأموات لولا تلك الحرَّة الطاهرة الزكية صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) رواه صاحب كتاب (الجنة العاصمة) بسند متصل بالشهيد الثاني بطرقه المتصلة بأبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى بن بابويه القمي بإسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري.. راجع (الكوثر) ج١ ص١١١، والخبر عليه شواهد وقرائن أخرى فراجع: نفس المصدر ج١ ص١١٣، ومن هذه القرائن ما ورد في الأخبار القطعيّة على فرض ولاية السيِّدة الزّهراء عليها السلام على الأنبياء والمرسَلين، بل ورد أنّه ما تكاملت نبوّة نبيّ في الأظلّة حتى عرضت عليه ولايتها صلوات الله عليها... راجع: (الكوثر) ج١ ص١١٤– ١١٥.

(**الوجه الرّابع**): كونهاعليها السلام حجّة على أولادهاعليهم السلام من حيث كونها العلّة الإعداديّة لوجودهمعليهم السلام، إذ لولاها لما وجِدَ أئمتنا المطهرونعليهم السلام في عوالم التكوين، فبفضلها ونورهاعليها السلام تشرّف أهل البيتعليهم السلام بالوجود، واستقام دينهم من خلال صمودها بوجه طواغيت عصرها كما أشرنا آنفاً، فهي واسطة فيض تكوينيّة لوجودهم وكمالاتهم، وهو مقام رفيع وسرّ عظيم.

(**الوجه الخامس**): كونهاعليها السلام حجّة على أولادهاعليهم السلام باعتبارها واسطة الفيض الإلهي على الكائنات، فما يخرج من خيرٍ أو شرٍّ إلى عوالم التكوين يمرّ من خلالها بمشيئة الله تعالى، من هنا كانت روحي فداها ليلة القدر حسبما جاء في الخبر[1] المستفيض عنهمعليهم السلام أنّ السيِّدة فاطمةعليها السلام ليلة القدر التي بواسطتها يقدّر اللهعزّ وجلّ الخيرات والشّرور.

وهذه الواسطة المباركة هي مقام العلم اللدني الذي يصل إلى العباد بواسطة سيّدة النساءعليها السلام.

(**الوجه السّادس**): حجّيتهاعليها السلام على أولادها الحجج وهي الحجَّة والآية العظمى على الأنبياء والمرسلين من جهة قوّة صبرها مذ كانت في عوالم اللاهوت والملكوت، وكذا صبرها في عالم المُلك والناسوت على أذيّة قوم أبيها وما عانته منهم من الحيف والجور والذلّ والهوان.

ويشهد لهذا ما ورد في زيارتها الشّريفة: « **يا ممتحنة امتحنكِ الذي خلقك قبل أنْ يخلقكِ فوجدكِ لما امتحنكِ صابرة، وزعمنا أَنَّا لكِ أولياء ومصدِّقون وصابرون لكلّ ما أتانا به أبوكِصلى الله عليه وآله وأتى به وصيُّه، نسألكِ إنْ كنّا صدّقناكِ إلاّ ألحقتنا بتصديقنا لهما لنبشّر أنفسنا بأنّا قد طهرنا بولايتكِ** ».

إذن هي ممتحنة في عالم اللاهوت، وفي علم الله تعالى هي أفضل خلقه تعالى في الصبر حتى من رسول اللهصلى الله عليه وآله، حيث ظلمه قومه فحاربهم، لكنّها ظُلِمَت فلم يكن

(١) راجع (تفسير فرات) ٥٨١، و (تأويل الآيات الظاهرة) ٧٩١.

بوسعها محاربتهم لكونها امرأة، ولم تجد مَن ينصرها عليهم بالسّيف، ولا أنها استعملت دعاءاً للقضاء عليهم، مع أنّ الله تعالى يرضى لرضاها ويسخط لسخطها، فإرادتها إرادة الله تعالى، ومع هذا كلّه صبرت واحتسبت، فما أعظمها امرأةً وما أجلّها مخلوقاً فريداً عظيماً، فسبحان الله الذي خلقها وأودع أسراره في صدرها الشريف الذي أدخل فيه طاغوتُ الزّمانِ مسماراً أودى بحياتها الميمونة الطاهرة شهيدةً مظلومةً، لعن الله تعالى ظالميها وقاتليها إلى يوم القيامة.

بيان: ما أشرنا إليه آنفاً من كونها أصبر من عامّة الأنبياء والمرسلين حتى أبيها هو من المعاني الثقيلة على النفوس التي لم تتدرج على سُلَّم المعارف القرآنيّة، وهو أمر لَن يحتمله بعض الناس لصعوبته ووعورته إلاّ مَنْ شاء الله تعالى لما ورد عنهم عليهم السلام: « **أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله ملك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل ولا عبدٌ امتحنَ الله قلبه بالإيمان** »، فقيل له: من يحتمله؟ قال: « **مَنْ شئنا..** »؛ فكونها صلوات ربّي عليها أصبر من غيرها من الأنبياء والرُّسُل هو من خصائصها وليس ثمّة ما يمنع من ذلك بعد أن ثبت وجود تفاضل بين الأنبياء في الملكات والصفات لا يخدش ذلك في مقاماتهم، نظير ما ورد من حال نبيي الله موسى وهارون عليهما السلام، فكان أحدهما أفصح من الآخر بنصّ قوله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّى لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِىَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِىٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ.

فالنبيّ موسى عليه السلام كان فصيحاً، لكنَّ أخاه النبي هارون كان أفصح منه، وهنا هكذا في موردنا، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان صابراً لكنّ ابنته سيّدة النساء عليها السلام كانت أصبر... تماماً عندما نقول: إنّ نبيّ الله أيوب كان صابراً لكنّ الإمام الحسين عليه السلام كان أصبر منه بعشرات المرّات.. أو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان أصبر من أيوب، ولا يقدح ذلك في نبيّ الله أيوب عليه السلام، ولِمَ لا يسري الأمر على سيّدة النساء الزهراء البتول عليها السلام حيث كانت أصبر من أيوب بل ومن عامّة خلق الله تعالى ما دام المناط في الملكات والصفات واحداً، فما ثبت لنبيّي الله موسى وهارون عليهما السلام من الفصاحة والأفصحيّة

يمكن أن يثبت لغيرهما بملكات وصفات أخرى كالصبر والأجر!! فتأمَّل جيّداً..

(**الوجه السّابع**): حجيّتُهاعليها السلام على أولادها وعلى الأنبياء أيضاً لكونها أمّ أبيها، ومعلوم أنّ للنبيصلى الله عليه وآله مقامات متعدِّدة: عبدٌ، نبيٌّ، خليلٌ، رسولٌ، إمامٌ، وليٌّ... فكونهاعليها السلام أماً لأبيهاصلى الله عليه وآله - حسبما ورد في الأخبار - لا بدّ أنْ تتصف بصفات عاليةٍ كان يتصف بها أبوها، لذا هي حجّة على أولادها بهذا الاعتبار.

(**الوجه الثّامن**): التعبُّد بالنصوص والأخبار الدالّة على حجيتها على الأئمّة عليهم السلام والأنبياء، وهذه الحجية والتفضيل بسبب مقتضيات ذاتية لا نعلم كنهها وسرَّها، من هنا جاء عن جابر الأنصاري عن رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالى قال: « **يا أحمد لولاك لما خلقتُ الأفلاك، ولولا عليٌّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما** ».

وجاء في الحديث الشّريف المأثور عن أهل البيتعليهم السلام ما نصّه: « **إنّه ما تكاملت نبوّة نبيٍّ من الأنبياء حتى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي الصدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرونُ الأولى** ».

وجاء أيضاً في الخبر المستفيض قالعليه السلام: « **لولا أنّ أمير المؤمنين تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمَن دونه** ».

(**الوجه التّاسع**): وصاياهاعليها السلام لأولادها الأئمة الأحد عشرعليهم السلام في أحد مصاحفها الشريفةعليها السلام[1]، ووصيتها هذه تتضمّن أمراً خطيراً هامّاً لم يُصرِّح به الإمام الصّادقعليه السلام حينما أفصح عن ماهيّة مصحف سيّدة النساء فاطمةعليها السلام، ويظهر أنّ في وصيتهاعليها السلام توصيات إلهيّة تعيّن الإمام الذي إمامته من عند الله، فالإيصاء بإمامة الأئمّةعليهم السلام مما يدلّ أنّ العهد بإمامة الأئمّة من ذريتها هو من شؤونهاعليها السلام، إذ متعلق الوصيّة لا بدّ أنْ يكون مما يشمله ولاية الموصي، ومن ثمّ كان الإمام السّابق يوصي

(١) للصدِّيقة الكبرى مصاحف متعددة ذكرناها في كتابنا (شبهة إلقاء المعصومعليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها)؛ فلتراجع.

بإمامة اللاحق، وكوصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله بإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمّة من ولده عليهم السلام، ويصرّح بهذا المقام لها عليها السلام النصُّ الواردُ في نزول اللوح الأخضر عليها، والمتضمِّن اسماءَ الأئمّة عليهم السلام، ومن ثمّ يصحّ أنْ الأئمّة من ذريتها أوصياء لها، كما هو الحال في كون الإمام اللاحق وصياً للإمام السّابق، وكما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام وزيارة الإمام الرِّضا عليه السلام: « **السّلام عليكَ يا وارث فاطمة الزّهراء..** »؛ الدّال على وراثة إلهيّة بينها وبين الأئمّة عليهم السلام.

وبالإجمال فإنّ مقام الوصاية بالإمامة مقام إلهي خطير نظير ما كان لمريم بنت عمران عليها السلام من مقام حيث ألقي إليها كلمة الله عيسى عليه السلام، وكان لها مسؤوليّة البشارة بنبوّة عيسى للنّاس، ممّا يعني أنّ لمصحف مولاتنا الزّهراء عليها السلام شأناً في تحديد منصب الإمامة الإلهيّة، ويدلِّل في الوقت نفسه ما لفاطمة عليها السلام من صلاحيّة خاصّة في تحديد معالم القيادة الإسلاميّة المتمثِّلة بزعامتها الكبرى الحقّة على إمامة أبنائها المعصومين عليهم السلام، ويؤكِّد ذلك عِظَمَ حجيتها عليها السلام في أخطر شأنٍ من شؤون الدِّين والأمّة وهو تحديد مناصب الإمامة الإلهيّة، عِلْماً أنّ هذا التحديد سيكون على مستوى الوصيّة الإلهيّة التي تُلقى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليحمّلها السيِّدة فاطمة عليها السلام، ومن هنا سنرى مدى خطورة مسؤوليات السيِّدة المطهرة فاطمة عليها السلام في رسم مبدأ مسار الأمّة ومنتهاه إلى يوم القيامة، وسيتضح أيضاً بأنها روحي فداها سترسم مستقبل الإمامة لبعلها وأولادها الطاهرين صلوات الله عليها وعليهم أجمعين من خلال جهادها الاعظم ومواقفها العظمى المشرِّفة إبّان أحداث البيعة وتوجّهات السقيفة الملعونة، وإعلان استنكارها لما أقدَمَتْ عليه جماعةُ السقيفة وقتذاك، إذ يعني استنكار السيِّدة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام على ما أقدم عليه القومُ مِن مخالفتهم للمسار الذي جعله الله تعالى ورسمه لهذه الأمّة ما تعاقبت أجيالها بحسب ما عُهِدَ إليها عليها السلام من وصيّة في تعيين الإمام، وهو ما تكفّله مصحف السيِّدة فاطمة عليها السلام، وستؤكِّد الرواية التالية إلى ما نذهب إليه من أنّ هذه الوصيّة هي وحيٌّ تشريعيٌّ إلهي ألقي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وألقاه صلى الله عليه وآله إلى ابنته سيّدة النساء عليها السلام تأكيداً لا تأسيساً، والفرق واضح عند المتبصرين

من أهل الولاية لأهل بيت العصمة والطهارة(عليهم السلام)، قال الإمام أبو عبد الله(عليه السلام) في حديث: « **وخلّفَتْ فاطمة مصحفاً ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أُنزِلَ عليها، إملاء رسول الله، وخطّ عليّ(عليه السلام)** »[1].

مضمون هذه الرّواية أنّ بعض مصحفها هو من إملاء الرّسول(صلى الله عليه وآله) على السيِّدة المطهرة فاطمة الزهراء(عليها السلام)، لا من نزول الملاك جبرائيل(عليه السلام) على جنابها الأقدس باعتبار أن نزوله لا يكون إلا على الأنبياء بالوحي التشريعي وهي روحي فداها ليست نبيَّةً لأن النبوة التشريعية مخصوصة بالرجال فقط، بل ما جرى هو تنزيل تشريعي عبر الواسطة النبوية على القابلية الفاطمية (على صاحبتها آلاف السلام والتحية) نظير الرّواية في (أصول الكافي) من « **أنّ ما ينْزل من العلم المتجدِّد من الله تعالى على الإمام الحيّ القائم بالأمر يتنَزَّل أوّلاً على رسول الله في نشأته الأخرويّة ثمّ على أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام)، ثمّ على الإمام اللاحق فاللاحق، إلى أنْ يصل في تنْزيله على الإمام الحيّ القائم بالأمر...** » مما يدلّل على وساطة النبي في علوم المعصومين(عليهم السلام) اللدنيّة منه تعالى، وفي الرّواية إشارة إلى أنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) كان يخطّ ما يمليه ويلقيه له النّبي(صلى الله عليه وآله) في تلك النشأة على السيِّدة فاطمة(عليها السلام)، وهذا نظير ما كان من شأن الإمام عليّ(عليه السلام) من أنّه كان يسمع ما يسمعه النّبي(صلى الله عليه وآله) من الوحي، ويرى ما يراه النبي كما ورد ذلك في روايات عديدة وكما نقل(عليه السلام) ذلك عن النّبي(صلى الله عليه وآله) قوله في آخر الخطبة القاصعة في (نهج البلاغة): « **إنّكَ تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أنّكَ لستَ بنبيّ** »، ويقتضيه مفاد حديث المنْزلة « **أنتَ منِّي بمنْزلة هارون من موسى** » إذ كان ما يتنَزَّل على موسى(عليه السلام) يسمعه ويراه هارون(عليه السلام) كما هو مفاد الآيات الكريمة المشتركة بينهما فيما ينْزل، فالّذي ينْزل على السيِّدة فاطمة(عليها السلام) يسمعه الإمام عليّ(عليه السلام)، ونظير ما سيأتي من نزول الملائكة على السيِّدة مريم بل والوحي المباشر من الله تعالى لها، مع أنها لم

(١) راجع (بصائر الدّرجات) ص١٥٦.

تكن نبيّةً ولكنها كانت آية من آيات الله، وحجّةً من حججه عزّ وجلّ، والتصريح بأنّ ما نَزَلَ عليها كلام من كلام الله تعالى القدسي غير القرآني، إنما هو تبيانٌ لمقام حجيتها الإلهيّة، على أنّ مصحف مولاتنا فاطمة هو أحد دلائل إمامة الإمام عند حيازته له. فعن أبي بصير قال: سمعتُ الإمام عبد الله عليه السلام يقول: « **ما مات أبو جعفر عليه السلام حتى قبض مصحف فاطمة** »[1].

فمصحف السيِّدة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام أحد المنابع العلميّة التي يتزوّد منها الإمام إبان مهمته الإلهيّة، فضلاً عن كونه إحدى دلائل إمامته الحقّة.

من هنا تبيّن أنّ حجية الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام على أبنائها الحجج المعصومين عليهم السلام من حيث وساطتها العلميّة بين الله تعالى وبين الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، فحجيتها نظير حجية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في شأن القرآن المجيد الذي هو أحد مصادر علوم الأئمّة عليهم السلام كما هو المقرَّر.

وبالجملة: إنّ السيِّدة المطَهَّرة حجّة على الأئمّة عليهم السلام لكونها واسطة لعلومهم عليهم السلام، ويشهد لهذه الوساطة روايات بدء الخلقة، خلقة أنوارهم واشتقاقها على الترتيب من نور النبيّ صلى الله عليه وآله ونور الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ اشتقاق نور الإمامين الحسنين من نورهم عليهم السلام ممّا يدلّ على كون رتبتها مع الإمام عليّ عليه السلام، وأنّ بقيّة أنوار الأئمّة عليهم السلام إشتقّت منها، فهي واسطة فيض تكوينيّة لوجودهم وكمالاتهم وهو مقام رفيع وسرّ عظيم لهذه المطهَّرة، ويشير إلى هذا الترتيب ما ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله مسنداً عن سلمان قال: دخلتُ على رسول فلمّا نظر إليّ قال: « **يا سلمان إن الله عزّ وجلّ لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً** »، قال: قلت: يا رسول الله قد عرفت هذا من الكتابين، قال: « **يا سلمان فهل علمت نقبائي الإثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟** » فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: « **يا سلمان خلقني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً**

(١) راجع (بصائر الدّرجات) ص١٧٠.

فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مَنّي ومن عليّ ومن فاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله عزّ وجلّ بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود وأنا محمد، والله العليّ وهذا عليٌّ، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين. ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضاً مدحية، أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع »[1].

فالخلقة والاصطفاء كما جرى على رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام جرى مثله على السيِّدة المطهرة فاطمة عليها السلام، وهذا لعمري مقام خطير وشأن رفيع، كما إنّ اشتقاق نور الإمام عليّ عليه السلام من رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، ونور الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام من نور الإمام عليّ عليه السلام، ونور الإمامين الحسنين عليهما السلام من نور السيِّدة فاطمة عليها السلام، وأنوار التسعة من ذرية الإمام الحسين من نوره عليه السلام، دلالة على ترتيب النورانيّة وكون المتقدِّم واسطة فيض للمتأخر، لذا فإنّ السيِّدة فاطمة عليها السلام تُعدُّ واسطة فيض نورانيّة للأئمّة عليهم السلام لتقدّمها عليهم بالنّورانيّة، وهذا معنى كونها واسطة إفاضة على أولادها الأئمّة وغير الأئمّة كمولاتنا زينب وأمّ كلثوم، فهي بالتالي حجّة عليهم.

وممّا يؤكّد أنهم من نور واحد ما روي عن مولانا الإمام الرِّضا عليه السلام قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران: إني واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم، ومريم من عيسى، ومريم وعيسى شيء واحد، وأنا من أبي وأبي**[2] **مني، وأنا وأبي شيء واحد** »[3].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٥ ص٦.

(٢) يراد من الأُبوّة هنا: الأُبوّة الرّوحية لا الجسميّة المستحيلة على الذات الإلهيّة بمقتضى ضرورة العقل والنقل.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٥ ص١.

فإذا كان عيسى عليه السلام من مريم عليها السلام، ومريم من عيسى شيء واحد، فكيف بمن كانوا أنواراً يسبّحون اللهَ قبل الخلق بألفي ألف عام؟ فقد جاء عنهم عليهم السلام: « **إنّ الله تعالى خلقنا قبل الخلق بألفي عام، فسبحنا فسبَّحَت الملائكة لتسبيحنا** »[1].

فهم عليهم السلام من السيدة المطهَّرة فاطمة عليها السلام، والسيِّدة فاطمة عليها السلام منهم عليهم السلام، وهذا دليل قولنا: إنها عليها السلام واسطة فيض تكوينيّة لوجودهم وكمالاتهم.

فيتلخّص بذلك وجهان لمقام حجيتها على الأئمّة عليهم السلام:

الأوّل: كون مصحفها مصدر من مصادر علوم الأئمّة عليهم السلام، ومعنى ذلك وساطتها العلميّة المنصوبة من قبله تعالى للأئمّة عليهم السلام.

الثاني: إشتقاق نورهم عليهم السلام من نورها عليها السلام في بدء الخلقة وهو يستلزم مقام الحجية لهيمنة المتقدِّم على اللاحق.

من هنا يثبت بطلان ما ادّعاه بعضهم من أنّ حجيتها عليها السلام على الأئمّة عليهم السلام من حيثيّة أنها تملك ما لم يملكه بقيّة الأئمّة عليهم السلام من حيث القابليات النفسيّة، وضرب مثلاً على ذلك بولدين، أحدهما مجتهد في دراستته والآخر كسولٌ، فإنّ الوالد يحتجّ على الكسول الذي ادّعى أنّه لم تتوفر الظروف عنده للنجاح، بولده المجتهد... هذا التنظير والاستدلال غير سديد، فإنّه حمل الحجية على الأفضليّة والأرجحيّة المقابلة للمفضوليّة الفاقدة للكمال، مع أنّ المراد منها هو الحجية بمعنى الدّليل إلى الله تعالى.

(**الوجه العاشر**): إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله موطن التنْزيل، والسيِّدة الزهراء عليها السلام موطن التّأويل، فكانت حجّة على أولادها بهذا الاعتبار.

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٥ ص١.

﴿ وَأَبْرَأُ إلى اللهِ وَإلى رَسُولِهِ بِالبراءِةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أساسَ ﴾

﴿ ذلِكَ وَبَنى عَلَيْهِ بُنْيانَهُ وَجَرَى فى ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ ﴾

﴿ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَشْياعِكُمْ بَرِئْتُ إلى اللهِ وَإلَيْكُمْ ﴾

﴿ مِنْهُمْ وَأَتَقَرَّبُ إلى اللهِ ثُمَّ إلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُم ﴾

﴿ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ ﴾

﴿ وَالنّاصِبِينَ لَكُم الحَرْبَ وَبِالبَرَاءَةِ مِنْ أَشْياعِهِمْ ﴾

﴿ وَأَتْباعِهِمْ إنِّى سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ ﴾

﴿ حارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ ﴾

بيان في شرح المصطلح:

المؤسِّس: هو أبو بكر وعمر بن الخطّاب، أمّا عثمان ومعاوية ويزيد فهم عمّال لذينك الملعونَين.

جرى في ظلمه: أي استمرّ، وفي (كامل الزيارات): وأجرى ظلمه.

الفقرة الشريفة وما تتضمنه من البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام، كالفقرات السّابقة المتضمنة للبرائة واللعن، لكنّ هذه الفقرة تتميّز بأربع براءات، وهو تكرار ترجع فائدته إلى تجديد وتأكيد البراءة من أعدائهم عليهم السلام؛ لأنّ البراءة أهمّ من الموالاة؛ وبينهما نسبة العموم والخصوص المطلق، إذ إنّ كلّ متبرِّئ موالٍ، وليس كلّ موالٍ متبرِّئاً، إذ قد ترى مؤمناً يحبُّ أهلَ البيت عليهم السلام لكنّه لا يتبرّأ من أعدائهم كما نلاحظه اليوم على ساحتنا الإسلاميّة الشيعيّة، لا سيّما الذين هم على خطّ الوحدة القائمة على نسف عقائد أهل البيت عليهم السلام من أساسها.

وبالجملة: الفائدة أو الحكمة من تكرير البراءة من أعدائهم ترجع إلى أمرين :

الأمر الأوّل: ما أفدناه آنفاً من تأكيد البراءة لأهميّتها على الصّعيد الفكري والرّوحي والعملي، إذ ما لم تتبرّأ من أعداء الله تعالى... وأعداء رسوله وأهل بيته المطهرين عليهم السلام يقتضي أنْ تكون في صفّ عدوّهم، معتقداً بما يعتقده ذاك العدوّ، وهذا بدوره يعتبر وقوفاً وانحيازاً للباطل ضدّ الحق، وفي ذلك مفسدة واقعيّة لا تخفى على العاقل وهي الوقوع في خلود العذاب الأليم والكفر بالله العظيم..

الأمر الثاني: الإحتياج إلى أهل البيت عليهم السلام في كلّ آنٍ وزمانٍ، فيكون التكرير كتكرير عبادة الله تعالى في كلّ يوم إلى الممات، وذلك لأننا محتاجون إلى الله عزّ وجلّ في كلّ آنٍ نظراً إلى أنّ المعلول أو الممكن - بالتعبير الكلامي الفلسفي - بحاجة إلى العلّة حدوثاً، وكذلك بحاجة إليها بقاءاً واستمراراً؛ لأنّ الممكن بطبيعته مفتقر إلى غيره لإخراجه من العدم إلى الوجود، ونفس الإحتياج الحدوثي يقتضي الإحتياج الإستمراري لتحقق علّة الإفتقار وهو الإمكان في تمام الأطوار، فينبغي عدم انفكاك الممكن عن العبادة، كذلك نحن محتاجون إلى أهل البيت عليهم السلام نظراً إلى كونهم عليهم السلام أبواب رحمته ووسائل نعمته، والأدلاّء على مرضاته - كما تشير إلى ذلك فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة - فلا يمكن عبادة الله تعالى على الوجه المرضي له إلّا بإرشادهم ودلالتهم، ولا يكون هذا الأمر إلاّ بتصديقهم واتّباعهم، ولا يحصل إلاّ بموالاتهم وموالاة أوليائهم ومعاداة أعدائهم، والبراءة من محاربيهم ومبغضيهم، فيجب أنْ يكون ذلك مستمرّاً في جميع الأحوال.

ومن المفيد هنا أنْ نستعرض الأخبار الدّالة على وجوب البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام وهي متوافقة مع قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ؛ أي أنّ الله تعالى لا يهدي إلى الهداية الخاصّة كلَّ كافرٍ بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأهل بيته الأنوار المطهَّرين؛ لأنهم عليهم السلام أولياء الله تعالى، الموالي لهم موالٍ لله تعالى، والكافر بهم كافرٌ بالله تعالى؛ وكذا قوله عزّ وجلّ: ﴿ مَّثَلُ

ﭐلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ.

فالمراد بـ: (الربّ) في الآية هو القيِّم على الأمر، أي صاحب الولاية المطلقة أمير المؤمنين عليّ وأهل بيته عليهم السلام، والربّ أعمّ من الخالق العظيم عزّ اسمه، وعليه معنى (الربّ) هنا هو المولى المعظَّم عليّ عليه السلام، فإنّ الكافر به وبولايته، خاسرٌ لا قيمةَ لأعماله العباديّة التي أجهد نفسه بها في الدّنيا، لأنّه عبد الله تعالى من الوجه الذي لا يريده الله تعالى، بل لا يسمى التارك للولاية عابداً لله، بل عابداً لوثنه في داخله وهو الشيطان الرّجيم أجارنا الله تعالى منه بمحمّد وآله الطّاهرين...

وقد جاء هذا المعنى في تفسير عليّ بن إبراهيم رحمه الله قال: قوله ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ، قال: من لم يقر بولاية أمير المؤمنين عليه السلام بطل عمله مثل الرماد الذي تجيء الريح فتحمله[1].

وكذا ما ورد عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **كلُّ مَن دَانَ الله بعبادةٍ يُجهِد فيها نفسَه ولا إمام له من الله، فسَعْيُهُ غيرُ مقبولٍ، وهو ضَالٌّ متحيِّرٌ، والله شانِئٌ لأعماله، ومَثَلُه كمَثَل شاةٍ ضَلَّتْ عن راعيها وقَطيعها، فهَجَمَتْ ذاهِبَةً وجائيةً يومَها، فلمّا جنَّها الليلُ بصرت بقطيع من غير راعيها، فحنّت إليها واغترَّت بها، فباتت معها في مَربِضها، فلمّا أن ساق الراعي قطيعه أنكَرت راعيها وقطيعها، فضلَّتْ متحيّرة تطلب راعيها، وقطيعها، فبَصُرَت بغنم مع راعيها فحنّت إليها، واغترَّت بها، فصاح بها الراعي: الحَقي براعيك وقطيعك، فإنّك تائهة متحيِّرة عن راعيك وقطيعك ذعرة متحيرة نادّة، لا راعي لها يُرشدها إلى مرعاها أو يردّها، فبينا هي كذلك إذ اغتنم الذئبُ ضيعتها فأكلها.**

(١) راجع (البرهان في تفسير القرآن) ج٣ ص٢٩٤ ح٥٧٠٣.

وكذلك والله - يا محمّد - من أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من الله عزّ وجلّ ظاهراً عادلاً، أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحال مات ميتةَ كفرٍ ونفاق، واعلمْ - يا محمّد - أنّ أئمّة الجَور وأتباعَهم لَمَعْزولون عن دين الله، قد ضَلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدَّت به الرّيح في يوم عاصفٍ، لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضّلال البعيد »[1] .

فقد دلّت الرّوايتان الشريفتان صريحاً على أنّ الكفر بولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هي كفر بالخالقِ العظيم، لكون ذلك من الشرك والإنكار لما جاء به الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى. مضافاً إلى أنّ من أبرز مصاديق (الرّب) في الآية هو الولاية والقيوميّة لغةً وعقلاً، فقد جاء في نصوص اللغة أنّ الربّ هو السيد والقيّم والمالك.. وقد ورد ذكر الرب في سورة يوسف بمعنى المالك والسيد نظير قول النبي يوسف عليه السلام لأصحاب السجن: ﴿ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، وقال في موضعٍ آخر: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، وقال في موضعٍ ثالث: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، وجاء في خبر المفضل بن عمر عن الإمام الصّادق عليه السلام تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا... ﴿٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، قال عليه السلام: « **ربّ الأرض يعني إمام الأرض** »، فقال المفضل: فإذا خرج - أي الإمام المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف - يكون ماذا؟ قال عليه السلام: « **إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر يجتزون بنور الإمام** ».

والحاصل: إنّ معنى الآية: إنّ الذين كفروا بالإمام الذي نصبه الله تعالى أعمالهم كرمادٍ اشتدّت به الرّيح في يومٍ عاصفٍ، وهذا المعنى لا يخلُّ بالقواعد والأُسس

(١) راجع (البرهان في تفسير القرآن) ج٣ ص٢٩٤ — ٢٩٥ ح٥٧٠٤.

بعدما تقدَّم منا إيضاح المعنى لغةً من لفظ (الرب) وعلى العاقل أنْ يتدبّر ولا يتسرّع بالإنكار لكونه شعبة من الكفر والجحود.

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ سُورَةُ طه، فإنّه يعني أنّ الإيمان بالله والإتيان بالأعمال الصّالحة لا ينفع صاحبه دون الإهتداء أو الإعتقاد بالولاية لأهل البيتعليهم السلام. فولايتهمعليهم السلام شرط أصيل في قبول الأعمال الصّالحة.

من هنا فَسَّرَتِ الأخبارُ الكثيرةُ (الإهتداء) بالولاية، وكذا الإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ سُورَةُ طه، بأنّه الولاية، فشرط الله تعالى الإيمان بولايتهمعليهم السلام في قبول الأعمال الصالحة، لعدم خوف الظلم بمنع ثوابٍ يستحقّه...من هذه الأخبار[1]:

① (أمالي الصدوق): ابن ناتانه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن السّاباطي، عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **إنّ أول ما يُسألُ عنه العبد إذا وقف بين يدَي اللهجل جلاله عن الصّلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة وعن الصّيام المفروض وعن الحجّ المفروض وعن ولايتنا أهل البيت، فإنْ أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وإنْ لم يقرّ بولايتنا بين يدَي اللهجل جلاله لم يقبل اللهعز وجل منه شيئاً من أعماله** ».

② (أمالي الصّدوق): عليّ بن عيسى، عن عليّ بن محمَّد ماجيلويه، عن البرقي، عن محمَّد بن حسان، عن مولانا الإمام محمَّد بن جعفر بن محمَّدعليه السلام، عن أبيهعليه السلام، عن آبائهعليهم السلام قالعليه السلام: « **نزل جبرئيل على النبيّصلى الله عليه وآله فقال: يا محمَّد السّلام يقرئك السّلام ويقول: خلقتُ السّماوات السّبع وما فيهنّ، والأرضين السّبع ومَن عليهنّ، وما خلقتُ موضعاً أعظم من الرُّكن والمقام، ولو أنّ عبداً**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٦٧– ١٩٨ الباب السّابع.

دعاني هناك منذ خلقتُ السّماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية عليّ لأكببتُه في سقر ».

③ تفسير عليّ بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾، يقول عليه السلام: « **إنْ كان من أهل النّار وكان قد عمل في الدّنيا مثقالَ ذرّة خيراً يره يوم القيامة حسرةً إنْ كان عمله لغير الله** » ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾، يقول عليه السلام: « **إذا كان من أهل الجنّة رأى ذلك الشر يوم القيامة ثم غفر له** ».

④ (أمالي الطوسي): المفيد عن أحمد بن محمَّد الزراري عن الحميري عن ابن أبي الخطاب عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن الساباطي قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبا أميّة يوسف بن ثابت حدث عنكَ أنكَ قلتَ: « **لا يضرّ مع الايمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل؟** » فقال عليه السلام: « **إنه لم يسألني أبو أمية عن تفسيرها، إنما عنيتُ بهذا أنه مَن عرف الإمام من آل محمَّد، ويتولاّه ثم عمل لنفسه بما شاء من عمل الخير قُبِلَ منه ذلك وضُوعِفَ له أضعافاً كثيرةً فانتفع بأعمال الخير مع المعرفة، فهذا ما عنيتُ بذلك وكذلك لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولّوا الإمام الجائرَ الذي ليس من الله تعالى** ».

فقال له عبد الله ابن أبي يعفور: أليس الله تعالى قال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ ﴾، فكيف لا ينفع العمل الصالح ممّن تولى أئمة الجور؟

فقال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **وهل تدري ما الحسنة التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي معرفة الإمام وطاعته، وقد قال الله عز وجل:** ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠ ﴾، **وإنما أراد بالسيئة إنكار الإمام الذي هو من الله تعالى** »، ثم قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **مَن جاء يوم القيامة بولاية إمامٍ جائرٍ ليس من الله وجاءه منكراً لحقنا جاحداً**

لولايتنا أكبّهُ اللهُ تعالى يوم القيامة في النّار ».

⑤ (أمالي الطوسي) : أبو منصور السكري عن جده عليّ بن عمر عن العباس بن يوسف السككي عن عبيد الله بن هشام عن محمَّد بن مصعب عن الهيثم بن حماد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : رجعنا مع رسول الله ﷺ قلقين من تبوك فقال لي في بعض الطريق : ألقوا لي الأحلاس والأقتاب ، ففعلوا ، فصعد رسول الله ﷺ فخطب فَحَمَدَ اللهَ وأثنى عليه بما هو أهله.

ثم قال : « **معاشر الناس مالي إذا ذُكِرَ آلُ إبراهيم عليه السلام تَهَلَّلَتْ وجوهُكم، وإذا ذُكِرَ آلُ محمَّدٍ كأنما يُفْقَأُ في وجوهكم حَبُّ الرّمَّان؟ فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو جاء أحدُكم يوم القيامة بأعمالٍ كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لأكبّه اللهُ عزّ وجلّ في النّار** ».

⑥ (أمالي الطوسي) : المفيد عن عليّ بن خالد المراغي عن الحسن بن عليّ الكوفي عن إسماعيل بن محمَّد المزني عن سلام بن أبي عمرة عن سعد بن سعيد عن يونس بن عبد الجبار عن مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما بالُ أقوامٍ إذا ذُكِرَ عندهم آلُ إبراهيم عليه السلام فَرِحُوا واستبشروا، وإذا ذُكِرَ عندهم آلُ محمَّدٍ اشمأزَّتْ قلوبُهُم، والذي نفس محمَّد بيده لو أنّ عبداً جاء يوم القيامة بعملِ سبعين نبيّاً ما قَبِلَ اللهُ ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي** ».

⑦ (أمالي الطوسي) : المفيد عن الجعابي عن عبد الله بن أحمد بن مستورد عن عبد الله بن يحيى عن عليّ بن عاصم عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لنا مولانا الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام : « **أيُّ البقاع أفضل؟** » فقلنا : الله ورسولُه وابنُ رسوله أعلَم ، فقال عليه السلام : « **إنّ أفضلَ البقاعِ ما بين الرُّكن والمقام، ولو أنّ رجلاً عَمَّرَ ما عَمَّرَ نوح في قومه ألفَ سنةٍ إلاّ خمسين عاماً يصوم النّهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي اللهَ بغير ولايتنا لم ينفعْهُ ذلك شيئاً** ».

(ثواب الأعمال) : ابن الوليد عن الصفار عن أحمد بن محمَّد عن ابن أبي نجران

عن عاصم عن الثمالي مثله. المحاسن: محمَّد بن عليّ عن ابن أبي نجران مثله.

⑧ (معاني الأخبار): أبي عن سعد عن ابن عيسى عن أبيه عن عليّ بن النعمان عن فضيل ابن عثمان قال: سئل مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام فقيل له: إنّ هؤلاء الأجانب يروون عن أبيك يقولون: إنّ أباك عليه السلام قال: « **إذا عرفتَ فاعملْ ما شئتَ** »، فهم يستحلّون من بعد ذلك كلّ محرَّم، قال: مالهم لعنهم الله؟ إنما قال أبي عليه السلام: « **إذا عرفتَ الحقَّ فاعملْ ما شئت من خيرٍ يُقْبَلُ منْكَ** ».

⑨ (الإحتجاج) عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق المدعي للتناقض في القرآن قال عليه السلام: « **وأمّا قوله:** ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ.. ﴿٩٤﴾ ﴾. **وقوله:** ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾، **فانّ ذلك كلّه لا يُغْنِي إلاّ مع اهتداء، وليس كلّ مَن وقع عليه اسمُ الايمان كان حقيقاً بالنجاة ممّا هلك به الغواة، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهودُ مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها بالله، ونجا سائر المقرِّين بالوحدانية من إبليس فمَن دونه في الكفر، وقد بين الله ذلك بقوله:** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾. **وبقوله:** ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ... ﴿٤١﴾ ﴾، **وللإيمان حالاتٌ ومنازل يطول شرحها** ».

ومن ذلك أنّ الإيمان قد يكون على وجهين: إيمان بالقلب، وإيمان باللسان كما كان إيمان المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لما قهرهم السيف وشملهم الخوف فإنهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب ومَن سلَّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره كما استكبر إبليس عن السجود لآدم واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل، فإنه سجد سجدةً واحدة أربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة، فلذلك لا تنفع الصّلاة والصّدقة إلاّ مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطريق الحق.

⑩ (علل الشرائع): ماجيلويه عن عمه عن محمَّد بن عليّ الكوفي عن محمَّد بن

سنان عن صباح المدائني عن المفضل بن عمر أن مولانا الإمام أبا عبد الله‌عليه‌السلام كتب إليه كتاباً فيه: « **إنّ الله‌عزّوجلّ لم يبعث نبيّاً قط يدعو إلى معرفة الله ليس معها طاعة في أمرٍ ولا نهي، وإنما يقبل الله من العباد العمل بالفرائض التي افترضها الله على حدودها مع معرفة من دعا إليه، ومَن أطاع حرم الحرام ظاهره وباطنه وصلّى وصام وحجَّ واعتمر وعَظَّمَ حُرُماتِ الله كلّها لم يدع منها شيئاً وعمل بالبرّ كلّه ومكارم الأخلاق كلّها وتجنّب سيّئها.**

ومَن زعم أنّه يحلّ الحلال ويحرِّم الحرام بغير معرفة النبيّ‌صلى‌الله‌عليه‌وآله لم يحلّ لله حلالاً ولم يحرِّم له حراماً، وإنّ مَن صلى وزكى وحج واعتمر وفعل ذلك كلّه بغير معرفة مَن افترض الله عليه طاعته فلم يفعل شيئاً من ذلك لم يصلِّ ولم يصم ولم يزَكِّ ولم يحجّ ولم يعتمر ولم يغتسل من الجنابة ولم يتطهر ولم يحرِّم لله حراما ولم يحلّ لله حلالاً، ليس له صلاة وإنْ ركع وإنْ سجد، ولا له زكاة ولا حج، وإنما ذلك كلّه يكون بمعرفة رجل من الله جل وعز على خلقه بطاعته وأمر بالأخذ عنه.

فمَن عرفه وأخذ عنه أطاع الله، ومَن زعم أنّ ذلك إنما هي المعرفة وأنّه إذا عرف اكتفى بغير طاعة فقد كذب وأشرك، وإنما قيل: اعرف واعمل ما شئت من الخير فإنه لا يقبل منك ذلك بغير معرفة، فإذا عرفتَ فاعملْ لنفسكَ ما شئتَ من الطّاعة قلَّ أو كَثُرَ فإنّه مقبولٌ منك ».

⑪ (ثواب الأعمال) بإسناده أبي عن سعد عن ابن أبي الخطاب عن صفوان عن إسحاق بن غالب عن مولانا الإمام أبي عبد الله‌عليه‌السلام قال: « **عبد الله حبر من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخلال فأوحى الله عزّوجلّ إلى نبي زمانه: قل له: وعزّتي وجلالي وجبروتي لو أنّكَ عبَدْتَنِي حتى تذوبَ كما تذوبُ الإلية في القِدْرِ ما قَبِلْتُ منكَ حتى تأتيني من الباب الذي أمرتُكَ** ».

⑫ (ثواب الأعمال) بإسناده عن أبي عن عليّ بن موسى عن أحمد بن محمَّد عن الوشاء عن كرام الخثعمي عن أبي الصامت عن المعلى بن خنيس قال: قال

مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **يا معلى لو أنّ عبداً عَبَدَ اللهَ مائة عامٍ ما بين الرُّكن والمقام يصوم النّهار ويقوم اللّيل حتى يسقط حاجباه على عينيه وتلتقي تراقيه هرماً، جلا هلا لحقنالم يكن له ثواب** ».

(١٣) (ثواب الأعمال): أبي عن محمَّد العطار عن الأشعري عن إبراهيم بن إسحاق عن محمَّد بن سليمان الديلمي عن أبيه عن ميسر بياع الزطي قال: دخلتُ على مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام فقلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ إنّ لي جاراً لستُ أنتبه إلاّ بصوته إما تالياً كتابه يكرِّره ويبكي ويتضرَّع، وإمّا داعياً، فسألتُ عنه في السِّرِّ والعلانية فقيل لي: إنه مجتنب لجميع المحارم، قال: فقال عليه السلام: « **يا ميسر يعرف شيئاً ممّا أنتَ عليه؟** » قال: قلتُ: الله أعلم.

قال: فحَجَجْتُ من قابل فسألتُ عن الرّجل فوجدتُه لا يعرف شيئاً من هذا الأمر فدخلتُ على مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام فأخبرتُه بخبر الرّجل، فقال لي مثل ما قال في العام الماضي: « **يعرف شيئاً ممّا أنتَ عليه؟** » قلت: لا.

قال عليه السلام: « **يا ميسر أيُّ البقاع أعظم حرمة؟** » قال: قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

قال عليه السلام: « **يا ميسر ما بين الرُّكن والمقام روضة من رياض الجنّة، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنّة، ولو أنّ عبداً عَمَّرَهُ اللهُ فيما بين الرُّكن والمقام وفيما بين القبر والمنبر يعبده ألفَ عام ثم ذُبِحَ على فراشه مظلوماً كما يُذْبَحُ الكبْشُ الأملحُ ثم لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا لكان حقيقاً على الله عزّ وجلّ أنْ يكبَّه على منخريه في نار جهنم** ».

(١٤) (قصص الأنبياء) بالإسناد إلى الصّدوق عن ماجيلويه عن محمَّد العطار عن ابن أبان عن ابن أورمة عن رجل عن عبد الله بن عبد الرحمان البصري عن ابن مسكان عن مولانا الإمام أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: « **مَرَّ موسى بن عمران عليه السلام برجلٍ رافع يده إلى السّماء يدعو فانطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيام ثم رجع إليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرَّع ويسأل حاجته،**

فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى لو دعاني حتى تسقط لسانه ما استجبتُ له حتى يأتيني من الباب الذي أمرته به ».

⑮ المحاسن بإسناده إلى القاسم بن يحيى عن عبيس عن جيفر العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « **لو أنّ عبداً عَبَدَ اللهَ ألفَ عامٍ ما بين الرُّكن والمقام ثم ذُبِحَ كما يُذْبَحُ الكبْشُ مظلوماً لَبَعَثَهُ اللهُ مع النّفر الذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم ويسير بسيرتهم إنْ جنة فجنة وإنْ ناراً فنار** ».

⑯ (بصائر الدرجات) بإسناده إلى أحمد بن الحسين عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن البراء عن عليّ ابن حسان عن عبد الرحمن يعني ابن كثير قال: حججت مع مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام فلمّا صرنا في بعض الطريق صعد على جبل فأشرف فنظر إلى الناس فقال: « **ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج؟** » فقال له داود الرقي: يا بن رسول الله هل يستجيبُ اللهُ دعاءَ هذا الجمع الذي أرى؟ قال عليه السلام: « **ويحك يا با سليمان إنّ الله لا يغفر أنْ يُشْرَكَ به، الجاحد لولاية عليّ كعابد وثن** ».

قال: قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هل تعرفون محبَّكم ومُبْغِضَكُم؟ قال عليه السلام: « **ويحكَ يا أبا سليمان إنه ليس من عبد يولد إلاّ كتب بين عينيه: مؤمن أو كافر، وإنّ الرجل ليدخل إلينا بولايتنا وبالبراءة من أعدائنا فنرى مكتوباً بين عينيه: مؤمن أو كافر، قال الله عز وجل:** ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، **نعرف عدوّنا من وليِّنا** ».

⑰ المحاسن بإسناده إلى أبي عن حمزة بن عبد الله عن جميل بن دراج عن عبد الله بن مسكان عن عمر الكلبي قال: كنت أطوف مع مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام وهو متّكئٌ عَلَيَّ إذ قال: « **يا عمر ما أكثر السَّوَادَ!** » يعني الناس، فقلت: أجل جُعِلْتُ فِدَاكَ، فقال: « **أَمَا والله ما يحجّ لله غيركم ولا يؤتى أجره مرّتين غيركم، أنتم والله رعاة الشّمس والقمر، وأنتم والله أهل دين الله، منكم يقبل**

ولكم يغفر ».

⑱ المحاسن بإسناده إلى عن بعض أصحابه رفعه إلى مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قلتُ له: إنّي خرجتُ بأهلي: فلم أدعْ أحداً إلاّ خرجتُ به إلاّ جارية لي نسيت، فقال: ترجع وتذكر إنْ شاء الله، قال: فخرجت لتسد بهم الفجاج؟ قلت: نعم، قال: والله ما يحج غيركم ولا يقبل إلاّ منكم.

⑲ المحاسن بإسناده إلى النضر عن يحيى الحلبي عن الحارث عن محمَّد بن عليّ عن عبيس ابن هشام عن عبد الكريم وهو كرام ابن عمرو الخثعمي عن عمر بن حنظلة قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: إنّ آية في القرآن تشكّكني، قال: « **وما هي؟** » قلت: قول الله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾، قال: « **أي شيء شككت فيها؟** » قلت: مَن صلى وصام وعبد الله قبل منه، قال: « **إنّما يتقبل الله من المتقين العارفين** »، ثم قال: « **أنتَ أزهد في الدّنيا أم الضحاك بن قيس؟** » قلتُ: لا، بل الضحاك بن قيس، قال عليه السلام: « **فذلك لا يتقبل منه شيء ممّا ذكرتَ** ».

⑳ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

« **أعظمُ الناس حسرةً رجلٌ جَمَعَ مالاً عظيماً بكدٍّ شديدٍ ومباشرةِ الأهوال وتعرض الأخطار ثم أفنى ماله صدقات ومبرات وأفنى شبابه وقوته في عبادات وصلوات وهو مع ذلك لا يرى لعليّ بن أبي طالب عليهما السلام حقَّه ولا يعرف له من الإسلام محلَّه ويرى أنّ مَن لا يعشره ولا يعشر عشير معشاره أفضل منه عليه السلام يواقف على الحجج فلا يتأمّلها ويحتج عليها بالآيات والأخبار فيأبى إلاّ تمادياً في غيّه فذاك أعظم حسرة من كلّ مَن يأتي يوم القيامة وصدقاته ممثلة له في مثال الأفاعي تنهشه، وصلواته وعباداته ممثَّلة له في مثال الزبانية تتبعه حتى تدعّه إلى جنهم دعّاً، يقول: يا ويلي أم أكُ من المصلِّين؟ ألم أك من المزكين؟ ألم أك عن أموال الناس ونسائهم من المتعففين؟ فلماذا دُهيْتُ بما دُهِيْتُ؟ فيقال له: يا شقيّ ما نَفَعَكَ ما عَمِلْتَ وقد ضَيَّعْتَ أعظمَ**

الفروض بعد توحيد الله والايمان بنبوة محمَّد رسول اللهﷺ ضَيَّعْتَ ما لزمك من معرفة حقِّ عليّ ولي الله، والتَزَمْتَ ما حَرَّمَ الله عليكَ من الايتمام بعدوّ الله، فلو كان لك بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أوله إلى آخره وبدل صدقاتك الصدقة بكلّ أموال الدّنيا بل بملء الأرض ذهباً لما زادك ذلك من رحمة الله إلاّ بعداً ومن سخط الله إلاّ قرباً ».

(٢١) مجالس المفيد بإسناده إلى عليّ بن محمَّد بن الزبير عن عليّ بن الحسن بن فضال عن ابن أسباط عن محمَّد بن يحيى أخي مغلس عن العلا عن محمَّد عن أحدهماعليهما السلام قال: قلتُ له: إنّا نرى الرجل من المخالفين عليكم له عبادة واجتهاد وخشوع، فهل ينفعه ذلك شيئا؟ فقالعليه السلام: « **يا محمَّد إنما مثلنا أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل وكان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلاّ دعا فأجيب.**

وإنّ رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلةً ثم دعا فلم يُسْتَجَبْ له، فأتى عيسى بن مريمعليه السلام يشكو إليه ما هو فيه، ويسأله الدّعاء له، فتطهر عيسى وصلّى ثم دعا فأوحى الله إليه: يا عيسى إنّ عبدي أتاني من غير الباب الذي أوتى منه، إنّه دعاني وفي قلبه شكٌّ منكَ، فلو دعاني حتى ينقطع عنقه وتنتشر أنامله ما استجبتُ له. فالتَفَتَ عيسىعليه السلام فقال: تدعو ربكَ وفي قلبك شكٌّ من نبيّه؟ فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلتَ، فاسئل الله أنْ يذهب به عني، فدعا له عيسىعليه السلام فتقبل اللهُ منه وصار في حدّ أهل بيته، كذلك نحن أهل البيت لا يقبل الله عَمَلَ عَبْدٍ وهو يشكّ فينا ».

(كنز جامع الفوائد) و(تأويل الآيات الظاهرة): من كتاب أبي عمر الزاهد باسناده عن محمَّد بن مسلم مثله، وفي عدة الداعي عن محمَّد بن مسلم مثله.

(٢٢) مجالس المفيد بإسناده إلى ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن هشام عن مرازم عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: « **ما بالُ أقوامٍ من أمّتي إذا ذُكِرَ عندهم إبراهيمُ وآلُ إبراهيم**

استَبْشَرَتْ قلوبُهُم وتَهَلَّلَتْ وُجوهُهُم، وإذا ذُكِرتُ وأهلُ بيتي اشمأَزَّتْ قلوبُهُم وكَلَحَتْ وجوهُهُم، والذي بعثني بالحق نبيّاً لو أنّ رجلاً لقي اللهَ بعمل سبعين نبيّاً ثمّ لم يلْقَهُ بولاية أولي الأمر مِنّا أهلَ البيت ما قَبِلَ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً ».

(٢٣) (كشف الغمة): قال مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: « قد انتحلَتْ طوائفُ من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين والشجرة النبوية إخلاصَ الديانة، وأخذوا أنفسَهم في مخائل الرّهبانية، وتعالوا في العلوم ووصفوا الإيمان بأحسن صفاتهم وتحلّوا بأحسن السُّنَّة، حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدت عليهم الشقة وامتحنوا بمحن الصّادقين رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى وعلم النجاة، يتفسخون تحت أعباء الدّيانة تفسُّخَ حاشية الإبل تحت أوراق البزل.

ولا تحرز السّبق الروايا وإن جرت ولا يبلغ الغايات إلاّ سبوقها

وذهب الآخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأوّلوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا، يقتحمون في أغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب ولا أثره علم من من مظان العلم بتحذير مثبطين، زعموا أنّهم على الرُّشد من غيِّهم، وإلى مَن يفزع خلف هذه الأمّة وقد درست أعلام الملّة ودانَتْ الأمّة بالفُرْقَة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً؟! والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ... ﴿١٠٥﴾ ﴾، فمَن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلاّ أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدُّجى الذين احتجَّ اللهُ بهم على عباده، ولم يَدَعِ الخلقَ سدىً من غير حجّةٍ؟ هل تعرفونهم أو تجدونهم إلاّ من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصّفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرَهُم تطهيراً وبرّأَهُم من الآفات وافتَرَضَ مودَّتَهُم في الكتاب؟

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى وخير جبال العالمين ونيقها ».

(٢٤) تفسير فرات بن إبراهيم بإسناده إلى محمَّد بن القاسم بن عبيد معنعناً عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ سُورَةُ طه، قال: آمن بما جاء به محمَّد صلى الله عليه وآله وعمل صالحاً قال: أداء الفرائض، ثم اهتدى إلى حبّ آل محمَّد.

وسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: « **والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا ينفعُ أحدَكم الثلاثةُ حتى يأتي بالرّابعة، فمَن شاء حقّقَهَا ومَن شاء كَفَرَ بها، فأنا مَنَازِلُ الهدى وأئمّةُ التُّقى وبنا يُسْتَجَاب الدُّعاء ويدفع البلاء وبنا ينزل الغيث من السّماء ودون علمنا تَكِلُّ ألسنُ العلماءِ ونحن بابُ حِطّة وسفينة نوح، ونحن جَنْبُ الله الذي ينادي من فرط فينا يوم القيامة بالحسرة والندامة، ونحن حبل الله المتين الذي مَن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، ولا يزال محبّنا منفياً مؤذياً منفرداً مضروباً مطروداً مكذوباً محزوناً باكي العين حزين القلب حتى يموت، وذلك في الله قليل** ».

❖ **ملاحظة مهمة**: ما أشار إليه ذيل الخبر ما هو إلاّ توصيفاً حقيقيّاً رائعاً لما يتصف به المؤمن التقيّ في كلّ زمن، وواقع الحال يثبت ذلك في زماننا السّيئ الذي يلاقي فيه التّقي من الأذى بواسطة أناس يدّعون الإيمان والتشيُّع، ولا نستغرب من كلّ ذلك لعلمنا - كما علّمنا ساداتنا أهل أهل بيت محمّد عليهم السلام - إنّ المنافقين كثيرون في آخر الزّمان، دينهم دنانيرهم، وقبلتهم نساؤهم، فهم عبيد الدّنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قَلَّ الديّانون.

(٢٥) (أعلام الدين) للديلمي عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وعنده نَفَرٌ من أصحابه وفيهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَن قال: لا إله إلاّ الله دخل الجنة** »، فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **إنما تُقْبَلُ شهادةُ لا إله إلاّ الله من هذا وشيعته** »، ووَضَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يده على رأس عليّ عليه السلام وقال لهما: « **من علامة ذلك أنْ لا تجلسا مجلسه ولا تكذّبا قولَه** ».

وقال رسول الله عليه السلام: « **مَن أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً، ولو أنّ عبداً عَبَدَ اللهَ بين الرُّكن والمقام ألفَ سنةٍ ثم لقي الله بغير ولايتنا أكبَّهُ اللهُ على منخريه في النّار، ومَن مات لا يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية، والله ما ترك اللهُ الأرضَ منذ قبض آدم إلاّ وفيها إمامٌ يُهْتَدَى به، حُجّةً على العباد، مَن تَرَكَهُ هَلَكْ ومَن لَزِمَهُ نَجَا.**

وقال الله تعالى في بعض كتبه: لأعذِّبَنَّ كلَّ رَعِيَّةٍ أطاعَتْ إماماً جائراً وإنْ كانت بَرَّةً تقيّةً، ولأعفوَنَّ عن كلِّ رعيّةٍ أطاعتْ إماماً هادياً وإنْ كانتْ ظالمةً مسيئةً، ومَن ادّعى الإمامةَ وليس بإمامٍ فقد افترى على الله وعلى رسوله ».

هذه بعض أخبارنا الشريفة، وهي واضحة الدّلالة على وجوب التمسُّك بأهل البيت عليهم السلام ووجوب البراءة من أعدائهم، وأنّه لا يقبل الله تعالى عمل عابد إلاّ بولايتهم والبراءة من أعدائهم.

أخبار العامة في فضل ولاية آل الله والبراءة من أعدائهم لعنهم الله

وأمّا أخبار العامّة فكثيرة جدّاً تدلّ على المقصود أيضاً منها ما رواه السيِّد هاشم البحراني نقلاً عن المصادر العاميّة بأسناده[1]:

١- أخطب خوارزم بسنده المعنعن إلى حميد بن صالح عن الإمام جعفر بن محمّد قال: حدّثني أبي عن أبيه عن الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بهجة قلبي، وإبناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أمناء ربّي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، مَن اعتصم بهم نجا ومَن تخلّف عنهم هوى).

٢- الحمويني هذا، أخبرني المشايخ الجلة من أهل الحلة السيِّدان الإمامان جمال الدين أحمد بن موسى بن طاوس الحسيني وجلال الدين عبد الحميد بن فخار بن

(١) راجع (غاية المرام وحجة الخصام) ج٢ ص٢٩٠، الباب السّادس والعشرون.

معد بن فخار الموسوي (عليهما السَّلام) والرحمة والإمام العلامة نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد رحمه الله عليهم بروايتهم عن السيِّد الإمام شمس الدين شيخ الشرف فخار بن محمَّد الدورستي عن أبيه عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن أبويه القمي قدس الله أرواحهم قال: حدثنا عليّ بن أحمد بن عبد الله بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن جده أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن محمَّد بن خالد عن غياث بن إبراهيم عن ثابت بن دينار عن سعد بن طريف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: (يا عليّ أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ولن تؤتى المدينة إلاّ من قبل الباب، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغضك، إنك مني وأنا منك، لحمكَ من لحمي ودمكَ من دمي وروحكَ من روحي وسريرتكَ من سريرتي وعلانيتكَ من علانيتي، وأنتَ إمام أمّتي وخليفتي عليها بعدي، سعد مَن أطاعك، وشقى من عصاك، وربح من تولاّك، وخسر من عاداك، فاز مَن لزمك، وهلك من فارقك، مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح مَن ركب فيها نجا ومَن تخلف عنها غرق، ومثلكم كمثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة).

٣- إبراهيم الحمويني هذا قال: أخبرني السيِّد النسابة جلال الدين عبد الحميد عن أبيه الإمام شمس الدين شيخ الشرف فخار بن معد بن فخار الموسوي عن شاذان بن جبرائيل القمي عن جعفر بن محمَّد الدورستي عن أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن بابويه رضي الله عنه قال: حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الطفيل عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: (أكْتُبْ ما أملي عليكَ، قال عليه السلام: يا نبي الله وتخاف عَلَيَّ النسيان! قال: لا وقد دعوت الله تعالى أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اُكْتُبْ لشركائكَ قال عليه السلام: قلتُ: ومن شركائي يا نبيَّ الله، قال ﷺ: الأئمّة من ولدكَ، بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء،

وبهم ينزل الرّحمة من السّماء، وهذا أولهم، وأومى بيده إلى الحسن عليه السلام ثم أومى بيده إلى الحسين عليه السلام ثم قال عليه وآله السّلام: والأئمة من ولده).

٤- أبو الحسن الفقيه محمَّد بن أحمد بن شاذان من طريق العامة من الفضائل المائة للإمام عليّ عليه السلام وأهل البيت من طريق العامة عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله تعالى لمّا خلق السماوات والأرض دعاهنّ فأجبْنَ فعرض عليهنّ نبوّتي وولاية عليّ بن أبي طالب فقبِلْنَهَا، ثم خلق الله الخلق وفوّض إلينا أمرَ الدين، فالسّعيد من سعد بنا والشقيّ من شقى بنا، ونحن المحلّون لحلاله المحرِّمون لحرامه).

٥- ابن شاذان هذا من طريق العامة عن عبد الله بن عمر قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن عليّ بن أبي طالب فغضبت فقال: (ما لأقوامٍ يذكرون مَن له منزلة عند الله كمنْزلتي ومقامٌ كمقامي إلاّ النبوّة، ألاَ مَن أحبَّ علياً فقد أحبَّني، ومَن رضيَ اللهُ عنه كافأه بالجَنَّة، ألاَ ومَن أحبّ عليّاً استغفرتْ له الملائكةُ وفتحتْ له أبوابَ الجَنَّة يدخل من أي بابٍ شاء بغير حساب، ألاَ ومَن أَحَبَّ عليّاً أعطاه الله كتابه بيمينه وحاسبه حساباً يسيراً حساب الأنبياء، ألاَ ومَن أَحَبَّ عليّاً لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانه من الجَنَّة، ألاَ ومَن أَحَبَّ عليّاً يهوِّن اللهُ عليه سكراتِ الموت وجعل قبرَه روضةً من رياض الجَنَّة، ألاَ ومَن أَحَبَّ عليّاً أعطاه الله في الجَنَّة بكلّ عرقٍ في بدنه حوراً وشفّعه في ثمانين من أهل بيته، وله بكلّ شعرة على بدنه مدينة في الجَنَّة، ألا ومَن عَرَفَ عليّاً وأحبَّه بعث اللهُ له مَلَكَ الموت بما يبعث إلى الأنبياء ودفع عنه أهوال منكر ونكير ونور قبره وفسحه مسيرة سبعين عاماً وبيَّضَ وَجْهَهُ يومَ القيامة.

ألاَ ومَن أَحَبَّ عليّاً تَقَبَّلَ اللهُ حسناتِه، ويتجاوز عن سيئاته، وكان في الجَنَّة رفيق حمزة سيد الشهداء، ألاَ وإنّ مَن أحبَّ عليّاً ثَبَّتَ اللهُ الحِكْمَةَ في قلبه، وأجرى على لسانه الصّواب، وفتح اللهُ عليه أبوابَ الرّحمة، ألاَ ومَن أَحَبَّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش أنْ يا عبد الله استأنِفْ العملَ قد غَفَرَ اللهُ لَكَ الذنوبَ كلَّها، ألاَ ومَن

أحَبَّ عليّاً جاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ألاَ ومَن أحَبَّ عليّاً وضع الله على رأسه تاج الكرامة وألبسه حلل العز، ألاَ ومَن أحَبَّ عليّاً مَرَّ على الصّراط كالبرق الخاطف ولم يَرَ صعوبةَ المرور، ألاَ ومَن أحَبَّ عليّاً كتب اللهُ له براءةً من النّار وبراءةً من النِّفاق وجوازاً على الصِّراط وأماناً من العذاب، ألاَ ومَن أحَبَّ عليّاً لا يُنْشَرُ له ديوانٌ ولا ينصب له ميزان وقيل له: اُدْخُلِ الجَنَّة بغير حساب.

ألاَ ومَن مات على حبّ آل محمَّد صافحتْهُ الملائكةُ وزارتْهُ أرواح الأنبياء، وقضى الله له كلَّ حاجةٍ كانت له عند الله، ألاَ ومَن مات على بغض آل محمَّد ماتَ كافراً، ومَن مات على حبّ آلِ محمَّد مات على الإيمان وكنتُ أنا كفيلُهُ بالجَنَّة).

٦- ابن شاذان هذا من طريق العامة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (عليٌّ مِنِّي كدمي من بدني، مَن تولاّه رشد، ومَن أحبّه نهج ومَن تبعه نجا، عليٌّ رابعُ الأربعة في الفردوس أنا والحسن والحسين وعليّ بن أبي طالب عليهم السلام).

٧- ابن شاذان من طريق العامة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة يقعد عليٌّ بن أبي طالب على الفردوس - وهو جبلٌ قد علا على الجَنَّة وفوقه عرشُ ربّ العالمين ومن صفحه تتفجر أنهار الجَنَّة وتتفرق في الجنان - وهو جالسٌ على كرسيٍّ من نُوْرٍ يجري من بين يديه التّسنيم، لا يجوز على الصِّراطَ أحدٌ إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجَنَّة فيُدْخِلُ محبيه الجَنَّة ومبغضيه النار).

٨- ابن شاذان من طريق العامة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليلة أسري بي إلى السّماء السّابعة سمعتُ نداءً من تحت العرش أنّ عليّاً رايةُ الهدى وحبيب من يؤمن بي بلغ عليّاً، فلمّا نزل من السّماء نسي ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ... ﴿٦٧﴾ ﴾، في عليّ، ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ... ﴿٦٧﴾ ﴾.

٩- ابن شاذان من طريق العامة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لما عرج بي إلى السماء انتهى بي السير مع جبرائيل إلى السّماء الرابعة فرأيت بيتا من

ياقوت أحمر فقال جبرائيل: يا محمَّد هذا البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السّماوات والأرضين بخمسين ألف عام، قُمْ يا محمَّد فصَلِّ إليه، قال النبي صلى الله عليه وآله: وجَمَعَ اللهُ النبيّين فصَفَّهُم جبرائيلُ ورائي صفّاً فصلَّيْتُ بهم، فلمّا سَلَّمْتُ أتاني آتٍ من عند ربّي فقال لي: يا محمَّد ربُّكَ يُقْرِئُكَ السّلام ويقول لكَ: سَلْ الرُّسُلَ على ماذا أرسلتم من قبلك؟ فقلت: معاشر الرّسل على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ فقالت الرُّسل: على ولايتكَ وولاية عليّ بن أبي طالب، وهو قوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ... ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٠- ابن شاذان من طريق العامة عن سعيد بن جنادة يذكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: (عليّ بن أبي طالب سيِّدُ العربِ، فقال صلى الله عليه وآله: أنا سيّد وِلْدِ آدم، وعَلِيٌّ سيِّدُ العرب، مَنْ أحبَّهُ وتولاّه أحبَّهُ اللهُ وهداه، ومَن أبغضه وعاداه أصمَّهُ اللهُ وأعماه، عليٌّ حقُّهُ كحقِّي، وطاعتُه كطاعتي غير أنّه لا نبيَّ بعدي، مَن فارقه فارقني ومَن فارقني فارق الله تعالى، أنا مدينة الحكمة وهي الجَنَّة وعليٌّ بابها، فكيف يهتدي المهتدي إلى الجَنَّة إلاّ من بابها؟ عليٌّ خَيْرُ البَشَرِ مَنْ أَبَى فَقَدْ كَفَرَ).

١١- ابن شاذان من طريق العامة عن الإمام جعفر بن محمَّد الصّادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان جالساً في الرَّحبة والنّاس حوله، فقام إليه رجلٌ فقال لأمير المؤمنين: إنك بالمكان الذي أنزل الله تعالى وأبوك معذب في النار فقال له: (مه فَضَّ اللهُ فاك والذي بَعَثَ محمَّداً بالحقِّ نبيّاً، لو شُفِّعَ أبي في كلّ مذنبٍ على وجه الأرض لشَفَّعَهُ اللهُ، فتقول: أبي معذَّب في النّار، وابنُهُ قسيمُ الجَنَّة والنّار، والذي بَعَثَ محمَّداً بالحقّ نبيّاً إنّ نورَ أبي طالب يوم القيامة ليطفي نورَ الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمَّد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور وِلْدِهِ من الأئمة إلاّ إنّ نوره من نورنا، خلقه اللهُ من قبل خلق آدم بألفي عام).

١٢- أبو المؤيد موفق بن أحمد من أعيان علماء العامة قال: أخبرني شهردار إجازة، أخبرني أحمد بن خلف إجازة، حدثنا محمَّد بن خالد بن عبد الله بن محمَّد، حدثنا عليّ بن جابر، حدثنا محمَّد خالد بن عبد الله، حدثنا محمَّد بن فضل، حدثنا

محمَّد بن سوقة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أتاني ملك فقال لي: يا محمَّد سَلْ مَن أرسلنا قبلَكَ من رُسُلِنَا على ما بُعِثُوا؟ قال: على ولايتكَ وولاية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه).

١٣- موفق بن أحمد قال: ذكر الإمام محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسين بن شاذان، حدثنا محمَّد بن مرو عن الحسن بن عليّ العاصمي عن محمَّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب عن جعفر بن سليمان الضبعي عن سعد بن طريف عن الأصبغ قال: سئل سلمان الفارسي رضي الله عنه عن عليّ بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما، يقول: سلمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (عليكم بعليّ بن أبي طالب فإنّه مولاكُم فأحِبُّوه، وكبيرُكُم فاتَّبِعُوْهُ، وعالِمُكم فأكْرِمُوْهُ، وقائِدُكُم إلى الجَنَّة فعَزِّزُوْهُ، وإذا دعاكم فأجِيْبوه وإذا أمَرَكُمْ فأطِيْعُوْهُ، أحِبُّوْهُ بِحُبِّيْ وأكْرِمُوْهُ بِكَرَامَتِي، وما قلتُ لكم في عليّ إلاّ بما أمرني ربّي جَلَّتْ عَظَمَتُهُ).

١٤- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) من أعيان علماء العامة من المعتزلة عن صاحب كتاب (حلية الأولياء) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَن سَرَّهُ أنْ يحيا حياتي ويموتَ مماتي ويسكن جَنَّةَ عَدْنٍ التي غرسها فليتولَّ عليّاً من بعدي ويقتدي بالأئمة من بعدي، فإنهم عِتْرَتِي خُلِقُوا من طينتي ورُزِقُوا فَهْمَاً وعِلْمَاً، فالويل للمكذِّبين من أمّتي القاطعين فيهم صِلَتِي لا أنالَهُمُ اللهُ شفاعتي).

١٥- ابن أبي الحديد في الشرح قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله يعني الجاحظ قال: قال أبو عبيدة عن الإمام جعفر بن محمَّد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في خطبته له عليه السلام لمّا بُويِعَ بالمدينة: (ألاَ إنّ أبرارَ عترتي وأطايب أرومتي أحْلَمُ الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً، ألاَ وإنّا أهل بيت مِن عِلْمِ اللهِ عِلْمُنَا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا، فإنْ تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإنْ لم تفعلوا يهلككم اللهُ بأيدينا، معنا راية الحقِّ، مَن تبعها لَحِق ومَن تأخّر عنها غرق، ألاَ وبنا يدرك كلّ مؤمن، وبنا يخلع ربقة الذلّ من أعناقكم، وبنا فتح الله لا بكم، وبنا يختم الله لا بكم).

وقال ابن أبي الحديد وقوله في آخرها: (وبنا يختم الله لا بكم) إشارة إلى المهدي

الذي يظهر في آخر الزمان وقال: قال عليّ عليه السلام: (نحن النّمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع القالي).

١٦- ابن أبي الحديد في الشرح قال: روي أنّ الإمام أبا جعفر محمَّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتُنا ومحبُّونا من الناس، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس فتمالت علينا قريش حتى أخرَجَتِ الأمرَ من معدنه، واحتجَّتْ على الأنصار بحقّنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قُتِلَ، فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غُدِرَ به وأسلم ووثب عليه أهلُ العراق حتى طعن بخنجر في جنبه وانتهبت عسكره، وعولجت خلاليل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غُدِرَ به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم فقتلوه، ثم لم يزل أهل البيت تستذل وتستظام وتقتضي وتمتهن وتحرم وتقتل وتخاف ولاءنا من على دمائنا ودماء أولادنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون إلى أوليائهم وقضاة السّوء وعمال السّوء في كلّ بلدة، فحدَّثُوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله ليبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من ذِكْرِ محبّتنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمن عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلة وأخذهم بكلّ ظنة وتهمة حتى إنّ الرّجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أنْ يقال شيعة عليّ، وحتى صار الرّجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعا صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة من تفضيل من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولو كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع.

١٧- أبو المؤيد بن أحمد قال: أخبرنا أخي شمس الأئمة أبو الفرج محمَّد ابن أحمد المكي، أخبرنا الإمام الزاهد أبو محمَّد إسماعيل بن عليّ - إجازة -، حدثنا السيِّد الإمام الأجل المرشد بالله الحسين يحيى بن الموفق، أخبرنا أبو طاهر محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن يوسف الواعظ بن العلاف، أخبرنا أبو جعفر محمَّد بن أحمد بن محمود بن حماد المعروف بأبي هيثم، أخبرنا أبو محمَّد القاسم بن جعفر بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، حدثني الإمام أبو جعفر بن محمَّد عن أبيه عن محمَّد بن عليّ الباقر عن أبيه عليّ بن الحسين سيد العابدين عن أبيه الحسين الشهيد رضي الله عنهم أجمعين قال: سمعتُ جَدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (مَن أحب أنْ يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجَنَّةَ التي وعدني ربّي فليتولَّ عليّ بن أبي طالب وذريّته الطاهرين، أئمّة الهدى ومصابيح الدُّجى من بعده، فإنهم لن يُخْرِجُوْكُم من باب الهدى إلى باب الضّلالة).

ومن الأخبار الشريفة أيضاً ما جاء في الكتاب عينه: (غاية المرام وحجّة الخصام)، في الباب السّابع والأربعين من أنّ الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام أركان الإيمان ولا يعرف الله جل جلاله ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بمعرفتهم ولا يقبل أعمال العباد إلا بمعرفتهم وولايتهم والبراءة من أعدائهم من طريق الخاصة وفيه تسعة وعشرون حديثاً، وإليكَ أخي القارئ الباب كاملاً على النحو الآتي[1]:

(١) محمَّد بن الحسن الصفار عن عبد الله بن عامر عن العباس بن معروف وعبد الله ابن عبد الرحمن البصري عن أبي المعزا عن أبي بصير عن أبي خيثمة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: سمعت يقول: « **نحن حجّة الله ونحن أركان المؤمنين ونحن دعائم الإسلام** ».

(٢) محمَّد بن يعقوب عن الحسين بن محمَّد عن معلّى بن محمَّد عن الحسن بن عليّ الوشا قال: حدثنا محمَّد بن الفضيل عن أبي حمزة قال: قال لي الإمام أبو

(١) راجع (غاية المرام) ج٢ ص٦٨.

جعفر عليه السلام: « **إنما يعبد الله مَن يعرف الله، فأمّا مَن لا يعرف اللهَ فإنما يعبده هكذا ضلالاً** »، قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ فما معرفة الله؟ قال عليه السلام: « **تصديقُ الله عز وجل وتصديق رسول الله صلى الله عليه وآله ومولاه عليّ، والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم، هكذا يُعْرَفُ اللهُ عز وجل** ».

③ ابن يعقوب عن الحسين عن معلى عن الحسن بن عليّ عن أحمد بن عائذ عن أبيه عن ابن أذينة قال: حدثنا غير واحد عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: « **لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة عليهم السلام كلّهم وإمام زمانه ويَرِدَ إليه ويُسَلِّمَ له** » – ثم قال –: « **كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول** ».

④ ابن يعقوب عن محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن زرارة قال: قلتُ للإمام أبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال عليه السلام: « **إن الله عز وجل بعث محمَّداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً، وحجّةً على جميع خلقه في أرضه، فمَن آمن بالله وبمحمَّد صلى الله عليه وآله واتَّبَعَهُ وصَدَّقَهُ، فإنّ معرفة الإمام منّا واجبة عليه، ومَن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتَّبِعْهُ ولم يُصَدِّقْهُ ويعرف حقَّهُمَا فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقَّهُمَا** ».

قال: قلتُ له: فمَن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما أنزل الله يجب على أوليائكم معرفتكم؟ قال عليه السلام: « **نعم، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟** » قلتُ: بلى. قال عليه السلام: « **أترى أنّ الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء، والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلاّ الشّيطان، لا والله ما ألْهَمَ المؤمنين حقَّنَا إلاّ اللهُ** ».

⑤ ابن يعقوب عن محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد عن الحسن بن محبوب عن عمر بن أبي المقدام عن جابر قال: سمعتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **إنما يعرف الله عز وجل ويعبده مَن عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منّا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله، هكذا**

والله ضالاً ».

⑥ ابن يعقوب عن الحسين بن محمَّد بن معلى بن محمَّد عن محمَّد بن جمهور عن فضالة عن أيوب عن معاوية بن وهب عن ذريح قال: سألتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن الأئمّة عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله فقال: « **كان أمير المؤمنين، ثم كان الحسن إماماً، ثم كان الحسين إماماً، ثم كان عليّ بن الحسين إماماً، ثم كان محمَّد بن عليّ إماماً، مَن أنكر ذلك كان كمَن أنكر معرفةَ الله تبارك وتعالى ومعرفةَ رسوله صلى الله عليه وآله** » - ثم قال - قلتُ: ثم أنتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ فأعدتُها عليه ثلاث مرّاتٍ. فقال لي: « **إنما حَدَّثْتُكَ لتكون من شهداء الله تبارك وتعالى في أرضه** ».

⑦ ابن يعقوب عن الحسين بن محمَّد عن معلى بن محمَّد عن محمَّد بن جمهور عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الهيثم بن واقد عن مقرن قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ... ﴿٤٦﴾ ﴾، فقال عليه السلام: « **نحن على الأعراف، ونحن نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا عزّ وجلّ على الصِّراط، فلا يدخل الجَنَّة إلاّ مَن عَرَفَنَا وعَرَفْنَاهُ، ولا يدخل النّار إلاّ مَن أنْكَرَنَا وأنْكَرْنَاهُ، إنّ اللهَ تبارك وتعالى لو شاء لعرَّف العبادَ نفسهَ، ولكنْ جَعَلَنَا أبوابَه وصراطَه وسبيلَه والوجهَ الذي يُؤْتَى منه، فمَن عَدَلَ عن ولايتنا أو فَضَّلَ علينا غيرَنا فإنّهم عن الصِّراط لناكبون، فلا سواء مَن اعتصم الناس به، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرّة يفرغ بعضها من بعض وذهب مَن ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاد لها ولا انقطاع** ».

⑧ ابن بابويه قال: حَدَّثَنَا عليّ بن عيسى القمي رحمه الله قال: حدثني عليّ بن محمَّد ماجيلويه قال: حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن خلف بن حماد الأسدي عن أبي الحسن العبدي عن سليمان بن مهران عن الإمام الصادق جعفر بن محمَّد عليهما السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: « **قال**

رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنتَ أخي ووارثي ووصيّي وخليفتي في أهلي وأمّتي في حياتي وبعد مماتي، مُحِبُّكَ مُحِبِّي، ومُبْغِضُكَ مُبْغِضِي، يا عليّ أنا وأنتَ أَبَوَا هذه الأمّة، يا عليّ أنا وأنتَ والأئمّة مِن وِلْدِكَ ساداتٌ في الدُّنيا وملوكٌ في الآخرة؛ مَن عَرَفَنَا فقد عَرَفَ اللهَ، ومَن أنكَرَنَا فقد أنكر اللهَ عزّ وجلّ ».

⑨ ابن بابويه قال: حَدَّثَنَا أحمد بن زياد بن جعفر قال: حدثنا عليّ بن إبراهيم ابن هاشم عن أبيه عن عليّ بن معبد عن الحسين بن خالد عن الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى عليهما السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد مَن خَلَقَ اللهُ عزّ وجلّ، وأنا خيرٌ من جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وحَمَلَةِ العرش وجميع ملائكةِ الله المقرَّبين وأنبياء الله المرسَلين، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف، وأنا وعلي أبَوَا هذه الأمّة؛ مَن عَرَفَنَا فقد عَرَفَ اللهَ، ومَن أنْكَرَنَا فقد أَنْكَرَ اللهَ عزّ وجلّ، ومِن عليٍّ سِبطا أمّتي وسيِّدا شباب أهل الجَنَّة: الحسن، الحسين، ومِن ولد الحسين تسعةٌ طاعتُهم طاعتي ومعصيتُهُم مَعْصِيَتِي، تاسعُهُم قائِمُهُم ومهدِيُّهُم** ».

⑩ ابن بابويه قال: حدثنا محمَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن ابن سنان عن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **قال أمير المؤمنين في خطبة: أنا الهادي وأنا المهتدي وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف ومأمن كلّ خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجَنَّة وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى وكلمة الله التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده، وأنا جنب الله أن الذي يقول:** ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ... ﴿٥٦﴾ ﴾، **وأنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطة من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه لأني وصي نبيه في أرضه وحجته على خلقه لا ينكر هذا إلا راد على الله وعلى رسوله** ».

قال ابن بابويه عقيب هذا الحديث: الجنب الطاعة في لغة العرب يقال: هذا

صغير في جنب الله أي في طاعة الله عز وجل قال الله عز وجل: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ ٱللَّهِ... ﴿٥٦﴾ ﴾ أي في طاعة الله عز وجل.

(١١) ابن بابويه قال: حدثنا محمَّد بن عليّ رحمه الله عن عمه محمَّد بن أبي القاسم عن محمَّد بن عليّ الكوفي عن محمَّد بن سنان عن زياد بن المنذر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **المخالف على عليّ بن أبي طالب بعدي كافر والمشرك به مشرك، والمحب له مؤمن والمبغض له منافق، والمقتفي لأثره لاحق والمحارب له فارق، والراد عليه زاهق، عليّ نور لله في بلاده، وحجته على عباده، عليّ سيف الله على أعدائه، ووارث علم أنبيائه، عليّ كلمة الله العليا وكلمة أعدائه السفلى، على سيد الأوصياء ووصي سيد الأنبياء عليّ عليه السلام أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين وإمام المسلمين لا يقبل الله الإيمان إلا بولايته وطاعته** ».

(١٢) ابن بابويه قال: حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن الحسن المؤدب عن أحمد بن عليّ الأصبهاني عن إبراهيم بن محمَّد الثقفي عن قتيبة بن سعيد عن عمرو بن غزوان عن أبي مسلم قال خرجت مع الحسن البصري وأنس بن مالك حتى أتينا باب أم سلمة رضي الله عنها وقعد أنس على الباب ودخلت مع الحسن البصري سمعت الحسن وهو يقول: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته فقالت له: وعليك السلام من أنت يا بني؟ فقال: أنا الحسن البصري.

فقالت له: فيما جئت يا حسن؟ فقال لها: جئت لتحدثيني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقالت أم سلمة: والله لأحدثنك بحديث سمعته أذناي من رسول الله صلى الله عليه وآله وإلا فصمتا أو رأته عيناي وإلا فعميتا ووعاه قلبي وإلا فيطبع الله عليه وأخرس لساني إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب: « **يا عليّ ما من عبد لقي الله عز وجل يوم يلقاه جاحداً لولايتك إلاّ لقي الله بعبادة صنمٍ أو وثنٍ** » قال: فسمعتُ الحسن البصري وهو يقول: الله أكبر أشهد أنّ علياً مولاي ومولى المؤمنين. فلمّا خرج قال له أنس بن مالك: ما لي

أراكَ تكبِّر؟ قال: سألتُ أمَّنا أمّ سلمة أنْ تحدِّثني بحديثٍ سمعتْهُ من رسول اللهﷺ في عليّعليه السلام فقالت: كذا أو كذا، فقلتُ: الله أكبر أشهد أنّ عليّاً مولاي ومولى كلّ مؤمن، قال: فسمعت عنه ذلك أنس بن مالك وهو يقول: أشهد على رسول اللهﷺ أنه قال هذه المقالة ثلاث مرّاتٍ أو أربع مرّاتٍ.

(١٣) ابن بابويه قال: حدثنا عليّ بن أحمد بن محمَّد بن عمران الدقاقرحمه الله قال: حدثنا محمَّد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد عن الحسن بن عليّ أبي حمزة عن أبيه عن يحيى بن أبي القاسم عن الإمام الصادق جعفر بن محمَّد عن أمير المؤمنين عليّعليه السلام قال: « **قال رسول اللهﷺ: الأئمّة بعدي اثنا عشر أوّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم القائم؛ خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجّة الله على أمّتي بعدي، المقرّ بهم مؤمنٌ، والمنكر لهم كافرٌ** ».

(١٤) ابن بابويه قال: حدثنا محمَّد بن موسى بن المتوكل قال: حدثني محمَّد بن أبي عبد الله قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد عن الحسن ابن عليّ أبي حمزة الثمالي عن أبيه عن الإمام الصّادق جعفر بن محمَّد عن أبيهعليهما السلام عن آبائهعليهم السلام قال: « **قال رسول اللهﷺ: حدّثني جبرائيل عن ربّ العزةجل جلاله أنه قال: مَن علم أنْ لا إله إلا الله وحدي وأنّ محمَّداً عبدي ورسولي وأنّ عليَّ بن أبي طالب خليفتي، وأنّ الأئمّة من وِلْدِهِ حُجَجِي أدخلتُهُ الجَنَّة برحمتي، وأنجيتُه من النّار بعفوي، وأَبَحْتُ له جواري، وأوجَبْتُ له كرامتي، وأتْمَمْتُ عليه نعمتي، وجَعَلْتُهُ من خاصّتي وخالصتي؛ إنْ ناداني لبّيتُهُ، وإنْ سألني أعطيتُه، وإنْ سَكَتَ ابتدأْتُهُ، وإنْ أساء رَحِمْتُهُ، وإنْ فَرَّ منِّي دَعَوْتُه، وإنْ رجع إليَّ قَبِلْتُهُ، وإنْ قَرَعَ بابي فَتَحْتُهُ.**

ومن لم يشهد أنْ لا إله إلا أنا وحدي أو شهد ولم يشهد أنّ محمَّداً عبدي ورسولي أو شهد بذلك ولم يشهد أن عليّ بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمّة من ولده حججي فقد جَحَدَ نِعْمَتِي، وصَغَّرَ

عَظَمَتِي، وكَفَرَ بآياتي وكتبي، إنْ قَصَدَنِي حَجَبْتُهُ، وإنْ سألني حَرَمْتُهُ، وإنْ ناداني لم أسمعْ نِدَاهُ، وإنْ دعاني لم أسمع دُعَاءَهُ، وإنْ رجاني خيّبْتُهُ؛ وذلك جزاؤه مِنِّي، وما أنا بظلاّمٍ للعبيد »، فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومَّن الأئمّة من وِلْدِ عليٍّ بن أبي طالب؟ قال ﷺ: « **الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجَنَّة، ثم سيّد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثم الباقر محمَّد بن عليّ وستدركه يا جابر فإذا أدركتَهُ فاقرأه مني السّلام، ثم الصّادق جعفر بن محمَّد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرِّضا عليّ بن موسى، ثم التّقيّ محمَّد بن عليّ، ثم النّقيّ عليّ بن محمَّد، ثم الزّكيّ الحسن بن عليّ، ثم ابنه القائم بالحقّ مهديُّ أمّتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ جَوْرَاً وظُلْمَاً، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي؛ مَن أطاعهم فقد أطاعني، ومَن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله ﷻ السّماءَ أنْ تَقَعَ على الأرض إلاّ بإذنه، وبهم يحفظ الأرض أنْ تميد بأهلها** ».

⑮ ابن بابويه قال: حَدَّثَنِي عليّ بن الحسن قال: حَدَّثَنِي هارون بن موسى قال: حدثني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن شيبان القزويني قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن عليّ القندي قال: حدثنا عليّ بن سعد بن مسروق حَدَّثَنَا عبد الكريم بن هلال المكي عن أبي الطفيل عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعتُ السيِّدة فاطمة عليها السلام تقول: « **سألتُ أبي ﷺ عن قول لله تبارك وتعالى:** ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ... ﴿٤٦﴾ ﴾، **قال: هم الأئمّة بعدي عليّ وسبطاي وتسعة من صلب الحسين عليهم السلام فهم رجال الأعراف لا يدخل الجَنَّة إلاّ مَن يعرفهم ويعرفونه ولا يدخل النّار إلاّ مَن أنكرهم وينكرونه ولا يعرف الله تعالى إلاّ بسبيل معرفتهم** ».

⑯ ابن بابويه قال: حدثنا محمَّد بن إبراهيم بن إسحاق: قال أخبرنا محمَّد بن محمَّد الهمداني قال: حدثني محمَّد بن هشام قال: حدثنا عليّ بن الحسن السائح

قال: سمعتُ الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام - أي العسكري عليه السلام قال -: « **حدثني أبي** عليه السلام **عن أبيه** عليه السلام **عن جَدِّه** عليه السلام **قال: قال رسول الله** صلى الله عليه وآله **لعليّ بن أبي طالب: لا يحبُّكَ إلاّ مؤمنٌ طَابَتْ وِلادَتُه، ولا يُبْغِضُكَ إلاّ مَن خَبُثَتْ وِلادَتُه، ولا يُوالِيْكَ إلاّ مؤمنٌ، ولا يعاديك إلاّ كافرٌ** »، فقام إليه عبد الله بن مسعود فقال: يا رسول الله قد عرفنا علامة خبيث الولادة والكافر في حياتكَ ببُغْضِ عليٍّ وعداوته، فما علامة خبيث الولادة والكافر بعد إذا أظهر الإسلام بلسانه وأخفى مكنون سريرته؟ فقال عليه السلام: « **يا بن مسعود عليّ بن أبي طالب إمامكم بعدي وخليفتي عليكم فإذا مضى فابني الحسن إمامكم بعده وخليفتي عليكم، فإذا مضى فابني الحسين إمامكم بعده وخليفتي عليكم ثم تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحدٍ أئمّتكم وخلفائي عليكم، تاسعهم قائمهم قائم أمّتي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ جوراً وظلماً، لا يحبُّهم إلاّ مَن طابَتْ وِلادَتُه، ولا يُبْغِضُهُم إلاّ مَن خَبُثَتْ ولادَتُهُ، ولا يواليهم إلاّ مؤمنٌ، ولا يعاديهم إلاّ كافر، ومَن أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومَن أنكرني فقد أنكر الله، ومَن جحد واحداً منهم فقد جَحَدَنِي ومَن جحدني فقد جَحَدَ الله** عز وجل**؛ لأنّ طاعتهم طاعتي وطاعتي طاعة الله ومعصيتهم معصيتي ومعصيتي معصية الله** عز وجل**، يا بن مسعود إياكَ أنْ تجد في نفسكَ حرجاً ممّا قضيتُ فتكفر بعزّة ربّي وما أنا متكلف ولا ناطق عن الهوى في عليٍّ والأئمةِ من وِلْدِهِ** »، ثم قال عليه السلام - وهو رافعٌ يديه إلى السّماء -: « **اللهم والِ مَن والى خلفائي والأئمة بعدي، وعادِ مَن عاداهم، وانْصُرْ مَن نَصَرَهُم، واخْذُلْ مَن خَذَلَهُم، ولا تخلو الأرضُ من قائمٍ منهم بحجتك ظاهراً أو خافياً مغموراً؛ لئلاّ يبطل دينكَ وحجتكَ وبرهانكَ** »، ثم قال عليه السلام: « **يا بن مسعود وقد جمعت لكم في مقامي هذا ما إن فارقتموه هلكتم وإن تمسكتم به نجوتم، والسلام على مَن اتّبع الهدى** ».

(١٧) المفيد في أماليه قال: أخبرني أبو الحسن عليّ بن بلال المهلبي قال: حدثنا عبد الله بن راشد الأصفهاني قال: حدثنا إبراهيم بن محمَّد الثقفي قال: أخبرنا

إسماعيل بن صبيح قال: حدثنا سالم بن أبي سالم المصري عن أبي هارون العبدي قال: كنتُ أرى رأي الخوارج لا رأي له غيره حتى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعته يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، فقال له رجل: يا أبا سعيد ما هذه الأربع التي عملوا بها، قال: الصلاة والزكاة والحج وصوم شهر رمضان، قال: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية عليّ بن أبي طالبعليهما السلام، قال الرجل: وإنها المفترضة معهن؟ قال أبو سعيد: نعم وربّ الكعبة، قال الرجل: فقد كفر الناس إذن قال أبو سعيد: فما ذنبي.

(١٨) ابن بابويه قال: حدثنا محمَّد بن عبد الله الشيباني والقاضي أبو الفرج المعافي بن زكريا البغدادي والحسين بن محمَّد بن سعيد والحسين بن عليّ بن الحسن الرازي جميعا قالوا: حدثنا أبو عليّ محمَّد بن همام بن سهيل الكاتب قال: حدثني الحسن بن محمَّد بن جمهور العمي عن أبيه محمَّد بن جمهور قال: حدثني عثمان بن عمر قال: حدثنا شعبة بن سعيد ابن إبراهيم عن عبد الرحمن الأعرج أنّ أبي هريرة قال: كنتُ عند النبيصلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر والفضل ابن العباس وزيد بن حارثة وعبد الله بن مسعود إذ دخل الإمام الحسين بن عليّعليه السلام فأخذه النبيّ وقَبَّلَهُ ثم قال: « **بقه حبقه ترق عين بقه ووضع فمه على فمه** » -ثم قال - « **للهمّ إني أحبُّه فأحبَّهُ وأحبَّ مَن يحبّه، يا حسين أنتَ الإمام ابن الإمام أبو الأئمّة، تسعة من ولدك أئمة أبرار** »، فقال له عبد الله بن مسعود: ما هؤلاء الأئمّة الذين ذكرتهم في صلب الحسين؟ فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه فقال: « **يا عبد الله سألتَ عظيماً، ولكني أخبركَ أنّ ابني هذا - وضع يده على كتف الحسينعليه السلام - خرج من صلبه وَلَدٌ مباركٌ سَمِيٌّ جَدِّهِ عليّ سيد العابدين ونور الزهاد، ويخرج الله من صلب عليّ ولدا سميي وأشبه الناس بي يبقر العلم بقرا وينطق بالحق ويأمر بالصواب، ويخرج الله من صلبه كلمة الحق ولسان الصّدق** ».

فقال له ابن مسعود: فما اسمه يا نبي الله؟ فقال له: « **جعفر صادق في قوله وفعله، الطّاعن عليه كالطّاعن عليّ والرّاد عليه كالرّاد عَلَيّ** »، ثم دخل حسان

بن ثابت وأنشد في رسول الله شعراً وانقطع الحديث، فلمّا كان من الغد صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم دخل بيت عائشة ودخلنا معه أنا وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن العباس وكان من دأبه إذا سئل أجاب وإذا لم يسأل ابتدأ فقلتُ له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ألا تخبرني بباقي الخلفاء من صلب الحسين قال: « **نعم يا أبا هريرة، ويخرج الله من صلب جعفر مولوداً تقيّاً طاهراً أسمر ربعة سميي موسى بن عمران** »، ثم قال له ابن عباس: ثم من يا رسول الله؟ قال: « **يخرج من صلب موسى عليّ ابنه يدعى بالرضا موضع العلم ومعدن الحلم** »، ثم قال صلى الله عليه وآله: « **بابني المقتول في أرض الغربة، ويخرج من صلب عليّ ابنه محمَّد المحمود أطهر الناس خلقاً وأحسنهم خلقاً، ويخرج من صلب محمَّد عليّ ابنه طاهر النجيب صادق اللهجة، ويخرج من صلب عليّ الحسن الميمون النقي الطاهر الناطق عن الله وأبو حجّة الله، ويخرج من صلب الحسن قائمنا أهل البيت يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ جوراً ظلماً، له غيبة موسى وحكم داود وبهاء عيسى ثم تلا** عليه السلام: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ »، قال له عليّ بن أبي طالب عليه السلام: « **بأبي أنت وأمي يا رسول الله مَن هؤلاء الذين ذَكَرْتَهُم؟** » قال صلى الله عليه وآله: « **يا عليّ أسماءُ الأوصياء مِن بَعْدِكَ والعترة الطاهرة والذرية المباركة** » ثم قال: « **والذي نفس محمَّد بيده لو أنّ رجلاً عَبَدَ اللهَ ألفَ عامٍ ثم ألف عامٍ بين الرُّكن والمقام ثم أتاني جاحداً لولايتهم لأكبه الله في النّار كائناً مَن كان** »، قال أبو عليّ بن همام: العجب كلّ العجب من أبي هريرة كيف يروي مثل هذه الأخبار ثم ينكر فضائل أهل البيت.

(١٩) محمَّد بن يعقوب عن محمَّد بن يحيى عن محمَّد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن العلا بن رزين عن محمَّد بن مسلم قال: سمعتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **كلّ مَن دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانئ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضَلَّتْ عن راعيها وقطيعها فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلما جنّها الليل بصرت بقطيع من**

غير راعيها فحنّت إليها واغترّت بها فباتت معها في مربضها فلمّا أنْ ساق الرّاعي قطعيه أنكرَتْ راعيها وقطيعها فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها فبصرت بغنم مع راعيها فحنت إليها واغترت بها فصاح بها الراعي: إلحقي براعيك وقطيعك فإنكِ تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمتْ ذعرة متحيرة تائهة: لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينما هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك والله يا محمَّد مَن أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من اللهﷻ ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائهاً، وإنْ مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، واعْلَمْ يا محمَّد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرمادٍ اشتدَّ به الرِّيحُ في يوم عاصفٍ لا يقدرون ممّا كسبوا على شئ ذلك هو الضّلال البعيد ».

(٢٠) ابن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن ابن محبوب عن عبد العزيز العبدي عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قلتُ للإمام أبي عبد اللهعليه السلام: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويقولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وقوم يتولونكم وليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق، قال: فاستوى الإمام أبو عبد اللهعليه السلام جالساً فأقبل عَلَيَّ كالغضبان ثم قال: « **لا دين لِمَن دان الله بولاية إمامٍ جائرٍ ليس من الله، ولا عتب على مَن دان الله بولاية إمامٍ عادلٍ من الله** »، قلتُ: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟ قال: « **نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء** »، ثم قال: « **ألا تسمع لقول اللهﷻ:** ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ... ﴿٢٥٧﴾ ﴾، **يعني ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة بولايتهم كلَّ إمامٍ عادلٍ من الله، وقال:** ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ... ﴿٢٥٧﴾ ﴾ ، **إنّما عَنَى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أنْ تولوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله**

لهم النّار مع الكفار فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ».

(٢١) ابن يعقوب بإسناده عن هشام بن سالم عن حبيب السجستاني عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **قال الله تبارك وتعالى لأعذبن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كلّ رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل وإن كانت الرعية في نفسها ظالمة مسيئة** ».

(٢٢) ابن يعقوب عن عليّ بن محمَّد عن ابن جمهور عن أبيه عن صفوان عن ابن مسكان عن عبد الله بن سنان عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: « **إن الله لا يستحيي أن يعذب أمة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برة تقية، وإن الله ليستحيي أن يعذّب أمّة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة** ».

(٢٣) إبن يعقوب عن محمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمَّد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن إسحاق بن غالب عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السلام وصفاتهم: « **إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه وأبلج عن سبيل منهاجه وفتح بهم عن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم واجب حق إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علما لخلقه وجعله حجّة على أهل مواده وعالمه، وألبسه تاج الوقار وغشاه بنور الجبار، يمد بسبب إلى السماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلاّ بجهة أسبابه، ولا يقبل أعمال العباد إلا بمعرفته..** »، والخطبة طويلة تقدمة بطولها في الباب التاسع والثلاثين.

(٢٤) محمَّد بن إبراهيم النعماني في كتاب (الغيبة) عن أبي الحارث عبد الله ابن عبد الملك بن سهل الطبراني قال: حدثنا محمَّد بن المثنى البغدادي قال: حدثنا محمَّد ابن إسماعيل الرقي قال: حدثنا موسى بن عيسى بن عبد الرحمن قال: حدثنا

هشام بن عبد الله الدستوائي قال: حدثني عليّ بن محمَّد عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام محمَّد بن عليّ الباقر عليهما السلام عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **إنّ الله أوحى إليَّ ليلة أسرى بي: يا محمَّد من خلفت في الأرض على أمتك وهو أعلم بذلك، قلتُ: يا ربّ أخي، قال: يا محمَّد عليّ بن أبي طالب، قلتُ: نعم يا ربّ، قال: يا محمَّد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فلا أذكر حتى تذكر معي أنا المحمود وأنت محمَّد، ثم إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة أخرى فاخترت منها عليّ بن أبي طالب، فجعلته وصيك فأنت سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء، ثم شققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ، يا محمَّد إني خلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من نور واحد ثم عرضت ولايتهم على الملائكة فمَن قَبِلَها كان من المقربين ومَن جحدها كان من الكافرين، يا محمَّد لو أنّ عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع ثم يلقاني جاحداً لولايتهم أدخلته النّار، ثم قال: يا محمَّد أتحب أنْ تراهم؟ قلتُ: نعم، فقال: تقدم أمامك، فتقدمت أمامي فإذا بعليّ بن أبي طالب والحسن بن عليّ والحسين بن عليّ وعلي بن الحسين ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمَّد وموسى بن جعفر وعلي ابن موسى ومحمَّد بن عليّ وعلي بن محمَّد والحسن بن عليّ والحجة القائم كأنه الكوكب الدري في وسطهم، فقلتُ: ومن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمّة وهذا القائم يحلّ حلالي ويحرِّم حرامي وينتقم من أعدائي، يا محمَّد أحبِبَّه فإني أحبُّه وأحبّ مَن يحبّه** ».

(٢٥) ابن بابويه قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: حدثني هارون بن إسحاق الهمداني قال: حدثني عبدة بن سليمان قال: حدثنا كامل ابن العلاء قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليهما السلام: « **يا عليّ أنتَ صاحب حوضي وصاحب لوائي ومنجز عداتي وحبيب قلبي ووارث علمي، وأنتَ**

مستودع مواريث الأنبياء وأنتَ أمين الله في أرضه وأنتَ حجّة الله على بريته وأنتَ ركن الإيمان وأنتَ مصباح الدجى وأنتَ منار الهدى وأنتَ العلم المرفوع لأهل الدنيا من تبعك نجى ومن تخلف عنك هلك، وأنتَ الطريق الواضح وأنتَ الصِّراط المستقيم، وأنتَ قائد الغر المحجلين وأنتَ يعسوب المؤمنين، وأنتَ مولى من أنا مولاه وأنا مولى كلّ مؤمن ومؤمنة لا يحبك إلا طاهر الولادة ولا يبغضك إلاّ خبيث الولادة وما عرج بي ربيعزّ وجلّ إلى السماء قط وكلمني ربي إلاّ قال لي: يا محمَّد اقرأ علياً مني السلام وعرِّفه أنه إمام أوليائي ونور أهل طاعتي فهنيئا لك يا عليّ هذه الكرامة ».

(٢٦) محمَّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه وعبد الله بن الصلت عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله عن زرارة عن الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرّحمن الطّاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إنّ اللهعزّ وجلّ يقول:** ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ **أمَا لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدَّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجَنَّة بفضل رحمته** ».

(٢٧) ابن بابويه في الفقيه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا الإمام عليّ بن الحسينعليهما السلام: « **أي البقاع أفضل؟** » فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال لنا: « (أما) **أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن عبدا عمر ما عمر نوحعليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي اللهعزّ وجلّ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً** ».

(٢٨) ابن بابويه بإسناده قال الإمام الصّادقعليه السلام: « **إنّ أوّل مَن يسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي اللهجلّ جلاله الصلوات المفروضات وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت فإن أقر بولايتنا ثم مات عليها**

قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جَلَّ جَلالُهُ لم يقبل الله عَزَّ وَجَلَّ منه شيئا من أعماله ».

(٢٩) الشيخ في أماليه قال: أخبرنا محمَّد بن محمَّد - يعني المفيد - قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن خالد المراغي قال: حدثنا الحسن بن عليّ بن الحسن الكوفي قال: حدثنا إسماعيل بن محمَّد المزني قال: حدثنا سلام بن أبي عمرة الخراساني عن سعد بن سعيد عن يونس بن الحباب عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام قال: « **قال رسول الله: ما بال أقوام إذا ذُكِرَ عندهم آلُ إبراهيم عليهم السلام فرحوا واستبشروا وإذا ذُكِرَ عندهم آلُ محمَّد عليهم السلام اشمأزَّتْ قلوبُهُم، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لو أنّ عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيّاً ما قَبِلَ اللهُ ذلك منه حتى يلقى الله بولايتي وولاية أهل بيتي** ».

(٣٠) الشيخ في أماليه قال: حدثنا أبو منصور السكري قال: حدثني جدي عليّ ابن عمر قال: حدثني العباس بن يوسف الشكلي قال: حدثنا عبد الله بن هشام قال: حدثنا محمَّد ابن مصعب القرقساني قال: حدثنا الهيثم بن جماز عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: رجعنا مع رسول صلى الله عليه وآله وسلم قادمين من تبوك.

فقال لي في بعض الطريق: « **ألقوا إليَّ الأحلاسَ والأقتابَ** » ففعلوا فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخطب فحمد الله وأثنى عليه كما هو أهله ثم قال: « **معاشر الناس ما لي إذا أذكر آل إبراهيم تهللت وجوهكم وإذا ذُكِرَ آلُ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم كأنما تفقأ في وجوهكم حب الرمان فوالذي بعثني بالحق نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجيئ بولاية عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لأكبه الله عَزَّ وَجَلَّ في النّار** ».

(٣١) الشيخ المفيد في أماليه قال: حدثنا أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين - يعني ابن بابويه - قال: حدثني أبي قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمَّد بن سنان عن الفضل بن عمر الجعفي عن جابر بن يزيد عن الإمام أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام عن أبيه عليه السلام عن جَدِّه عليه السلام قال: « **قال**

رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب: أنا وأنتَ وأبناؤك الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين أركانُ الدين ودعائمُ الإسلام مَن تبعنا نجا ومَن تخلف عنّا فإلى النّار ».

والرّوايات في ذلك ممّا يدخل في هذا الباب كثيرة ومَن أراد الزيادة على ما أثبتناه هنا فعليه بـ(البحار) والمصادر الحديثية الأخرى.

﴿ فَأَسْأَلُ اللهَ الّذِى أَكْرَمَنى بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ ﴾
﴿ أَوْلِيائِكُم وَرَزَقَنى البَراءَةَ مِنْ أَعْدائِكُمْ ﴾
﴿ أَنْ يَجْعَلَنى مَعَكُمْ فى الدُنْيا وَالآخِرَةِ ﴾

تشير الفقرة الشّريفة إلى أمرين مهمَّين:

الأوّل: نعمة الإكرام بمعرفة أهل البيت عليهم السلام ومعرفة أوليائهم والبراءة من أعدائهم.

الثاني: التثبيت على ولايتهم عليهم السلام، والبقاء معهم في الدّنيا والآخرة.

أمّا الأمر الأوّل: فلا شكّ أنّ معرفتهم عليهم السلام بالدّليل القطعي والاعتقاد الجزمي الذي لا يزول بالتشكيك، هي من أعظم النِّعَمِ الإلهيّة على العبد السّالك والعارف الكامل؛ لكونهم عليهم السلام حجج الله تعالى على عامّة خلقه، وأولياءه على كلّ الأمور، فهم عليهم السلام مدراء الكون بإذنه عزّ وجلّ وتفويضه.

وهذه النعمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ سُورَةُ التَّكَاثُرِ؛ وقد جاء في تفسير النعيم الوارد في الآية من طرق الفريقين بأنّه أهل البيت عليهم السلام، فممّا جاء عن طريق طريق الخاصّة نذكر ما ورد في كتاب (غاية المرام وحجة الخصام) في الباب التاسع والأربعون، وهو كالآتي[1]:

(١) راجع (غاية المرام وحجة الخصام) ج٣ ص٨٢ باب٤٩ في أنّ النعيم ولاية رسول الله وأمير المؤمنين وبنيه الأئمّة عليهم السلام.

① الشيخ الطوسي في أماليه قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمَّد بن عبد الله ابن محمَّد بن مهدي قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمَّد بن سعيد بن عبد الرحمن بن عقدة الحافظ قال: حدثنا جعفر بن عليّ بن نجيح الكندي قال: حدثنا حسن بن حسين قال: حدثنا أبو حفص الصايغ قال: أبو العباس - هو عمر بن راشد - وأبو سليمان عن مولانا الإمام جعفر بن محمَّد عليهما السلام في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قال عليه السلام: « **نحن من النّعيم** »، وفي قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا... ﴾، قال عليه السلام: « **نحن الحَبْلُ** ».

② عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: أخبرنا أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمَّد عن سلمة بن عطا عن جميل عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ سُورَةُ التَّكَاثُرِ، قال: « **تُسأل هذه الأمّة عمّا أنعم الله عليهم برسول الله ثم أهل بيته المعصومين عليهم السلام** ».

③ محمَّد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمَّد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن أبي سعيد عن أبي حمزة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة وطيبا وأوتينا بتمر ننظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحسنه فقال رجل: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، الذي تنعمتم فيه عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ الله عزّ وجلّ أكرم وأجلّ أنْ يطعمكم طعاماً فيسوغكموه ثم يسألكم عنه، ولكنْ يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمَّد صلى الله عليه وآله وآل محمَّد عليهم السلام** ».

④ ابن يعقوب عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن القاسم بن محمَّد الجوهري عن الحرث بن جرير عن سدير الصيرفي عن أبي خالد الكابلي قال: دخلتُ على الإمام أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغذاء فأكلت منه طعاماً ما أكلت طعاماً قط أنظف منه ولا أطيب، فلمّا فرغنا من الطعام قال: « **يا أبا خالد كيف رأيتَ طعامكَ؟ أو قال: طعامنا؟** » قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ما رأيتُ أطيبَ منه

ولا أنظفَ قط ولكنّي ذَكَرْتُ الآية التي ذكرت في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ فقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **لا إنما يسألكم عمّا أنتم عليه من الحقّ** ».

⑤ ابن بابويه قال: حدثنا الحاكم أبو عليّ الحسين بن أحمد البيهقي قال: حدثنا محمَّد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل بسرّ من رأى سنة خمس وثمانين قال: حدثني إبراهيم بن العباس الصولي الكاتب بالأهواز سنة سبع وعشرين ومائتين قال: كنّا يوماً بين يدي مولانا الإمام عليّ بن موسى الرِّضا عليهما السلام فقال: « **ليس في الدنيا نعيم حقيقيّ** »، فقال له بعض الفقهاء ممن بحضرته قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد، فقال له الرِّضا عليه السلام وعلا صوتُه: « **كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب** »، فقالت طائفة: هو البارد من الماء وقال غيرهم: هو الطعام الطيب، وقال آخرون: هو النوم الطيب، ولقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبد الله عليه السلام أنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ فغضب وقال: « **إنّ الله تعالى لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به ولا يمنّن بذلك عليهم والامتنان مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضى به للمخلوقين؟! ولكن النّعيم حبُّنا أهلُ البيت وموالاتنا يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوة لأن العبد إذا وفى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول** »، ولقد حدّثني بذلك أبي عن محمَّد بن عليّ عن أبيه عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليهما السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **يا عليّ إن أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمَّداً رسول الله وأنّكَ وليُّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لكَ فمَن أقرّ بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له** »، فقال لي أبو ذكوان بعد أن حدثني بهذا الحديث مبتدئا من غير سؤال: حدثتك به لجهات: منها لقصدك لي من البصرة، ومنها أنّ عمك أفادنيه، ومنها أنّي كنتُ مشغولاً باللغة والأشعار ولا أعول على غيرهما فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في

النوم والناس يسلمون عليه ويجيبهم فسلَّمْتُ فما ردّ فقلتُ: أنا من أمّتك يا رسول الله!! فقال ليﷺ: « **بلى ولكن مَن حدث الناس بحديث النعيم الذي سمعته من إبراهيم** ».

قال الصولي وهذا حديث قد رواه الناس عن النبيﷺ إلا أنه ليس فيه ذكر النعيم والآية وتفسيرها، إنما رووا أنّ أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الشهادة والنبوة وموالاة عليّ بن أبي طالبعليهما السلام.

⑥ محمَّد بن العباس بن ماهيار في تفسيره فيما نزل في أهل البيتعليهم السلام في القرآن وهو ثقة قال: حدثنا عليّ بن أحمد بن حاتم عن حسن بن عبد الواحد عن القاسم بن الضحاك عن أبي حفص الصائغ عن الإمام جعفر بن محمَّدعليهما السلام أنه قالﷺ: « ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ **والله ما هو الطعام والشراب ولكن ولايتنا أهل البيت** ».

⑦ محمَّد بن العباس هذا قال: حدثنا أحمد بن محمَّد الوراق عن جعفر بن عليّ ابن نجيح عن حسن بن حسين عن أبي حفص الصائغ عن الإمام جعفر بن محمَّدعليهما السلام في قولهعزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ قال: « **نحن النعيم** ».

⑧ محمَّد بن العباس قال: حدثنا أحمد بن القاسم عن أحمد بن محمَّد بن خالد عن عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن نجيح اليماني قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام ما معنى قولهعزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾؟ قالعليه السلام: « **النعيم الذي أنعم الله به عليكم من ولايتنا وحبّ محمَّد وآل محمَّد** ».

⑨ محمَّد بن العباس قال: حدثنا أحمد بن محمَّد بن سعيد عن الحسن بن القاسم عن محمَّد بن عبد الله بن صالح عن مفضل بن صالح عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليّعليه السلام أنه قال: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ قالعليه السلام: « **نحن النعيم** ».

⑩ محمَّد بن العباس عن أحمد بن القاسم عن أحمد بن محمَّد بن خالد عن محمَّد

بن أبي عمير عن مولانا الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ قال: « **نحن نعيم المؤمن وعلقم الكافر** ».

(١١) محمَّد بن العباس قال: حدثنا عليّ بن عبد الله عن إبراهيم بن محمَّد الثقفي عن إسماعيل بن بشار عن عليّ بن عبد الله بن غالب عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على مولانا الإمام محمَّد بن عليّ عليهما السلام فقدّم طعاماً لم آكل أطيب منه فقال عليه السلام لي: « **يا أبا خلاد كيف رأيتَ طعامنا؟** » قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ ما أطيبه غير أنّي ذكرت آية في كتاب الله فنغصت فقال: « **وما هي؟** » قلتُ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ فقال عليه السلام: « **واللهِ لا تسأل عن هذا الطعام أبداً** »، ثم ضحك حتى افتر ضاحكاً وبَدَتْ أضراسُه وقال عليه السلام: « **أتدري ما النعيم؟** » قلتُ: لا، قال عليه السلام: « **نحن النعيم (الذي تُسأَلُون عنه)** ».

(١٢) أبو عليّ الطبرسي في (مجمع البيان) قال: روى العياشي بإسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال له: « **ما النعيم عندك يا نعمان؟** » قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال عليه السلام: « **لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه** » قال: فما النعيم جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قال عليه السلام: « **نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله به على العباد، بنا ائتلفوا بعد أنْ كانوا مختلفين، وبنا ألّف اللهُ بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أنْ كانوا أعداء، وبنا هداهم الله إلى الإسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته** ».

(١٣) ابن شهرآشوب عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ « **يعني الأمن والصحة وولاية عليّ بن أبي طالب عليهما السلام** ».

ومما جاء من طرق العامّة نذكر ما أورده العلاّمة البحراني في كتابه عينه: (غاية

المرام وحجّة الخصام) في الباب الخمسين، وهو كالآتي[1]:

١- من كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي في قافية الواو بإسناده قال: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله: (﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ ﴾ عن ولاية عليّ بن أبي طالب).

٢- أبو المؤيد موفق بن أحمد من أكابر علماء العامة قال: وروى أبو الأحوص عن ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ ﴾ (يعني عن ولاية عليّ رضي الله عنه).

٣- إبراهيم بن محمَّد الحمويني من أكابر علماء العامة في كتاب (فرائد السمطين) قال: أخبرنا أبو إبراهيم بن أبي القاسم الصوفي أنبأنا محمَّد بن محمَّد بني يعقوب الحافظ أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن محمَّد بن عفر أنبأنا أحمد بن الفرات أنبأنا عبد الحميد الحماني بإسناده عن قيس بن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ ﴾ قال صلى الله عليه وآله: (عن ولاية عليّ بن أبي طالب والمعنى أنهم يسألون هل والوه حقَّ الموالاة كما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله).

وروي عن أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه: (جُعِلَتِ الموالاةُ أصلاً من أصول الدين).

ثم قال الحمويني: أخبرنا جعفر بن محمَّد العلوي حدثنا محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن البيع أخبرني محمَّد بن عليّ بن دحيم الشيباني حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عاصم يوسف اليربوعي عن سفيان بن إبراهيم الحريري عن أبي صادق قال: قال الإمام عليّ صلوات الله عليه: (أصول الإسلام ثلاثة لا ينفع واحدة منهم دون صاحبتها الصلاة والزكاة والموالاة).

ونقل: أيضاً حديثاً مسنداً عن أبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي بعد روايته

---

(١) راجع (غاية المرام) ج٣ ص٨٦ باب٥٠ في أنّ ولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وولاية أهل البيت عليهم السلام مسؤولون عنها يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، من طريق العامّة.

حديث: (مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه) هذه الرّواية التي أثبتها النبي صلى الله عليه وآله لعليٍّ مسؤول عنها يوم القيامة.

قال مؤلف هذا الكتاب: العجب كلّ العجب من العامة كيف تروي ذلك وتثبته عن النبي صلى الله عليه وآله وتعمل بخلافه إنْ هذا إلاّ خسران مبين.

٤- أبو نعيم الأصفهاني صاحب (حلية الأولياء) بإسناده عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى الآية قال: (عن ولاية عليّ بن أبي طالب).

٥- الحبري في كتاب عن ابن عباس مثل روايته المتقدمة.

٦- إبن شهرآشوب من طريق العامة وغيرهم عن محمَّد بن إسحاق والشعبي والأعمش وسعيد بن جبير وابن عباس وأبو نعيم الأصفهاني والحاكم الحسكاني والنطنزي وجماعة أهل البيت عليهم السلام: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ ﴾ (عن ولاية أهل البيت وحبّ أهل البيت).

٧- الشيرازي في كتابه عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مسلم النظير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أنْ يسعر النيران السبع وأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمانية ويقول: يا ميكائيل مُدَّ الصِّراط على متن جهنم، ويقول: يا جبرائيل أُنْصُبْ ميزان العدل تحت العرش، وينادي: يا محمَّد قَرِّبْ أمَّتَكَ للحساب، ثم يأمر الله تعالى أنْ يعقد على الصّراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك قيام فيسألون هذه الأمة نساؤهم ورجالهم على القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين وحب أهل بيت محمَّد، فمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف، ومن لم يحب أهل بيت نبيه سقط على أم رأسه في قعر جهنم، ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صديقاً، وعلى القنطرة الثانية يسألون عن الصّلاة، وعلى الثالثة يسألون عن الزكاة، وعلى الرابعة عن الصيام، وعلى الخامسة عن الحج، وعلى السّادسة عن الجهاد، وعلى السّابعة عن العدل فمَن أتى بشئ من ذلك جاز على الصّراط كالبرق الخاطف ومَن لم يأت عُذِّبْ وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ

إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يعني معاشر الملائكة قفوهم يعني العباد على القنطرة الأولى عن ولاية عليّ وحبّ أهل البيتعليهم السلام.

٨- أبو الحسن بن شاذان عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: (إذا كان يوم القيامة أمر الله ملكين يقعدان على الصراط فلا يجوز أحد إلاّ ببراءة من أمير المؤمنين، ومَن لم يكن عنده براءة من أمير المؤمنين أمر الله تعالى الملكين الموكلين على الجواز أن يوقفاه ويسألاه فلما عجز عن جوابهما فيكباه على منخريه - أكبه الله على منخره - في النار وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾)، قلتُ: فِدَاكَ أبي وأمي يا رسول الله ما معنى براءة أمير المؤمنين؟ قال: (مكتوب بالنّور السّاطع لا إله إلاّ الله محمَّد رسول الله وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وصيُّ رسول اللهصلى الله عليه وآله).

باب في معرفتهمعليهم السلام بالنورانية وهو من أنفس فضائلهمعليهم السلام

والسرّ في أنّ معرفتهم وحجتهم وولايتهم والتبرؤ من أعدائهم سبب للنعيم هو أنهم الأبواب والأدلاّء على الله، بل هم البيان والمعاني كما يشير إلى ذلك حديث جابر الجعفي والأحاديث الدال على وجوب معرفتهمعليهم السلام بالنورانية، ومن ذلك ما رواه العلاّمة المجلسي في الباب الثالث عشر، وهو كالآتي[1] :

① عن العلاّمة المجلسي قال: ذكر والديرحمه الله أنه رأى في كتاب (عتيق) جمعه بعض محدثي أصحابنا في فضائل أمير المؤمنينعليه السلام هذا الخبر، ووجدته أيضاً في كتاب (عتيق) مشتمل على أخبار كثيرة. قال: روي عن محمَّد بن صدقة أنه قال: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسيرضي الله عنهما يا أبا عبد الله ما معرفة الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: يا جندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده.

قال: فانتظرناه حتى جاء قال صلوات الله عليه: « **ما جاء بكما؟** » قالا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية قال صلوات الله عليه: « **مرحباً بكما**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٦ ص١ - ١٧، الباب الثالث عشر.

من وليين متعاهدين لدينه لستما بمقصِّرين، لعمري أن ذلك الواجب على كلّ مؤمن ومؤمنة»، ثم قال صلوات الله عليه: «**يا سلمان ويا جندب**»، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: «**إنه لا يستكمل أحد الايمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للايمان وشرح صدره للاسلام وصار عارفا مستبصرا، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب، يا سلمان ويا جندب**»، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة الله عزّ وجلّ معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾».

يقول: «**ما أمروا إلاّ بنبوة محمَّد صلى الله عليه وآله وهو الدين الحنيفية المحمَّدية السمحة، وقوله:** ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ **فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبي مرسَل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان.**

فالملك إذا لم يكن مقرباً لم يحتمله، والنبي إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله»، قلت: يا أمير المؤمنين من المؤمن وما نهايته وما حده حتى أعرفه؟ قال عليه السلام: «**يا أبا عبد الله**» قلت: لبيك يا أخا رسول الله، قال: «**المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه بشئ إلاّ شرح صدره لقبوله ولم يشك ولم يرتب.**

إعلَمْ يا أبا ذر أنا عبد الله عزّ وجلّ وخليفته على عباده لا تجعلونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فان الله عزّ وجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه وأصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون».

قال سلمان: قلت: يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟ قال: «**نعم يا سلمان تصديق ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز:** ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ

وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾، **فالصبر رسول الله ﷺ والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى:** ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ **ولم يقل: وإنهما لكبيرة لان الولاية كبيرة حملها إلا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك لان أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبية يقرون لمحمَّد ﷺ ليس بينهم خلاف وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلا القليل.**

وهم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز فقال: ﴿ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ **وقال الله تعالى في موضع آخر في كتابه العزيز في نبوة محمَّد ﷺ وفي ولايتي فقال عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿ وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾، **فالقصر محمَّد والبئر المعطلة ولايتي عطلوها وجحدوها، ومن لم يقر بولايتي لم ينفعه الاقرار بنبوة محمَّد ﷺ ألا إنهما مقرونان. وذلك أن النبي ﷺ نبي مرسل وهو إمام الخلق، وعلي من بعده إمام الخلق ووصي محمَّد ﷺ، كما قال له النبي ﷺ:** « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** »، **وأولنا محمَّد وأوسطنا محمَّد وآخرنا محمَّد، فمَن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم كما قال الله تعالى:** ﴿ ..وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ **وسأبين ذلك بعون الله وتوفيقه.**

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك. قال عليه السلام: « **كنتُ أنا ومحمَّد نوراً واحداً من نور الله عَزَّ وَجَلَّ، فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن يشق فقال للنصف: كن محمَّداً وقال للنصف: كن علياً، فمنها قال رسول الله ﷺ:** « **عليّ مني وأنا من عليّ ولا يؤدي عني إلاّ عليّ** » **وقد وجه أبا بكر ببراءة إلى مكة فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمَّد قال: لبيك، قال: ان الله يأمرك أن تؤديها أنت أو رجل عنك، فوجهني في استرداد أبي بكر فرددته فوجد في نفسه وقال: يا رسول الله أنزل في القرآن؟ قال: لا ولكن لا يؤدي إلا أنا أو عليّ. يا سلمان ويا جندب** »، قالا: لبيك يا أخا رسول

الله، قال عليه السلام: « **مَن لا يصلح لحمل صحيفة يؤديها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يصلح للإمامة؟**

يا سلمان ويا جندب، فأنا ورسول الله صلى الله عليه وآله كنا نوراً واحداً صار رسول الله صلى الله عليه وآله محمَّد المصطفى، وصرت أنا وصيه المرتضى، وصار محمَّد الناطق، وصرت أنا الصامت، وإنه لا بد في كلّ عصر من الأعصار أن يكون فيه ناطق وصامت، يا سلمان صار محمَّد المنذر وصرت أنا الهادي، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾، **فرسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وأنا الهادي.**

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ... ۝١١ ﴾ ».

قال: فضرب عليه السلام بيده على الأخرى وقال: « **صار محمَّد صاحب الجمع وصرت أنا صاحب النشر، وصار محمَّد صاحب الجنة وصرت أنا صاحب النار، أقول لها: خذي هذا وذري هذا، وصار محمَّد صلى الله عليه وآله صاحب الرجفة وصرت أنا صاحب الهدة وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عزّ وجلّ علم ما فيه.**

نعم يا سلمان ويا جندب، وصار محمَّد يس والقرآن الحكيم، وصار محمَّد ن والقلم، وصار محمَّد طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وصار محمَّد صاحب الدلالات، وصرت أنا صاحب المعجزات والآيات، وصار محمَّد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين، وأنا الصراط المستقيم وأنا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ولا أحد اختلف إلاّ في ولايتي، وصار محمَّد صاحب الدعوة وصرت أنا صاحب السيف، وصار محمَّد نبياً مرسلاً وصرت أنا صاحب أمر النبي صلى الله عليه وآله قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ... ۝١٥ ﴾، **وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلاّ على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه**

من الناس وفوض إليه القدرة وأحيى الموتى وعلم بما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب وعلم ما في السماوات والأرض.

يا سلمان ويا جندب، وصار محمَّد الذكر الذي قال اللهﷻ: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ.. ﴿١١﴾ ﴾، **إني أُعْطِيْتُ عِلْمَ المنايا والبلايا وفَصْلَ الخطاب، واستُوْدِعْتُ عِلْمَ القرآن وما هو كائن إلى يوم القيامة، ومحمَّد**ﷺ **أقام الحجة حجة للناس، وصرت أنا حجة الله**ﷻ، **جعل الله لي ما لم يجعل لاحد من الأولين والآخرين لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب.**

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: « **أنا الذي حملتُ نوحاً في السفينة بأمر ربّي، وأنا الذي أخرجتُ يونس من بطن الحوت بإذن ربّي وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربّي، وأنا الذي أخرجتُ إبراهيم من النار بإذن ربّي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربّي.**

وأنا عذاب يوم الظلة، وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان: الجن والإنس وفهمه قوم.

إني لأسمع كلّ قوم الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى، وأنا معلِّم سليمان بن داود، وأنا ذو القرنين، وأنا قدرة اللهﷻ.

يا سلمان ويا جندب، أنا محمَّد ومحمَّد أنا وأنا من محمَّد ومحمَّد مِنِّي، قال الله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: « **إنّ ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإنّ قتلانا لن يقتلوا.**

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك صلوات الله عليك، قال عليه السلام: « **أنا أمير كلّ مؤمن ومؤمنة ممّن مضى وممّن بقي، وأُيِّدْتُ بروح العَظَمَة، وإنما أنا عبد**

من عبيد الله لا تسمونا أربابا وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا، ولا معشار العشر.

لأنّا آيات الله ودلائله، وحجج الله وخلفاؤه وامناؤه وأئمته، ووجه الله وعين الله ولسان الله، بنا يعذِّبُ اللهُ عبادَه وبنا يثيب ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا، ولو قال قائل: لم وكيف وفيم؟ لَكَفَرَ وأشْرَكَ، لأنه لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسأَلُون.

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: « **مَن آمن بما قلت وصدّق بما بيَّنْتُ وفَسَّرْتُ وشرحتُ وأوضحتُ ونَوَّرْتُ وبرهنتُ فهو مؤمن ممتَحن امتحن اللهُ قلبَه للايمان وشَرَحَ صَدْرَهُ للاسلام، وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل، ومَن شك وعَنَدَ وجَحَدَ وَوَقَفَ وتَحَيَّرَ وارتابَ فهو مُقَصِّرٌ وناصِبٌ.**

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: « **أنا أحيي وأميت بإذن ربّي، أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربّي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنّا كلّنا واحد، أوّلنا محمَّد وآخرنا محمَّد وأوسطنا محمَّد وكلّنا محمَّد فلا تفرِّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله، الويل كلّ الويل لِمَن أنكر فضلَنَا وخصوصيَتَنا، وما أعطانا الله ربنا لان من أنكر شيئا مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجلّ ومشيته فينا.**

يا سلمان ويا جندب »، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: « **لقد أعطانا الله ربُّنا ما هو أجلّ وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كلّه** »، قلنا: يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجلّ من هذا كلّه؟ قال عليه السلام: « **قد أعطانا ربُّنا عزّ وجلّ عِلْمَنَا للإسم الأعظم الذي لو شئنا خرقت السماوات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السّماء ونهبط به الأرض ونغرب ونشرق وننتهي**

به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ ويطيعنا كلّ شئ حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنة والنار، أعطانا الله ذلك كلّه بالاسم الأعظم الذي علمنا وخصنا به، ومع هذا كلّه نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وجعلنا معصومين مطهَّرين وفضَّلنا على كثير من عباده المؤمنين، فنحن نقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين، أعني الجاحدين بكل ما أعطانا الله من الفضل والاحسان، يا سلمان ويا جندب، فهذا معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشداً فإنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم، وارتقى درجةً من الفضل، واطّلع على سرٍ من سرِّ الله، ومكنونِ خزائنه ».

(٢) وحدثني والدي من الكتاب المذكور قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا محمَّد بن جعفر قال: حدثنا محمَّد بن إبراهيم بن محمَّد الموصلي قال: أخبرني أبي عن خالد عن جابر بن يزيد الجعفي وقال: حدثنا أبو سليمان أحمد قال. حدثنا محمَّد بن سعيد عن أبي سعيد عن سهل بن زياد قال: حدثنا محمَّد بن سنان عن جابر بن يزيد الجعفي قال: لما أفضت الخلافة إلى بني أمية، سفكوا في أيامهم الدم الحرام ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم ألف شهر، واغتالوا شيعته في البلدان، وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم، ومالأتهم على ذلك علماء السوء رغبةً في حطام الدنيا، وصارت محنتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين عليه السلام فمن لم يلعنه قتلوه. فلمّا فشا ذلك في الشيعة وكثر وطال، إشتكت الشيعة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام في البلدان، وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى منبره، ولا ينكر عليهم منكر ولا يغير عليهم مغير فإنْ أنكر واحدٌ مِنّا على لعنةٍ، قالوا: هذا

ترابي ورُفِعَ ذلك إلى سلطانهم، وكُتِبَ إليه إنّ هذا ذكر أبا تراب بخير، ضرب وحُبِسَ ثم قُتِلَ.

فلمّا سمع ذلك عليه السلام نظر إلى السماء وقال: « **سبحانك ما أعظم شأنك! إنك أمهلتَ عبادك حتى ظنوا أنك أهملتهم، وهذا كله بعينك إذ لا يغلب قضاؤك، ولا يُرَدُّ تدبير محتوم أمرك، فهو كيف شئت، وأنى شئت، لما أنت أعلم به منا** ».

ثمّ دعا بابنه الإمام محمّد بن علي الباقر عليهما السلام فقال: « **يا محمد!** » قال: « **لبيك** » قال: « **إذا كان غداً، فاغدُ إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخُذِ الخَيْطَ الذي نزل به جبرئيلُ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، فَحَرِّكْهُ تحريكاً لَيِّنَاً، ولا تُحَرِّكْهُ تحريكاً شديداً، فيهلكوا إهلاكاً جميعاً** ».

قال جابر رضي الله عنه: فبقيت متعجباً من قوله، لا أدري ما أقول. فلمّا كان من الغد جئته، وكان قد طال عَلَيَّ ليلي حرصاً لأنظر ما يكون من أمر الخيط، فبينما أنا بالباب، إذ خرج عليه السلام فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السّلامَ وقال: « **ما غدا بك يا جابر!، ولم تكن تأتينا في هذا الوقت؟** » فقلت له: لقول الامام عليه السلام بالأمس: خُذِ الخَيْطَ الذي أتى به جبرائيل عليه السلام، وصر إلى مسجد جدك صلى الله عليه وآله، وحَرِّكْهُ تحريكاً ليناً ولا تُحَرِّكْهُ تحريكاً شديداً فتهلك الناس جميعاً.

قال مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « **والله لولا الوقت المعلوم، والأجل المحتوم، والقدر المقدور، لخسفت بهذا الخلق المنكوس في طرفة عين، بل في لحظة، ولكنّا عبادٌ مكرَمون، لا نسبقه بالقول وبأمره نعمل يا جابر!** »

قال جابر: فقلتُ: يا سيدي و مولاي! ولِمَ تفعل بهم هذا؟

فقال عليه السلام لي: « **أما حضرت بالأمس والشيعة تشكو إلى أبي ما يلقون من الملاعين؟** »

فقلت: يا سيدي ومولاي نعم.

فقال عليه السلام: « **إنه أمرني أنْ أُرْعِبَهُم، لعلّهم ينتهون، وكنتُ أحب أنْ تهلك طائفة منهم ويطهر الله البلاد والعباد منهم** ».

فقال جابر رضي الله عنه: فقلتُ: سيدي ومولاي كيف ترعبهم وهم أكثر من أنْ تحصى؟!

فقال مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « **إمضِ بنا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأريك قدرة من قدرة الله تعالى التي خصنا بها، وما مَنَّ به علينا من دون الناس** ».

فقال جابر رضي الله عنه: فمضيتُ معه إلى المسجد، فصلى ركعتين ثم وضع خده على التراب وتكلم بكلام، ثم رفع رأسه وأخرج من كمّه خيطاً دقيقاً، فاح منه رائحة المسك فكان في المنظر أدق من سم الخياط. ثم قال عليه السلام لي: « **خُذْ يا جابر إليك طرف الخيط، وامضِ رويداً وإياكَ أنْ تُحَرِّكَه** ».

قال: فأخذتُ طرف الخيط ومشيتُ رويداً فقال عليه السلام: « **قِفْ يا جابر!** » فوقفتُ، ثم حَرَّكَ الخيطَ تحريكاً خفيفاً، ما ظننتُ أنه حَرَّكَهُ مِن لِيْنِهِ، ثم قال عليه السلام: « **نَاوِلْنِي طرفَ الخيط** » فناولتُه، وقلتُ: ما فعلتَ به يا سيدي؟! قال عليه السلام: « **ويحكَ أُخْرُجْ فانْظُرْ ما حال الناس** ».

قال جابر: فخرجتُ من المسجد وإذا الناس في صياح واحد والصائحة من كلّ جانب، فإذا بالمدينة قد زلزلت زلزلة شديدة وأخذتهم الرجفة والهدمة، وقد خربت أكثر دور المدينة، وهلك منها أكثر من ثلاثين ألفاً رجالاً ونساء دون الولدان، وإذا الناس في صياح وبكاء وعويل، وهم يقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون خرجت دار فلان وخرب أهلها، ورأيت الناس فزعين إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يقولون: كانت هدمة عظيمة، وبعضهم يقول: قد كانت زلزلة. وبعضهم يقول: كيف لا نخسف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهر فينا الفسق والفجور، وظلم آل الرسول صلى الله عليه وآله والله ليزلزل بنا أشدّ من هذا وأعظم أو نصلح من أنفسنا ما أفسدنا.

قال جابر رضي الله عنه: فبقيتُ متحيِّراً أنظر إلى الناس حيارى يبكون، فأبكاني بكائهم، وهم لا يدرون من أين أُتوا. فانصرفتُ إلى الإمام الباقر عليه السلام وقد حَفَّ به الناسُ في مسجد رسول الله رضي الله عنه، وهم يقولون: يا بن رسول الله أَمَا ترى إلى ما نزل بنا؟

فادعوا الله لنا. فقال عليه السلام لهم: « **افرغوا إلى الصلاة والدعاء والصدقة** »، ثم أخذ عليه السلام بيدي وسار بي، فقال لي: « **ما حال الناس؟** » فقلتُ: لا تسأل يا بن رسول الله خربت (الدُّور) المساكن، وهلك الناس، ورأيتهم بحال رحمتهم.

فقال عليه السلام: « **لا رحمهم الله، أمَا إنه قد بقيت عليك بقية، ولولا ذلك لم ترحم أعداءنا وأعداء أوليائنا** »، ثم قال: « **سحقاً سحقاً بُعْداً بُعْداً للقوم الظالمين. والله لولا مخافة (مخالفة) والدي لَزِدْتُ في التحريك، وأهلكتُهم أجمعين فما أنزلونا وأوليائنا هذه المنزلة غيرهم وجعلتُ أعلاها أسفلها فكان لا يبقى فيها دار ولا جدار، ولكني أمرني مولاي أنْ أحرِّك تحريكاً ساكناً** »، ثم صعد عليه السلام المنارة وأنا أراه، والناس لا يرونه، فمَدَّ يده وأدارها حول المنارة، فزلزلت المدينة زلزلة خفيفة وتهدمت دُوْرٌ، ثم تلا مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ... ﴿١٤٦﴾ ﴾، ﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾. وتلا أيضاً: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ... ﴿٨٢﴾ ﴾، وتلا: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ». قال جابر: فخرجت العواتق من خدورهن في الزلزلة الثانية، يبكين ويتضرّعن منكشفات لا يلتفت إليهن أحدٌ، فلمّا نَظَرَ الإمام الباقر عليه السلام إلى تحيُّر العواتق رَقَّ لهنّ فوضع الخيط في كُمِّهِ، فسكت الزلزلة، ثم نزل عن المنارة والناس لا يرونه، وأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد، فمَرَرْنَا بحدّاد اجتمع الناس بباب حانوته، والحداد يقول: أمَا سمعتم الهمهمةَ في الهدم؟ فقال بعضهم: بل كانت همهمة كثيرة. فقال قوم آخرون: بل والله كلامٌ كثير إلاّ إنّا لم نقف على الكلام.

فقال جابر رضي الله عنه: فنظر إلى الإمام الباقر عليه السلام وتبسم، ثم قال: « **يا جابر! هذا لما طغوا وبغوا** ».

فقلت: يا بن رسول الله ما هذا الخيط الذي فيه العجب؟

فقال عليه السلام: « **بقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، وينصبه جبرئيل. ويحك يا جابر أنا من الله بمكان ومَنْزِلَة رفيعة، فلولا نحن لم**

يَخْلُقِ اللهُ تعالى سماءً ولا أرضاً ولا جَنَّةً ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا جِنَّاً ولا إنساً. ويحكَ يا جابر! لا يُقاس بنا أحد يا جابر! بنا والله أنقذكم وبنا نعشكم، وبنا هداكم، ونحن والله دللناكم على ربكم، فقفوا عند أمرنا ونهينا، ولا تردّوا علينا ما أوردنا عليكم، فإنّا بنِعَمِ الله تعالى أجلّ وأعظم من أنْ يردّ علينا، وجميع يرد عليكم منا فما فهمتموه فاحمدوا الله عليه، وما جهلتموه فاتكلوه إلينا، وقولوا: أئمتنا أعلم بما قالوا ».

قال جابر رضي الله عنه ، ثم استقبل أمير المدينة المقيم بها من قبل بني أمية قد نكب ونكب حواليه حرمته، وهو ينادي: معاشر الناس، احضروا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن الحسين عليهما السلام وتقربوا به إلى الله تعالى وتضرّعوا إليه وأظهِرُوا التوبةَ والإنابة لعلّ الله أنْ يصرف عنكم العذاب.

قال جابر - رفع الله درجته -: فلمّا بصر الأمير بمولانا الإمام الباقر محمّد بن علي عليهما السلام سارع نحوه، وقال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أمَا ترى ما نزل بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وقد هلكوا وفنوا، ثم قال له: أين أبوك حتى نسأله أنْ يخرج معنا إلى المسجد فنتقرب إلى الله تعالى فيرفع عن أمّة محمّد هذا البلاء.

فقال مولانا الإمام الباقر عليه السلام: « **يفعل إنْ شاء الله تعالى ولكنْ أَصلِحُوا من أنفسكم، وعليكم بالتوبة والنُّزُوع عمّا أنتم عليه، فإنه لا يأمن مكرَ الله إلا القوم الخاسرون** ».

قال جابر رضي الله عنه : فأتينا الإمام زين العابدين عليه السلام بأجمعنا وهو يصلي فانتظرنا حتى إنفتل وأقبل علينا، ثم قال لي سرّاً: « **يا محمّد، كدت أن تهلك الناس جميعاً؟** »

قال جابر رضي الله عنه : يا سيدي ما شعرت بتحريكه حين حَرَّكَه.

فقال عليه السلام: « **يا جابر! لو شعرتَ بتحريكه ما بقي عليها نافخ نار، فما خبر الناس؟** » فأخبرناه، فقال: « **ذلك مما استحلّوا منّا محارم الله وانتهكوا من حرمتنا** ».

فقلتُ: يا بن رسول الله! إنّ سلطانهم بالباب قد سألنا أنْ نسألك أنْ تحضر

المسجد حتى يجتمع الناس إليك فيدعون الله، ويتضرّعون إليه ويسألونه إلاّ قالة.

فتبسم عليه السلام ثم تلا: « ﴿ أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠ ﴾ ».

قلت: يا سيدي ومولاي! العجب أنهم لا يدرون من أين أُتوا!

فقال عليه السلام: « **أجل**، ثم تلا: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١ ﴾، **هي والله يا جابر! آياتنا وهذه والله أحدها، وهي ممّا وصف الله تعالى في كتابه:** ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨ ﴾ ». ثم قال عليه السلام: « **يا جابر! ما ظَنُّكَ بقومٍ أماتوا سنتنا وضَيَّعُوا عَهْدَنا، ووَالَوْا أعداءَنا، وانتَهَكُوا حُرْمَتَنا، وظَلَمُوْنَا حَقَّنَا، وغَصَبُوْنَا إِرْثَنَا، وأعانُوا الظالمين علينا، وأَحْيُوا سُنَّتَهُم، وساروا سيرةَ الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء نور الحق** ».

قال جابر رضي الله عنه: فقلتُ: الحمد لله الذي مَنَّ عَلَيَّ بمعرفتكم، وَعَرَّفَنِي وأَلْهَمَنِي طاعتَكُم، وَوَفَّقَنِي لموالاة أوليائكم، ومُعاداةِ أعدائكم.

قال صلوات الله عليه: « **يا جابر أو تدري ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولاً، ثم معرفة المعاني ثانياً، ثم معرفة الأبواب ثالثاً، ثم معرفة الأنام رابعاً، ثم معرفة الأركان خامساً، ثم معرفة النقباء سادساً، ثم معرفة النجباء سابعاً، وهو قوله تعالى:** ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ ﴾، وتلا أيضاً: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧ ﴾.

يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني: أمّا إثبات التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، وهو غيب باطن ستدركه كما وصف به نفسه.

وأمّا المعاني فنحن معانيه ومظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته وفوض

إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله ونحن أحلنا الله‌عَزَّوَجَلَّ هذا المحل واصطفانا من بين عباده وجعلنا حجته في بلاده.

فمَن أنكر شيئاً وردّه فقد رَدَّ على الله جلّ اسمه وكفر بآياته وأنبيائه ورسله، يا جابر مَن عرف الله تعالى بهذه الصفة فقد أثبت التوحيد لأنّ هذه الصفة موافقة لما في الكتاب المنزل وذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾، **وقوله تعالى:** ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ ﴾ ».

قال جابر‌رضي‌الله‌عنه: يا سيدي ما أقلّ أصحابي؟ قال‌عليه‌السلام: « **هيهات هيهات أتدري كم على وجه الأرض من أصحابك؟** » قلت: يا بن رسول الله كنت أظن في كلّ بلدة ما بين المائة إلى المائتين وفي كلّ ما بين الألف إلى الألفين بل كنت أظن أكثر من مائة ألف في أطراف الأرض ونواحيها، قال‌عليه‌السلام: « **يا جابر خالف ظنَّكَ وقَصّر رأيَكَ أولئك المقصرون وليسوا لك بأصحاب** ».

قلت: يا بن رسول الله ومن المقصر؟ قال‌عليه‌السلام: « **الذين قصروا في معرفة الأئمة وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه** »، قلتُ: يا سيدي وما معرفة روحه؟ قال‌عليه‌السلام: « **أنْ يعرف كلّ مَن خصه الله تعالى بالرّوح فقد فوّض إليه أمره يخلق بإذنه ويحيي بإذنه ويعلم الغير ما في الضمائر ويعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وذلك أنّ هذا الروح من أمر الله تعالى، فمَن خصه الله تعالى بهذا الروح فهذا كاملٌ غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله، يسير من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة، يعرج به إلى السّماء وينزل به إلى الأرض ويفعل ما شاء وأراد** ». قلتُ: يا سيدي أوجدني بيان هذا الرّوح من كتاب الله تعالى وإنّه من أمر خصه الله تعالى بمحمّد‌صلى‌الله‌عليه‌وآله، قال‌عليه‌السلام: « **نعم إقرأ هذه الآية:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ... ٥٢ ﴾، **وقوله**

تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنۡهُۖ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ».

قلتُ: فرَّجَ اللهُ عنكَ كما فَرَّجْتَ عني ووقفتني على معرفة الرّوح والأمر ثم قلت: يا سيدي صلى الله عليكَ فأكثر الشيعة مقصِّرون، وأنا ما أعرف من أصحابي على هذه الصفة واحداً، قال عليه السلام: « **يا جابر فإنْ لم تعرف منهم أحداً فاني أعرف منهم نفراً قلائل يأتون ويسلِّمون ويتعلَّمون مِنِّي سرِّنا ومكنونَنا وباطنَ علومنا** ».

قلتُ: إنّ فلان ابن فلان وأصحابه من أهل هذه الصفة إنْ شاء الله تعالى، وذلك أني سمعت منهم سِرّاً من أسراركم وباطناً من علومكم ولا أظنّ إلاّ وقد كملوا وبلغوا قال: « **يا جابر ادعهم غداً وأحضرهم معك، قال: فأحضرتُهم من الغد فسلَّموا على الإمام عليه السلام وبجّلوه ووقّروه ووقفوا بين يديه** ».

فقال عليه السلام: « **يا جابر أما إنهم إخوانك وقد بقيت عليهم بقية أتقرون أيها النفر أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؟** » قالوا: نعم إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قلت: الحمد لله قد استبصروا وعرفوا وبلغوا، قال: « **يا جابر لا تعجل بما لا تعلم** »، فبقيت متحيِّراً.

فقال عليه السلام: « **سَلْهُم هل يقدر عليّ بن الحسين أنْ يصير صورة ابنه محمَّد؟** » قال جابر: فسألتهم فأمسكوا وسكتوا، قال عليه السلام: « **يا جابر سَلْهُم هل يقدر محمَّد أنْ يصير بصورتي؟** » قال جابر: فسألتهم فأمسكوا وسكتوا.

قال: فنظر إليَّ وقال عليه السلام: « **يا جابر هذا ما أخبرتُكَ أنهم قد بقي عليهم بقيّة** »، فقلتُ لهم: ما لكم ما تجيبون إمامكم؟ فسكتوا وشكّوا، فنظر إليهم وقال عليه السلام: « **يا جابر هذا ما أخبرتُكَ به: قد بقيت عليهم بقية** »، وقال الباقر عليه السلام: « **ما لكم لا تنطقون؟** » فنظر بعضهم إلى بعض يتساءلون قالوا: يا بن رسول الله لا عِلْمَ لنا فعَلِّمْنا.

قال: فنظر الامام سيد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى ابنه محمَّد الباقر عليه السلام وقال

لهم: « **مَن هذا؟** » قالوا: ابنك، فقال لهم: « **مَن أنا؟** » قال: أبوه عليّ بن الحسين، قال: فتكلم بكلامٍ لم نفهم فإذا محمَّد بصورة أبيه عليّ بن الحسين وإذا عليّ بصورة ابنه محمَّد، قالوا: لا إله إلاّ الله.

فقال الإمامعليه السلام: « **لا تعجبوا من قدرة الله أنا محمَّد ومحمَّد أنا، وقال محمَّد: يا قوم لا تعجبوا من أمر الله أنا عليّ وعلي أنا، وكلّنا واحدٌ من نورٍ واحدٍ وروحنا من أمر الله، أوّلنا محمَّد وأوسطنا محمَّد وآخرنا محمَّد وكلنا محمَّد** ».

قال: فلما سمعوا ذلك خرُّوا لوجوههم سُجَّداً وهم يقولون: آمنّا بولايتكم وبسرِّكم وبعلانيتكم وأقررنا بخصائصكم، فقال الإمام زين العابدينعليه السلام: « **يا قوم ارفعوا رؤسَكُم فأنتم الآن العارفون الفائزون المستبصرون، وأنتم الكاملون البالغون، الله الله لا تطلعوا أحداً من المقصرين المستضعفين على ما رأيتُم منِّي ومِن محمَّد فيُشَنِّعُوا عليكم و يكذِّبوكم** »، قالوا: سمعنا وأطعنا، قالعليه السلام: « **فانصرِفوا راشدين كاملين** »، فانصرفوا.

قال جابر: قلتُ: سيدي وكلّ مَن لا يعرف هذا الأمر على الوجه الذي صنعته وبيَّنْتَهُ إلاّ أنّ عنده محبّة ويقول بفضلكم ويتبرأ من أعدائكم ما يكون حاله؟ قالعليه السلام: « **يكون في خير إلى أن يبلغوا** ».

قال جابر: قلتُ: يا بن رسول الله هل بعد ذلك شيء يقصّرهم؟ قالعليه السلام: « **نعم إذا قصّروا في حقوق إخوانهم ولم يشاركوهم في أموالهم وفي سرّ أمورهم وعلانيتهم واستبدّوا بحطام الدنيا دونهم فهنالك يسلب المعروف ويسلخ من دونه سلخاً ويصيبه من آفات هذه الدنيا وبلائها ما لا يطيقه ولا يحتمله من الأوجاع في نفسه وذهاب ماله وتشتت شمله لما قصر في بر إخوانه** ».

قال جابر: فاغتممت والله غمّاً شديداً وقلتُ: يا بن رسول الله ما حقّ المؤمن على أخيه المؤمن؟ قالعليه السلام: « **يفرح لفرحه إذا فرح، ويحزن لحزنه إذا حزن، وينفذ أموره كلّها فيحصلها، ولا يغتم لشيءٍ من حطام الدنيا الفانية إلا**

واساه حتى يجريان في الخير والشر في قرن واحد ».

قلتُ: يا سيدي فكيف أوجب الله كلّ هذا للمؤمن على أخيه المؤمن: قال عليه السلام: « **لأنّ المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، على هذا الأمر لا يكون أخاه وهو أحقّ بما يملكه** »، قال جابر: سبحان الله ومَن يقدر على ذلك؟ قال عليه السلام: « **مَن يريد أنْ يقرع أبواب الجنان ويعانق الحور الحسان ويجتمع معنا في دار السلام** ».

قال جابر: فقلت: هلكتُ والله يا بن رسول الله لأني قصرت في حقوق إخواني ولم أعلم أنه يلزمني عليّ التقصير كلّ هذا ولا عشره، وأنا أتوب إلى الله تعالى يا بن رسول الله مما كان مني من التقصير في رعاية حقوق إخواني المؤمنين. إنتهى.

فحديث جابر ينوّه بمقامات أهل البيت عليهم السلام ومقامات شيعتهم المخلصين الكاملين في الإيمان.

بل ثمّة أحاديث متواترة دَلَّتْ على وجوب معرفتهم وأنّ الناس لا يُعْذَرون بترك ولايتهم، نظير ما مورد في البحار بأسناده[1]:

① (المحاسن) أبي، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن بشير الدهان قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَنْ مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتةَ جاهليّةً** » فعليّكم بالطّاعة، قد رأيتم أصحاب عليّ، وأنتم تأتّمون بِمَن لا يعذر الناس بجهالة، لنا كرائم القرآن، ونحن أقوامٌ افْتَرَضَ اللهُ طاعَتَنَا، ولنا الأنفال ولنا صفو المال.

② (المحاسن) ابن فضال، عن حماد بن عثمان، عن أبي اليسع عيسى بن السري قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ الأرض لا تصلح إلاّ بالإمام، ومَنْ مات لا يعرف إمامَه مات ميتةَ جاهليّةً وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغتْ نفسُه هذه** »، وأهوى بيده إلى صدره يقول: « **لقد كنت على أمر حسن** ».

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٧٦ الباب الرّابع.

③ (المحاسن) محمَّد بن عليّ، عن عليّ بن النعمان النخعي، عن الحارث بن المغيرة النضري قال: سمعت عثمان بن المغيرة يقول: حدثني مولانا الإمام الصّادق عن مولانا أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَنْ مات بغير إمام جماعة مات ميتةَ جاهليّةً** »، قال الحارث بن المغيرة: فلقيتُ الإمام جعفر بن محمَّد عليهما السلام، فقال: نعم قلنا: فمات ميتةَ جاهليّةً؟ قال: ميتة كفرٍ وضلالٍ ونفاق.

④ (المحاسن) أبي، عن عليّ بن النعمان، عن محمَّد بن مروان، عن الفضيل قال: سمعتُ مولانا الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **مَنْ مات وليس له إمام فموته ميتةَ جاهليّةً. ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم. ومَنْ مات وهو عارف لإمامه لا يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخره، ومَنْ مات عارفاً لإمامه كان كمَن هو مع القائم في فسطاطه** ».

⑤ (إكمال الدين) ابن المتوكل، عن الحميري، عن الحسن بن طريف، عن صالح بن أبي حماد، عن محمَّد بن إسماعيل، عن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال: « **مَنْ مات و ليس له إمام مات ميتةَ جاهليّةً، فقلت له كل مَنْ مات وليس له إمام مات ميتةَ جاهليّةً؟** » قال: نعم، « **والواقف كافر، والناصب مشرك** ».

⑥ (الغيبة) للنعماني: أحمد بن محمَّد بن هوذة، عن النهاوندي، عن عبد الله بن حماد، عن يحيى بن عبد الله، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: « **يا يحيى مَن بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه مات ميتةَ جاهليّةً** ».

⑦ (الغيبة) للنعماني: الكليني، عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمَّد، عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ... ۝٥٠ ﴾ قال: « **مَن اتخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى** ».

⑧ (الغيبة) للنعماني: الكليني، عن محمَّد بن يحيى، عن محمَّد بن الحسين، عن محمَّد بن سنان عن بعض رجاله عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **مَن أشرك مع إمامٍ إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركاً** ».

⑨ (الغيبة) للنعماني: عبد الواحد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد بن رياح،

عن أحمد بن عليّ الحميري، عن الحسين بن أيوب، عن عبد الكريم بن الخثعمي عن ابن أبي يعفور قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: « **رجلٌ يتولاّكم ويبرأ مِن عدوِّكم ويحلِّل حلالَكم، ويحرِّم حرامَكم، ويزعم أنّ الأمر فيكم لم يخرج منكم إلى غيركم** » إلاّ أنه يقول: إنهم قد اختلفوا فيما بينهم وهم الأئمّة القادة، وإذا اجتمعوا على رجل فقالوا: هذا، قلنا: هذا، فقال عليه السلام: « **إنْ مات على هذا فقد مات ميتةَ جاهليّةً** ».

(١٠) (الغيبة) للنعماني: عبد الواحد بن عبد الله، عن محمَّد بن جعفر القرشي، عن أبي جعفر الهمداني عن محمَّد بن سنان، عن سماعة بن مهران قال: قلت لمولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام رجلٌ يتوالى عليّاً ويتبرّأ من عدوِّه، ويقول: كلّ شيء يقول: إلاّ أنه يقول: قد اختلفوا فيما بينهم وهم الأئمة القادة، فلست أدري أيهم الامام، وإذا اجتمعوا على رجل أخذت بقوله، وقد عرفت أنّ الأمر فيهم، قال عليه السلام: « **إنْ مات هذا على ذلك مات ميتةَ جاهليّةً** »، ثم قال عليه السلام: « **للقرآن تأويل يجري كما يجري اللّيل والنّهار، وكما تجري الشّمس والقمر، فإذا جاء تأويل شيء منه وقع، فمنه ما قد جاء، ومنه ما يجيء** ».

(١١) (معاني الأخبار): ابن الوليد، عن الصفار، عن البرقي، عن محمَّد بن عليّ، عن محمَّد بن أسلم عن الحسن بن محمَّد الهاشمي، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قلتُ له: ما أدنى ما يكون به الرجل ضالاًّ؟ قال: « **أنْ لا يعرف مَن أمر اللهُ بطاعته، وفرض ولايتَه، وجعله حجّةً في أرضه، وشاهدَه على خَلْقِهِ** »، قلتُ: فمَن هم يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: « **الذين قَرَنَهُمُ اللهُ بنفسه ونبيّه، فقال:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ... ﴿٥٩﴾ ﴾ » قال: فقبَّلْتُ رأسه وقلتُ: أوضحتَ لي، وفَرَّجْتَ عَنِّي، وأذْهَبْتَ كلَّ شَكٍّ كان في قلبي.

(١٢) (علل الشرائع): أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن ابن أبي عثمان، عن عبد الكريم عن عبيد الله، عن سلمة بن عطا، عن مولانا

الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: « **أيها الناس إنّ الله عزّ وجلّ ذِكْرُهُ ما خلق العبادَ إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه** »، فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال عليه السلام: « **معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته** ».

قال الصدوق رحمه الله: « **يعني بذلك أنْ يعلم أهل كلّ زمان أنّ الله هو الذي لا يخليهم في كلّ زمان من إمام معصوم، فمن عبد ربّاً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عزّ وجلّ** ».

بيان: لعله عليه السلام إنما فسّر معرفة الله بمعرفة الامام لبيان أنّ معرفة الله لا يحصل إلاّ من جهة الإمام، أو لاشتراط الانتفاع بمعرفته تعالى بمعرفته عليه السلام، ولما ذكره الصدوق رحمه الله أيضاً وجه.

(١٣) (عيون أخبار الإمام الرِّضا عليه السلام): فيما كتب مولانا الإمام الرِّضا عليه السلام للمأمون من شرائع الدين: « **مَنْ مات لا يعرف أئمته مات ميتةَ جاهليّةً** ».

(١٤) (إكمال الدين) العطّار، عن أبيه، عن عبد الله بن محمَّد بن عيسى، عن الخشاب، عن غير واحد، عن مروان بن مسلم، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **الامامُ عَلَمٌ بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه، فمَن عرفه كان مؤمناً، ومَن أنكره كان كافراً** ».

عودٌ على بَدء: عرفنا ممّا تقدّم أنّ معرفة أهل البيت عليهم السلام واجبة، وهذا لا ريب فيه ولا إشكال يعتريه، ولم يتردّد فيه أحدٌ من محقّقي الإماميّة، لكنَّ التردد إنما هو في معرفة أوليائهم هل هي واجبة أم لا؟ الأصل يقتضي عدم الوجوب لأنّ فرض الوجوب يستلزم الحرج لعدم تيسّر إحصاء أوليائهم في الأرض والسّماء، فهل تجب حينئذٍ معرفتهم بأعيانهم فرداً فرداً؟

والجواب:

إنّما تجب معرفتهم بأوصافهم التي هي على مثال أوصاف أئمتهم عليهم السلام، ويشهد لهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليّ سلام الله عليه في خطبة المتقين حيث يُعدّد فضائلهم

ومناقبهم، فمثل هؤلاء يمكن معرفتهم والاقتداء بهم ليوصلوا إلى السّادة العظماء من أهل بيت النبوّة، وإلى القارئ العزيز نعرض الخطبة الشريفة ليتسنى له الاطّلاع على أوصاف المتقين الكاملين.

روي أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً، فقال: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم.

فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: « **يا همّام اتّقِ الله وأحسِنْ فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** »، فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال:

« **أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضرّه معصية مَن عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه. فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم. فالمتقون فيها هم أهل الفضائل. منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء. ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب، وخوفا من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة. وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة. تجارة مربحة يسرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها. وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها. أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا. يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم. فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقا، وظنوا أنها نصب أعينهم. وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع**

قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجبابهم، وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم. وأما النهار فحلماء علماء، أبرار أتقياء. قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون إذا زكي أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي. اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين. وحرصا في علم، وعلما في حلم. وقصدا في غنى وخشوعاً في عبادة. وتجملا في فاقة. وصبراً في شدة. وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى. وتحرجاً عن طمع. يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل. يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر. يبيت حذراً ويصبح فرحاً. حذرا لما حذر من الغفلة. وفرجا بما أصاب من الفضل والرحمة. إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب. قرة عينه فيما لا يزول. وزهادته فيما لا يبقى. يمزج الحلم بالعلم. والقول بالعمل. تراه قريبا أمله. قليلاً زلله. خاشعاً قلبه. قانعة نفسه. منزوراً أكله. سهلاً أمره. حريزاً دينه ميتة شهوته. مكظوماً غيظه. الخير منه مأمول، والشرّ منه مأمون. إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين. وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه. بعيدا فحشه. لينا قوله. غائبا منكره. حاضرا معروفه. مقبلا خيره مدبرا شره. في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور. وفي الرخاء شكور. لا يحيف على من يبغض. ولا يأثم فيمن يحب. يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه. لا يضيع ما استحفظ. ولا ينسى ما ذكر. ولا ينابز بالألقاب. ولا يضار

بالجار ولا يشمت بالمصائب. ولا يدخل في الباطل. ولا يخرج من الحق. إنْ صمت لم يغمه صمته، وإنْ ضحك لم يعلُ صوته. وإن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له. نفسه منه في عناء. والناس منه في راحة. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه. بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة. ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة. ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة »

قال: فصعق همّام صعقة كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « **أما والله لقد كنتُ أخافها عليه** ». ثم قال: « **أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها** ». فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: « **ويحك إن لكلّ أجَلٍ وقتاً لا يعدوه، وسبباً لا يتجاوزه. فمهلاً لا تَعُدْ لمثلها فإنما نفث الشيطان على لسانك!!** »[1].

وبالجملة: تجب موالاة أوليائهم ومعرفتهم بالصّفات؛ وإليه يشير الحديث الصّحيح عن مولانا الإمام الصّادق قال عليه السلام: « **مَنْ جَالَسَ لَنَا عَائِباً أَوْ مَدَحَ لَنَا قَالِياً أَوْ وَصَلَ لَنَا قَاطِعاً أَوْ قَطَعَ لَنَا وَاصِلاً أَوْ وَالَى لَنَا عَدُوّاً أَوْ عَادَى لَنَا وَلِيّاً فَقَدْ كَفَرَ بِالَّذِي أَنْزَلَ السَّبْعَ الْمَثَانِيَ وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** »[2].

ويؤكّد الحديث المتقدِّم ما ورد في الأخبار الكثيرة من وجوب محبّة أوليائهم عليهم السلام، منها ما أورده العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار، وهي الآتي:

① (بشارة المصطفى) الحسين بن أحمد الصفار عن ابن عقدة عن محمَّد بن عبد الرحيم عن أحمد بن حفص الهروي عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الأفراقي عن صفوان بن أبي سليم عن عطاء بن يشكر عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، هذا على عاتق وهذا على عاتق، وهو يلثم هذا مرة

---

(١) راجع (نهج البلاغة) ج٢ ص١٨٥، خطبة رقم١٨٨، شرح محمّد عبده.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٥٢ ح٤ باب وجوب موالاة أوليائهم ومعاداة أعدائهم، (أمالي الشّيخ الصّدوق) ج٥٦ المجلس الثالث عشر، (وسائل الشيعة) ج١٦ ص٢٦٤ باب٣٨ ح٢١٥٢٣.

وهذا مرة، فقال له جبرئيل: « **إنك تحبهما؟** » قالﷺ: « **إني أحبّهما وأحبُّ مَن يحبّهما؛ فإنّ مَنْ أحبَّهُمَا فقد أحَبَّنِي، ومَن أبْغَضَهُمَا فقد أبْغَضَنِي** »[1].

② (بشارة المصطفى) أبو علي ابن شيخ الطائفة عن أبيه عن المفيد عن الجعابي عن ابن عقدة عن محمَّد بن القاسم الحارثي عن أحمد بن صبيح عن محمَّد بن إسماعيل الهمداني عن الحسين بن مصعب قال: سمعتُ مولانا الإمام جعفر بن محمَّدعليهما السلام يقول: « **مَن أحبَّنا وأحبَّ محبَّنا لا لغرضِ دُنْيَا يصيبها منه وعادى عدوَّنا لا لإحنة كانت بينه وبينه ثم جاء يوم القيامة وعليه من الذُّنوب مثل رمل عالج وزبد البحر غفر اللهُ تعالى له** »[2].

③ (تفسير فرات بن إبراهيم) جعفر بن أحمد معنعناً عن مولانا الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **خرجتُ أنا وأبي ذات يوم فإذا هو بأناس من أصحابنا بين المنبر والقبر فسلَّمَ عليهم ثم قال: أمَا والله إني لأحبّ ريحكَم وأرواحكم فأعِينُوني على ذلك بوَرَعٍ واجتهادٍ، مَن ائتمّ بعبدٍ فلْيَعْمَلْ بعَمَلِهِ، وأنتم شيعة آل محمَّدﷺ وأنتم شرط الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأوّلون والسّابقون الآخرون في الدنيا والسّابقون في الآخرة إلى الجنة قد ضمِنَّا لكم الجَنَّةَ بضمان الله وضمان رسول الله وأهل بيته، أنتم الطيِّبُون ونساؤكم الطيِّبَات، كلّ مؤمنة وكلّ مؤمن صدِّيق** ».

كم مرة قد قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليهما السلام لقنبر: « **يا قنبر أبْشِرْ وبَشِّرْ واستَبْشِرْ، والله لقد قبض رسول اللهﷺ وهو ساخط على جميع أمّته إلاّ الشيعة، وإنّ لكلّ شيء شرف، وإنّ شرف الدِّين الشيعةُ، ألاَ وإنّ لكلّ شيء عروة، وإنّ عروة الدِّين الشيعةُ، ألاَ وإنّ لكلّ شيء إمام، وإمامُ الأرضِ أرضٌ يسكن فيه الشيعة، ألاَ وإنّ لكلّ شيء سيّد، وسيّدُ المجالس مجالسُ الشيعة، ألاَ وإنّ لكلّ شيء شهوة وشهوة الدنيا سكنى شيعتنا فيها.**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٠٦ ح٧٥.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٠٦ ح٧٧.

والله لولا ما في الأرض منكم ما استكمل أهل خلافكم طيبات مالهم، ومالهم في الآخرة من نصيب، كلّ ناصب وإنْ تعبَّد منسوب إلى هذه الآية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝ ﴾، **ومَن دعا من مخالفٍ لكم فإجابةُ دعائه لكم، ومَن طلب منكم إلى الله حاجة فله مائة، ومَن سأل مسألة فله مائة، ومَن دعا بدعوة فله مائة، ومَن عمل منكم حسنة فلا يحصى تضاعفُها، ومَن أساء منكم سيئةً فمحمَّد صلى الله عليه وآله حجيجه يعني يحاج عنه من تبعتها.**

والله إنّ صائمكم ليرعى في رياض الجنة تدعو له الملائكة بالعون حتى يفطر، وإنّ حاجَّكم ومعتمرَكُم لخاص الله، وإنكم جميعاً لأهل دعوة الله وأهل إجابته وأهل ولايته لا خوف عليكم ولا حزن، كلُّكم في الجَنَّة، فتنافسوا في فضائل الدرجات.

والله ما من أحد أقرب من عرش الله تعالى يوم القيامة من شيعتنا، ما أحسن صنع الله إليكم، والله لولا أنْ تفتنوا فيشمت بكم عدوّكم ويعلم الناس ذلك لسلمت عليكم الملائكة قبلاً »، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **يخرج أهل ولايتنا من قبورهم يوم القيامة مشرقة وجوههم قرت أعينهم قد أعطوا الأمان يخاف الناس ولا يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون، والله ما من عبد منكم يقوم إلى صلاته إلا وقد اكتنفته الملائكة من خلفه يصلون عليه ويدعون له حتى يفرغ من صلاته ألاَ وإنّ لكلّ شيء جوهر وجوهر ولد آدم صلوات الله عليه وسلامه نحن وشيعتنا** ».

قال سعدان بن مسلم: وزاد في الحديث عيثم بن أسلم عن معاوية بن عمار عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام: « **والله لولاكم ما زُخْرِفَتِ الجَنَّةُ، والله لولاكم ما خُلِقَتِ الحُورُ، واللهِ لولاكم ما نزلت قطرةٌ، والله لولاكم ما نَبَتَتْ حَبَّةٌ، والله لولاكم ما قَرَّتْ عَيْنٌ، والله لله أشد حباً لكم مِنِّي، فأعِيْنُوْنَا على ذلك بالورع**

والاجتهاد والعمل بطاعته »[1].

④ وروي صاحب الكشاف والثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا... ﴾، باسناده إلى جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَن مات على حبّ آل محمَّد مات شهيداً، ألاَ ومَن مات على حب آل محمَّد مات مغفوراً له، ألاَ ومَن مات على حبّ آل محمَّد مات تائباً، ألاَ ومَن مات على حب آل محمَّد مات مؤمناً مستكمل الايمان.**

ألاَ ومَن مات على حب آل محمَّد بشَّرَهُ ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألاَ ومَن مات على حبّ آل محمَّد يُزَفُّ إلى الجَنة كما تُزَفَّ العروس إلى بيت زوجها، ألاَ ومَن مات على حبّ آل محمَّد جعل اللهُ زوّارَ قبره الملائكة بالرّحمة، ألاَ ومَن مات على حبّ آل محمَّد مات على السنة والجماعة.

ألاَ ومَن مات على بغض آل محمَّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألاَ ومَن مات على بغض آل محمَّد لم يشم رائحةَ الجَنَّةِ »[2].

⑤ وروى ابن شيرويه في الفردوس عن أبي ليلى عن النبي ﷺ قال: « **لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، ويكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبّ إليه من أهله، ويكون ذاتي أحبّ إليه من ذاته »**[3].

⑥ وباسناده عن ابن عمر قال: سألنا رسول الله ﷺ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فغضب فقال: « **ما بال أقوامٍ يذكرون مَن له منزلة عند الله كمنزلتي ومقام كمقامي إلاّ النبوة.**

ألاَ ومَن أحب علياً فقد أحبَّنِي، ومَن أحبَّنِي رضي الله عنه، ومَن رضي الله عنه كافأه بالجَنَّة، ألاَ ومَن أحبَّ علياً استغْفَرَتْ له الملائكةُ وفُتِحَتْ له أبوابُ الجَنَّة يدخل من أيّ بابٍ شاء بغير حساب.

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٠٦ ح٨١.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٠٦ ح٨٤.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٠٦ ح٨٥.

ألاَ ومَن أحب عليّاً أعطاه الله كتابَه بيمينه، وحاسبه حسابَ الأنبياء، ألاَ ومَن أحب عليّاً لا يخرج من الدّنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من شجرة طوبى ويرى مكانَه من الجنَّة، ألاَ ومَن أحبَّ عليّاً يهوِّنُ اللهُ عليه سكرات الموت، وجَعَلَ قَبْرَهُ روضةً من رياض الجنة.

ألاَ ومَن أحب عليّاً أعطاه الله في الجنة بكلّ عرق في بدنه حوراء، وشفّعه في ثمانين من أهل بيته، وله بكلّ شعرة على بدنه حديقة في الجنة، ألاَ ومَن عرف عليّاً وأحبَّهً بعثَ اللهُ إليه مَلَكَ الموت كما بعث الله إلى الأنبياء، ودَفَعَ عنه أهوالَ منكر ونكير، ونَوَّرَ قَبْرَه وفَسَّحَهُ مسيرة سبعين عاماً، وبَيَّضَ وَجْهَهُ يومَ القيامة.

ألاَ ومَن أحب عليّاً أظلَّه الله في ظلّ عرشه مع الصدِّيقين والشّهداء والصّالحين وآمنه من الفزع الأكبر وأهوال يوم الصاخة، ألاَ ومَن أحب عليّاً تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته، وكان في الجنة رفيق حمزة سيد الشهداء، ألاَ ومَن أحب عليّاً أثبت اللهُ الحكمةَ في قلبه وأجرى على لسانه الصّواب وفتح الله له أبوابَ الرَّحمة، ألاَ ومَن أحب عليّاً سمي أسير الله في الأرض وباهى اللهُ به ملائكتَهُ وحَمَلَةَ عَرْشِهِ.

ألاَ ومَن أحبَّ عليّاً ناداه مَلَكٌ من تحت العرش: أنْ يا عبدَ الله استأنِفْ العَمَلَ فقد غَفَرَ اللهُ لَكَ الذنوبَ كلَّها، ألاَ ومَن أحب عليّاً جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ألاَ ومَن أحب عليّاً وضع اللهُ على رأسه تاجَ الكرامة وألبَسَهُ حُلَّةَ العِزّةِ.

ألاَ ومَن أحبَّ عليّاً مَرَّ على الصّراط كالبرق الخاطف ولم يرَ صعوبةً، ألاَ ومَن أحب عليّاً كتب اللهُ له براءةً من النّار وبراءةً من النِّفاق وجوازاً على الصّراط وأماناً من العذاب.

ألاَ ومَن أحبَّ عليّاً لا يُنْشَرُ له ديوانٌ، ولا يُنْصَبُ له ميزانٌ وقيل له: اُدْخُلِ الجَنَّةَ بغير حساب، ألاَ ومَن أحبَّ عليّاً أَمِنَ من الحساب والميزان والصّراط،

ألاَ ومَن مات على حبِّ آل محمَّد صافحَتْهُ الملائكةُ، وزارتْهُ أرواحُ الأنبياء وقضى اللهُ له كلَّ حاجةٍ كانت له عند الله، ألاَ ومَن مات على بُغْضِ آلِ محمَّدٍ مات كافراً، ألاَ ومَن مات على حبِّ آل محمَّد مات على الإيمان وكنتُ أنا كفيلُهُ بالجَنَّة »[1].

وزبدة المخض:

إنّ أهل البيت عليهم السلام أفضل الخلق، فلا أحد يضاهيهم في فضائلهم ومعاجزهم وقربهم ومنْزلتهم عند الله تعالى، فهم نفس رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، كما إنّ أولياءهم هم الفِرقة النّاجية التي دلّ عليها النبيّ صلى الله عليه وآله بالخبر المستفيض سنداً ودلالةً: « **ستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فِرقة، إثنتان وسبعون فرقة في النّار، وواحدة في الجنة** ».

وفي (غاية المرام) نقلاً عن أمالي الشيخ مسنداً عن المجاشعي عن الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عليهم السلام قال: « **سمعت عليّاً عليه السلام يقول لرأس اليهود: على كم افترقتم** » فقال: على كذا وكذا فرقة، فقال عليّ عليه السلام: « **كذبت** »، ثمّ أقبل على الناس وقال: « **والله لو ثنّيت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم، افترقت اليهود على أحد وسبعين فرقة سبعون منها في النّار وواحدة ناجية في الجنة وهى التي اتّبعت يوشع بن نون وصيّ موسى، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النّار وواحدة في الجنة وهي التي اتّبعت شمعون وصيّ عيسى عليه السلام، وتفترق هذه الامّة على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة وهي الّتي اتّبعت وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله** » وضرب بيده على صدره ثمّ قال عليه السلام « **ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّى واحدة منها في الجنّة وهم النمط الأوسط واثنتا**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص١٠٦ ح٨٩.

عشرة في النّار »[1].

فأولياء أهل البيت عليهم السلام هم المفلحون الفائزون يوم القيامة، بل هم خير البريّة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾، فقد أخرج ابن عساكر عن جابر الأنصاري قال: كنا عند النبيّ صلى الله عليه وآله فأقبل الإمام عليّ عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: « **والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة** »، ونزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ فكان أصحاب النبيّ إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا: جاء خير البَرِيّة[2].

وأخرج ابن عديّ عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت الآية قال رسول الله لعليّ: « **هو أنتَ وشيعتكَ يوم القيامة راضين مرضِيِّين** »[3].

وأخرج ابن مردويه عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله: ألم تسمع قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ « **أنتَ وشيعتكَ وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين** »[4].

بيان: الغُرّ: من الغُرّة بياض الوجه أو الجبهة، من هنا قيل: غُرّة الشّهر: ليلة استهلال القمر لبياض أوّلها، وقيل: غرّة الهلال طلعته. وغرّة كلّ شيءٍ أوله، وغرّة الشهر: ليلة إستهلال القمر لبياض أولها، لأنّ البياض فيه أوّل شيء فيه، وبياض الهلال في الليالي البيض تسمَّى الأيّام الغرّ. والمحجّل من الخيل: أنْ تكون قوائمه الأربع بيضاً.

والمحجَّلون: أي بيض مواضع الوضوء في الوجه واليدين والقدمين، استعار عليه السلام أثر الوضوء في الوجه واليدين والرِّجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه

(١) الحديث المزبور رواه الفريقان، راجع (غاية المرام) ج٦ ص٤٣ باب٦٩.

(٢) راجع (تفسير الدرّ المنثور) للسيوطي ج٦ ص٦٤٣.

(٣) نفس المصدر السّابق.

(٤) راجع (شواهد التنزيل) للحسكاني الحنفي ج٢ ص٣٥٦.

الفرس ويديه ورجليه.

وروى الحاكم الحسكاني حديث الغرّ المحجّلين بطرق متعدّدة تجاوزت اثنين وعشرين طريقاً؛ فراجع[1].

﴿ وَأنْ يُثَبّتَ لى عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْق فى الدُنْيا ﴾

﴿ وَالآخِرَةِ وَأسْألُهُ أنْ يُبَلِّغَنِى الْمقامَ الْمَحْمُودَ ﴾

﴿ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ وَأنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكم ﴾

﴿ مَعَ إمَامٍ هدىً ظَاهِرٍ نَاطِقٍ بالحَقّ مِنْكُمْ ﴾

الفقرة دُعائيّة، فالزّائر بعدما أقرَّ بإيمانه بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والولاء لهم، وبالتبرّي من أعدائهم ومخالفيهم وهما - أي التولي والتبري - أصل الإيمان والدِّين والاسلام، سأل اللهَ تعالى أنْ يجعله من الثابتين في ذلك، وأنْ يوصله المقام المحمود عند آل البيت عليهم السلام في الآخرة، وأنْ يوفَّق في طلب الثأر لهم مع الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره الشريف.

فهذه الفقرة الشريفة نظير الفقرة الشريفة في الزيارة الجامعة الكبيرة: « **فثبّتني الله أبداً ما حييتُ على موالاتكم ومحبّتكم ودينكم، ووفّقني لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم، وجعلني من خيار مواليكم..** ».

وقدم صدقٍ بالإضافة كلسان صدق هو الأثرة الحسنة، والقدم هو السّابقة في الأمر، يقال: له قدم في الهجرة أي سابقة، والإضافة محتملة لتقدير (من) أو (في)، والمراد بها المحبّة الخالصة والطاعة التي لا يشوبها عصيان، كما إنّ المراد بلسان الصّدق هو الذّكر الحسن والثناء الجميل، وتخصيص التثبيت بالدنيا لكونها محلّ

(١) راجع (شواهد التنزيل) ج٢ ص٣٥٦-٣٦٦.

التغيّر والتبدّل، والمراد بالمقام المحمود الشفاعة الخاصّة بهم، وفي إضافة الثأر إلى ضمير النفس، إشارة إلى أنّ كل مؤمنٍ وليّ هذا الدّم، فهو ثاره الذي يطلبه فلا ينافي ذلك إضافته إلى ضمير الخطاب لاختلاف الحيثّية، والظاهر الناطق: خلاف المستور الصامت، ويُحتمل أنْ يكون بمعنى الغالب، يُقال: ظهر عليه إذا غلب عليه.

ويُحَتَمَلُ في التثبيت معنيان:

المعنى الأوّل: أنّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ... ﴿٩٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ.

ففي المحكي عن تفسير العيّاشي عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأبي بصير حين سأله عن هذه الآية: « **ما يقول أهل بلدكَ الذي أنتَ فيه؟** » قال: يقولون مستقر في الرَّحِم ومستودَع في الصّلب، فقال عليه السلام: « **كذبوا، المستقر مَن استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه، وقد كان الزّبير منهم** ».

وعن جعفر بن مروان قال: إنّ الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وقال: لا أغمده حتى أبايع لعليّ، ثم اخترط سيفه فضارب عليّاً عليه السلام فكان ممّن أعير الايمان، فمشى في ضوء نوره ثم سلبه إياه[1].

وفي (الوافي) عن (الكافي)[2] عن مولانا الإمام أبي الحسن عليه السلام: « **إنّ الله تعالى خلق النبيين على النبوّة فلا يكونون إلاّ أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلاّ مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً فإنْ شاء تمّمه لهم وإنْ شاء سلبهم إيّاه** »، قال: « **وفيهم جرت: فمستقر ومستودع** ». وقال لي: « **إنّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه، فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك** ».

وفيه عنه بإسناده عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **إنّ العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقوم يعارون الإيمان ثم يسلبونه**

(١) راجع (تفسير العياشي) ج١ ص٤٠١ ح٦٩.

(٢) راجع (الكافي) ج٢ ص٤١٨ باب المعارين ح٤.

ويسمّون المعارين، ثمّ قال: فلانٌ منهم »[1].

فقوله عليه السلام: « **أنْ يثبت لي** » تقديره: أسألُ اللهَ تعالى أنْ يثبّت لي أي أرجوه أنْ يجعلني من الذين كان إيمانهم مستقرّاً لا مستودعاً، وكذا قوله في الزّيارة الجامعة: « **فثبتني الله أبداً ما حييتُ على موالاتكم..** » .

وفي المحكي عن (الكافي)[2] عن مولانا أبي الحسن عليه السلام قال: « **أكثر أنْ تقول: اللهمّ لا تجعلني من المعارين، ولا تخرجني من التقصير** »، قال: قلتُ: أمّا المعارون فقد عرفتُ أنّ الرّجل يعار الدين ثمّ يخرج منه، فما معنى لا تخرجني من التقصير؟ فقال: « **كلّ عمل تريد به الله عزّ وجلّ فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنّ النّاس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلاّ مَن عصمه الله عزّ وجلّ** » .

إنْ قيل: كيف يُعرف صاحب الإيمان المستودع والمستقر؟

قلنا: ثمّة علامات ذكرها مولانا الإمام الصّادق عليه السلام يُميِّز المستودع عن المستقرّ.

ففي (الوافي) عن الكليني في (الكافي)[3] بإسناده إلى المفضل الجعفي قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ الحسرة والنّدامة والويل كلّه لمن لم ينتفع بما أبصره، ولم يدرِ ما الأمر الذي هو عليه مقيم، أنفعٌ هو أم ضرٌّ؟** » قلت: فيمَ يُعرف الناجي من هؤلاء جُعِلْتُ فِداكَ؟ قال: « **مَن كان فعله لقوله موافقاً، فأثبت له الشّهادة بالنّجاة، ومَن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنما هو مستودع** ».

❖ **ملاحظة**: قوله عليه السلام: « **فأثبت له الشّهادة بالنّجاة** » يشير إلى أنّ مَن كان فعله موافقاً لقوله فهو من الذين يكون إيمانهم مستقرّاً، بخلاف مَن لم يكن كذلك فإنّه مستودع.

---

(١) راجع (الكافي) ج٢ ص٤١٨ باب المعارين ح٢.

(٢) راجع (الكافي) ج٢ ص٧٣ باب الطاعة والتقوى ح٤.

(٣) راجع (الكافي) ج٢ ص٤١٩ باب في علامة المعار ح١.

وكيف كان ؛ فالزّائر يسأل اللهَ أنْ يجعله ممّن يكون إيمانهم مستقرّاً لا مستودعاً.

المعنى الثاني: أنْ يكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ.

ففي (تفسير نور الثقلين)[1] عن الصّدوق في (مَن لا يحضره الفقيه) عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **إنّ الشيطان ليأتي الرّجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله، ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله عزّ وجلّ له ذلك، وذلك قوله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾ ».

وفيه عن تفسير العياشي عن زرارة وحمران ومحمَّد بن مسلم عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام ومولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قالا: « **إذا وضع الرّجل في قبره أتاه ملكان، مَلَك عن يمينه، ومَلَك عن يساره، واُقيم الشيطان بين يديه، عيناه من نحاس، فيُقال: ما تقول في هذا الرّجل الذي خرج بين ظهرانيّكم يزعم أنّه رسولُ الله؟ فيفزع لذلك فزعةً ويقول إنْ كان مؤمناً: محمّدٌ رسولُ الله، فيُقال له عند ذلك، نَمْ نومةً لا حلم فيها، ويفسح له في قبره تسعةَ أذرع، ويرى مقعده من الجنَّة، وهو قول الله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾ **وإنْ كان كافراً قالوا: مَن هذا الرّجل الذي كان بين ظهرانيّكم يقول إنّه رسول الله؟ فيقول: ما أدري، فيخلى بينه وبين الشيطان** »[2].

والأحاديث في ذلك كثيرة، فقوله عليه السلام: « **وأنْ يثبّت لي** » دعاء منه كي يكون بسبب موالاتهم ومحبّتهم ودينهم، من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ... ﴿٢٧﴾ ﴾.

وفي (تفسير نور الثقلين)[3] عن كتاب (الاحتجاج) للطبرسي رحمه الله في حديث

---

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٢ ص٥٤١.

(٢) راجع (تفسير العياشي) ج٢ ص٢٤٢ ح١٧.

(٣) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٥ ص٦٦٣.

طويلٍ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول فيه: « **وألزمهم الحجة بأنْ خاطبهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحيده، و بأنّ لهم أولياء تجرى أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله، فهم العباد المكرمون، وهم النعيم الذي يسأل عنه، إنّ الله تبارك وتعالى أنعم بهم على مَن اتّبَعَهُم من أوليائهم** »، قال السّائل: مَن هؤلاء الحجج؟ قال عليه السلام: « **هم رسول الله صلى الله عليه وآله ومَن حَلَّ محلَّه من أصفياء الله الذين قال:** ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ.. ﴿١١٥﴾ ﴾، **الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه** ».

وفي البحار[1] عن (أمالي الصّدوق) بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **ولايتي وولاية أهل بيتي أمان من النّار** »[2].

وفي (تفسير نور الثقلين) عن العياشي باسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال له: « **ما النعيم عندك يا نعمان؟** » قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال: « **لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسئلك عن كلّ أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه** »، قال: فما النّعيم جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قال عليه السلام: « **نحن أهل البيت النّعيم الذي أنعم اللهُ بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف اللهُ بين قلوبهم وجعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله للإسلام وهو النّعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النّعيم الذي أنعم به عليهم وهو النّبي وعترته** »[3].

❖ **ملاحظة**: ما استنكار الإمام الصّادق عليه السلام على أبي حنيفة بهذا البيان الشّافي إلاّ لإنكاره فضائلهم عليهم السلام ومدعياً الإمامة لنفسه على هذه الأمّة، وأبو حنيفة مصداق من مصاديق المدَّعِين للإمامة في كلِّ زَمَنٍ؛ لا سيّما أهل هذا الزّمان الذي كَثُرَتْ فيه

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٨٨.

(٢) وفي نسخة: براءة من النّار.

(٣) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٥ ص٦٦٣ سورة التكاثر ح١٥.

دعاوى الإمامة والألقاب الكبرى الخاصّة بالمعصوم عليه السلام ك: إمام الأمّة، وآية الله العظمى، والحجّة الأكبر، ووليّ أمر المسلمين، والإمام القائد.. إلخ.

وذوي هذه الألقاب لم يرتدعوا ولم يتعظوا، بل أصرّوا على ذلك كما أصرّ أبو حنيفة على دعواه، وإنْ كان قياسهم عليه مع الفارق من حيث عدم اعتقاده بإمامة الأئمّة المطهَّرين عليهم السلام، اللهمّ نَوِّرْ قلوبَهم واهْدِ عقولَهم إلى الزُّهد في الدّنيا والورع عن زخارفها.

والخلاصة: إنّ الأخبار الكثيرة أشارت إلى أنّ النعيم الكامل هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، والفقرة الشّريفة تطلب من الزّائر الدّاعي تأكيد علاقته بنعمة الولاية العظمى وثباته عليها؛ لأنّ الايمان النّافعَ هو ما يموت عليه المرءُ من العقيدة الصّحيحة بالله تعالى وبرسله وأوليائه الطّاهرين عليهم السلام. فالثّبات على الايمان هو المطلوب لا مجرّده، من هنا ورد التّاكيد في الدّعاء على التّثبيت على الدِّين بقوله عليه السلام: « **اللهمّ ثَبِّتنا على دينكَ ودينِ نبيّكَ ولا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا** »[1]، وكما ورد في تعليم الإمام الصّادق عليه السلام لأحد مواليه أنْ يكرّر من قول: « **يا مقلِّب القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينكَ** »[2].

وأمّا الدّعاء بطلب الثّأر مع الإمام المهديّ عليه السلام عند ظهوره المبارَك، فهو تأكيد لما ورد في فقرةٍ سابقةٍ، ووجه التأكيد هو ما قد ذكرناه سابقاً.

والتّخصيص بالإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف واضح من حيث انحصار الانتصار به، وباعتباره البقيّة الباقية من أهل البيت عليهم السلام، وهو الذي يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، اللهمّ عَجِّلْ فَرَجَه وقَلِّلْ أعداءه وكَثِّر أنصارَه وأعوانَه بمحمّدٍ خاتم النبيّين وآله الطّاهرين عليهم السلام.

---

(١) راجع دعاء يوم الجمعة.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٢ ص١٤٩ باب٢١ ح٧٣ و٧٤، (معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام) ج٤ ص١٢٣ ح١١٨٤.

﴿ وَأَسْأَلُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأنِ الَّذِى لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ ﴾
﴿ يُعْطِيَنِي بِمُصابِي بِكُمْ أَفْضَلَ ما يُعْطِي مصاباً ﴾
﴿ بِمُصِيبَتِهِ مُصِيبَة مَا أَعْظَمَها وَأَعْظَمَ رَزِيّتَهَا فِي ﴾
﴿ الإسلام وَفِي جَمِيعِ أهلِ السّموَاتِ وَالأَرْضِ ﴾

الفقرة الشّريفة في مقام الطّلب من الزّائر أنْ يدعو الله تعالى بحقّ أهل البيت عليهم السلام، وحقوقهم كثيرة على العباد، وحقهم أعظم الحقوق، وشأنهم أعلى الشّؤون.

والفَرْق بين الحقّ والشّأن أنّ: الأوّل عبارة عن فضائلهم ومنازلهم والأمور المنتسبة إليهم بأمر الله تعالى كالولاية والإمامة والوصاية والخلافة.

والثاني عبارة عن مقامهم السّامي عند الله تعالى نتيجة العلاقة المتينة مع الله تعالى، فللشّأن معانٍ متعدِّدة في اللغة نظير: الأمر، الحاجة، الحال، العلاقة، الخصوصيّة، القدر والنفوذ، المقام السامي، الأمر المهم.

الرزيّة: المصيبة بفَقْدِ الأعزّة والنقصان، والفرق بين الرزية والمصيبة أنّ الأولى أخصّ من الثانية، لأنّ الرزية هي فقد الأعزّة، وأمّا المصيبة فأعمّ من ذلك، ففقدان الإمام الحسين عليه السلام أدخل على الإسلام نقصاً عظيماً لا يمكن رتقه..

فحقّهم وشأنهم عليهم السلام عظيمان عند الله تعالى، ولا يمكن للعباد درك كنههما، لما ورد في المتواتر: « **أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ مَلَك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان** »، وفي بعضها: « **لا يحتمله لا مَلَك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل ولا عبد ممتَحَن** »، قيل له: مَن يحتمله؟ قال: « **مَن شئنا** »[1]؛ فالحقّ هو الولاية، والشّأن هو ذواتهم المقدَّسة وقربها من الله تعالى.

وقوله عليه السلام: « **وأسأل الله بحقّكم وبالشأن الذي لكم عنده..** » مرادف

(١) ورد الحديث في (بصائر الدرجات) بطرق متعددة؛ فراجع.

لقوله عليه السلام في (الزّيارة الجامعة) « **فبحقّهم الذي أوجبت لهم عليكَ، أسألكَ أنْ تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقّهم** »، كما إنّ قوله عليه السلام: « **أنْ يعطيني بمصابي بكم أفضل ما يعطي مصاباً بمصيبته** » نظير قوله عليه السلام في (الزيارة الجامعة) أيضاً: « **وأنْ يدخلني في زمرة المرحومين بشفاعتهم** ».

والفرق بين: « **وأسأل الله** » وبين « **فبحقّهم الذي أوجبت لهم...** » هو أنّ الأوّل طلب من الله أنْ يعطي السّائل مراده كرامةً لأهل البيت عليهم السلام، والثاني قَسَمٌ على الله عزّ وجلّ بهم عليهم السلام. ففي زيارة عاشوراء طلب، وفي الزّيارة الجامعة قَسَمٌ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ.

وبين الطّلب والقَسَم تكون الإجابة السريعة إنْ شاء الله تعالى؛ فسؤال الله تعالى بحقّهم وبالشّأن الذي لهم عنده يستلزم قضاء الحاجة إذ لا يُرَدُّ دعاءٌ إذا سُئِلَ فيه بهم حسبما جاء في الأخبار الصّحيحة من طرقنا[1]، ومن طرق العامّة ما أخرجه القندوزي الحنفي في الينابيع بإسناده عن الديلمي: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: « **الدّعاء محجوبٌ حتى يُصلَّى على محمَّد وآله** »[2].

وحقوقهم عليهم السلام كثيرة منها:

أنهم حجج الله تعالى على عامّة خلقه.

أنهم معصومون مطهَّرون.

أنهم نفسُ رسول الله خاتم النبيين، ولهم عليهم السلام نفس الفضائل التي لرسول الله صلى الله عليه وآله.

أنهم أقرب الخلق إلى الله تعالى ورسوله.

أنهم أعلم الخلق بالله تعالى ورسالاته.

أنهم الأتقياء العرفاء الصدِّيقون.

أنهم ذوو المعاجز والكرامات والفضائل.

---

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٩٢.

(٢) راجع (إحقاق الحق) ج٩ ص٦٢٧ نقلاً عن (الينابيع) ص٢٩٥، ورواه ثلة من علماء العامة بطرق متعددة فراجع (الإحقاق)، ورواه الكليني في (الكافي) ج٢ ص٤٩١ باب الصّلاة على النبيّ وأهل بيته عليهم السلام.

أنهم الدّاعُون إلى الله تعالى، والمظلومون لوجههﷻ.

أنهم أوصياء الله تعالى وخلفاء رسول اللهﷺ.

أنهم أولياء الله تعالى.

أنّ الصّلاة عليهم واجبة في الصّلاة، ومستحبّة في غيرها مطلقاً، بل لا تُقْبَلُ الصّلاة إلاّ بالاعتقاد بهم والصّلاة عليهم.

الدّعاء محجوبٌ حتى يُصَلَّى عليهم.

أنهم أهل المودّة والقربى الذين تجب مودّتهم.

أنهم مصدر العلوم مطلَقاً.

أنهم أصحاب الولايتين الشرعيّة والتكوينيّة.

أنهم أصحاب الخُمس والأنفال وصفايا الأموال والملوك.

أنهم أصحاب الأعراف وملوك الدّنيا والآخرة.

أنهم أصحاب التوسّلات وقبلة المخلوقات إلى الله تعالى.

أنهم أصحاب الوسيلة والمقام المحمود في الآخرة.

أنهم المنتقمون لله تعالى والمنتصرون له.

أنهم حَمَلَةُ الأسرار الإلهيّة وخَزَنة الإفاضات الربانية.

أنهم الوسائط بين الله تعالى وأنبياءه ورسله وملائكته.

أنهم همزة الوصل في ليلة القدر بين الله تعالى وخلقه.

أنهم صفوة الخلق.

أنهم شهداء الله على خلقه.

كلّ هذه الحقوق يجمعها حقّ الولاية لهم؛ حيث يترشّح منها كلّ هذه المقامات والشّؤون وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، ففي المحكي عن (الكافي) بإسناده عن جابر عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: « **خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ محمّدﷺ ثمّ قال: أمّا بعد.. فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقّاً بولاية أمركم، ومنْزِلتي التي**

أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم، ولكم عَلَيَّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجمل الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه، ولا يجري عليه إلاّ جرى له، ولو كان لأحدٍ أنْ يجري ذلك له، ولا يجري عليه، لكان لله عزّ وجلّ خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده، ولعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه، ولكنه جعل حقّه على العباد أنْ يطيعوه، وجعل كفايتهم عليه بحسن الثواب تفضيلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً.. »[1].

قوله عليه السلام: « **بولاية أمركم** » أي هذه الولاية من الحقّ الذي منحه الله تعالى له عليه السلام وهي الولاية الإلهيّة بما لها من المعنى، ومن شأنها حكومته عليه السلام عليهم.

وقوله: « **ومنْزِلتي التي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم** » أي أنزلني الله بهذه المنْزِلة منكم أي خصني الله تعالى بها دونكم، وهي إشارة إلى مقام الإمامة والخلافة الإلهية التي جعلها له وللأئمّة عليهم السلام خاصّةً.

وبالجملة: فإنّ الدّاعي أو الزّائر عليه أنْ يسأل الله تعالى بحقّهم ومقامهم الذي هو الولاية الإلهيّة والإمامة والخلافة والخصوصيّة من الله تعالى بتمام معاني القرب والولاية، ليعطيه أجر المصاب والحزن عليهم لأنّ مصائبهم لم يُصَب بها مخلوق قط، فمصائبهم أعظم المصائب، ورزاياهم أعظم الرّزايا، والأخبار في عِظَمِ أجر المصائب أكثر من أنْ تُحصَى، منها:

① أبو عليّ الأشعري، عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن العباس بن عامر، عن العرزمي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلاّ بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلاّ بالغصب والبخل، ولا المحبة إلاّ باستخراج الدين واتّباع الهوى، فمَن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضة**[2]

(١) راجع (الكافي) ج٨ ص٣٥٢ من خطبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) أي بغض الناس له لعدم اتباعه أهواءهم.

وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صدِّيقاً ممن صدّق بي[1] ».

② محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى قال: أخبرني يحيى بن سليم الطائفي قال: أخبرني عمرو بن شمر اليماني، يرفع الحديث إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية، فمَن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومَن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومَن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش** »[2].

③ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **مَن ابتُلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد** »[3].

وكلما عظُمَ مصاب وبلاء المؤمن وصبر عليه، كلما ازداد ثوابه وإيمانه، من هنا أكّدت الأخبار ذلك وهي أكثر من أنْ تُحصى أيضاً، ومنها:

① عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ أشدَّ الناس بلاءاً: الأنبياء ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل** »[4].

② محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن

---

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٩١ ح١٢.

(٢) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٩١ ح١٥.

(٣) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٩٢ ح١٧.

(٤) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٢ ح١.

عبد الرحمن بن الحجاج قال: ذكر عند مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخصّ الله عزّ وجلّ به المؤمن، فقال: « **سئل رسول الله صلى الله عليه وآله مَن أشدُّ الناس بلاءً في الدّنيا فقال صلى الله عليه وآله: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويُبتَلي المؤمنُ بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمَن صَحَّ إيمانُه وحَسُنَ عَمَلُهُ اشتدَّ بلاؤه، ومَن سَخُفَ إيمانُه وضَعُفَ عمَلُهُ قلَّ بلاؤه** »[1].

③ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمَّد بن خالد، عن أحمد بن عبيد، عن الحسين ابن علوان، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال – وعنده سدير –: « **إنّ الله إذا أحبَّ عبداً غته**[2] **بالبلاء غتاً، وإنّا وإيّاكم يا سدير لنصبح به ونمسي** »[3].

④ عنه، عن أحمد بن محمَّد، عن عليّ بن الحكم، عن زكريا بن الحر، عن جابر بن يزيد، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **إنما يبتلي المؤمن في الدنيا على قدر دينه – أو قال –: على حسب دينه** »[4].

⑤ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابه، عن محمَّد بن المثنى الحضرمي، عن محمَّد بن بهلول بن مسلم العبدي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنما المؤمن بمنْزِلة كَفَّةِ الميزان، كلّما زِيْدَ في إيمانه زِيْدَ في بلائه** »[5].

⑥ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمَّد بن مسلم قال: سمعتُ مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **المؤمن لا يمضي عليه**

---

(١) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٢ ح٢.

(٢) غتَّه: أي غمسه.

(٣) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٣ ح٦.

(٤) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٣ ح٩.

(٥) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٣ ح١٠.

أربعون ليلةً إلاّ عرض له أمر يحزنه، يُذَكَّر به »[1].

⑦ محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن فضيل بن عثمان، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ في الجَنَّة مَنْزِلَةً لا يَبْلُغُهَا عَبْدٌ إلاّ بالابتلاء في جسده** »[2].

⑧ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمَّد بن خالد، عن أبيه، عن إبراهيم بن محمَّد الأشعري، عن أبي يحيى الحناط، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: شكوتُ إلى مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع – وكان مسقاماً – فقال عليه السلام لي: « **يا عبد الله لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنَّي أنه قُرِضَ بالمقاريض** »[3].

⑨ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن نوح بن شعيب، عن أبي داود المسترق، رفعه قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **دُعِيَ النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى طعامٍ، فلمّا دَخَلَ مَنْزِلَ الرَّجُلِ؛ نَظَرَ إلى دجاجةٍ فوق حائطٍ قد باضتْ، فَتَقَعُ البيضةُ على وَتَدٍ في حائطٍ، فَثَبُتَتْ عليه ولم تسقطْ ولم تنكسرْ** »، فَتَعَجَّبَ النبيُّ صلى الله عليه وآله منها، فقال له الرَّجل: أعَجِبْتَ من هذه البيضة فوالذي بعثكَ بالحق ما رزئت شيئاً قطّ، قال: فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأكل من طعامه شيئاً وقال: « **مَن لم يُرْزَأْ فما لله فيه من حاجة** »[4].

⑩ عنه، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام وأبي بصير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا حاجة لله فيمن ليس له في ماله وبدنه نصيب** »[5].

---

(١) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٤ ح١١.

(٢) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٥ ح١٤.

(٣) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٥ ح١٥.

(٤) راجع (أصول الكافي) ج٢ ص٢٥٦ ح٢٠.

(٥) راجع نفس المصدر ح٢١.

(١١) محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن سنان، عن عثمان النوا، عمن ذكره، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ الله عزّ وجلّ يبتلي المؤمنَ بكلِّ بليّةٍ، ويُميْتُهُ بكلِّ مِيْتَةٍ ولا يبتليه بذهاب عقله، أمَا ترى أيوبَ عليه السلام كيف سُلِّطَ إبليسُ على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كلِّ شيءٍ منه ولم يسلَّطْ على عقله، تُرِكَ له لِيُوَحِّدَ اللهَ به** »[1].

(١٢) محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن ابن فضال، عن عليّ بن عقبة، عن سليمان بن خالد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلاّ بإحدى خصلتين إما بذهاب ماله، أو ببلية في جسده** »[2].

(١٣) عنه، عن ابن فضال، عن مثنى الحناط، عن أبي أسامة، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ: « **لولا أنْ يجد عبدي المؤمن في قلبه لعصبت رأس الكافر بعصابة حديد، لا يصدع رأسه أبداً** »[3].

بيان في معنى (الوجد) الرواية: الوجد هو الحزن، ويجدُ أي يحزن، يعني لولا مخافة انكسار قلب المؤمن بوجده على ما يراه على الكافر من العافية المستمرة لقويت رأسَ الكافر حتى لا يصدع أبداً، ومفعول الوجدان محذوف أي شكاً أو حزناً شديداً أو يكون الوجد بمعنى الغضب فقوله: « **في قلبه** » للتأكيد أي وجداً مؤثرا في قلبه باقياً فيه، ففي (المصباح) وجدته أجده وجداناً بالكسر ووجدت عليه موجدة أغضبْتُهُ، ووجدت به في الحزن وجداً بالفتح.. انتهى، والعصابة بالكسر ما يشد على الرأس والعمامة والعصب: الطي الشديد وعصب رأسه بالعصابة وعصب أيضاً أي شده بها.

(١٤) عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حسين بن عثمان، عن

(١) راجع نفس المصدر ح٢٢.

(٢) نفس المصدر ح٢٣.

(٣) نفس المصدر ح٢٤.

عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مثل المؤمن كمثل خامة الزرع تكفئها الرياحُ كذا وكذا؛ وكذلك المؤمن تكفئه الأوجاع والأمراض، ومثل المنافق كمثل الأرزبة المستقيمة التي لا يصيبها شيء حتى يأتيه الموت فيقصفه قصفاً** »[1].

⑮ عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه: « **ملعونٌ كلُّ مال لا يُزَكَّى، ملعونٌ كلُّ جسدٍ لا يُزَكَّى ولو في كلِّ أربعين يوماً مرّةً** »، فقيل: يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها، فما زكاة الأجساد؟ فقال صلى الله عليه وآله لهم: « **أنْ تصاب بآفة** »، قال: فتغيَّرَتْ وجوهُ الذين سمعوا ذلك منه، فلما رآهم قد تغيَّرَتْ ألوانُهُم قال صلى الله عليه وآله لهم: « **أتدرون ما عنيتُ بقولي؟** » قالوا: لا يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: « **بلى الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة و يعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين** »[2].

⑯ أبو عليّ الأشعري، عن محمَّد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن ابن بكير قال: سألتُ مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام أيُبْتَلى المؤمنُ بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: فقال: « **وهل كُتِبَ البلاءُ إلاّ على المؤمن** »[3].

⑰ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن سماعة، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في كتاب عليٍّ عليه السلام أنّ: « **أشدّ الناس بلاءً النبيون، ثم الوصيّون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلي المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمَن صَحَّ دِيْنُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ اشتدَّ بلاؤه، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبةً لكافر، ومَن سَخُفَ دِيْنُهُ وضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بلاؤه، وإنّ**

(١) نفس المصدر ح٢٥.

(٢) نفس المصدر ح٢٦.

(٣) نفس المصدر ح٢٧.

البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض »[1].

وفي (المحكي) عن (الكافي) بإسناده عن النخعي عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **مَن أُصيبَ بمصيبةٍ فليذكر مصابه بالنبيّ فإنّه من أعظم المصائب** »[2].

قوله عليه السلام: « **فإنّه من أعظم المصائب** » إشارة إلى أنّ ما أُصيب به النبيّ صلى الله عليه وآله هو بعض ما أُصيب به الإمام الحسين عليه السلام وذلك لأداة التبعيض « **من** » ولو كانت مصيبة النبي صلى الله عليه وآله أعظم المصائب لما كانه ثمّة داعٍ لإدخال التبعيض على متعلق كلامه، ولكان الأولى التعبير بدون « **من** » التبعيضيّة، هكذا: «... **فإنّه من أعظم المصائب** »، ولمّا لم يقل ذلك علمنا أنّ ذلك غير مرادٍ له، مضافاً إلى أنّ قوله عليه السلام في هذه الزّيارة الشّريفة: « **مصيبةً ما أعظمَها وأعظم رزيتها في الاسلام** » لأنّ الظلم الذي لحق بهذا العبد الصالح والوليّ النّاصح لم نرَ ولم نسمع أحداً أُصيب به، فقد أُوذي في جدّه وأمّه وأبيه وأخوته ونسائه وأصحابه وشيعته ونفسه، بل لم يلحق أحد من العالمين بمثل ما لحقه من الحتوف ووعثاء السفر والهجرة والتغريب عن الأوطان مع العيال، والجوع والعطش والقتال ونجدته لإخوته وأصحابه مع شدّة عطشه، ثمّ كثرة الجراحات وضرب الحجارة والرّفس على جسده والتفل في وجهه والطعن في لبته ونبات السّهم المثلّث في وسط صدره وذبح ولده على يده وحصاره واستغاثته وقلّة ناصره، وشدّة حزنه على فراق أحبّته... واللهِ لو لم يكن إلاّ ما فعله الشمر اللعين على صدره لكانت كافية ووافية في تفضيله على العالمين لقوّة صبره ورباطة جأشه، والله لقد فاق سيّدُ الأحرار روحي فداه بصبره العظيم عامّةَ الخلق، من هنا تزلزل الكون والحور والعرش والجَنَّة والنّار واشتدّ غضب الرب لظلامته لكنّه عزّ وجلّ ادّخَرَ له النصر لابن سيِّدة الإماء بقيّة الله الأعظم الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ومحيي القرآن ومبيد الطغيان عجل الله فرجه الشريف وجعلنا الله من خدّامه والمستشهدين بين يديه بمحمّد سيِّد الرسل وآله الطاهرين.

---

(١) نفس المصدر ح٢٩.

(٢) راجع (الكافي) ج٣ ص٢٢٠، باب التعزي، الحديث الأوّل.

﴿ اللهُمّ اجْعَلْنى فى مَقامِى هذا مِمّن تَنالُهُ مِنْكَ صَلَواتٌ ﴾
﴿ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ اللهُمّ اجْعَلْ مَحْياىَ مَحْيا مُحَمّد وَآلِ ﴾
﴿ مُحَمّد وَمَماتى مَماتَ مُحَمّد وَآل مُحَمّد ﴾

قولهعليه السلام: « **اللهمّ اجعلني في مقامي هذا** » دعاء لأنْ يتفضّل اللهُ تعالى عَلَيَّ كزائرٍ للإمام الحسينعليه السلام باللطف والكرامة بما يدل على شدّة محبّته للإمامعليه السلام ؛ لكونه (صلوات ربي عليه) سبباً للرّحمة والمغفرة، فالمراد من « **مقامي هذا** » أمران:

الأوّل: الإقامة بمعنى الاعتقاد بإمامة الإمام الحسينعليه السلام والعمل بأوامره.

الثاني: الإقامة للزيارة.

فحيث إنّ الإمام الحسينعليه السلام مقامه معلوم عند الله تعالى حسبما أفادت الفقرة السابقة بقولهعليه السلام: « **وبالشأن الذي لكم عنده** » فهو بجوار الله تعالى لكونه لا ذنب عليه، ولا يكون قريباً منه وبجواره إلاّ مَن كان طاهراً في نفسه، مطهِّراً لغيره كالماء المعتصم طاهر بنفسه، مطهِّر لغيره، فليس بحاجة إلى مَن يطهره لكونه معتصماً، وكذا الإمامعليه السلام فإنّه طاهر بذاته، لذا هو عند اللهعزّ وجلّ طاهر بذاته ومطهِّرٌ لغيره من المعاصي والذنوب، فالإتصال بهعليه السلام سببٌ لزوال آثار المعاصي من العقوبة والبُعد والجفاء.

والمراد من (تناله) إصابة المراد، مأخوذ من النيل؛ يُقال: نال خيراً إذا أصابه، والأمر منه (نَلْ) بفتح النون، ولا يُراد من النوال هنا هو الأجر والحظ لمخالفته لسياق الفقرة الدالة على هبوط الرّحمة والمغفرة والصّلوات.

فقولهعليه السلام: « **ممن تنالُهُ** » أي من الذين يستحقون إصابة تلك المحبة والمعرفة بحقهم، فإنّ زوّار الإمام الحسينعليه السلام العارفين بحقّه، تنالهم من الصلوات والرّحمة والمغفرة ما لا يمكن وصفه وحصره كما لا يخفى على مَن تتبع الأخبار الواردة في باب زيارته، ففي جملةٍ منها: إنّ مَن زار الإمام الحسينعليه السلام كان كمن زار الله فوق

عرشه، فقد روى ابن قولويه بإسناده عن الحسين ابن محمّد القمي عن مولانا أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال: « **مَن زار قبر أبي عبد الله بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه** »[1].

توضيح: ظاهر الخبر أنّ الله تعالى جالسٌ فوق عرش أو كرسي وهذا غير جائز لاستلزامه التجسيم الممتنع عقلاً على الله تعالى، فالخبر نظير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ سُورَةُ طه، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ... ۝٥٤ ﴾ سُورَةُ الأَعۡرَافِ، والعرش في الخبر والآيتين الكريمتين من المعاني المتشابهة التي لا يجوز حملها على ظاهرها دون الرّجوع إلى المحكمات الأخرى من الآيات والأخبار ودليل العقل.

وعليه فحيث إنّ العرش كلمة تقال للشيء الذي له سقف أو للسرير المرتفعة قوائمه ككرسي السلطان، لذا أُطلق هذا المعنى على سرير بلقيس بقوله تعالى: ﴿ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا... ۝٣٨ ﴾ سُورَةُ النَّمۡلِ.

وهذا المعنى يتنَزَّه عنه واجب الوجود عزّ وجلّ لكونه - حسبما قلنا - يستلزم الجسميّة، والله تعالى ليس جسماً لاقتضائه التركيب والمحدوديّة، والله تعالى الواجب ليس مركباً ولا محدوداً لأنهما من صفات المحدَثات، والمحدَث ممكن، والله تعالى ليس ممكناً[2].

فمن البديهي - إذاً - أنْ لا يكون لله تعالى عرش أو كرسي، بل يراد من العرش المذكور في الخبر والآيتين هو عالم الوجود الذي خلقه بقدرته تعالى، وبناءً عليه فإنّ قوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ... ۝٥٤ ﴾ كناية عن تسلط الله عزّ وجلّ وإحاطته الكاملة بعالم الوجود، ونفوذ أمره وتدبيره في جميع أنحاء العالم.

وعليه فإنّ مَن زار الإمام الحسين عليه السلام كمَن زار الله تعالى في سلطانه وتدبيره، وتشهد له عليها ذرات الكون لشهود الله تعالى له بذلك.

---

(١) راجع (كامل الزيارات) باب٥٩ ص٢٧٨ ح٤٣٨ باب٥٩.

(٢) راجع كتابنا (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة) ج١ باب أنّ الله تعالى ليس مركّباً.

ومنها: إنّ الله تعالى كتبه في عليين، فقد جاء في صحيحة ابن مسكان عن بعض أصحابنا عن مولانا الإمام الصّادق(عليه السلام) قال: « **مَن أتى قبر الحسين(عليه السلام) عارفاً بحقّه كتبه الله في أعلى عليين** »[1].

ومنها: مغفرة الله تعالى لجميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، ففي صحيحة عبد الله بن يحيى الكاهلي عن مولانا الإمام الصّادق(عليه السلام) قال: « **مَن أراد أنْ يكون في كرامة الله يوم القيامة وفي شفاعة محمّد(صلى الله عليه وآله) فليكن للحسين زائراً ينال من الله الفضل والكرامة وحسن الثواب، ولا يسأله عن ذنبٍ عمله في حياة الدّنيا، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامة وزبد البحر، إنّ الحسين (عليه السلام) قُتِلَ مظلوماً مضطَهَداً نفسه عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه** »[2].

ومنها: أنّ الأئمّة الطّاهرين(عليهم السلام) الملائكة يدعون لزائره(عليه السلام) وهنا عدة أخبار هي التالي:

① فقد روى ابنُ قولويه القمّي بإسناده عن موسى بن عمر، عن حسان البصري، عن معاوية بن وهب، قال: استأذنتُ على الإمام أبي عبد الله(عليه السلام) فقيل لي: ادخل، فدخلت، فوجدته في مصلاّه في بيته، فجلستُ حتى قضى صلاته، فسمعتُه وهو يناجي ربَّه وهو يقول: « **اللهم يا مَن خصَّنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصَّنا بالوصيّة، وأعطانا عِلْمَ ما مضى وعِلْمَ ما بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوي إلينا، اغفرْ لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانَهم، رغبةً في بِرِّنا، ورجاءً لما عندكَ في صِلَتِنَا، وسروراً أدخلوه على نبيكَ، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوِّنا، أرادوا بذلك رضوانك.**

فكافِهِم عنّا بالرّضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلفْ على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم، واكفِهِم شرَّ كلّ جبّار عنيد،

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٧٩ ح٤٣٩ باب٥٩.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٢٨٩ ح٤٦٧ باب٦٢.

وكلّ ضعيف من خلقك وشديد، وشرّ شياطين الإنس والجن، وأعطِهم أفضلَ ما أملوا منكَ في غربتهم عن أوطانهم، وما أثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إنّ أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينهَهُم ذلكَ عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على مَن خالفنا، فارْحَمْ تلك الوجوه التي غيَّرَتْها الشمسُ، وارْحَمْ تلك الخدود التي تتقلبُ على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارْحَمْ تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارْحَمْ تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارْحَمْ تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتى توافيهم من الحوض يوم العطش ».

فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلمّا انصرف قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لو أنّ هذا الدعاء الذي سمعتُ منكَ كان لمن لا يعرف الله عز وجل لظننت أنّ النارَ لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيتُ أنّي كنتُ زرتُهُ ولم أحجّ، فقال لي عليه السلام: « **ما أقربَكَ منه، فما الذي يمنعك من زيارته!!!** » ثم قال: « **يا معاوية ولِمَ تَدَعُ ذلكَ** »، قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لم أدْرِ أنّ الأمر يبلغ هذا كلّه، فقال عليه السلام: « **يا معاوية، مَن يدعو لزوّاره في السّماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض** »[1].

(٢) وبإسناده أيضاً عن محمَّد بن جعفر الرزاز الكوفي، عن خاله محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمر بن ابان الكلبي، عن أبان بن تغلب قال: قال مولانا الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **أربعة آلاف مَلَك عند قبر الحسين عليه السلام شُعْثٌ غُبْرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهُم مَلَك يُقال له منصور، فلا يزوره زائرٌ إلاّ استقبلوه، ولا يودّعه مودِّعٌ إلاّ شيَّعوه، ولا يمرض إلاّ عادوه، ولا يموت إلاّ صلُّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته** »[2].

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٢٨ ح٣٣٦ باب ٤٠.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٢٣١ ح٣٤٤ باب ٤١.

ومنها: أنَّ الملائكة تصلّي عليه وهنا اخبار تشير إلى ذلك هي الآتي:

فقد روى ابن قالويه بإسناده عن الحسن بن عبد الله بن محمَّد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي المغرا، عن عنبسة، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: « **وَكَّلَ اللهُ بقبر الحسين بن عليّ عليهما السلام سبعين ألف مَلَك يعبدون الله عنده، الصّلاة الواحدة من صلاة أحدهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، يكون ثواب صلاتهم لزوّار قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام، وعلى قاتله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين أَبَدَ الأبدين** »[1].

ومنها: أنّ زائره عليه السلام في جوار أهل البيت عليهم السلام [2]:

① قال ابن قولويه: حدثني عليّ بن الحسين وعلي بن محمَّد بن قولويه رحمهما الله، عن محمَّد بن يحيى العطار وعلي بن إبراهيم بن هاشم، عن محمَّد بن عيسى بن عبيد بن يقطين اليقطيني، عمن حدثه، عن أبي خالد ذي الشامة، قال: حدثني أبو أسامة، قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **مَن أراد أنْ يكون في جوار نبيه صلى الله عليه وآله وجوار عليّ وفاطمة فلا يدعْ زيارةَ الحسين بن عليّ عليهما السلام** ».

② وباسناده عن أبي بصير قال: سمعتُ مولانا الإمام أبا عبد الله عليه السلام أو أبا جعفر عليه السلام يقول: « **مَن أحبَّ أنْ يكون مسكنُهُ الجَنَّة ومأواه الجَنَّة فلا يَدَعْ زيارةَ المظلوم** »، قلتُ: مَن هو؟ قال عليه السلام: « **الحسين بن عليّ صاحب كربلا، مَن أتاه شوقاً إليه وحبّاً لرسول الله وحبّاً لفاطمة وحبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام، أقعده اللهُ على موائد الجَنَّة يأكلُ معهم والناس في الحساب** ».

③ قال ابن قولويه: حدثني محمَّد بن همام بن سهيل، عن جعفر بن محمَّد بن مالك، قال: حدثنا محمَّد بن عمران، قال: حدثنا الحسن بن الحسين اللؤلؤي، عن محمَّد بن إسماعيل، عن محمَّد بن أيوب، عن الحارث بن المغيرة النصري، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى جعل ملائكة موكلين بقبر**

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٣٥ ح٣٤٩ باب٤٢.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٢٦٠ باب٥٢.

الحسين عليه السلام، فإذا هَمَّ الرَّجُلُ بزيارته واغتَسَلَ نادى محمدٌ صلى الله عليه وآله: يا وفدَ اللهِ أبشروا بمرافقتي في الجَنَّة » – وذكر الحديث.

ومنها: إنّ زائري الإمام الحسين يدخلون الجَنَّة قبل النّاس(1):

قال ابن قولويه: حدثني أبي وأخي وعلي بن الحسين ومحمَّد بن الحسن رحمهم الله جميعاً، عن محمَّد بن يحيى العطار، عن العمركي بن عليّ البوفكي، عن صندل، عن عبد الله بن بكير، عن عبد الله بن زرارة، قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إنّ لزوّار الحسين بن عليّ عليهما السلام يوم القيامة فضلاً على النّاس** »، قلتُ: وما فَضْلُهُم، قال عليه السلام: « **يدخلون الجَنَّة قبل الناس بأربعين عاما وسائر الناس في الحساب والموقف** ».

ومنها: إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام أفضل ما يكون من الأعمال(2):

(١) قال ابن قولويه: حدثني أبي رحمه الله وجماعة أصحابنا، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، قال عليه السلام: « **إنّه أفضل ما يكون من الأعمال** ».

(٢) وعنه، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، قال عليه السلام: « **إنه أفضل ما يكون من الأعمال** ».

(٣) حدثني محمَّد بن الحسن، عن محمَّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمَّد، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألتُهُ عن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، قال عليه السلام: « **إنّه أفضل ما يكون من الأعمال** ».

(٤) حدثني أبو العباس الكوفي، عن محمَّد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب،

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٦١ باب٥٣.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٢٧٦ باب٥٨.

عن رجل، عن ابان الأزرق، عن رجل، عن الإمام أبي عبد الله(عليه السلام)، قال: « **من أحب الأعمال إلى الله تعالى زيارة قبر الحسين(عليه السلام)، وأفضل الأعمال عند الله إدخال السرور على المؤمن، وأقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجدٌ باكٍ** ».

⑤ حدثني محمَّد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبي جهم، عن أبي خديجة، قال: قلتُ للإمام أبي عبد الله(عليه السلام): ما يبلغ من زيارة قبر الإمام الحسين(عليه السلام)؟ قال(عليه السلام): « **أفضل ما يكون من الأعمال** ».

⑥ حدثني محمَّد بن جعفر الرزاز، عن محمَّد بن الحسين، عن عبد الرحمان بن أبي هاشم البزاز، قال: حدثنا سالم أبو سلمة، وهو أبو خديجة، عن الإمام أبي عبد الله(عليه السلام) قال: « **إنّ زيارة الحسين(عليه السلام) أفضل ما يكون من الأعمال** ».

ومنها: أنّ زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) تزيد في العمر والرزق وأنّ تركها تنقصهما[1]:

① قال ابن قولويه: حدثني أبي(رحمه الله) وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله ومحمَّد بن يحيى العطار وعبد الله بن جعفر الحميري جميعاً، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي أيوب، عن محمَّد بن مسلم، عن مولانا الإمام أبي جعفر(عليه السلام)، قال: « **مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين(عليه السلام)، فإنّ إتيانه يزيد في الرزق ويمدّ في العمر ويدفع مدافعَ السّوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمنٍ يقرّ للحسين بالإمامة من الله** ».

② حدثني محمَّد بن عبد الله الحميري، عن أبيه، عن محمَّد ابن عبد الحميد، عن سيف بن عميرة، عن منصور بن حازم قال: سمعناه يقول: « **مَن أتى عليه حَوْلٌ لم يأتِ قبرَ الحسين(عليه السلام) أنقص اللهُ من عمره حولاً، ولو قلت إنّ أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنتُ صادقاً، وذلك لأنكم تتركون زيارة الحسين(عليه السلام)، فلا تدعوا زيارته يمدّ اللهُ في أعماركم ويزيدُ في أرزاقكم، وإذا**

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٨٤ باب٦١.

تركتم زيارته نَقَصَ اللهُ من أعماركم وأرزاقكم فتنافسوا في زيارته، ولا تدعوا ذلك فإنّ الحسين شاهدٌ لكم في ذلك عند الله وعند رسوله، وعند أمير المؤمنين وعند فاطمة عليهم السلام ».

③ حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد، عن محمَّد بن إسماعيل، عمن حدثه، عن عبد الله بن وضاح، عن داود الحمار، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مَن لم يزر قبر الحسين عليه السلام فقد حُرِمَ خيراً كثيراً، ونَقُصَ من عمره سنة** ».

④ حدثني الحسن بن عبد الله بن محمَّد، عن أبيه، عن الحسن ابن محبوب، عن صباح الحذاء، عن محمَّد بن مروان، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **سمعتُه يقول: زوروا الحسين عليه السلام ولو كلّ سنة فإنّ كلّ مَن أتاه عارفاً بحقّه غير جاحدٍ لم يكن له عوض غير الجَنَّة، ورُزِقَ رزقاً واسعاً، وآتاه الله من قبله بفَرَجٍ عاجلٍ** »- وذكر الحديث.

⑤ وحدثني جماعة أصحابنا، عن سعد بن عبد الله، عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب باسناده مثله سواء.

⑥ حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن أحمد بن محمَّد بن أبي نصر، عن بعض أصحابنا، عن ابان، عن عبد الملك الخثعمي، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: « **يا عبدَ الملك لا تَدَعْ زيارةَ الحسين بن عليّ عليهما السلام ومُرْ أصحابَكَ بذلك، يَمُدّ اللهُ في عمرك ويزيدُ الله في رزقكُ، ويحييكَ اللهُ سعيداً ولا تموت إلاّ سعيداً ويكتبكَ سعيداً** ».

ومنها: أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل حججاً[1]:

① قال ابن قولويه: حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٠٢ باب٦٦.

محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن سنان، عن الحسين بن مختار، عن زيد الشحام، عن الإمام أبي عبد الله(عليه السلام)، قال: « **زيارة الحسين(عليه السلام) تعدل عشرين حجّة وأفضل من عشرين حجّة** ».

(٢) وحدثني محمَّد بن يعقوب، عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمَّد باسناده مثله.

(٣) حدثني محمَّد بن الحسن، عن محمَّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح ابن عقبة، عن أبي سعيد المدائني، قال: دخلتُ على الإمام أبي عبد الله(عليه السلام) فقلت: جُعِلْتُ فِدَاكَ آتي قبر الحسين(عليه السلام)؟ قال(عليه السلام): « **نعم يا أبا سعيد إئْتِ قبرَ الحسين ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أطيب الأطيبين وأطهر الطاهرين وأبرّ الأبرار، فإنكَ إذا زرتَهُ كتب اللهُ لكَ به خمسة وعشرين حجّة** ».

(٤) وحدثني محمَّد بن يعقوب، عن محمَّد بن يحيى، عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمَّد بن إسماعيل، باسناده مثله.

(٥) حدثني محمَّد بن جعفر، عن محمَّد بن الحسين، عن أحمد ابن النضر، عن شهاب بن عبد ربه أو عن رجل، عن شهاب -، عن الإمام أبي عبد الله(عليه السلام)، قال: سألني فقال: « **يا شهاب كم حججتَ من حجّة** »، فقلت: تسعة عشر حجّة، فقال (عليه السلام) لي: « **تَمِّمْهَا عشرين حجّة تحسب لكَ بزيارة الحسين(عليه السلام)** ».

(٦) حدثني أبو العباس، قال: حدثني محمَّد بن الحسين، عن ابن سنان، عن حذيفة بن منصور، قال: قال الإمام أبو عبد الله(عليه السلام): « **كم حججت** »، قلت: تسعة عشر، قال: فقال: « **أما إنّكَ لو أتممتَ إحدى وعشرين حجّة لكنتَ كمَن زار الحسين(عليه السلام)** ».

(٧) حدثني أبي(رحمه الله)، عن سعد بن عبد الله، عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمَّد بن سنان، عن محمَّد بن صدقة، عن صالح النيلي، قال: قال أبو عبد الله(عليه السلام): « **مَن أتى قبر الحسين(عليه السلام) عارفاً بحقِّه كان كمَن حجّ مائة**

حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله » .

⑧ وعنه، عن سعد، عن محمَّد بن الحسين، عن محمَّد بن صدقة، عن مالك بن عطية، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **مَن زار الحسين عليه السلام كتب الله له ثمانين حجّة مبرورة** ».

⑨ حدثني أبو العباس الكوفي، عن محمَّد بن الحسين، عن محمَّد بن إسماعيل، عن الخيبري، عن موسى بن القاسم الحضرمي، قال: ورد الإمام أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر فنزل النجف فقال: « **يا موسى اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق وانظر فإنه سيأتيك رجل من ناحية القادسية، فإذا دنا منك فقل له: هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك، فإنه سيجيء معك** ». قال: فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد، فلم أزل قائماً حتى كدتُ اغصي وأنصرف وأدعه، إذ نظرتُ إلى شيء يقبل شبه رجل على بعير، فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني، فقلت له: يا هذا هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك وقد وصفك لي، فقال: إذهبْ بنا إليه، قال: فجئتُ به حتى أناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة، فدعا به فدخل الأعرابي إليه ودنوتُ أنا، فصرتُ على باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما.

فقال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **من أين قدمتَ؟** » قال: من أقصى اليمن، قال عليه السلام: « **أنت من موضع كذا وكذا** »، قال: نعم أنا من موضع كذا وكذا، قال عليه السلام: « **فيم جئتَ هاهنا؟** » قال: جئتُ زائراً للحسين عليه السلام، فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **فَجِئْتَ من غير حاجةٍ ليس إلاّ للزيارة** »، قال: جئتُ من غير حاجة إلاّ أنْ أصلّي عنده وأزوره فأُسَلِّمَ عليه وأرْجعُ إلى أهلي.

فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **وما تَرَوْنَ في زيارته؟** » قال: نري في زيارته البَرَكَةَ في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعايشنا وقضاء حوائجنا، قال: فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **أفلا أزيدُكَ من فضله فضلاً يا أخا اليمن** »، قال: زِدْنِي يا بن رسول الله، قال عليه السلام: « **إنّ زيارة الحسين عليه السلام تعدل حجّة مقبولةً**

زاكيةً مع رسول اللهﷺ ». فتعجب من ذلك، فقال عليه السلام: « **إي والله، وحِجَّتَيْن مبرورَتَين متقبَّلَتَين زاكيَتَيْن مع رسول الله**ﷺ »، فتعجَّبَ، فلم يزل الإمام أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: « **ثلاثين حجّة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله** ﷺ ».

⑩ وحدثني عليّ بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن يزيد بن عبد الملك، قال: كنتُ مع الإمام أبي عبد الله عليه السلام فمَرَّ قومٌ عَلَيَّ حُمْرٌ، فقال لي: « **أين يريد هؤلاء؟** » قلتُ: قبورَ الشهداء، قال عليه السلام: « **فما يمنعهم من زيارة الغريب الشهيد؟** » فقال له رجل من العراق: وزيارته واجبة؟ فقال عليه السلام: « **زيارتُهُ خَيْرٌ من حِجّةٍ وعمرة وعمرة وحجّة، حتى عَدَّ عشرين حجّةً وعشرين عمرةً** »، ثم قال عليه السلام: « **مبرورات متقبلات** ». قال: فوالله ما قمتُ من عنده حتى أتاه رجلٌ فقال: إني قد حججتُ تسع عشرة حجّة فادْعُ الله أنْ يرزقني تمام العشرين، قال عليه السلام: « **فهل زرتَ الحسين**عليه السلام »، قال: لا، قال عليه السلام: « **لَزِيارتُهُ خَيْرٌ من عشرين حجّةً** ».

⑪ حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أبي القاسم، عن هارون بن مسلم بن سعدان، عن مسعدة بن صدقة، قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال عليه السلام: « **تُكْتَبُ له حجّةٌ مع رسول الله**ﷺ »، قال: قلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ حجّة مع رسول الله ﷺ؟! قال عليه السلام: « **نعم وحجتان** »، قال: قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ حجتان؟! قال عليه السلام: « **نعم وثلاث** »، فما زال يعدّ حتى بَلَغَ عَشْراً، قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ عشر حججٍ مع رسول الله ﷺ؟! قال عليه السلام: « **نعم وعشرون حجّة** »، قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وعشرون، فما زال يعد حتى بلغ خمسين، فسكتُّ.

⑫ وحدثني محمَّد بن الحسن بن الوليد، عن محمَّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن ميمون

القداح، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقِّه غير مستكبرٍ ولا مستنكفٍ؟ قال عليه السلام: « **يُكْتَبُ له ألفُ حجّةٍ وألفُ عمرةٍ مبرورةٍ، وإنْ كان شقيّاً كُتِبَ سعيداً ولم يزل يخوض في رحمة الله عزّ وجلّ** ».

ومنها: أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل عتق الرِّقاب[1]:

① قال ابن قولويه: حدثني محمَّد بن جعفر الرزاز الكوفي، عن محمَّد بن الحسين الزيات، عن محمَّد بن سنان، عن محمَّد بن صدقة، عن صالح النيلي، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **مَن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقِّه كتب الله له أجر مَن أعتق ألف نسمة، وكمَن حمل على ألف فرس في سبيل الله مسرجة ملجمة** ».

② حدثني أبي رحمه الله ومحمَّد بن يعقوب، عن محمَّد بن يحيى العطار، عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب باسناده مثله.

③ حدثني أبو العباس القرشي، عن محمَّد بن الحسين، عن محمَّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن أبي سعيد المدائني، قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جُعِلْتُ فِدَاكَ آتي قبر ابن رسول الله عليه السلام؟ قال عليه السلام: « **نعم يا أبا سعيد إئتِ قبر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أطيب الطيبين وأطهر الأطهرين وأبرّ الأبرار، فإذا زرتَهُ كتب اللهُ لكَ عتق خمسة وعشرين رقبة** ».

④ حدثني أبي رحمه الله، عن عدة من أصحابنا، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن أبي سعيد المدائني، قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام – وذكر مثله.

ومنها: أنّ زوّار الإمام الحسين عليه السلام مشفعون[2]:

① قال ابن قولويه: حدثني محمَّد بن الحسين بن مت الجوهري، عن محمَّد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن موسى بن عمر، عن عليّ بن النعمان،

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٠٧ باب٦٧.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٣٠٩ باب٦٨.

عن عبد الله بن مسكان، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ الله تبارك وتعالى يتجلّى لزوّار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم، ثم يثني بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك** ».

(٢) حدثني أبي رحمه الله ومحمَّد بن الحسن وعلي بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن محمَّد بن عيسى بن عبيد، عن صفوان بن يحيى، عن رجل، عن سيف التمار، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: « **زائر الحسين عليه السلام مشفع يوم القيامة لمائة رجل كلهم قد وجبت لهم النار ممن كان في الدنيا من المسرفين** ».

(٣) حدثني أبي رحمه الله ومحمَّد بن الحسن وعلي بن الحسين وعلي بن محمَّد بن قولويه جميعاً، عن أحمد بن إدريس ومحمَّد ابن يحيى، عن العمركي بن عليّ البوفكي، قال: حدثنا يحيى - وكان في خدمة مولانا أبي جعفر الثاني عليه السلام -، عن عليّ، عن صفوان الجمال، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديث له طويل، قلت: فما لمن قتل عنده - يعني قبر الحسين - جار عليه السلطان فقتله، قال: « **أول قطرة من دمه يغفر له بها كلّ خطيئة وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أدناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملأ إيماناً، فيلقي الله وهو مخلص من كلّ ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولي الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت، ويؤتي بكفنه وحنوطه من الجَنَّة، ويوسع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويفتح له باب من الجَنَّة، وتأتيه الملائكة بالطرف من الجَنَّة. ويرفع بعد ثمانية عشر يوما إلى حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تبقي شيئاً، فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء، ويبشرونه ويقولون له: ألزمنا، ويقيمونه على الحوض فيشرب**

منه ويسقي مَن أحبَّ ».

④ حدثني أبي رحمه الله ، عن الحسين بن الحسن بن ابان ، عن محمَّد بن أورمة ، عن أبي عبد الله المؤمن ، عن ابن مسكان ، عن سليمان بن خالد ، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام ، قال : سمعته يقول : « **إنّ لله في كلّ يوم وليلة مائة ألف لحظة إلى الأرض يغفر لمن يشأ منه ويعذب مَن يشاء منه، ويغفر لزائري قبر الحسين** عليه السلام **خاصة ولأهل بيتهم ولمن يشفع له يوم القيامة كائنا من كان** » ، قلتُ : وإنْ كان رجلاً قد استوجبه النار ، قال : « **وإنْ كان ما لم يكن ناصبياً** ».

⑤ حدثني الحسن بن عبد الله بن محمَّد بن عيسى ، عن أبيه عبد الله بن محمَّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن وضاح ، عن عبد الله بن شعيب التميمي ، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال : « **ينادي منادٍ يوم القيامة: أين شيعة آل محمَّد؟ فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم إلاّ الله تعالى، فيقومون ناحية من الناس، ثم ينادي مناد: أين زوّار قبر الحسين** عليه السلام**؟ فيقوم أناس كثير، فيقال لهم: خذوا بيد مَن أحببتم إنطَلِقُوا بهم إلى الجَنَّة. فيأخذ الرجل مَن أحب، حتى أنّ الرجل من الناس يقول لرجل: يا فلان أمَا تعرفني أنا الذي قمت لك يوم كذا وكذا، فيدخله الجَنَّة لا يُدْفَع ولا يُمْنَع** ».

ومنها : أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام ينفَّس بها الكرْبُ وتُقضَى بها الحوائجُ[1] :

① قال ابن قولويه : حدثني أبو القاسم جعفر بن محمَّد بن إبراهيم بن عبيد الله الموسوي العلوي ، عن عبيد الله بن نهيك ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ابن الحكم ، عن فضيل بن يسار قال : قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام : « **إنّ إلى جانبكم لقبراً ما أتاه مكروبٌ إلاّ نَفَّسَ اللهُ كُرْبَتَهُ وقضى حاجَتَهُ** ».

② وعنه ، عن عبيد الله بن نهيك ، عن محمَّد بن أبي عمير ، عن سلمة صاحب السابري ، عن أبي الصباح الكناني ، قال : سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول : « **إنّ**

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣١٢ باب٦٩.

إلى جانبكم قبراً ما أتاه مكروبٌ إلاّ نَفَّسَ اللهُ كربَتَهُ وقضى حاجَتَهُ، وإنّ عنده أربعة آلاف مَلَك منذ قُبِضَ شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمَن زاره شيَّعُوه إلى مأمنه، ومَن مَرِضَ عَادُوْهُ، ومَن مات اتّبَعُوا جنازتَهُ ».

③ حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن عليّ بن إسماعيل بن عيسى، عن محمَّد بن عمرو الزيات، عن كرام، عن إسماعيل ابن جابر، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته وهو يقول: « **إنّ الحسين عليه السلام قُتِلَ مكروباً، وحقيقٌ على الله أنْ لا يأتيه مكروبٌ إلاّ رَدَّهُ اللهُ مسروراً** ».

④ وحدثني محمَّد بن الحسن، عن محمَّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن فضال، عن مفضل بن صالح، عن محمَّد بن عليّ الحلبي، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ الله عَرَضَ ولايتَنَا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة، وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروبٌ فيصلي عنده أربع ركعات إلاّ رجعه الله مسروراً بقضاء حاجته** ».

⑤ حدثني الحسن بن عبد الله بن محمَّد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمَّد بن مسلم، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: « **إنّ الحسين صاحب كربلاء قُتِلَ مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً، وحَقَّ على الله عزّ وجلّ أنْ لا يأتيه لهفانٌ ولا مكروبٌ ولا مذنبٌ ولا مغمومٌ ولا عطشانٌ ولا ذو عاهة ثم دعا عنده وتقرب بالحسين عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ، إلاّ نَفَّسَ اللهُ كربَتَهُ وأعطاه مسألَتَهُ وغَفَرَ ذَنْبَهُ ومَدَّ في عمره وبَسَطَ في رزقه، فاعتبروا يا أُولي الأبصار** ».

⑥ حدثني أبي وجماعة مشايخي ومحمَّد بن الحسن، عن محمَّد بن يحيى وأحمد بن إدريس، عن العمركي، عن يحيى - وكان في خدمة مولانا أبي جعفر عليه السلام -، عن بعض أصحابنا، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ بظهر الكوفة لقبراً ما أتاه مكروبٌ قطّ إلاّ فَرَّجَ اللهُ كربَتَهُ - يعني قبر الإمام الحسين عليه السلام -** ».

⑦ حدثني محمَّد بن جعفر، عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمَّد بن

ناجية، عن عامر بن كثير، عن أبي النمير، قال: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **إنّ ولايتنا عُرِضَتْ على أهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة، وذلك لأنّ قبر عليّ عليه السلام فيها، وإنّ إلى لزقه لقبراً آخر - يعني قبر الإمام الحسين عليه السلام - فما من آتٍ يأتيه فيصلي عنده ركعتين أو أربعة ثم يسأل الله حاجته إلاّ قضاها له، وانه ليحفّ به كلّ يوم ألف مَلَك** ».

⑧ حدثني أبو العباس الكوفي، عن محمَّد بن الحسين، عن صفوان، عن الوليد بن حسان، عن ابن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: دعاني الشوق إليك ان تجشمت إليك عليّ مشقة، فقال لي: « **لا تشك ربك، فهلا أتيت من كان أعظم حقاً عليك مني** »، فكان من قوله: فهلا أتيت مَن كان أعظم حقاً عليك مني أشد عليّ من قوله: لا تشك ربك، قلت: ومن أعظم عليّ حقا منك، قال: « **الحسين ابن عليّ عليهما السلام، إلاّ أتيت الحسين عليه السلام فدعوت الله عنده وشكوت إليه حوائجك** ».

⑨ حكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن إبراهيم بن محمَّد، عن عليّ بن المعلى، عن إسحاق بن يزداد قال: أتى رجلٌ الإمام أبا عبد الله عليه السلام فقال: اني قد ضربت على كلّ شي لي ذهباً وفضة وبعت ضياعي فقلت: أنزل مكة، فقال: « **لا تفعل فانّ أهل مكة يكفرون بالله جهرةً** »، فقلتُ: ففي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: « **هم شرٌّ منهم** »، قلتُ: فأين أنزل، قال: « **عليكَ بالعراق الكوفة فانّ البركة منها على اثني عشر ميلاً، هكذا وهكذا، والى جانبها قبرٌ ما أتاه مكروبٌ قط ولا ملهوفٌ إلاّ فرَّج اللهُ عنه** ».

ومنها: أنّ زائري الإمام الحسين عليه السلام العارفين بحقّه تشيّعهم الملائكةُ، وتستقبلهم وتعودهم إذا مرضوا، يشهدونهم إذا ماتوا، ويستغفرون لهم إلى يوم القيامة[1]:

① قال ابن قولويه: حدثني أبي ومحمَّد بن الحسن، عن الحسين بن حسن بن

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٤٩ باب٧٧.

ابان، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمَّد الجوهري، عن إسحاق ابن إبراهيم، عن هارون بن خارجة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: « **وكَّلَ اللهُ بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف مَلَك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمَن زاره عارفاً بحقِّه شيعوه حتى يبلغوه مأمنه، وإنْ مرض عادوه غدوة وعشية، وإنْ مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيامة** ».

(٢) حدثني محمَّد بن جعفر، عن محمَّد بن الحسين، عن محمَّد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي إسماعيل السراج، عن يحيى بن معمر العطار، عن أبي بصير، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: « **أربعة آلاف مَلَك شعث غبر يبكون الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلاّ استقبلوه، ولا يرجع أحد من عنده إلاّ شيعوه، ولا يمرض أحد إلاّ عادوه، ولا يموت أحد إلاّ شهدوه** ».

(٣) وحدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد ابن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن إسماعيل بن بزيع باسناده مثله.

(٤) حدثني أبي، عن سعد، عن محمَّد بن الحسين، عن موسى ابن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمر بن ابان، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام مثله.

(٥) حدثني جعفر بن محمَّد بن إبراهيم، عن عبد الله بن نهيك، عن ابن أبي عمير، عن سلمة صاحب السابري، عن أبي الصباح الكناني، قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إنّ إلى جانبكم قبراً ما أتاه مكروب إلاّ نفس الله كربته وقضى حاجته، وإنّ عنده أربعة آلاف مَلَك منذ يوم قبض شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمَن زاره شيعوه، ومَن مرض عادوه، ومَن مات اتبعوا جنازته** ».

(٦) حدثني أبي وجماعة مشايخي، عن محمَّد بن يحيى العطار، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن محمَّد اليماني، عن منيع بن الحجاج، عن يونس بن عبد الرحمن، عن صفوان الجمال، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام. قال: « **إنّ الرجل إذا خرج من منزله يريد زيارة الحسين شيعه سبعمائة مَلَك من فوق رأسه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه،**

حتى يبلغونه مأمنه، فإذا زار الحسين عليه السلام ناداه مناد: قد غفر اللهُ لكَ فاستأنِفْ العملَ، ثم يرجعون معه مشيِّعين له إلى منزله، فإذا صاروا إلى منزله قالوا: نستودعكَ الله، فلا يزالون يزورونه إلى يوم مماته، ثم يزورون قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم، وثواب ذلك للرجل ».

(٧) وعنه، عن محمَّد بن يحيى باسناده إلى منيع، عن زياد، عن عبد الله بن مسكان، عن محمَّد الحلبي، قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إنّ اللهَ وَكَّلَ بقبر الحسين عليه السلام أربعةَ آلاف مَلَك شعثاً غبراً إلى أن تقوم الساعة، يشيعون مَن زاره، يعودونه إذا مرض، ويشهدون جنازته إذا مات** ».

(٨) حدثني محمَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمَّد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن ابان، عن أبي حمزة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ الله وَكَّلَ بقبر الحسين عليه السلام أربعةَ آلاف مَلَك شعثاً غبراً، فلم يزل يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف مَلَك وصعد أربعة آلاف مَلَك، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر ويشهدون لمن زاره، ويشيعونه إلى أهله، ويعودونه إذا مرض، ويصلُّون عليه إذا مات** ».

(٩) حدثني أبي وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن محمَّد بن خالد البرقي، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن الإمام أبي إبراهيم عليه السلام، قال: « **من خرج من بيته يريد زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكل الله به ملكا يضع إصبعه في قفاه فلم يزل يكتب ما يخرج من فيه حتى يرد الحائر، فإذا دخل من باب الحائر وضع كفه وسط ظهره ثم قال له: أما ما مضى فقد غفر لك فاستأنِف العملَ** ».

(١٠) حدثني محمَّد بن الحسن، عن محمَّد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمَّد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن مولانا الإمام أبي إبراهيم عليه السلام، قال: مَن خرج من بيته يريد زيارة قبر الحسين عليه السلام - مثله.

(١١) حدثني أبي ومحمَّد بن عبد الله رحمهما الله جميعاً، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بن مهزيار، عن أبي القاسم، عن القاسم بن محمَّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون بن خارجة، قال: سأل رجلٌ الإمام أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده فقال: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال عليه السلام: « **إنّ الحسين عليه السلام لما اُصيِبَ بَكَتْهُ حتى البلاد، فَوَكَّلَ اللهُ به أربعة آلاف مَلَك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمَن زاره عارفاً بحقِّه شيّعوه حتى يبلغوه مأمنه، وإنْ مرض عادوه غدوة وعشية، وإنْ مات شهدوا جنازتَهُ واستغفروا له إلى يوم القيامة** ».

(١٢) حدثني محمَّد بن جعفر، عن محمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمر بن ابان الكلبي، عن أبان بن تغلب قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **هبط أربعةُ آلاف مَلَكٍ يريدون القتالَ مع الحسين عليه السلام فلم يُؤْذَنْ لهم في القتال، فَرَجِعُوا في الاستيذان، فهبطوا وقد قُتِلَ الحسينُ عليه السلام، فهم عند قبره شعثُ غُبُرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسُهم مَلَكٌ يُقال له منصور، فلا يزوره زائرٌ إلاّ استقبلوه، ولا يودِّعُهُ مودِّعٌ إلاّ شيعوه، ولا يمرض مريضٌ إلاّ عادوه، ولا يموت إلاّ صلُّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته، وكلُّ هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام** ».

(١٣) حدثني أبو العباس الرزاز، عن ابن أبي الخطاب، قال: حدثني محمَّد بن الفضيل، عن محمَّد بن مضارب، عن مالك الجهني، عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: « **يا مالك ان الله تبارك وتعالى لما قبض الحسين عليه السلام بعث إليه أربعة آلاف مَلَك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره عارفاً بحقِّه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له حجّة، ولم يزل محفوظاً حتى يرجع إلى أهله. قال: فلمّا مات مالك وقبض الإمام أبو جعفر عليه السلام دخلت على الإمام أبي عبد الله عليه السلام فأخبرتُه بالحديث، فلما انتهيتُ إلى حجّة، قال عليه السلام: وعمرة يا محمَّد** ».

ومنها: أنّ الحائر من المواضع التي يحب اللهُ أنْ يُدعَى فيها[1]:

① قال ابن قولويه: حدثني أبي ومحمَّد بن الحسن، عن الحسن بن متيل، عن سهل بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إليَّ الإمام أبو الحسن عليه السلام في مرضه والى محمَّد بن حمزة، فسبقني إليه محمَّد بن حمزة فأخبرني أنه ما زال يقول: « **ابعثوا إلى الحائر** »، فقلتُ لمحمَّد: إلاّ قلت له: أنا أذهب إلى الحائر، ثم دخلتُ عليه فقلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ أنا أذهب إلى الحائر، فقال: « **انظروا في ذلك** »، ثم قال: « **إنّ محمَّداً ليس له سر من زيد بن عليّ وأنا أكره أنْ يسمع ذلك** »، قال: فذكرتُ ذلك لعليّ بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر. فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي اجلس حين أردت القيام، فلما رأيته انس بي ذكرت قول عليّ بن بلال فقال لي: إلاّ قلت له: « **ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر، وحرمة النبي صلى الله عليه وآله والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله أن يقف بعرفة، إنما هي مواطن يحب الله ان يذكر فيها، فأنا أحب ان يدعى لي حيث يحب الله ان يدعى فيها، والحائر من تلك المواضع** ».

② حدثني عليّ بن الحسين وجماعة، عن سعد بن عبد الله، عن محمَّد بن عيسى، عن أبي هاشم الجعفري، قال: دخلت انا ومحمَّد بن حمزة عليه نعوده وهو عليل، فقال لنا: « **وجهوا قوماً إلى الحائر من مالي** »، فلمّا خرجنا من عنده، قال لي محمَّد بن حمزة: المشير يوجهنا إلى الحائر وهو بمنزلة مَن في الحائر، قال: فعدتُ إليه فأخبرته، فقال لي: « **ليس هو هكذا إنّ لله مواضع يحب أنْ يُعْبَدَ فيها، وحائرُ الحسين عليه السلام من تلك المواضع** ».

ومنها: أنّ الملائكة تقدّس زوّاره عليه السلام:

① عن صالح، عن الحارث بن المغيرة، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إنّ لله ملائكة موكَّلين بقبر الحسين عليه السلام فإذا هَمَّ بزيارته الرجلُ أعطاهم الله**

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٤٥٨ باب٩٠.

ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثم إذا خطا ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتى توجب له الجَنَّة، ثم اكتنفوه وقدسوه وينادون ملائكة السماء أنْ قَدِّسُوا زوّارَ حبيبِ حبيبِ الله، فإذا اغتسلوا ناداهم محمَّدﷺ: يا وفدَ الله أبشروا بمرافقتي في الجَنَّة، ثم ناداهم أمير المؤمنينعليه السلام: انا ضامن لقضاء حوائجكم ودفع البلاء عنكم في الدنيا والآخرة، ثم التقاهم النبيﷺ عن إيمانهم وعن شمائلهم حتى ينصرفوا إلى أهاليهم »[1].

ومنها: أنّ زيارتهعليه السلام توجب غفران الذنوب:

① قال بن قولويه: حدثني عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه وجماعة رحمهم الله، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله ابن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن جابر المكفوف، عن أبي الصامت، قال: سمعتُ الإمام أبا عبد اللهعليه السلام وهو يقول: « **مَن أتى قبر الحسينعليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة. فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعَلِّق نعليكَ وامشِ حافياً، وامشِ مَشْيَ العَبْدِ الذّليل، فإذا أتيتَ بابَ الحائر فكَبِّرْ أربعاً، ثم امشِ قليلاً ثم كَبِّرْ أربعاً، ثم ائتِ رأسَه فقِفْ عليه فَكَبِّرْ أربعاً وصَلِّ عنده، واسألِ اللهَ حاجتَكَ** »[2].

② حدثني أبيرحمه الله، عن الحسين بن الحسن بن ابان، عن محمَّد بن أورمة، عمن حدثه، عن عليّ بن ميمون الصائغ، عن الإمام أبي عبد اللهعليه السلام، قال: « **يا عليّ زُرِ الحسينَ ولا تَدَعَهُ** »، قال: قلتُ: ما لمن أتاه من الثواب، قال: « **مَن أتاه ماشياً كتب اللهُ له بكلّ خطوةٍ حَسَنَةً ومحى عنه سيئةً ورَفَعَ له درجةً، فإذا أتاه وَكَّلَ اللهُ به مَلَكَين يكتبان ما خرج من فِيهِ مِن خيرٍ ولا يكتبان ما يخرج من فِيْهِ من شرٍّ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودعوه وقالوا: يا ولي الله مغفورا لك، أنتَ من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى**

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٥٤ باب٤٩ ح٣٨٠.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٢٥٤ باب٤٩ ح٣٨١.

النارَ بعينكَ أبداً، ولا تراكَ ولا تطعمكَ أبداً »[1].

والخلاصة: فإنّ زيارته عليه السلام توجب نيل الصلوات والرّحمة والمغفرة من الله تعالى، والتنكير الوارد في الألفاظ الثلاثة (صلواتٌ ورحمةٌ ومغفرةٌ) للتعظيم، أو التكثير أو النوعيّة، والفرق بينها: أنّ الصّلوات تختصّ بمَن لا ذنب له، والمغفرة بمن عليه ذنْب، والرّحمة تشملهما، فتكون الرّحمة أعمّ من الصّلاة والمغفرة.

وأمّا قوله: « **اللهم اجعَلْ محياي محيا محمّد وآل محمّد** » فيُراد منه أن إجعَلْ حياتي مثل حياتهم في الرّغبة إلى الخيرات والأعمال الصّالحة، ومماتي مثل مماتهم في سبيل الله تعالى ومخلصاً إليه كما كانوا مخلصين إليه، فبذلك استحقّوا الصّلوات والرّحمة والسّعادة الدائمة. روى القندوزي الحنفي عن ابن عبّاس[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **مَن سرّه أنْ يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنات عدن التي غرس فيها قضيباً ربي، فليوالِ عليّاً وليوالِ وليَّه، وليقتدِ بالأئمّة من ولده من بعده، فإنهم عترتي، خُلقوا من طينتي، ورُزقوا فهماً وعلماً، وويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم اللهُ شفاعتي** ».

وأخرج أيضاً عن زياد بن مطرق قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: « **مَن أحبَّ أنْ يحيا حياتي ويموت مماتي، ويدخل الجَنَّةَ فلْيَتَوَلَّ عليّاً وذريته من بعده** »[3].

فقوله عليه السلام: « **محياي ومماتي** » مصدران ميميان، ويُحتَمل كونهما اسمي زمان أي اجعلني بحيث أحيى في زمان حياتهم وهو زمان الرّجعة، وأموت في زمان مماتهم أي عند رفعهم إلى السّماء بعد انقضاء الدنيا.

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٥٥ باب٤٩ ح٣٨٣.

(٢) راجع (ينابيع المودّة) ص١٤٩ باب٤٣، (كامل الزيارات) ص١٤٦ح١٧١؛ وفيه: (أعطاهم فهمي وعلمي وهم عترتي من لحمي ودمي).

(٣) راجع (ينابيع المودة) ص١٤٩ باب٤٣.

﴿ اللهُمّ إنّ هَذا يَوْمٌ تَبَرّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيّةَ وَابْنُ آكِلَةِ ﴾

﴿ الأكْبادِ اللعِينُ بْنُ اللعِينِ عَلَى لِسانِكَ وَلِسانِ ﴾

﴿ نَبِيّكَ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ فى كُلِّ مَوْطِن وَمَوْقِف ﴾

﴿ وَقَفَ فِيهِ نَبيُكَ صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴾

هنا ينفِّس الداعي عن مكنون صدره مستغيثاً محزوناً على الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتل مظلوماً لا لجرمٍ اقترفه أو عرضٍ استباحه أو مالٍ اغتصبه، حاشا وكلاّ! بل يرجع ظلمهم له إلى أمور:

الأمر الأوّل: إجهاره بالحقّ ورفضه للباطل، وعدم استعماله للتقية للحفاظ على حياته، ولهذا الأمر مبرراته منها:

- الأمر الإلهي بالخروج على طاغوت زمانه.

ومنها: وجود ثلّة مخلصة جاهدت معه.

ومنها: وجود مبرِّرات موضوعيّة اقتضت الخروج والقيام.

ومنها: إنّ عدم القيام يؤدي إلى مفاسد عظيمة على المستوى العقائدي والتشريعي.

ومنها: أنْ يكون قيامه أُسوةً لغيره من الثائرين على الباطل.

الأمر الثاني: عدم خنوعه وانقياده ليزيد لعنه الله تعالى.

الأمر الثالث: معارضة مصالح يزيد للحقِّ الذي صدع به الإمام الحسين عليه السلام.

الأمر الرابع: بغض يزيد للعترة النبويّة كما كان أبوه معاوية، وقبله أبو سفيان الشجرة الملعونة في القرآن.

وسبب البغض هو الحسد، والحسد من آثار حبّ الدنيا؛ لأنّ الحاسد إنما يتمنى زوال النعمة عن المحسود ليتفرّد بحبّ الآخرين له ليكون الزعيمَ أو الحاكمَ أو السّلطان، وقد يكون الحسد لمناشئ ذاتية في نفس الحاسد دون طروء عناوين أخرى

عليه بل لمجرد ا لشقاوة الداخليّة التي تعتريه وتغلب على عقله وروحه.

وبهذا يندفع ما أفاده أحد الأعلام رحمه الله بأنّ منازعة أ بي بكر وعمر لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بسبب حبّ الدنيا وليس بسبب نصبهما وعدوانهما له عليه السلام، فقال: « **من هنا يحكم بإسلام الأولين الغاصبين لحقّ أمير المؤمنين عليه السلام إسلاماً ظاهريّاً لعدم نصبهم – ظاهراً – عداوة لأهل البيت، وإنما نازعوهم في تحصيل المقام والرياسة العامّة** »[1].

وقد أجاد تلميذه العلاّمة الجليل السيِّد تقي الطبطبائي القمي في ردّه عليه بقوله: « **من الغريب ما عن سيدنا الأستاذ.. فإنا نسأل من سيدنا الأستاذ أي عداوة أعظم من الهجوم إلى دار الصدِّيقة وإحراق بابها وضرب الطاهرة الزكية وإسقاط ما في بطنها وهتك حرمة مولى الثقلين وأخذه كالأسير المأخوذ من الترك والديلم، وسوقه إلى المسجد لأخذ البيعة منه جبراً وتهديده بالقتل، وإنكار كونه أخا رسول الله صلى الله عليه وآله... والذي يدلّ على نصبهم وعداوتهم وانحرافهم أنّ الصدِّيقة المعصومة لم ترد جواب سلام الرّجلين، وأعرضَتْ وجهها عنهما وقالت للأوّل: والله لأدعونّ عليكَ ما دام حياتي... وإلى الله ورسوله المشتكى، ولقد أجاد المحقق الأصفهاني في منظومته حيث قال:**

لكنّ كسر الضّلع ليس ينجبر إلاّ بصمصام عزيزٍ مقتدرِ »[2].

نضيف إلى ما تقدّم:

إنّه إذا لم يكن الاعتداء على سيّدة نساء العالمين الزّهراء البتول عليها السلام وصفعها على خدّها حتى تناثر قرطها، ورفسها على بطنها حتى أسقطت جنينها البالغ من العمر ستة أشهر، وتكسير أضلاعها حتى ماتت بسبب ذلك... إلخ، نصباً وعداوةً فبماذا يا تُرى يتحقق النصب والعداوة؟ مع أنّ صاحب الدّعوى رحمه الله قد عرَّف النصب والعداوة في بحوثه الأخرى بأنّه إعلان وإشهار البغض لأهل البيت عليهم السلام بالبراءة منهم وسبّهم وقتلهم، وكلّ ذلك فعله المغتصبون... أبعد هذا كلّه يأتي صاحب الدّعوى

---

(١) راجع (مباني منهاج الصالحين) ج٣ ص٢٥٠؛ نقلاً عن (فقه الشيعة) ج٣ ص١٢٦، وهو تقرير أبحاث السيِّد الخوئي غفر الله له.

(٢) راجع المصدر السابق نفسه.

وينفي عن هؤلاء النصب بل إنّ ما فعلوه إنّما كان لأجل الدّنيا، وهل الدّنيا تبيح للغاصب الاعتداء على سيّد الموحّدين وإذلاله بالاعتداء على زوجته سيّدة النساء وبضعة النبي بل روحه التي بين جنبيه؟! وهل أذية مَنْ لأجله خلق الله تعالى الجنّة والنار فعلاً دنيوياً محضاً خالياً من النصب والعداوة؟! وإذا كان كذلك فإذاً ليس هناك ناصبيٌّ على وجه الأرض أصلاً، بل إنّ مَن قتل بقيّة الأئمّة الميامينﷺ أُناسٌ غرّتهم الدّنيا فأبادوهم حبّاً للدنيا وليس نصباً وعداوةً لأهل بيت العصمة والطهارة ﷺ، وبالتالي ترتفع الأحكام الفقهيّة التي دلّت على كفر النواصب والآثار المترتبة على ذلك وهي مدوَّنة في الكتب الفقهيّة الحديثيّة والاستدلاليّة والعمليّة، ومنها رسالة صاحب الدّعوى، فكان الواجب عليه رحمه الله أن يحذف بحث النواصب من رسالته العمليّة لعدم وجود ناصبي في زمن سيّدة النساءعليها السلام فكيف بزماننا هذا؟!!!

عودٌ على بَدء:

فاليوم الذي استُبيح فيه دمُ أشرف الخلائق - أي يوم عاشوراء الذي هو امتداد وفرع لما حصل على سيّدة النساء الزّهراء المظلومةعليها السلام - قد تبرّك فيه بنو أميّة وابن زياد وابن آكلة الأكباد وهي هند أمّ معاوية، وهو يوم كان الجاهليّون يتركون فيه القتال لحرمته عندهم.

قال مولانا الإمام الرِّضاعليه السلام: « **مَن ترك السّعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومَن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينُه، ومَن سمّى يوم عاشوراء يوم برَكَة وادّخر فيه لمنْزِله شيئاً لم يُبارَك له فيما ادَّخَرَ، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النّار** »[1]. وروى الصّدوق في العلل بإسناده إلى عبد الله بن الفضل قال: قلتُ للإمام أ بي عبد اللهعليه السلام: يا بن رسول الله كيف صار

(١) راجع (علل الشرائع) ج١، ص٢٦٦، باب١٦٢ح٢.

يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، واليوم الذي ماتت فيه سيّدة النساء فاطمةعليها السلام، واليوم الذي قُتِلَ فيه أمير المؤمنينعليه السلام، واليوم الذي قُتِلَ فيه الإمام الحسنعليه السلام بالسمّ؟ فقال: « **إنّ يوم قُتِلَ الحسين أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أنّ أصحاب الكساء الذين هم كانوا أكرم الخلق على الله كانوا خمسةً، فلمّا مضى عنهم النبيّ** صلى الله عليه وآله **بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلم مضى الحسن كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلمّا قتل الحسين**عليه السلام **لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحدٌ للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبةً...** » إلى أنْ قال: قال عبد الله بن الفضل: فقلت له: يا بن رسول الله فكيف سمّت العامة عاشوراء يوم بركة؟ فبكى ثمّ قال: « **لمّا قتل الحسين تقرّب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار، وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنّه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسّرور والتبرُّك، حكم الله بيننا وبينهم** »[1].

ويؤكّد كون اليوم الذي قُتِلَ فيه سيّد الشهداء من أعظم الأيام مصيبةً ما روي عن الإمام الحسن المجتبىعليه السلام: « **لا يوم كيومكَ يا أبا عبد الله** »[2].

والإبن في قولهعليه السلام: « **وابن آكلة الأكباد** » يشير إلى يزيد ابن معاوية، والابن والأب واحد، فالإبن يصحّ أنّ ينادي جدّته بأنها أمّه، فآكلة الأكباد هي هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأمّ معاوية، أرادت أنْ تأكل كبد حمزة عمّ الرّسولصلى الله عليه وآله حينما جاءت هند إلى مصرع حمزة فمثلت به وجدعت أنفسه وقطعت أُذنيه

(١) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٢٦٤، باب١٦٢ح١.

(٢) راجع (أمالي الصّدوق) ص١٧٧ المجلس الرّابع والعشرون ح١٧٩، (مدينة المعاجز) ج٣ ص٣٩٤ ح٩٤٢، (بحار الأنوار) ج٤٥ ص٢١٨ باب٤٠ ح٤٤.

ومذاكيره[1]، ثمّ جعلت ذلك كالسوار في يديها وقلائد في عنقها، وأنها بقرت بطن حمزة واستخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أنْ تسيغها، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا بلغه إخراجها كبد حمزة: « **هل أكلت منه شيئاً؟** » قالوا: لا، قال صلى الله عليه وآله: « **إنّ الله حرّم النّار أنْ تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً** »[2]. وقال الإمام الصّادق عليه السلام: « **أبى اللهُ تعالى أنْ يُدخِلَ شيئاً من بدن حمزة النّار** »[3].

وبالجملة؛ فإنّ المراد من ابن آكلة الأكباد في هذه الفقرة يزيد بن معاوية، وليس معاوية بن أبي سفيان؛ لأنّه لم يكن حيّاً يومذلك، وإن كان الإنطباق على معاوية أقوى من إنطباقه على يزيد لأن جدته كانت مشهورة بأكل الأكباد، واللعين الأوّل الوارد في الفقرة وصف ليزيد، والثاني لأبيه معاوية أو أبي سفيان، وكانا ملعونين على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله كما كان يزيد لعيناً عند أهل السّماوات والأرض.

ومن كلام مولانا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مجلس معاوية لعنه الله تعالى، قال: « **وأنتم في رهطٍ قريبٍ من عدة أولئك الذين لعنوا على لسان رسول الله، فأشهدُ عليكم أنكم لُعناء الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله كلّكم، وأنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله بعث إليك لتكتب لبني خزيمة...** » إلى أنْ قال عليه السلام: « **أنشدكم الله هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً إنّكَ يا معاوية كنتَ تسوق بأبيك على جملٍ أحمر، ويقوده أخوكَ هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله القائدَ والرّاكبَ والسّائقَ، فكان أبوكَ الرّاكب، وأنتَ يا أزرق السّائقَ، وأخوكَ هذا القاعد القائد** »، ثمّ قال عليه السلام: « **أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن أولهُنَّ: حين خرج من مكّة إلى المدينة، وأبو سفيان جاء من الشّام فوقع فيه أبو سفيان فسبّه وأوعده**

---

(١) مذاكيره: أي عضوه وهو الذَكَر المعروف، وجمعه ذَكْرَة كعنبة، ومذاكير على غير القياس، راجع (مجمع البحرين) ج٣ ص٣١٣ مادّة: (ذكر).

(٢) راجع (السيرة الحلبية) ج٢ ص٢٤٤.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٠، ص٥٥، الباب الثاني عشر.

وهَمَّ أنْ يبطش به ثمّ صرفه الله عنه ».

والثاني: يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله.

والثالث: يوم أحد، يوم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **الله مولانا ولا مولى لكم** »، وقال أبو سفيان: (لنا العزى ولا عزّى لكم) فلعنه اللهُ وملائكته ورسوله والمؤمنون أجمعون.

والرّابع: يوم حنين، يوم جاء أبو سفيان يجمع قريش وهوازان...إلى آخر الحديث وهو طويل[1].

﴿ اللهُمّ الْعَنْ أبَا سُفْيانَ وَمُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ﴾ ﴿ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللعْنَةُ أبَدَ الآبِدِينَ ﴾

بعد شمول اللعنة العامة لمن ظلم الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وكذا لعن مَن أسّس أساس الظلم على النبي وأهل بيته الميامين عليهم السلام، جاءت الفقرة الشريفة لتأكيد اللعن أو لتخصيص وتمييز معاوية وابنه يزيد، واللعنة أبدية تشملهم حتى في الآخرة، بمعنى أنّ الموالي في الجنّة يلعن أيضاً الذين ظلموا أهل بيت رسول الله كما تشير إليه الآيات الكريمة نظير قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ. وسرّ استمرار اللعن هو أنّ اللعن فعل عبادي داخل في باب الدّعاء، والدّعاء لا يُرفع عن أهل الجَنَّة.

والخلاصة: إنّ الأخبار في فضل اللعن على أعداء أهل البيت عليهم السلام آل الرّسول صلى الله عليه وآله متواترة، منها:

---

(١) راجع (الإحتجاج) ج١ ص٤٠٨ ترجمة أبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب، (ذخائر العقبى) ص١٨٢، (ميزان الحكمة) للريشهري ج٢ ص٢٢٤١ غزوة أحد وحمراء الأسد، (صحيح البخاري) ج٤ ص٢٧ باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الاسلام والنبوّة.

① (عيون أخبار الإمام الرِّضاعليه السلام)، (أمالي الصدوق): ماجيلويه، عن علي، عن أبيه، عن الريان بن شبيب قال: دخلتُ على الإمام الرِّضاعليه السلام في أوّل يومٍ من المحرَّم فقال لي: « **يا ابن شبيب أصائم أنت؟** » فقلتُ: لا، فقالعليه السلام: « **إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربهعزّوجلّ فقال:** ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾، **فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم ثم دعا اللهعزّوجلّ استجاب الله له كما استجاب لزكرياعليه السلام** ».

ثم قال: « **يا ابن شبيب إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثِقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.**

يا ابن شبيب إنْ كنتَ باكياً لشيءٍ فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا، مالهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم (يا لثارات الحسين).

يا ابن شبيب لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر، يا ابن شبيب إنْ بكيتَ على الحسين حتى تصير دموعكَ على خدَّيكَ غفر اللهُ لكَ كلَّ ذَنْبٍ أذنبتَهُ صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب إنْ سَرَّكَ أنْ تلقى اللهعزّوجلّ ولا ذَنْبَ عليكَ، فَزُرِ الحسينعليه السلام، يا ابن شبيب إنْ سَرَّكَ أنْ تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبيصلى الله عليه وآله فالْعَنْ قَتَلَةَ الحسين. يا ابن شبيب إنْ سَرَّكَ أنْ يكون لكَ من الثواب مثل ما لمن

استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته: (يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً).

يا ابن شبيب إنْ سَرَّكَ أنْ تكون معنا في الدّرجات العلى من الجنان، فاحْزَنْ لحزننا، وافْرَحْ لفرحنا، وعليكَ بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولَّى حجراً لحشره اللهُ معه يوم القيامة »[1].

② ما أورده صاحب البحار في باب كفر قتلته: قد أوردنا في باب ما وقع في الشام عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة عن الفضل، عن الرِّضا عليه السلام قال: « **مَن نظر إلى الفقاع أو إلى الشطرنج فلْيَذْكُرِ الحسينَ عليه السلام ولْيَلْعَنْ يزيدَ وآلَ زياد، يمحو اللهُ عزّ وجلّ بذلك ذنوبَهُ، ولو كانت كعدد النّجوم »**[2].

③ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله « **لمّا نزلت** ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾، **في اليهود أي الذين نقضوا عهد الله، وكذبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله: أفلا أنبئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأمة؟** » قالوا: بلى يا رسول الله قال: « **قوم من أمتي ينتحلون أنهم من أهل ملتي، يقتلون أفاضل ذريتي وأطائب أرومتي، ويبدلون شريعتي وسنتي، ويقتلون ولدي الحسن والحسين كما قتل أسلاف اليهود زكريا ويحيى.**

ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من وِلْدِ الحسين المظلوم يحرقهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنم، ألا ولعن الله قتلة الحسين عليه السلام ومحبيهم وناصريهم، والساكنين عن لعنهم من غير تقية يسكتهم.

ألا وصلى الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة، واللاّعِنِيْنَ لأعدائهم والممتلئين عليهم غيظاً وحنقاً، ألا وإنّ الرّاضين بقتل الحسين شركاء

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٨٥ ح٢٣، و (أمالي الصّدوق) المجلس٢٧ ح٥.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٩٩ ح١.

قتلته، ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله.

إنّ الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلى الخزان في الجنان، فيمزجوها بماء الحيوان، فتزيد عذوبتها وطيبها ألف ضعفها وإن الملائكة ليتلقون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين يتلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها فيزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها يشدد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمَّد عذابهم »[1] .

(٤) عن ابن قولويه قال: حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمَّد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن محمَّد بن سنان، عن أبي سعيد القماط، عن ابن أبي يعفور، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخَرَّ ساجداً ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمَّد إنّ العليَّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيا هيئة، وقال لي: يا محمَّد أتحبّ الحسينَ عليه السلام، فقلتُ: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمَّد - ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام - بُوْرِكَ من مولودٍ، عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على مَن قَتَلَهُ ونَاصَبَهُ وناواهُ ونَازَعَهُ، أمَا إنّه سيّد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة -** » وذكر الحديث[2].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٣٠٤ ح١٧.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص١٤١، باب٢١ ح١٦٦.

﴿ وَهذا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيَاد وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ ﴾

﴿ الحُسَيْنَ عَلَيْهِ السّلام ﴾

فرح آل زياد وآل مروان مشهور ومسطور في كلّ كتب المقاتل سيّما ورود أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وما أبدوه من سرور في بداية دخول السبايا، مضافاً إلى ما أظهره عبيدُ الله بن زياد من الشّماتة حينما قال لسيّدة النساء الصدِّيقة الصغرى زينب عليها السلام: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم! فقالت: « **إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا** »، فقال ابن زياد: كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ وأهل بيتك؟ فقالت: « **ما رأيتُ إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله تعالى عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينكَ وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، هبلتكَ أمّكَ يابن مرجانة** ». قال الرّاوي: فغضب وكأنّه هَمَّ بها... [1].

وقال أيضاً لّما صعد المنبر: (الحمد لله الذي أظهر الحقَّ وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذّاب ابن الكذّاب) [2].

فردّ عليه عبد الله بن عفيف الأزدي - وكان من خيار الشيعة وزهّادها، وكانت عينه قد ذهبت يوم الجمل والأخرى يوم صفين وكان يلازم المسجد الأعظم فيصلي فيه إلى الليل - فقال: (إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنتَ وأبوكَ ومَن استعملكَ وأبوه يا عدوَّ الله، أتقتلون النبيين وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المسلمين) [3].

والخلاصة: إنّ فرح آل زياد وآل مروان وشيعتهم مبنيٌّ على كرههم وبغضهم لأهل البيت عليهم السلام، بل كفر بني أميّة وأعوانهم وحسدهم لأهل البيت عليهم السلام أدّيا إلى محاولة إبادة هؤلاء المطَهَّرين عليهم السلام، ومَن كره شخصاً - لا سيّما إذا كان المبغض أو

(١) راجع (اللهوف) لابن طاووس ص٢٠١.

(٢) راجع (اللهوف) ص٢٠٣.

(٣) راجع (اللهوف) ص٢٠٣.

الكاره لا يعرف شيئاً من القيم - فلا نتوقّع منه الحزن عليه وإقامة المآتم لفراقه، بل لن تسمع من أمثال هؤلاء إلاّ الشماتة، ولن ترى على وجوههم سوى الفرح والانبساط...!.

﴿ اللهُمّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمُ اللعْنَ وَالعَذابَ الأليم اللهُمّ ﴾
﴿ إنِّى أتَقَرّبُ إلَيْكَ فى هذَا اليَوْمِ وَفِى مَوْقِفِى هَذا وَأيّامِ ﴾
﴿ حَيَاتِى بِالبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَاللعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِالْمُوالاةِ ﴾
﴿ لِنَبِيّكَ وَآلِ نَبِيّكَ عَلَيه وعَلَيْهِمُ السّلام ﴾

في نسخة (كامل الزيارات): « **اللهمّ فضاعِفْ عليهم اللعنة أبداً بقتلهم الحسين، إني أتقرّبُ إليكَ في هذا اليوم، في موقفي هذا وأيام حياتي بالبراءة منهم وباللعن عليهم، وبالموالاة لنبيِّكَ وأهل بيت نبيِّكَ** ».

لقد دعا مولانا الإمام المعظَّم محمد الباقر عليه السلام - وهو من رويتْ عنه زيارة عاشوراء الشريفة - على قتلة جدّه سيِّد الشهداء الحسين بن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام بمضاعفة اللعن والعذاب ليكون عذابهم مثل عذاب جميع أهل النّار، وذلك لما روي عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه الطاهرين عليهم السلام عن النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله أنّه قال: « **إنّ قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام في تابوتٍ من نارٍ عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار منكّس في النّار حتى يقع في قعر جهنم وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربّهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالد ذائقٌ العذاب الأليم مع جميع مَن شايع على قتله، كلّما نضجت جلودهم بدّلَ الله عزّ وجلّ عليهم الجلودَ (غيرها) حتى يذوقوا العذابَ الأليم، لا يفتر**

عنهم ساعة، ويُسقَوْنَ من حميم جهنّم، فالويل لهم من عذاب النّار »[1]. وفي صحيحة عثمان بن عيسى عن عمرو بن شمر عن جابر عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **إنّ في النار منْزِلة لم يكن يستحقها أحدٌ من الناس إلاّ بقتل الحسين بن عليّ ويحيى بن زكريا** »[2].

وبالجملة: فقد أشارت الفقرة الشريفة إلى أمرين:

الأوّل: الدّعاء على قتلة الإمام الحسين عليه السلام والفرحين بذلك لا سيّما آل زياد وآل مروان وأشياعهم وأتباعهم.

الثاني: الالتجاء إلى الله تعالى بالبراءة والولاية لما تقدّم من أنّ كمال الإيمان بهما ولا يتقرّب إلى الله تعالى إلاّ بالإيمان الكامل، فقد جاء في خبر سلام بن سعيد المخزومي عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **ثلاثة لا يصعد عملهم إلى السّماء ولا يُقبَل منهم عملٌ: مَن مات ولنا أهل البيت في قلبه بغض، ومَن تولّى عدوَّنا، ومَن تولى أبا بكر وعمر** »[3]. وعن ورد بن زيد أخي الكميت قال: سألنا الإمام محمد بن علي عليهما السلام عن أبي بكر وعمر؟ فقال: « **من كان يعلم أن الله حكم عدل بري منهما، وما من محجمة دم تهراق إلا وهي في رقابهما** ».

وعنه عليه السلام سُئِل عن أبي بكر وعمر؟ فقال: « **هما أول من ظلمنا، وقبض حقنا، وتوثب على رقابنا، وفتح علينا باباً لا يسده شئٌ إلى يوم القيامة، فلا غفر الله لهما ظلمهما إيانا** ».

الخلاصة: لقد قُدِّمَت البراءة على الولاية في الفقرة الشريفة لكونها أهمّ كما يظهر من بعض الأخبار، ومنها الآتي:

① ما ورد في (أمالي الصدوق) بإسناده عن العطار عن سعد عن عبد الصمد بن محمَّد عن حنان بن سدير عن سديف المكي قال: حدثني الإمام محمَّد بن علي

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص ٣٠٠ ح ٣.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٣٠١ ح ٩ باب٣٦.

(٣) راجع (تقريب المعارف) لأبو الصلاح الحلبي ص ٢٤٧.

الباقر عليه السلام وما رأيت محمَّدياً قط يعدله، قال: حدثنا جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: « **أيها الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا** »، قال: قلت: يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ فقال: « **وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم** »[1].

② ما ورد في (ثواب الأعمال) بإسناده عن ماجيلويه عن عمِّه عن محمَّد بن علي الكوفي عن المفضل بن صالح عن محمَّد بن مروان عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديا** »، قيل: يا رسول الله وإن شهد الشهادتين؟ قال: « **نعم فإنما احتجز بهاتين الكلمتين عن سفك دمه أو يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر** »، ثم قال: « **من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديا** » قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: « **إن أدرك الدجال آمن به** »[2].

③ وفي (أمالي الصدوق) بإسناده عن ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن زياد قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **لو أن عدو علي جاء إلى الفرات وهو يزخ زخيخا قد أشرف ماؤه على جنبتيه فتناول منه شربة وقال: بسم الله، وإذا شربها قال: الحمد لله، ما كان ذلك إلاّ ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير** »[3].

④ ما ورد في (أمالي الطوسي) بإسناده عن أبي عمرو عن ابن عقدة عن جعفر بن محمَّد بن هشام عن الحسين بن نصر عن أبيه عن عصاص ابن الصلت عن الربيع بن المنذر عن أبيه قال: سمعت محمَّد بن الحنفية يحدث عن أبيه قال: ما خلق الله عز وجل شيئا أشر من الكلب والناصب أشر منه[4].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح١.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح٢.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح٣.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح٧.

⑤ وعن (مجالس المفيد)، و (أمالي الطوسي) عن الجعابي عن محمَّد بن عبيد الله بن أبي أيوب عن جعفر ابن هارون عن خالد بن يزيد عن أبي الصيرفي قال: سمعتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **برئ الله ممن يبرأ منا، لعن الله من لعننا، أهلك الله مَن عادانا، اللهم إنك تعلم أنّا سبب الهدى لهم، وإنما يعادونا لك فكن أنتَ المتفرد بعذابهم** »(1).

⑥ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال مولانا الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام: « قوله عز وجل: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ، **يقول: أرشدنا للصراط المستقيم، أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتكَ والمانع أنْ نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك** »، ثم قال الإمام الصادق عليه السلام: « **طوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين** » فقال له رجل: يا بن رسول الله إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلاّ البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي؟ فقال له الإمام الصادق عليه السلام: « **حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلوات الله عليهم أنه قال: مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلَّغَ اللهُ صوتَهُ جميعَ الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا: اللهم صلِّ على عبدكَ هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله عز وجل: قد أجبتُ دعاءكم وسمعتُ نداءكم وصليتُ على روحه في الأرواح وجعلتُهُ عندي من المصطفين الأخيار** »(2).

⑦ وعن (مجالس المفيد) بإسناده عن محمَّد بن المظفر عن جعفر بن محمَّد الحسنى عن إدريس بن زياد عن حنان بن سدير عن سديف المكي قال: حدثني مولانا الإمام

(1) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح٨.

(2) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح١١.

محمَّد بن عليعليه السلام وما رأيت محمَّديا قط يعدله، قال: حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري قال: نادى رسول اللهصلى الله عليه وآله في المهاجرين والأنصار فحضروا بالسلاح وصعد النبيصلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « **يا معشر المسلمين من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهوديا** »، قال جابر: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله وإن شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمَّدا رسول الله؟ فقال: « **وإن شهد أن لا إله إلاّ الله فإنما احتجز من سفك دمه أو يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر** ». ثم قالعليه السلام : « **مَن أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً، فإنْ أدركَ الدجالَ كان معه، وإنْ هو لم يدركه بعث في قبره فآمن به، إن ربيعزّوجلّ مثل لي أمتي في الطين وعلمني أسماءكم كما علم آدم الأسماء كلَّها، فمرّ بي أصحاب الرّايات فاستغفرتُ الله لعليّ وشيعته** ».

قال حنان بن سدير: فعرضتُ هذا الحديث على مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمَّدعليهما السلام فقال لي: « **أنتَ سمعتَ هذا من سديف؟** » فقلتُ الليلة سبع منذ سمعته منه، فقال: « **إنّ هذا الحديث ما ظننته من في أبي إلى أحد** »[1].

هذه نبذة من أخبار البراءة من أعدائهم ومبغضيهم، والتبرّي أهمّ من التولّي لما في التبري من النقمة على أعدائهم، والتبري لا يكون إلاّ عن يقين بكفر أعدائهم.

كما إنّ البراءة أخصّ من الموالاة، إذ إنّ من صفات المؤمن أنْ يحبّ أهلَ البيتعليهم السلام لكنه لا يعرف أعداءهم، فلربما يُحسن الظنَّ بهم، فيأخذ منهم، وفي ذلك خروجٌ من ولاية الله تعالى وهو الكفر بعينه. هذا مع التأكيد على أنّ عدم البراءة تستلزم القعود عن نصرته، وهو بغض له.

كما إنّ الولاية من دون براءة تقتضي أيضاً الشراكة في ولايتهم نظير ما كان يعتقده مشركو الجزيرة باتخاذهم الأصنام آلهة تُعبَد من دون الله تعالى مع اعترافهم بوجودهعزّوجلّ، لكنهم لم يتبرؤوا من الآلهة المصنوعة التي نحتتها أيديهم بتسويل

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢١٨ ح١٥.

الشيطان لهم، فلم ينفعهم اعتقادهم بوجود الله تعالى مع عدم براءتهم من الأصنام المنحوتة، فكيف الحال - إذاً - بمن يتولى الله تعالى ولم يتبرّأ من أعدائه ومبغضيه، وكذلك الأمر بمن يتولى أهل البيت عليهم السلام ولا يعادي مبغضيهم وأعدائهم.

﴿ **ثمّ تقول مئة مرة:** اللهُمّ الْعَنْ أوّلَ ظالِم ظَلَمَ حَقّ مُحَمّد ﴾
﴿ وَآلِ مُحَمّد وَآخِرَ تَابِع لَهُ عَلَى ذلِكَ اللهُمّ الْعَنِ العِصابَةَ ﴾
﴿ الّتِي جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السّلام وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ ﴾
﴿ وَتابَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ اللهُمّ الْعَنْهم جَميعاً ﴾

جاء في نسخة (كامل الزيارات) هكذا: « **اللهمّ العَنْ أوّلَ ظالمٍ ظلم حقّ محمّدٍ وآل محمّدٍ وآخر تابعٍ له على ذلك، اللهمّ العَنْ العصابة التي حاربَت الحسينَ وشايعت وتابعت** (في نسخة: بايعت) **أعداءَه على قتله وقتل أنصاره، اللهمّ العنهم جميعاً** ».

الفقرة الشريفة تكرر لعن الظالمين لخاتم النبيين وآله الطاهرين عليهم السلام، والتكرير للتأكيد، والتأكيد إمّا لأجل التذكير لطغيان الغفلة على الأفئدة، وإمّا لأجل تأسيس البراءة من الظالمين في كلّ وقت وحين، لكنها تتميز عن سابقاتها بأنها تأمر بلعن التابعين لأولئكَ الظالمين لرسول الله وآله الطّاهرين عليهم السلام، وهذا أمر مفقود في الفقرات السابقة، ولعلّ السرّ في ذلك هو أنّ المؤسسين للظلم أخطر من الأنصار والتابعين، لأنّ النصير والتابع يُعيد ما أسّسه له الظالم الأوّل، ولولا الأوائل لما كان ثمّة لواحق إلاّ على نحوٍ شاذٍّ ونادرٍ.

ولا يخفى أنّ المراد بالظالم هو مَن قد عرفتَ سابقاً من أنّه أبو بكر وعمر اللذان اغتصبا الحقَّ من أهل البيت عليهم السلام واعتديا على أمير المؤمنين وزجته سيّدة نساء العالمين

عليهما، وتقمَّصا الخلافة وهما يعلمان أنّ أمير المؤمنين عليّاًعليه السلام أولى بها، بل هي حقٌّ حصريٌّ خاصٌّ به لا يجوز - عقلاً وشرعاً - أنْ يوضع الرّجلان في مقابلهعليه السلام.

كما إنّ المراد بآخر تابعٍ له كلّ مَن لحق الظالم الأوّل أمثال عثمان وعائشة وخالد بن الوليد وغيرهم كبني أميّة وبني العباس إلى خروج مولانا الإمام الحجّة المنتظرعجل الله تعالى فرجه الشريف.

والعِصابة بكسر العين: الجماعة من الناس والخيل والطير، ومقدارها العددي من العشرة إلى الأربعين.

والتابع هو اللاحق للآخر، والتابع من الجنّ: الذي يتبع المرأة بحبّها، والتابعة: جنية تحبّ المرأة أو الرجل، والتابع أيضاً هو: الذي يتبعكَ لينال شيئاً منك..

فتابعت: أي سارت عصابة الباطل على طريق المؤسسين له. وقولهعليه السلام: « **بايعت** » من المبايعة وهي التعهُّد والالتزام بطاعة مَن بويع له.

﴿ **ثمّ تقول مئة مرة:** السّلام عَلَيْكَ يَا أبا عَبْدِ اللهِ وَعلَى ﴾
﴿ الأرواحِ الّتى حَلّتْ بِفِنائِكَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلامُ اللهِ ﴾
﴿ أبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ الليْلُ وَالنّهارُ وَلا جَعَلَهُ اللهُ ﴾
﴿ آخِرَ العَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكُمْ السّلام عَلَى الحُسَيْن ﴾
﴿ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَعَلَى أوْلادِ الحُسَيْنِ ﴾
﴿ وَعَلَى أصْحابِ الحُسَينِ عَلَيْهِ السّلام ﴾

قول مولانا الإمام الباقرعليه السلام في الفقرة الشريفة: « **وعلى أولاد الحسين**عليه السلام » غير موجودة في (كامل الزيارات)، ولا في (مصباح المتهجِّد)، لكنّ الشيخ عبّاس القمي ذكرها في (المفاتيح)، وقد نقلها عن (مزار الشهيد الأول) و(مصباح

الكفعمي) وغيرهما من كتب المزار القديمة ، كما أن ابن طاووس قد ذكرها في خاتمة كتابه (حكاية المختار) في أخذ الثأر الملحق في نهاية كتاب(اللهوف على قتلى الطفوف) ولكنَّ كتاب(أخذ الثأر) قد شطبه المحرفون من كتاب (اللهوف) لغايات ليست بريئة...ووراء الأكمة ما وراءَها..!!.

والمحصّلة: إن المقطع الشريف « **السلام على أولاد الحسين عليه السلام** » هي من المشهورات عند المتأخرين، ولا يرتاب فيها إلا المريب ومن في قلبه مرض لا سيَّما أن كلّ كتب (المزار) تشير إلى السلام على أصحابه فلا يعقل - والحال هذه - أنْ تخلو الزيارةُ من السلام على أولاده الذين كان لهم السبق في عِظَم التضحية والفداء، لذا يستحب ذكرها إمَّا برجاء المطلوبيّة ؛ وإمَّا تحت عنوان ورود إستحباب السلام على أولاده كما في نسخة (المزار للشهيد الأول رحمه الله) والزيارات الأخرى لا سيَّما أن السلام على إبنه عليّ بن الحسين عليهما السلام لم تخلو منها نسخة من نسخ زيارة عاشوراء.

بالإضافة إلى ذلك: إنَّ الإبن الآخر للإمام سيِّد الشهداء عليه السلام الطفل الرضيع عبد الله عليه السلام هو من شهداء كربلاء، وقد دلت الأخبار على علو مقامه وشرف منزلته، ويكفي أن مولانا الإمام بقية الله الأعظم الحجة القائم أرواحنا له الفداء قد خصَّصه بالسلام في زيارة الناحية المقدسة بقوله الشريف: « **السلام على عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع، المرميّ الصريع المتشحِّط دماً، المصعَّد دمه في السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه** ».

فمن البعيد جداً أن لا يكون لأولاد الإمام الحسين عليه السلام تخصيصٌ بالسلام مع كونه مذكوراً في جملة من ذكرهم قول الإمام الباقر عليه السلام في صدر الفقرة الشريفة: « **السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك..** » فالطفل الرضيع ممن حلّ بفنائه واستشهد على يديه ودفن في قبر أبيه مرملاً بدمائه بجنب أبيه الإمام الحسين عليه السلام...!.

ويستبعد أيضاً أنْ يخصِّصَ الإمام الباقر عليه السلام بالسلام المولى عليّ بن الحسين عليه السلام

وبقية أصحاب الإمام الحسين(عليه السلام) - ومن أصحابه إخوته المستشهدين معه - دون أنْ يضمّ إليهم الطفل الرضيع الذي تضاهي ظلامته(عليه السلام) عامة ظلامات الأصحاب صلوات الله عليهم أجمعين من حيث الطفولة البريئة وأنه كان يتلوى عطشاً ولم يشارك في قتالٍ كما هو الحال في الكبار، فقتله أقبح من قتل الكبير الذي شارك في القتال، فإخراجه من التسليم عليه بعيد في قاموس أهل بيت العصمة والطهارة والرحمة(عليهم السلام).

هذا مع التأكيد على أنَّ كلمة « **الأولاد** » الوارد في نسخة (المزار) لها مفهوم واسع لا يقتصر على من استشهد مع الإمام الحسين(عليه السلام) في كربلاء فحسب بل يشمل الأحياء ذكوراً وإناثاً، كالإمام السجاد(عليه السلام) وأخواته كسكينة ورقية والفاطمتين الصغرى والكبرى وبقية الأئمة الطاهرين باعتبارهم من ذريته وهم عرفاً وشرعاً وعقلاً من أولاده، فيجب على المؤمن الزائر أنْ يقصد بالسلام عامة أولاده المطهرين (عليهم السلام) ولا يقتصر على من استشهد منهم في كربلاء وإنْ كان لهم مزية في زيادة التسليم عليهم صلوات الله عليهم.

بالإضافة إلى ذلك: إن لفظ « **أصحاب الإمام الحسين(عليه السلام)** » لا يقتصر على غير الهاشميين بل يعم الهاشميين من إخوته وأخواته الطاهرات صلوات الله عليهنَّ كما يشمل نساء أصحابه الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، كلُّ ذلك طبقاً لسعة المفهوم المنطبق على كلّ من وافق الإمام الحسين(عليه السلام) في قيامه الحق ومشاركته معه في الجهاد في اليوم العاشر من محرم وما قبله وما بعدم ممن ثبت معه وبقي على خطاه بعد شهادته صلوات الله عليه.

وصدر الفقرة الشريفة هي: « **السّلام عليكَ يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلَّتْ بفنائك...** » قد تقدَّمَ معنا شرحها؛ فرَاجِعْ.

وقوله(عليه السلام): « **عليكَ مِنّي سلام الله أبداً ما بقيتُ وبقي الليلُ والنّهار** » إشارة واضحة إلى أهمية التعلُّق بالإمام الحسين(عليه السلام) من خلال الارتباط والاتصال بروحه المقدَّسة من خلال الذوبان في حبّه والتوجُّه إليه لكونه(عليه السلام) السمت والجهة إلى

الله تعالى، وهذا التوجه يكمل بواسطة التسليم عليه وكأنّه أمامكَ تُلقي على شخصه الكريم تحيّة الإسلام، ولأهمية شخصه الكريم عند الله تعالى ومدى عظَمَتِهِ لديه عزّ وجلّ ينبغي أنْ يكون السّلامُ خالصاً وكاملاً من كلِّ نقصٍ، وهذا لا يتمّ إلاّ من خلال تسليم الله عليه، لأنّه سلام كامل ولأن (السلام) من جملة أسمائه الحسنى بخلاف سلام العبد فإنّه يبقى ناقصاً مهما كَمُلَ المُسلِّم بالناحية الإيمانيّة والاعتقاديّة، فالتسليم الكامل لا يكون إلاّ من الله تعالى العالم بأسرار الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، فلكمال إيمان الإمام الحسين عليه السلام استلزم أنْ يكون السّلام عليه كاملاً بكمال إيمانه عليه السلام، من هنا اقتضى أيضاً أنْ يكون التسليم دائمياً لا ينقطع بموت المؤمن العارِف به عليه السلام، بل ينبغي أنْ يكون بدوام الحياة على وجه البسيطة؛ لأنّ الكون يستمرّ بالبقاء بوجود الحجة عليه السلام، فإذا ارتفعتْ لساخَت الأرضُ بأهلها.

كما إنّ الفقرة الشريفة مَيَّزَتْ الإمام الحسين عليه السلام عن أصحابه بدوام السّلام عليه ما بقي الليلُ والنّهار، ولعلّ هذا التمييز بالاعتبار الذي ذكرناه آنفاً.

﴿ اللهمّ خُصّ أنْتَ أوّلَ ظالم بِاللّعْنِ مِنّي وَابْدَأْ بِهِ أوّلاً ﴾
﴿ ثُمّ الثّانِي وَالثّالِثَ وَالرّابِع اللهُمّ الْعَنْ يزِيَدَ خامِساً ﴾
﴿ وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَاد وَابْنَ مَرْجانَةَ وَعُمَرَ ﴾
﴿ بْنَ سَعْد وَشِمْراً وَآلَ أبى سُفْيانَ وَآلَ زِيَاد ﴾
﴿ وآلَ مَرْوانَ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ ﴾

في كتاب (كامل الزيارات) هكذا: « **اللهم خُصَّ أول ظالمٍ ظلم باللعن ثمّ العن أعداء آل محمّد من الأولين والآخرين، اللهم العن يزيد وأباه والعن عبيدَ الله بن زياد وآل مروان وبني أميّة قاطبةً إلى يوم القيامة** ».

والمراد بالأوّل أبو بكر، والثاني عمر، والثالث عثمان، والرّابع معاوية، ووجه لعنهم أنهم ظلموا النبيَّ وأهلَ بيته‰ وتعدّوا حدودَ الله تعالى وانتهكوا حرماته، لذا جاءت الأخبارُ الكثيرةُ جداً - والتي بلغت التواتر بعشرات المرّات - بلعنهم والبراءة منهم ومن أشياعهم والدالين عليهم والمقتدين بأفعالهم، بل والمائلين إليهم بقولٍ أو فعلٍ، وهو أمرٌ ضروريٌّ، وواضحٌ كوضوح الشمس في رابعة النّهار.

وحُكِيَ أنّ بعضَ المعاندين من المخالفين وشوا على الشيخ الطّوسي إلى الحاكم العبّاسي بأنّه يُكْثِرُ من لعن الصّحابة، وأيدوا شكواهم بما ذكره الطوسي‌رحمه الله في دعاء يوم عاشوراء في كتابه (مصباح المتهجِّد)، فأمر الحاكم بإحضاره مع الكتاب المذكور، فلمّا حضر استفسر منه الأمر، فأنكر الشيخ، ففتح بعض كتّاب الخليفة الكتابَ وأراه العبارة: « **اللهم خُصَّ أنتَ أوّل ظالمٍ..** »، فقال الشيخ فوراً: « **يا أمير المؤمنين**[1] **ليس المراد ما عرض به المعاندون، بل المراد بأوّل ظالمٍ: قابيل قاتل هابيل، هو الذي بدأ بالقتل في ابن آدم، والمراد بالثاني عاقر ناقة صالح النبي واسمه قيدار بن سالف وبالثالث قاتل يحيى بن زكريا، وبالرّابع عبد الرحمان بن ملجم قاتل الإمام عليّ بن أبي طالب‌عليه السلام، فلمّا سمع الخليفة بيانه رفع شأنه وأكرمه وزاد في إعظامه وانتقم ممن سعى فيه** »[2].

هذا المقطع الشريف الوارد في لعن الأصنام الأربعة من الزيارة العاشورائية اتخذه أصحاب القلوب المريضة ذريعةً لنسف زيارة عاشوراء من أساسها مدّعين بأنه ملفقٌ على أهل البيت‰ وبالتالي أصبح مبرراً لهم للتشكيك في أصل الزيارة، وقد أوردنا في أول كتابنا هذا على شبهتهم بما لا يدع مجالاً للريب والشك، وما يهمنا التنبيه عليه هو: أن هؤلاء المشككين لم يكتفوا بالتشكيك بزيارة عاشوراء بل صبوا جُلَّ إهتمامهم على الأخبار الأخرى الكاشفة عن لعن أئمتنا الطاهرين‰ للأصنام

(١) هذا اللقب خاصٌّ بالإمام عليّ‌عليه السلام، حباه به المولى عزّ ذكره، وكلّ مَن سمّى نفسه به فهو مغتصبٌ ومشركٌ، مضافاً إلى أنّه مأبون في دبره حسبما جاء في الأخبار.

(٢) روى القصّةَ سلطانُ الواعظين في الجزء الثاني من كتابه: (الفرقة الناجية).

الأربعة بالرغم من كثرتها التي فاقت التواتر بمرات، ولا يخفى على العلماء الأعلام بأن محاولات هؤلاء في التشكيك بالزيارة إنَّما هو خطوة أولى لنسف عامة الأخبار التي تخلخل بركائز العداء للظالمين الأوائل لرسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، والتخلخل المذكور يؤدي إلى حسن الظن بأعداء آل محمد عليهم السلام وبالتالي يؤدي إلى الوحدة التي ينشدونها ويسعون نحو تحقيقها بكلّ ما أُوتوا من قوة إعلامية حتى لو كان ذلك على حساب الأخبار الشريفة التي يريدون نبذها لأجل غايات سياسية أو عقائدية باتت واضحة لدى الخبير البصير، من هنا طار المخالفون فرحاً لَّما رأوا بعض العمائم الشيعية القطبية الدعوتية أكثر حماساً منهم، وبناءً عليه فإنهم مسرورون بما صنفه بعض المحسوبين على التشيع دفاعاً عن الظالمين لأهل البيت صلوات الله عليهم، حتى أننا شاهدنا خلال مقابلة تلفزيزنية مع أحدِ مشايخ المخالفين في صيدا جنوب لبنان كتابَ أحدِ المشككين بفقرة اللعن عارضاً له أمام الكاميرا إفتخاراً بما أنجزه صاحب كتاب (زيارة عاشوراء في الميزان) وما ذاك إلا لأن وراءه جهات شيعية مقتنعة بعدم ظلم الأوائل لأهل البيت عليهم السلام، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون... يا قائم آل محمد أغثنا وانصرنا على أعدائكم للذود عن معالم دينكم... اللهم عجّل فرجه وسهّل مخرجه واجعلنا من خدامه وخيرة أنصاره بمحمدٍ وآله صلواتك عليهم أجمعين... !.

﴿ **ثم تسجد وتقول:** اللهمّ لَكَ الحَمْدُ حَمْدَ الشّاكِرينَ لَكَ ﴾

﴿ عَلَى مُصابِهِمْ الحَمْدُ للهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيّتى اللهُمّ ﴾

﴿ ارْزُقْنى شَفاعَةَ الحُسَيْن عَلَيهِ السّلام يَوْمَ الوُرُودِ ﴾

﴿ وَثَبّتْ لى قَدَمَ صِدْق عِنْدَكَ مَعَ الحُسَيْنِ ﴾

﴿ وَأَصْحابِ الحُسَيْن الّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ ﴾
﴿ دُونَ الْحُسَيْن عَلَيْهِ السّلام ﴾

في (كامل الزيارات): « **على عظيم رزيتي فيكم** »، ويوم الورود هو يوم القيامة لورود الخلق على حساب الله تعالى، أو لورود المؤمنين على الحوض يسقيهم أميرُ المؤمنين بيده الشريفة أو أنّ أعوانه من الملائكة تسقيهم، وورود الكافرين على الجحيم، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ.

والمراد بالمهج جمع مهجة وهي دم القلب خاصة دون الإمام الحسينعليه السلام أي بحضرته المباركة.

إنْ قيل: إنّ كلّ مَن يستشهد في سبيل الله تعالى ينال ما ناله هؤلاء المخلصون، فما ميزتهم على غيرهم سوى أنهم كانوا مع الإمام الحسينعليه السلام.

قلنا: ثمّة أشخاص ماتوا مع غير الإمام الحسينعليه السلام، نظير مَن مات بين يدي رسول الله وأمير المؤمنين وغيرهما من أهل البيتعليهم السلام، لكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه هؤلاء المخلصون، ولم يرد في الأخبار أنّ غيرهم أفضل منهم من ناحية الوفاء والإخلاص، نعم لعلّ في أصحاب أئمتنا المطهرينعليهم السلام من هو أفضل منهم من نواحٍ أخرى بالمعارف والأسرار والعلوم لكنَّهم ليسوا أفضل منهم من الناحية التي ذكرنا، من هنا لا يخفى علينا ما جاء عن مولانا الإمام الحسينعليه السلام قوله بحقّ أصحابه: « **لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي..** »[1]، وفي لفظ أبي مخنف: « **لستُ أعلم أصحاباً أصبر منكم، ولا أهل بيت أوفى وأفضل من أهل بيتي** »[2].

وادّعى السيِّد الرشتي تلميذ الشيخ الاحسائي رحمهما الله تعالى أنّ الأفضليّة

---

(١) راجع (اللهوف على قتلى الطفوف) ص١٥١.

(٢) راجع (مقتل الإمام الحسينعليه السلام لأبي مخنف) ص٩٧.

والأكرميّة لا تكون إلاّ بالاطّلاع على الأسرار وحقائق الأنوار ومراتب التوحيد، وأصحاب الإمام الحسين لم يكونوا على ذاك المستوى عدا المولى العبد الصالح وسيدنا عليّ الأكبر... ثمّ حمل السيِّد الرشتي قولَ الإمام الحسين عليه السلام: « **لا أعلم أو لم أرَ أصحاباً خيراً من أصحابي..** » على السبق في مقام الجهاد لا في كلّ المقامات[1].

هذه الدّعوى ليست صحيحة على إطلاقها، إذ لا ريب أنهم أفضل في الجهاد بجميع حيثياته من البسالة والبطولة والوفاء والصبر والإقدام والشجاعة مع ما عانوه من الجوع والعطش وعلمهم المسبق بخسارتهم المعركة وأنهم لا محالة مقتولون، لكنّ قوله عليه السلام: « **لستُ أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي** » أعم في الخيرية من أفضليتهم في الجهاد على غيرهم من حيث سعة قابلياتهم النفسية والخارجية الدالة عليها كلمة « **خيراً** » المستوعبة لكلّ أعمال الخير والتي منها إطلاعهم على علوم الأسرار وحقائق الأنوار، ويكفي شاهداً على ذلك، ما اشتهر عن حبيب بن مظاهر من اطلاعه على الأسرار، ومسلم بن عقيل وابن عوسجة وعابس الشاكري... فضلاً عن السادة الهاشميين الأكابر كالعبد الصالح والمولى عليّ الأكبر والقاسم عليهم السلام.

وعلى فرض التمايز بينهم - وقد كان حاصلاً واقعاً - في مراتب القُرب من الله تعالى والقرب من الإمام الحسين عليه السلام، إلاّ إنهم كانوا بمنْزلة واحدة في مقام الصبر والتفاني والوفاء.

مضافاً إلى أنّ نفس الإطلاع على علوم الأسرار ليس علّةً تامّةً للأفضليّة والأكمليّة، وإلاّ لكان سلمان الفارسي أفضل من المقداد حتى في الشجاعة، مع أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أطرى على شجاعة المقداد دون سلمان وغيره، كما إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتشوق إلى أويس القرني أكثر من تشوقه إلى سلمان الأعلم من أويس، لكنّ المزية المذكورة عند أويس أو عند المقداد أوجبت كونهما أفضل من

---

(١) راجع (الأسرار الحسينيّة) ص١٠٠.

سلمان الأعلم بالأسرار منهما.

فالظاهر أنّ المناط في الأفضليّة ليس الإطّلاع لمجرد أنَّه إطلاعٍ وإلّا لكان إبليس أكثر الخلق إخلاصاً مع وفرة ما يملكه من معارف وإطلاع على عوالم الملك والملكوت، وإنما المناط هو الإخلاص، ويشهد له ما روي عن سهل النوبختي أحد أقرباء حسين بن روح السفير الثالث لمولانا الإمام المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي سبق سهلاً في خدمته للإمام عليه السلام بسبب كثرة إخلاصه وشدّة وفائه، مع أنّ سهلاً كان أكثر اطّلاعاً وأعظم علماً من ابن روح النوبختي، ونحن هنا سنطلعكَ - أخي القارئ - على القصة التي سئل فيها سهل عن سبب صيرورة حسين بن روح سفيراً عند الإمام عليه السلام دونه مع أنه أعلم من حسين بن روح[1]:

قال ابن نوح: وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سُئِل فقيل له: كيف صار هذا الامر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟. فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقي الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة (على مكانه) لعلّي كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه أو كما قال.

تنبيه هامّ:

كشفت لنا قصّة سهل النّوبختي عن مدى أهميّة الإخلاص والوفاء والأمانة التي كان يتحلى ويتصف بها السفير الثالث للإمام القائم عليه السلام في الغيبة الصغرى الشيخ حسين بن روح رضي الله عنه بحيث لو كان الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف تحت ذيله وقُرض بالمقاريض، لَمَا كَشَفَ الذيلَ عنه، مما يعني أنَّ مهمّة السّفارة أو الوكالة إنّما تستدعي هذه الدّرجة من الإخلاص لأهميتها وخطر شأنها، ولا تستدعي العمق الكبير في التفاصيل الدّقيقة في الفقه والعقيدة وما شاكل ذلك، ولو وجد هذا في الشخص

---

(١) راجع (غيبة الطوسي) ص٢٤٠ ح٣٥٨.

المخلص كان نوراً على نور ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ...﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، ولأجل هذا فليتنافس المتنافسون ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ العَنكَبُوتِ.

والخلاصة: إنَّ الإخلاص هو العمدة في الوصول وليس اختزان المعارف والعلوم في الصدور - وإن كان للخزن المذكور فضلٌ في الكتاب الكريم والأخبار الشريفة إلّا أنَّ الفضلَ الأعظم إنما هو للعمل بما في الصدور، من هنا أكدّت الأدلة القرآنية والنبوية على المخلَصين (بفتح اللام) ولم تأكد على المخلِصين (بكسر اللام) قال تعالى كاشفاً عن عدم قدرة إبليس الملعون على التصرف بقلوب المخلَصين ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ.

ونؤيد ما ذكرناه آنفاً - من أن أصحاب الإمام سيد الشهداء عليه السلام هم أفضل وأخير الأصحاب على وجه البسيطة باعتبار كونهم أخلص الأصحاب - بما جاء عن (كامل الزيارات) بإسناده عن محمد بن سنان عمَّن حدَّثه عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **خرج أمير المؤمنين علي عليه السلام يسير بالناس حتى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين تقدم بين أيديهم حتى صار بمصارع الشهداء، ثم قال: قبض فيها مائتا نبي ومائتا وصي ومائتا سبط كلهم شهداء باتباعهم، فطاف بها على بغلته خارجا رجله من الركاب، فأنشأ يقول: مناخ ركاب ومصارع شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من أتى بعدهم** ». إنتهى.

فلا يسبقهم أحدٌ في الإخلاص الذي هو الخلاص المؤدي إلى علو الدرجات وشموخ المقامات العالية، ولا يلحقهم أحدٌ من أصحاب أئمتنا المطهرين عليهم السلام، فهم وتر في الخلوص لا شريك لهم ولا نظير حتى أصحاب أمير المؤمنين وإمام المتقين مولانا أبي الحسن عليّ عليه السلام وأصحاب الإمام بقية الله الأعظم الحجة القائم أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

زبدة المخض: إنَّ صحيحة إبن سنان والخبر المقطوع الصدور عن سيِّد الشهداء

عليه السلام: « **لا أعلم أصحاباً...** » واضحان من حيث الدلالة الناصعة بالتفضيل على عامة الأصحاب من دون صدور قرينة داخلية وخارجية تدل على تخصيصِ أو تقديمِ غيرهم عليهم مطلقاً، وذلك للوجوه الآتية:

(**الوجه الأول**): إنَّ قول مولانا إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه، فيه دلالة واضحة على العموم الإستغراقي بسبب وقوع إسم الفاعل النكرة (سابق) في سياق النفي الدال على العموم عند عامة أكابر علماء أصول الفقه نظير ما لو قلتَ: (لا أحدَ في الدار) فإنَّك تنفي وجود أحدٍ في الدار على الإطلاق، وهكذا ههنا في موردِ النصِّ الوارد عن أمير المؤمنين عليّ صلى الله عليه وآله حيث نفى سلام الله عليه أنْ يكونَ أحدٌ سابقَاً أو متقدِّماً عليهم بالإخلاص، وبالتالي فإنهم المتقدِّمون على كلِّ صحابيّ من أصحاب الأنبياء والأوصياءعليهم السلام بمقتضى أداة العموم (النكرة في سياق النفي).

ومما يؤكد ما أشرنا إليه آنفاً من تفضيل الأصحاب الطيبين للإمام سيِّد الشهداء عليه السلام على غيرهم مطلقاً، ما ورد عن إمامنا سيِّد الشهداءعليه السلام في مقام إطرائه على أصحابه الطاهرين صلوات الله عليهم وتوصيفه الحقيقي لواقعهم الطيب الخالص بقوله الشريف: « **لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي..** » وفي نصٍّ آخر: « **ولا أخير من أصحابي** » مما يدل على أخيريتهم على كلّ خير صدر من صحابيٍّ على وجه الإطلاق، ولو أراد الإمام سيِّد الشهداءعليه السلام تفضيلَ أحدٍ من أصحاب الأوصياء والأنبياءعليهم السلام على أصحابه الطيبين لكان الواجب عليه أنْ ينصب لنا قرينة متصلة أو منفصلة تقيِّد مراده على وجود أصحابٍ أفضل من أصحابه، وحيث لا قرينة على تفضيل غيرهم عليهم فالأصل يقتضي القول بتفضيلهم على عامة الأصحاب لا سيَّما أنَّ الإمام سيِّد الشهداءعليه السلام في مقام البيان ولا تقية في البَيْن، ما يعني أنَّه يريد تفضيلهم على غيرهم بشكلٍ مطلق ومن دون استثناء.

(**الوجه الثاني**): إنَّ تفضيل أصحاب الإمام الحسينعليه السلام على غيرهم من عامة أصحاب الأنبياء والأوصياءعليهم السلام هو القدر المتيقن من النصيِّن المتقدِّمين الصادرين

عن الإمامين أمير المؤمنين وابنه الإمام الحسين عليهما السلام، والتعدي عن القدر المتيقن مشكوكٌ، فالأصل عدمه.

وبتقريرٍ آخر: إنَّ تفضيل أصحاب أمير المؤمنين والإمام القائم عليهما السلام على أصحاب الإمام سيِّد الشهداء عليه السلام يعتبر تعدياً عن المقدار المتيقن الوارد في النصِّ، ولا يعدل عنه إلا بدليلٍ قطعيّ يعمم أو يخصص تقديم الآخرين على أصحاب الإمام سيِّد الشهداء عليه السلام، وحيث لا يوجد دليلٌ على التعميم أو التخصيص الخارج عن مورد النصِّ، فمقتضى القاعدة الأصولية هو أنْ ننفي المشكوك وهو تقديم غير أصحاب الإمام الحسين عليه السلام على أصحاب الإمام الحسين صلوات الله عليه..!.

(**الوجه الثالث**): إنَّ تصريحَ الإمامين الهمَّامين عليهما السلام بتقديم وتفضيل شهداء كربلاء على غيرهم هو نصٌّ صريح في أفضليتهم على غيرهم ولا يعدل عنه إلى آخَر مُحْتَملٌ أو ظنيّ فضلاً عن أنَّه تأويلٌ عقليٌّ لا شاهد عليه من نصٍّ شرعيٍّ، فيبقى التأويلُ المذكور مجرَّدَ احتمالٍ يدخلُ في دائرة الظنون والإحتمالات لا يغني عن النصِّ القطعي شيئاً، ومقتضى القاعدة الأصولية في حال دوران الأمر بين الرواية والدراية العقلية المحضة (التأويل من دون وجود نصّ) هو الرجوع إلى النصّ لا التأويل، وبالتالي يجب تقديم النصّ أو الرواية على التأويل والدراية، يرجى التأمل.

(**الوجه الرابع**): إنَّ المتأمل والمتدبر في مقاطع الزيارات الصحيحة ك (زيارة عاشوراء) و(زيارة وارث) يلاحظ الترابط بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أصحابه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين...مما يدل على أفضليتهم على غيرهم مطلقاً، فها هو إمامنا الباقر عليه السلام في زيارة عاشوراء يقرن السلام على الأصحاب بالسلام على الإمام المعظم سيِّد الشهداء عليه السلام بقوله الشريف: « **السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك..** » وهذا الربط الروحي والإقتران الولائي لم يسبق لأحدٍ من أصحاب الأنبياء والأوصياء على الإطلاق، فلم يرد إلينا في زيارةٍ من الزيارات الشريفة ما يدل على ربط أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام به صلوات الله عليه، كما لم يرد وجود ربطٍ بين الإمام القائم عجل الله فرجه الشريف وبين أصحابه في أية زيارة من

الزيارات المخصوصه بمولانا الحجة القائم (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) بالرغم من ورود الثناء عليهم والإطراء على إخلاصهم.

ومما يؤكد ما في زيارة عاشوراء من الربط الروحي المتميّز بين الإمام الحسين﵇ وأصحابه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ما جاء في زيارة وارث المروية بسندٍ صحيحٍ عن إمامنا المعظم أبي عبد الله الصادق﵇ ما يدل على عمق ولايتهم لله تعالى ولرسوله ولأمير المؤمنين وسيِّدة نساء العالمين الوليَّة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها والإمام الحسن المجتبى والإمام الحسين المصفى سلام الله عليهم، مسلّماً على أصحاب الإمام المصفى أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه بقوله الشريف: « **السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه! السلام عليكم يا أصفياء الله وأوداءه، السلام عليكم يا أنصار دين الله! السلام عليكم يا أنصار رسول الله! السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين! السلام عليكم يا أنصار فاطمة سيدة نساء العالمين! السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الوليّ الناصح! السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم فوزا عظيما فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم** ».

لقد عددت هذه الزيارة الشريفة الصفات العالية التي لا يقترن بها إلا خواص الخواص من الشيعة الكروبيين الخصيصين بالإمام المصفى الحسين بن أمير المؤمنين عليّ﵉، وما ذاك إلا لأنهم من الأقطاب وغيرهم من الأبدال، ومن المعلوم أن القطب أشرف من البدل (أي العابد الخيّر)، لأن القطب هو العمود أو القائمة التي تدور عليها الرَّحى أو العمود في وسط الخيمة ولولاها لما استقامت وانتصبت الخيمة... فالأبدال يستظلون تحت الخيمة المنتصبة على رؤوسهم بواسطة القطب في وسطها... وأين الثريا من يد المتناول.!!.

(**الوجه الخامس**): إن إمامنا المعظَّم سيِّد الشهداء الحسين المصفَّى سلام الله عليه أطلق خطابه العظيم الكاشف عن الرؤية الملكوتية في اللوح المحفوظ بأنه﵇ لا

يعلم أصحاباً أوفى وأخير من أصحابه بقوله الشريف: « **أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعا عني خيراً..** ».

ولو كان ثمة أصحابٌ أوفى وأخير من أصحابه مدونين في اللوح المحفوظ لكان كشف عنهم للمؤمنين أو خصَّص غيرَ أصحابه بمزيد عناية لهم على أصحابه الطيبين، ولكنَّ شيئاً من هذا القبيل لم يحصل البتة، ما يعني أنَّ أصحابَهُ خيرُ الأصحابِ على الإطلاق، وهو ما كشفت عنه النصوص الكثيرة بألفاظٍ متعددة، منها:

النصّ المشهور المتقدم المروي في المصادر المعتبرة عندنا نحن الشيعة الإمامية لا سيَّما في (الإرشاد) للمفيد قال إمامنا المعظم الحسين بن أمير المؤمنين عليهما السلام: « **أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعا عني خيراً..** ».

وقد روي بألفاظ متعددة ولا يبعد أن يكون التعدد بسبب تكرر صدوره عن الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، فقد جاء في عدة روايات العبارات التالية:

١- ما رواه الطبري عن أبي مخنف المتوفى عام ١٥٧هـ: « **... أمّا بَعْدُ، فَإنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أوْلى وَلا خَيْراً مِنْ أصْحابي، وَلا أهْلَ بَيْت أبَرَّ وَلا أوْصَلَ مِنْ أهْلِ بَيْتي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَميعاً خَيْراً** ».

٢- وروى ابن الأعثم الكوفي المتوفى عام ٣١٤هـ: (وجمع (الإمام) الحسين عليه السلام أصحابه بين يديه، وحمد الله وأثنى عليه، وقال: « **اللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى ما بِهِ فَضَّلْتَنا، وَعَلَّمْتَنا مِنَ الْقُرْآنِ، وَفَهَّمْتَنا في الدّينِ، وَأكْرَمْتَنا بِهِ مِنْ كَرامَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَجَعَلْتَ لَنا أسْماعاً وَأبْصاراً وَأفْئدَةً وَجَعَلْتَنا مِنَ الشّاكِرينَ.**

ثمّ أقبل عليهم، وقال: **إنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أَصَحَّ مِنْكُمْ وَلا أعْدَلَ، وَلا أفْضَلَ أهْلِ بَيْت أبرَّ ولا أوصل من أهل بيتي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي خَيْراً، فَهذَا اللَّيْلُ قَدْ أقْبَلَ فَقُومُوا وَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً، وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُل مِنْكُمْ بِيَدِ صاحِبِهِ أوْ**

رَجُل مِنْ إِخْوَتي وَتَفَرَّقُوا في سَوادِ هذَا اللَّيْلِ وَذَرُوني وَهؤُلاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ لا يَطْلُبُونَ غَيْري، وَلَوْ أصابُوني وَقَدَرُوا عَلى قَتْلي لَما طَلَبُوكُمْ ».

٣- « **أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخيرَ من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعا عني خيراً..** ».

ومما يؤكد الوجه الخامس ما رواه المجلسي رحمه الله في (البحار) عن إكمال الدين بإسناده عن ابن البرقي عن أبيه، عن جده، عن أبيه محمد بن خالد، عن محمد بن داود عن محمد بن الجارود عن ابن نباتة قال: خرج علينا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ويده في يد ولده الحسن عليه السلام وهو يقول: « **خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ويدي في يده هكذا وهو يقول: خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا، وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعد وفاتي، ألا وإني أقول: إن خير الخلق بعدي وسيدهم ابني هذا وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعد وفاتي ألا وإنه سيظلم بعدي كما ظلمت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابني أخوه الحسين المظلوم بعد أخيه، المقتول في أرض كرب وبلاء، ألا إنه وأصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة، ومن بعد الحسين تسعة من صلبه خلفاء الله في أرضه، وحججه على عباده، وامناؤه على وحيه، وأئمة المسلمين وقادة المؤمنين، وسادات المتقين، تاسعهم القائم الذي يملا الله عز وجل به الأرض نوراً بعد ظلمتها، وعدلاً بعد جورها، وعلماً بعد جهلها، والذي بعث أخي محمدا بالنبوة وخصني بالإمامة لقد نزل بذلك الوحي من السماء على لسان روح الأمين جبرئيل عليه السلام ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا عنده عن الأئمة بعده فقال للسائل: (والسماء ذات البروج) إن عددهم بعدد البروج، ورب الليالي والأيام والشهور إن عددهم كعدة الشهور، فقال السائل: فمن هم يا رسول الله؟ فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأسي فقال:**

أولهم هذا وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم

فقد أنكرني، ومن عرفهم فقد عرفني، بهم يحفظ الله عز وجل دينه، وبهم يعمر بلاده، وبهم يرزق عباده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم تخرج بركات الأرض، وهؤلاء أوصيائي وخلفائي وأئمة المسلمين وموالي المؤمنين ».

فقد دل الخبرُ الشريف المتقدّم على أن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة ولكنّ الأحاديث الأخرى أوضحت إلى أنهم أفضلهم، وهذه الأخبار كثيرة منها الخبر الذي رواه الصدوق في (الأمالي) في المجلس السابع والعشرين بإسناده عن الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله قال:

حدثنا أبي، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرسان، عن جبلة المكية، قالت: سمعت ميثم التمار (قدس الله روحه) يقول: والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإن ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شئ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار، والطير في جو السماء، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض، ومؤمنو الإنس والجن وجميع ملائكة السماوات ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً. ثم قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام، كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي عليهما السلام يوم بركة! فبكى ميثم رضي الله عنه، ثم قال سيزعمون بحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود عليه السلام، وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من بطن الحوت، وإنما أخرجه الله تعالى من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت

فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وإنما كان ذلك في ربيع الأول.

ثم قال ميثم: يا جبلة، اعلمي أن الحسين بن علي عليهما السلام سيِّد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة؛ يا جبلة: إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط، فاعلمي أن سيدك الحسين قد قتل.

قالت جبلة: فخرجت ذات يوم، فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة، فصحت حينئذ وبكيت، وقلت: قد والله قتل سيدنا الحسين بن علي عليهما السلام. إنتهى.

وما أخبر عنه الصحابي الجليل ميثم التمار رضي الله عنه لم يكن إخباراً عن غير المعصوم عليه السلام وليس تحليلاً شخصياً لميثم التمار صلوات الله عليه بل كان إخباراً عن مولاه أمير المؤمنين وإمام المتقين أبي الحسن عليّ صلى الله عليه وآله، وبما أشرنا يندفع ما قد يتصوره المتوهمون والمشككون بأنَّ كلامَ ميثم ليس حجةً لأنه ليس معصوماً حتى يكون حجةً شرعية...!!.

ويؤيده خبر (كامل الزيارات): محمد بن جعفر، عن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن إسماعيل عمن حدثه، عن عليّ بن أبي حمزة، عن الحسين بن أبي العلاء وأبي المعزا وعاصم بن حميد جميعا، عن أبي بصير، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **ما من شهيد إلا وهو يحبُّ لو أنَّ الحسينَ بن عليٍّ حيٌّ** (حتى) **يدخلون الجنة معه** ».

ويؤيده أيضاً ما جاء في (كامل الزيارات): عن إمامنا الصادق عليه السلام « **لما تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض قالت** (يعني أرض كربلاء): **أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي، ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني بل شكرا لله، فأكرمها وزادها بتواضعها وشكرها لله بالحسين عليه السلام وأصحابه** ».

ومن الروايات الواردة في مدح أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الدالة على أنهم سادات الشهداء على الإطلاق إلا الأنبياء والأوصياء وأهل بيت العصمة والطهارة وأولادهم الطيبين... ألفاظُ الأئمةِ المعصومين صلوات الله عليهم في الزيارات الواردة للشهداء في باب الزيارات المطلقة لمولانا الحسين عليه السلام المذكورة في (البحار) وغيرها، ونشير إلى عدة مقاطع منها هي الآتي:

« **السلام عليكم يا ربانيون، أشهد أنكم أنصار الله، ما ضعفتم وما استكنتم حتى لقيتم الله على سبيل الحق ونصرة كلمة الله التامة، صلى الله على أرواحكم وأبدانكم وسلم تسليما. أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة، أنتم السابقون والمهاجرون والأنصار، أشهد أنكم قد جاهدتم في سبيل الله وقتلتم على منهاج رسول الله، الحمد لله الذي صدقكم وعده وأراكم ما تحبون** » – الخ.

« **السلام عليكم يا أولياء الله، السلام عليكم يا أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار أمير المؤمنين وأنصار ابن رسوله وأنصار دينه، أنتم خاصة الله اختصكم الله لأبي عبد الله عليه السلام، أنتم الشهداء وأنتم السعداء، أسعدتم عند الله وفزتم بالدرجات في الجنات مع من نصرتم، جزاكم الله خيرا من أعوان جزاء من صبر مع رسول الله، طافت عليكم رحمة من الله، بلغتم بها شرف الآخرة** » – الخ.

« **السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأوداءه، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم فوزا عظيما، فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم فوزا عظيما** » – الخ.

« **أشهد أنكم أحياء عند ربكم ترزقون، وأنكم في الدرجات العلى** » – الخ .

« **السلام عليكم يا طاهرون يا مهديون** » – الخ.

وفي تفسير فرات بن إبراهيم: (عن إمامنا الصادق عليه السلام في حديث إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام بشهادة الحسين عليه السلام، وهو يومئذ في عصبة كأنهم

نجوم السماء يتهادون إلى القتل وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم..).

والتعبير بنجوم السماء واضح الدلالة على الأفضلية إذ لم يرد في غيرهم التعبير عنهم بأنهم نجوم السماء ما يعني أن أصحاب الإمام الحسينعليه السلام نجوم على عامة الأصحاب..!.

والخبر رواه أيضاً ابن قولويه القمي في (كامل الزيارات) مختصراً إلا أننا أحببنا نقله من تفسير الفرات لتمامه ولأسبقية فرات على إبن قولويه القمي والخبر هو التالي: حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعنا: عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **كان الحسينعليه السلام مع أمه تحمله فأخذه النبيصلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.**

قالت فاطمة الزهراءعليها السلام: يا أبة أي شئ تقول؟ قال: يا بنتاه ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

قالت: يا أبة وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلاء وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيه وهم المخلدون في النار.

قالت: يا أبه فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة (والوحش. ب، ر) **والنباتات والبحار والجبال ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا** (أ: لحقنا) **منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، وبهم**

ينزل الغيث.

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة إنا لله، وبكت. فقال لها: يابنتاه إن أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا بذلوا ﴿ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾، **فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتته، من كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت.**

يا فاطمة بنت محمد! أما تحبين أن تأمرين غدا بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب، أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش، أما ترضين (أن يكون) **أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة، أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه، أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء، أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به وينظرون إلى بعلك وقد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك إذا أفلحت** (ب. فلجت) **حجته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه، أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كل شئ، أما ترضين أن يكون من أتاه زائرا في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله الحرام، واعتمروا لم يخلو من الرحمة طرفة عين وإذا مات مات شهيدا وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا، قالت: يا أبة سلمت ورضيت وتوكلت على الله، فمسح على قلبها ومسح على عينيها** (ب: جنبها) **فقال: إني** (ب: أنا) **وبعلك وأنت وابناك في مكان تقر عيناك ويفرح قلبك** ». إنتهى.

وفي (مجالس) المفيد، و(أمالي الطوسي): عن إمامنا المعظَّم جعفر الصادق عليه السلام حديث رؤية أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله شاحباً كئيباً، وقوله صلى الله عليه وآله لها: « **ما زلت الليلة**

أحفر القبور للحسين عليه السلام وأصحابه ».

وفي رواية أخرى للشيخ، قال النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله لها: « **قُتِلَ ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته اليوم، فدفنتهم، والساعة فرغتُ من دفنهم** ».

وفي رواية سعيد بن جبير عنه قال: فلمّا كانت اللّيلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي أغبر أشعث، فذكرت له ذلك وسألته عن شأنه، فقال لي: « **ألم تعلمي أنّي فرغت من دفن الحسين وأصحابه** ».

ولا يخفى على المؤمن الفطن بأنَّ لدفن النبيّ صلى الله عليه وآله لأصحاب الإمام سيّد الشهداء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فيه مزيد مزية وفضل لهم على غيرهم مما يدل على علو قدرهم وعصمتهم العرضية التي سبقت عصمة غيرهم من الأصحاب، إذ لم يُعهد للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أنه تولّى دفن أحدٍ بنفسه إلا فيمن كان بمثابة نفسه الشريفة أو قريباً من نفسه الطاهرة... وهكذا ما جرى عليهم عندما تولّى الإمامُ المعظم زين العابدين عليه السلام دفنهم بمشاركة بني أسد له - فعيَّن لهم موضعين وأمرهم بحفر حفرتين فوضع في الأولى بني هاشم وفي الثانية الأصحاب - مما يدل على مزية تفضيل لهم وإلا لكان أمرهم بدفنهم من دون مشاركته لهم بدفنهم صلوات الله عليهم..!!.

وروى ابن الأثير في (الكامل) في حوادث سنة إحدى وستين: قال ابن عباس: رأيتُ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم الليلة التي قُتِلَ فيها الحسين [عليه السلام] وبيده قارورة وهو يجمع فيها دماً فقلتُ يا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ما هذا؟ قال هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى، فأصبح ابنُ عباس، فأعلم الناسَ بقتل الحسين [عليه السلام] وقص رؤياه فوجد قد قتل في ذلك اليوم.

فرفع النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله لدم حفيده الإمام سيّد الشهداء وأصحابه الطيبين دلالة واضحة على تفضيل تلك الدماء الطاهرة الزكية على غيرها من دماء الشهداء من أصحاب الأنبياء والأوصياء والأولياء المقربين عليهم السلام، فلم يُعرف عن أحدٍ من المعصومين المطهرين عليهم السلام أنهم فعلوا بدماء أصحابهم المخلصين الذين ثبتوا على الولاء لهم مع أوصيائهم كما فعل نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله مما يعني أنَّ لدمائهم فضلاً على عامة دماء

المخلصين من الشهداء في سبيل الحجج المطهرين عليهم السلام.

تنبيه مهم جداً

جاء في رواية الشيخ الصدوق في (الأمالي) بأنَّ إمامنا المعظَّم أبي عبد الله الحسين عليه السلام قد خطب بمن رافقه طلباً للرياسة والجاه وأحلَّهم من بيعته، وعندما قال ذلك، انفك أكثرهم عنه وبقي من استشهد معه، وإليكم النص: « **فقام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً فقال: أللّهُمَّ إنّي لا أعْرِفُ أهْلَ بَيْت أبَرَّ وَلا أزْكى وَلا أطْهَرَ مِنْ أهْلِ بَيْتي، وَلا أصْحاباً هُمْ خَيْرٌ مِنْ أصْحابي، وَقَدَ نَزَلَ بي ما قَدْ تَرَوْنَ وَأنْتُمْ في حلٍ مِنْ بَيْعَتي، لَيْسَتْ لي في أعْناقِكُمْ بَيْعَةٌ، وَلا لي عَلَيْكُمْ ذِمَّةٌ، وَهذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً وَتَفَرَّقُوا في سَوادِهِ فَإنَّ الْقَوْمَ إنَّما يَطْلُبُوني، وَلَوْ ظَفَرُوا بي لَذَهَلُوا عَنْ طَلَبِ غَيْري...** ».

والسؤال المهم هو الآتي: هل تبرأ ذمة من حلله الإمام الحسين عليه السلام من البقاء معه للقتال في ليلة العاشر من محرم أو أن للمسألة حكماً آخر؟ الظاهر الثاني، ويدل عليه وجوهٌ ثلاثة:

(**الوجه الأول**): لم يثبت لدينا وثاقة الخبر المذكور بسبب ضعف سنده، لجهالة بعض رواته، ولكن على فرض صحة صدوره عن المعصوم عليه السلام فيحمل على إسقاطِ المؤاخذةِ العرفيةِ والعقليةِ مراعاة له لضعف عقولهم ونفوسهم وقلة تدينهم لأنهم من أهل الدنيا وقد لحقوه طمعاً في حطام الدنيا وملذاتها فلمّا آيسوا من الحصول عليها تفرقوا عنه بعد خطابه لهم كاشفاً عن نياتهم الخبيثة أو عن ضعف إرادتهم... فجعلهم في حلٍّ من بيعته للسبب المذكور حتى لا يشكِّلُ وجودهم معهم عائقاً له من الجهاد أو حرصاً منه على عدم خرقهم لمواقفه الإلهيَّة التي لن يتحلل منه باعتباره مسؤولاً عن النهضة ضد الباطل والمبطلين..!.

(**الوجه الثاني**): إنهم وإنْ كانوا ضعيفي الإرادة والعزم إلَّا أنهم لم يخرجوا من الإسلام، لذا لم يرد إمامُنا المعظَّم سيِّد الشهداء صلوات الله عليه أنْ يُشكِّلَ

وجودُهم معه من غير عزم منهم على ذلك إحراجاً لهم وضرراً عليهم فأراد تحليلهم من القتال معه رحمةً ورأفةً بهم، لئلا يكونَ إرغامُهم على البقاءِ معه سبباً لمضاعفة العذابِ عليهم يوم الحسرة والندامة...! والتحليل المذكور لا يعفيهم من العقاب يوم القيامة..!.

(**الوجه الثالث**): أنْ يكونَ إعفاؤهم من القتال مع الإمام سيِّد الشهداء بأبي هو وأمي ونفسي باعتبارهم خارجين عن الولاية لأهل البيت عليهم السلام، فلم يكونوا معتقدين بإمامته وولايته بل كانوا من شذاذ الآفاق ولهم توجهاتٍ وعقائد تخالفُ توجهات إمام الزمان سيِّد الشهداء عليه السلام، لذا لم يوفقوا للدوام على البيعة التي عقدوها للإمام عليه السلام ولم يكن للإمام عليه السلام عليهم ذمة لأن ذلك يستلزم أن يكون بين المبايع والمبايع له عهد أمان وإعتقاد بمن يبايعون، فإذا انتفى أحدهما انتفت البيعة وبالتالي انتفت الذمة، من هنا استحقوا الحرمان من الشفاعة يوم القيامة التي لا ينالها إلا المؤمن، وهو ما أفصحت عنه مولاتُنا الصدّيقة سُكيِّنة صلوات الله عليها في النصّ الذي رواه البهبهاني في (الدمعة الساكبة) عن كتاب (نور العيون) بإسناده عن سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام أنّها قالت:

« **كنت جالسة في ليلة مقمرة وسط الخيمة، وإذا أنا أسمع من خلفها بكاءً وعويلاً، فخشيت أن يفقه بي النساء، فخرجت أعثر بأذيالي وإذا بأبي عليه السلام جالس، وحوله أصحابه وهو يبكي وسمعته يقول لهم: إعْلَمُوا، أَنّكُمْ خَرَجْتُمْ مَعي لِعلْمِكُمْ أَنّي أَقْدِمُ عَلى قَوْم بايَعُوني بِأَلْسِنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَقَدِ انْعَكَسَ الأُمْرُ لأِنَّهُمْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْسيهُمْ ذِكْرَ الله، وَالآْنَ لَيْسَ لَهُمْ مَقْصَدٌ إِلاّ قَتْلي وَقَتْلُ مَنْ يُجاهِدُ بَيْنَ يَدَيَّ، وَسَبْيُ حَريمي بَعْدَ سَلْبِهِمْ، وَأَخْشى أنْ تَكُونُوا ما تَعْلَمُونَ وَتَسْتَحْيُونَ، وَالْخَدْعُ عِنْدَنا أَهْلَ الْبَيْتِ مُحَرَّمٌ، فَمَن كَرِهَ مِنْكُمْ ذلِكَ فَلْيَنْصَرِفْ، فَاللَّيْلُ سَتيرٌ وَالسَّبيلُ غَيْرُ خَطير وَالْوَقْتُ لَيْسَ بِهَجير، وَمَنْ واسانا بِنَفْسِهِ كانَ مَعَنا غَداً في الْجِنانِ نَجِيّاً مِنْ غَضَبِ الرَّحْمنِ، وَقَدْ قالَ جَدِّي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله: ولدي الحسين يقتل بأرض كربلاء غريباً**

وحيداً عطشاناً فريداً، فمن نصره فقد نصرني ونصر ولده القائم، ولو نصرنا بلسانه فهو في حزبنا يوم القيمة.

قالت سكينة عليها السلام: **فوالله! ما أتمّ كلامه إلاّ وتفرّق القوم من عشرة وعشرين، فلم يبق معه إلاّ واحد وسبعون رجلاً فنظرت إلى أبي منكّساً رأسه فخنقتني العبرة، فخشيت أن يسمعني ورفعت طرفي إلى السماء وقلت: أللّهمّ إنّهم خذلونا، فاخذلهم ولا تجعل لهم دعاءً مسموعاً، وسلّط عليهم الفقر، ولا ترزقهم شفاعة جدّي يوم القيامة، ورجعت ودموعي تجري على خدّي، فرأتني عمّتي اُمّ كلثوم فقالت: ما دهاك يا بنتاه! فأخبرتها الخبر فصاحت: واجدّاه! واعليّاه! واحسناه! واحسيناه! واقلّة ناصراه! أين الخلاص من الأعداء؟ ليتهم يقنعون بالفداء! تركت جوار جدّك وسلكت بنا بعد المدى! فعلا منّا البكاء والنحيب، فسمع أبي ذلك فأتى إلينا يعثر في أذياله ودموعه تجري وقال: ما هذَا الْبُكاء؟**

فقالت: **يا أخي! ردّنا إلى حرم جدّنا.**

فقال عليه السلام: **يا أُخْتاهْ! لَيْسَ لي إِلى ذلِكَ سَبيلٌ.**

قالت: **أجل، ذكّرهم محل جدّك وأبيك وأُمّك وأخيك.**

قال: **ذَكَّرْتُهُمْ فَلَمْ يَذَّكَّرُوا وَوَعَظْتُهُمْ فَلَمْ يَتَّعِظُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلي، فَما لهمُ غَيْرُ قَتْلي سَبيلٌ وَلا بُدَّ أَنْ تَرَوْني عَلىَ الثَّرى جَديلاً، وَلكِنْ أُوصيكُنَّ بِتَقْوَى اللهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْبَلِيَّةِ، وَكَظْمِ نُزُولِ الرَّزِيَّةِ، وَبِهذا وَعَدَ جَدُّكُمْ، وَلا خُلْفَ لِما أوْعَدَ وَدَّعْتُكُمْ إلهِي الْفَرْدَ الصَّمَدَ »**، ثمّ تباكينا ساعة والإمام عليه السلام يقول: « ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾ ». إنتهى.

وبما تقدَّم يتضح: أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أفضل الأصحاب على الإطلاق لا يسبقهم سابق ولن يلحقهم لاحق... فهنيئاً لهم بما علموا وعملوا وصبروا فتلك عقبى الدار..! ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ.

﴿ قال علقمة : قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السَّلام : إنْ ﴾
﴿ استطعتَ أنْ تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من ﴾
﴿ دهرك فافعل فلك ثواب جميع ذلك ﴾
﴿ إنْ شاء الله تعالى ﴾

هذه الفقرة تسنُّ لنا استحباب زيارة الإمام المعظَّم سيِّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام كلَّ يوم، وينال الزائرُ نفسَ الثواب المُعطَى لمن زاره في يوم عاشوراء ولا يجوز تبديل : « **إنّ هذا يومٌ تبرّكت به بنو أُمَيّة...** » بعبارة : (إنّ يوم قُتِلَ الحسين يوم تبركت به) كما فعل المحدِّث المجلسي في صفحة ٣٠٢ في كتاب (المزار) من الجزء الثامن والتسعين من (البحار)، معقباً على قول الإمام الباقر عليه السلام لعلقمة : « **إن استطعت أن تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من دهرك فافعل فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى...** » ؛ حيث أجاز المجلسي رحمه الله للزائر تغيير العبارة الآنفة الذكر واستبدالها بعبارة : (اللهم إنَّ يومَ قُتِلَ الحسينُ عليه السلام يومٌ تبركت به بنو أُميَّة..) فقال غفر الله له : « **أقول: هذه الرخصة يستلزم الرخصة في تغيير عبارة الزيارة أيضاً كأن يقول [اللهم إن يوم قتل الحسين عليه السلام يوم تبركت به] وعبارة (كامل الزيارة) لا يحتاج إلى تغيير..** » إنتهى كلامه.

يرد على المجلسي غفر الله له ما يلي:

على فرض صحة ما نُقِل عن المجلسي في كتابه (البحار)، فلا يجوز له رحمه الله أنْ يفتي للناس بتبديل العبارة المسنونة في الزيارة بعبارة ابتدعها واستحسنها لا سيّما أنَّه أخباريٌّ يتعبد بالنصوص كما جاءتنا، فالتبديلُ هو خروجٌ عن وظيفته الإخبارية إلى أُخرى أشعرية إستحسانية...! ولأنَّ التبديلَ يعتبر تحريفاً للمسنون الوارد في الزيارة عن الإمام الباقر عليه السلام...!

ولو أنَّه أفتي بغير التبديل لهان الخطب ولم يتسع الفتق كما لو شرح للزائر كيف يقصد بالعبارة كما فعلنا نحن وهو: (أنْ يقصدَ الزائرُ بعبارة: [إن هذا يوم تبركت به بنو أُمَيَّة...] اليومَ الذي قُتِلَ فيه الإمام الحسين عليه السلام).

فما فعلناه هو تفسير للعبارة المسنونة الواردة في الزيارة حتى لا يقع المكلّف في الكذب لأن بقية الأيام التي يزور فيها سيِّد الشهداء صلوات الله عليه ليست من أيام محرم ولا أنها اليوم العاشر من محرّم... فلا بدَّ من نيةٍ تصحح قصد الزائر من العبارة: (إن هذا يوم...) فإمَّا أنْ يقصد به عبارة المجلسي من دون تغيير بمقطع الزيارة الشريفة؛ وإمَّا أن يقصدَ به التالي: إن يومي هذا هو إمتداد ليوم عاشوراء الذي تبركت به بنو أمية، فتبرك بني أمية لم يقتصر على يوم عاشوراء بل تخطاه إلى سائر الأيام إلى يومنا هذا، فكل فساد أو ظلم إنما هو بسبب السقيفة المتولد منه تثبيت عروش بني أُمَيَّة وبني العباس إلى يومنا هذا حتى ظهور إمام زماننا المعظَّم بقية الله الأعظم القائم من آل محمد عليهم السلام... اللهم عجّل فرجه وسهّل مخرجه واجعنا من خيرة أعوانه وأنصاره ومن مقوية سلطانه!!.

وبعبارةٍ أُخرى: لا يجوز تغيير العبارة المسنونة في الزيارة، كما لا يجوز العمل بالإحتياط بين العبارتين كما فعل الكاشاني غفر الله له في شرح الزيارة بقوله: « **والاحتياط بالعبارتين مطلوب لا ينبغي تركه** » وكأنَّ كلام المجلسي وحيٌّ منزل حتى ادّعى الكاشاني بأن الجمع بين عبارة المجلسي وعبارة الإمام الباقر عليه السلام من الإحتياط الذي لا ينبغي تركه..!! ومتى كان متداولاً عند الشيعة قرن كلام العلماء بكلام سادة الأنام عليهم السلام وكيف تُقرنُ القوادم بالذنابي..؟! نعم! لقد استبدلوا ذلك على حدّ تعبير أميرة عوالم الوجود الصدّيقة الكبرى روحي لنعليها الفداء في خطبتها الشريفة أمام نساء المدينة لمّا زرنها بعد إعتداء أبي بكر وعمر عليها حيث عبرت عن استنكارها للمسلمين الذين استبدلوا الجهلة بالعلماء والقوادم بالذنابي، فالقوادم هم آل البيت عليهم السلام والذنابي هم غيرهم، قالت صلوات ربي عليها: « **لقد استبدلوا- واللهِ - الذنابي بالقوادم والعُجْزَ بالكاهل** (العجز هو: مؤخر الشيء أو الجسم،

والكاهل هو: مقدم الشيء أو أعلى الظهر مما يلي العنق) **فرغماً لمعاطس قومٍ يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُسَ.

فالعجب ثم العجب - ولا نعجب من شيءٍ - في غيبة إمامنا المعظم الحجة القائم أرواحنا فداه أنْ يقرنَ علماءٌ بعضَهم بعضاً بسادة الورى وسفن النجاة كما فعل الكاشاني حيث قرن المحدّث المجلسي بمن دارت القرون الأولى على معرفتهم...! وما ذاك إلا من شرارات تطايرت مذ اعتدى الجبتُ والطاغوت على أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهما السلام..!! فقد استطارَ شرُّ يومِ السقيفة إلى حوزاتنا العلمية ولا يزال إلى يوم ظهور الإمام الأعظم الحجة بن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام حيث صار الإجتهاد مجرد أقيسة والإستحسانات وظنون وتأويلات بدلاً من العمل بالنصّوص وتفسيرها بحسب ما أراد آل الرسول...! وما العلماء إلا نقلة آثار ساسة العباد وأركان البلاد وأمناء الرحمان وسلالة النبيين..!؟

والحاصل: لا أن التغيير الذي ابتدعه المجلسي مطلوب ولا الإحتياط الذي ابتدعه الكاشاني أمر مرغوب... فكلا الرأيين بدعتان يحرم الأخذ بهما، لأن كلَّ ذلك من الأقيسة والإستحسانات المقابلة للروايات، بالإضافة إلى أنها خلاف الإحتياط في نقل الخبر عن المعصوم عليه السلام، فالإحتياط يقتضي ترك هذا الإحتياط - الذي ابتدعه الكاشاني - الناتج من العقول الضعيفة في مقابل أقوالهم الشريفة، والأدب في الإمتثال... والله تعالى هو الموفق للصواب والرشاد وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين، وعجِّل اللهم فَرَجَ وليّكَ المنتقم لكَ ولأوليائكَ، واجعلنا من خدّامه وأعوانه والمستشهدين بين يديه بحقّ الحق والقائل بالصدق محمّد وآله الأطهار المنتجَبين.. يا قائم آل محمد أغثنا وانصرنا وارشدنا واهدنا لما تحب

وترضى.. صلى الله عليك.. صلى الله عليك .. صلى الله عليك..!.

وهنا نختم الكلام بقبض عنان القلم على ما أراد الله تبارك شأنه لنا من إثبات ما أجاد به المولى علينا من شرح زيارة عاشوراء الشريفة... سائلاً خالقي العظيم وحججه الطيبين المطهرين عليهم السلام أن يجعلوه في ميزان ولايتهم وحبهم ليومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم..!.

حرره العبد الفقير الراجي عفو ربِّه وشفاعة نبيه وآله المطهرين عليهم السلام

أحقر الأولياء لآلِ محمدٍ

كلبهم الباسط ذراعيه بالوصيد

محمد بن جميل بن عبد الحسين بن يوسف حمود العاملي

تمَّ الفراغ من تصنيف هذا الشرح النفيس: يوم الأحد الموافق ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ، وتم الفراغ من تسويده بتاريخ ٣ صفر عام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣م.

لبنان – بلاد عاملة.

يا قائمَ آلِ محمَّدٍ أغثنا

المحتويات

فهرس الجزء الثاني من نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء

العنوان	الصفحة

العنوان .... الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان .... **الصفحة**

العنوان .... الصفحة

العنوان	الصفحة
(الوجه الرابع):	٥٠٣
(الوجه الخامس):	٥٠٤
تنبيه مهم:	٥١٣
سؤال مهم جداً مفاده: هل تبرأ ذمة من حلّله الإمام الحسين عليه السلام من البقاء معه للقتال؟ هنا وجهان: أظهرهما الثاني؟	٥١٣
(الوجوه الثلاثة على تعيين الرأي الثاني)	٥١٣
فقرة قوله الشريف عليه السلام: "إن استطعت أن تزوره في كلِّ يوم بهذه الزيارة مِن دهرك فافعل ذلك، فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى"	٥١٦
شرح الفقرة الشريفة	٥١٦
دعوى المجلسي في تغيير عبارة: "اللهم إن يوم قتل الحسين عليه السلام يوم تبركت به.."	٥١٦
الإيراد على الدعوى المتقدمة	٥١٦
حاصلُ الردِّ على المجلسي والكاشاني رحمهما الله	٥١٨
المحتويات	٥٢١

والحمد لله رب العالمين

يا قائم آل محمَّد أغثنا يا غياث المستغيثين بحق جدك الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام